

تأريخ دولة الإسلام

تأليف

ربيع بن ربيعة بن ربيعة بن ربيعة

سكرتير شركة الخواجات نجسوكلي بنى و بشرى منا

المقاولين بالمنا

الجزء الثاني

قد ورد في الآثار عن سيد البشر

من ورث مومنا فكأنما أحياء (كشف الظنون)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

كل نسخة لا يوجد عليها غتم المؤلف تعتبر مسروقة



وبماكم ما عليها قانوناً

طبع بمطبعة اخلال بالبحر سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م

فصل	صفحة	فصل	صفحة
٢٨ ٢٥٥	ابو علي بن مروان	١ ٢٢٩	(الدولة الغزنوية بافغانستان والهند)
٢٨ ٢٥٦	ابو منصور بن مروان	٢ ٢٣٠	سبكتكين
٢٩ ٢٥٧	ابو نصر احمد بن مروان	٣ ٢٣١	اسماعيل بن سبكتكين
٣٠ ٢٥٨	نصر بن احمد	٤ ٢٣٢	محمود بن سبكتكين
٣٠ ٢٥٩	منصور بن نصر	١٠ ٢٣٣	محمد بن محمود (اولا)
٣٠ ٢٦٠	(الدولة المغراوية بمراكش)	١٠ ٢٣٤	مسعود بن محمود
٣١ ٢٦١	زيري بن عطية	١٢ ٢٣٥	محمد بن محمود (ثانية)
٣٣ ٢٦٢	المعز بن زيري بن عطية	١٢ ٢٣٦	مدعود بن مسعود
٣٤ ٢٦٣	حمادة بن المعز بن عطية	١٤ ٢٣٧	عبد الرشيد بن محمود
٣٥ ٢٦٤	دوناس بن حمادة	١٥ ٢٣٨	فرخزاد بن مسعود
٣٥ ٢٦٥	فتوح بن دوناس	١٦ ٢٣٩	ابراهيم بن مسعود
٣٦ ٢٦٦	معنصر بن حماد	١٦ ٢٤٠	مسعود بن ابراهيم
٣٦ ٢٦٧	تميم بن معنصر	١٦ ٢٤١	ارسلان شاه بن مسعود
٣٧ ٢٦٨	(الدولة الايلكية بتركستان)	١٨ ٢٤٢	بهرام شاه بن مسعود
٣٧ ٢٦٩	ايلك خان سليمان	١٨ ٢٤٣	رو شاه بن بهرام شاه
٣٩ ٢٧٠	طغان خان	١٩ ٢٤٤	ام بن خسرو شاه
٤٠ ٢٧١	ارسلان خان وقدرخان	٢٠ ٢٤٥	ولة الصنهاجية ب تونس
٤١ ٢٧٢	بقراخان بن قدرخان	٢٠ ٢٤٦	زيري
٤١ ٢٧٣	طغرل خان بن قدرخان	٢١ ٢٤٧	بلكين
٤٢ ٢٧٤	طغرل تكين بن طغرل خان	٢٢ ٢٤٨	المنصور
٤٢ ٢٧٥	(دولة المرابطين بمراكش)	٢٣ ٢٤٩	باديس
٤٤ ٢٧٦	محمد بن تيفاوت	٢٤ ٢٥٠	المعز
٤٤ ٢٧٧	يحيى بن ابراهيم الكدالي	٢٥ ٢٥١	بن تميم
٤٧ ٢٧٨	يحيى بن عمر اللمتوني	٢٦ ٢٥٢	بن يحيى
٤٧ ٢٧٩	ابو بكر بن عمر اللمتوني	٢٦ ٢٥٣	حسن بن علي
٤٨ ٢٨٠	امير المسلمين يوسف بن تاشفين	٢٧ ٢٥٤	(الدولة المروانية بديار بكر)

فصل	صفحة	فصل	صفحة
٣٠٨	٧٧	٢٨١	٥٥
٣٠٩	٧٧	٢٨٢	٥٧
٣١٠	٧٧	٢٨٣	٥٧
٣١١	٧٨	٢٨٤	٥٨
٣١٢	٧٨	٢٨٥	٥٨
٣١٣	٧٨	٢٨٦	٥٨
٣١٤	٧٩	٢٨٧	٦٠
٣١٥	٧٩	٢٨٨	٦٠
٣١٦	٨٠	٢٨٩	٦٢
٣١٧	٨٠	٢٩٠	٦٦
٣١٨	٨١	٢٩١	٦٧
٣١٩	٨١	٢٩٢	٦٧
٣٢٠	٨٢	٢٩٣	٦٨
٣٢١	٨٢	٢٩٤	٦٩
٣٢٢	٨٢	٢٩٥	٦٩
٣٢٣	٨٣	٢٩٦	٧٠
٣٢٤	٨٤	٢٩٧	٧٠
٣٢٥	٨٤	٢٩٨	٧٠
٣٢٦	٨٥	٢٩٩	٧٠
٣٢٧	٨٦	٣٠٠	٧١
٣٢٨	٨٦	٣٠١	٧٢
٣٢٩	٨٦	٣٠٢	٧٣
٣٣٠	٨٧	٣٠٣	٧٤
٣٣١	٨٧	٣٠٤	٧٥
٣٣٢	٨٨	٣٠٥	٧٥
٣٣٣	٨٨	٣٠٦	٧٦
٣٣٤	٨٩	٣٠٧	٧٦

فصل	صحيفة	فصل	صحيفة
٣٦٢	١١١	٣٣٥	٨٩
٣٦٣	١١٢	٣٣٦	٩٠
٣٦٤	١١٢	٣٣٧	٩٠
٣٦٥	١١٣	٣٣٨	٩١
٣٦٦	١١٤	٣٣٩	٩١
٣٦٧	١١٤	٣٤٠	٩١
٣٦٨	١١٦	٣٤١	٩٢
٣٦٩	١١٦	٣٤٢	٩٢
٣٧٠	١١٦	٣٤٣	٩٢
٣٧١	١١٧	٣٤٤	٩٣
٣٧٢	١١٧	٣٤٥	٩٣
٣٧٣	١١٨	٣٤٦	٩٣
٣٧٤	١١٩	٣٤٧	٩٤
٣٧٥	١٢٠	٣٤٨	٩٤
٣٧٦	١٢٠	٣٤٩	٩٥
٣٧٧	١٢١	٣٥٠	٩٦
٣٧٨	١٢١	٣٥١	١٠٠
٣٧٩	١٢٢	٣٥٢	١٠٣
٣٨٠	١٢٣	٣٥٣	١٠٤
٣٨١	١٢٣	٣٥٤	١٠٥
٣٨٢	١٢٥	٣٥٥	١٠٥
٣٨٣	١٢٦	٣٥٦	١٠٦
٣٨٤	١٢٦	٣٥٧	١٠٨
٣٨٥	١٢٧	٣٥٨	١٠٨
٣٨٦	١٢٨	٣٥٩	١٠٩
٣٨٧	١٢٩	٣٦٠	١١٠
٣٨٨	١٢٩	٣٦١	١١٠
طغرل بن ارسلان شاه		ابو القاسم محمد بن عباد	
(الدولة الساجوقية باسيا الصغرى)		(دولة ابن الافطس ببطلينوس بالاندلس)	
سليمان بن قطامش		ابو محمد عبد الله بن مسلمة	
قلاج ارسلان بن سليمان		ابو بكر محمد بن عبد الله	
مسمود بن قلاج ارسلان		عمر بن محمد	
قلاج ارسلان بن مسمود		(الدولة الجهورية بقرطبة بالاندلس)	
غياث الدين كيخسرو بن قلاج ارسلان		ابو الحزم جهور بن محمد	
ركن الدين بن قلاج ارسلان		ابو الوليد محمد بن جهور	
قلاج ارسلان بن ركن الدين		عبد الملك بن محمد	
غياث الدين كيخسرو بن قلاج ارسلان ثانية		(دولة بنى ذى النون بطليطلة بالاندلس)	
كيكاوس بن كيخسرو		اسماعيل بن عبد الرحمن	
كيخباد بن كيخسرو		يحيى بن اسماعيل	
كيخسرو بن كىخباد		القادر بالله يحيى بن اسماعيل	
علاء الدين كىخباد بن كيخسرو		(الدولة الساجوقية بايران)	
عز الدين كيكاوس بن كيخسرو		داود بن ميكائيل وطغرل بك بن ميكائيل	
قلاج ارسلان بن كيخسرو		الب ارسلان بن داود	
كيخسرو بن قلاج ارسلان		ملك شاه بن الب ارسلان	
مسمود بن كيكاوس		محمود بن ملك شاه	
(الدولة البورية بالشام)		بركيارق بن ملك شاه	
تنش بن الب ارسلان		ملك شاه بن بركيارق	
(١) رضوان بن تنش		محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان	
الب ارسلان بن رضوان		محمود بن محمد	
سلطان شاه بن رضوان		داود بن محمود	
(٢) دقاق بن تنش		مسمود بن محمد بن ملك شاه	
اتابك طغديكن		محمد بن محمود	
بوري بن طغديكن		سليمان شاه بن محمد	
شمس الملوك اسماعيل بن بوري		ارسلان شاه بن طغرل بك بن محمد	

فصل	صحيفة	فصل	صحيفة		
١٤٣	٤١٦	ظهير الدين ابراهيم بن سحمان	١٣٠ ٣٨٩	شهاب الدين محمود بن بوري	١٣٠ ٣٨٩
١٤٤	٤١٧	احمد بن سحمان	١٣١ ٣٩٠	جمال الدين محمد بن بوري	١٣١ ٣٩٠
١٤٤	٤١٨	سحمان بن ابراهيم	١٣١ ٣٩١	مجير الدين آبق بن محمد	١٣١ ٣٩١
١٤٥	٤١٩	مكتمر مولي سحمان	١٣٤ ٣٩٢	الدولة الاروقية بماردين وديار بكر	١٣٤ ٣٩٢
١٤٦	٤٢٠	اقسنقر	١٣٤ ٣٩٣	سقمان بن ارتق	١٣٤ ٣٩٣
١٤٦	٤٢١	محمد بن مكتمر	١٣٥ ٣٩٤	(١) ابراهيم بن ارتق	١٣٥ ٣٩٤
١٤٧	٤٢٢	دولة الموحد بن براكش	١٣٥ ٣٩٥	داود بن سقمان	١٣٥ ٣٩٥
١٥١	٤٢٣	عبد المؤمن بن علي الكومي	١٣٥ ٣٩٦	نحر الدين قرا ارسلان بن داود	١٣٥ ٣٩٦
١٥٧	٤٢٤	يوسف بن عبد المؤمن	١٣٥ ٣٩٧	نور الدين محمد بن قرا ارسلان	١٣٥ ٣٩٧
١٥٩	٤٢٥	يعقوب بن يوسف	١٣٦ ٣٩٨	قطب الدين سقمان بن محمد	١٣٦ ٣٩٨
١٦٢	٤٢٦	محمد بن يعقوب	١٣٦ ٣٩٩	اباس مملوك قطب الدين	١٣٦ ٣٩٩
١٦٥	٤٢٧	يوسف بن محمد	١٣٧ ٤٠٠	محمود بن محمد	١٣٧ ٤٠٠
١٦٦	٤٢٨	عبد الواحد بن يوسف	١٣٧ ٤٠١	المسعود بن محمود	١٣٧ ٤٠١
١٦٨	٤٢٩	العاذل عبد الله بن المنصور	١٣٧ ٤٠٢	(٢) ايلغازي بن ارتق	١٣٧ ٤٠٢
١٦٩	٤٣٠	المامون بن المنصور	١٤٠ ٤٠٣	حسام الدين قمر تاش بن ايلغازي	١٤٠ ٤٠٣
١٧٣	٤٣١	الرشيد بن المامون	١٤٠ ٤٠٤	البي بن قمر تاش وابنه ايلغازي	١٤٠ ٤٠٤
١٧٥	٤٣٢	السعيد علي بن المامون	١٤٠ ٤٠٥	يولق ارسلان بن ايلغازي	١٤٠ ٤٠٥
١٧٦	٤٣٣	عمر المرتضي بن ابي ابراهيم	١٤١ ٤٠٦	ارتق المنصور بن ايلغازي	١٤١ ٤٠٦
١٧٨	٤٣٤	ابو العلاء ادريس المعروف بابي دبوس	١٤١ ٤٠٧	السعيد نجم الدين غازي بن ارتق	١٤١ ٤٠٧
١٨٠	٤٣٥	الدولة الزنكية باجزيرة والشام	١٤١ ٤٠٨	المظفر قرا ارسلان بن ارتق	١٤١ ٤٠٨
١٨٠	٤٣٦	عماد الدين زنكي بن اقسنقر	١٤١ ٤٠٩	نجم الدين غازي بن قرا ارسلان	١٤١ ٤٠٩
١٨٥	٤٣٧	نور الدين محمود بن زنكي	١٤٢ ٤١٠	المنصور احمد بن غازي	١٤٢ ٤١٠
١٩١	٤٣٨	الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين	١٤٢ ٤١١	الصالح محمود بن احمد	١٤٢ ٤١١
١٩٢	٤٣٩	عز الدين مسعود بن مودود	١٤٢ ٤١٢	المظفر قرا الدين داود بن المنصور	١٤٢ ٤١٢
١٩٥	٤٤٠	نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين	١٤٢ ٤١٣	مجد الدين عيسى بن داود	١٤٢ ٤١٣
١٩٧	٤٤١	الملك الناصر بن نور الدين	١٤٣ ٤١٤	دولة الشاهات بارمينية	١٤٣ ٤١٤
١٩٨	٤٤٢	نور الدين ارسلان شاه بن الملك الناصر	١٤٣ ٤١٥	سحمان القطبي شاه ارمن	١٤٣ ٤١٥

فصل	صحيفة	فصل	صحيفة
٢٥٥	٤٧٠	الاشرف بن يوسف	١٩٩ ٤٤٣
٢٥٧	٤٧١	اخبار الصليبيين مدة الدولة الايوبية	٢٠٠ ٤٤٤
٢٦٧	٤٧٢	(دولة المغول او التتر بايران)	٢٠٠ ٤٤٥
٢٦٨	٤٧٣	جنكز خان	٢٠١ ٤٤٦
٢٧٤	٤٧٤	قان بن جنكز خان	٢٠٢ ٤٤٧
٢٧٨	٤٧٥	كيوك خان بن قان	٢٠٣ ٤٤٨
٢٧٩	٤٧٦	هولاكو بن تولي	٢٠٣ ٤٤٩
٢٨٤	٤٧٧	اباقا بن هولاكو	٢٠٥ ٤٥٠
٢٨٥	٤٧٨	السلطان احمد بن هولاكو	٢١١ ٤٥١
٢٨٥	٤٧٩	ارغون بن اباقا	٢١٥ ٤٥٢
٢٨٦	٤٨٠	كيخان بن اباقا	٢١٥ ٤٥٣
٢٨٦	٤٨١	بايدوخان بن طرغاي بن هولاكو	٢١٥ ٤٥٤
٢٨٦	٤٨٢	قازان خان بن ارغون	٢١٦ ٤٥٥
٢٨٨	٤٨٣	خدا بندا بن ارغون	٢١٧ ٤٥٦
٢٨٩	٤٨٤	ابو سعيد بن خدا بندا	٢١٩ ٤٥٧
٢٩٠	٤٨٥	الشبيخ حسن بن حسين	٢٢٠ ٤٥٨
٢٩٠	٤٨٦	اويس بن حسن	٢٢١ ٤٥٩
٢٩١	٤٨٧	حسين بن اويس	٢٢٢ ٤٦٠
٢٩١	٤٨٨	احمد بن اويس	٢٢٤ ٤٦١
٢٩٢	٤٨٩	تيمورلنك	٢٣٧ ٤٦٢
٢٩٦	٤٩٠	بقية اخبار آل تيمورلنك	٢٣٩ ٤٦٣
٢٩٧	٤٩١	(الدولة الحفصة بتونس)	٢٤٠ ٤٦٤
٢٩٨	٤٩٢	ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص	٢٤٣ ٤٦٥
٢٩٩	٤٩٣	عبد الرحمن بن عبد الواحد	٢٤٩ ٤٦٦
٢٩٩	٤٩٤	السيد ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن	٢٥٠ ٤٦٧
٣٠٠	٤٩٥	ابو زيد بن السيد ادريس	٢٥٢ ٤٦٨
٣٠٠	٤٩٦	عبد الله بن عبد الواحد بن ابي حفص	٢٥٤ ٤٦٩
		ناصر الدين بن الملك القاهر	
		بدر الدين لؤلؤ	
		(الدولة ايلخوارزمية بايران)	
		اقسس بن محمد بن انوشتهكين	
		ايل ارسلان بن اقسس	
		سلطان محمود بن ايل ارسلان	
		علاء الدين تكش بن ايل ارسلان	
		علاء الدين محمد بن تكش	
		جلال الدين بن محمد	
		(الدولة الغورية بافغانستان والهند)	
		سام بن حسين	
		سوري بن حسين	
		علاء الدين الحسين بن حسين	
		غياث الدين محمد بن سام	
		شهاب الدين بن سام	
		محمود بن عياث الدين	
		تاج الدين الذرملوي غياث الدين	
		(الدولة الايوبية بمصر والشام)	
		صلاح الدين يوسف بن ايوب	
		العزيز بن يوسف	
		المنصور بن العزيز	
		العاقل بن ايوب	
		الكاظم بن العادل	
		العاقل بن الكاظم	
		الصالح ايوب بن الكاظم	
		المعظم توران بن الصالح	
		شجرة الدر	

فصل	صحيفة	فصل	صحيفة	
٥٢٤	٣٣٤	٤٩٧	٣٠١	ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد
٥٢٥	٣٣٥	٤٩٨	٣٠١	محمد المستنصر بالله بن يحيى
٥٢٦	٣٣٦	٤٩٩	٣٠٣	الواثق بالله يحيى بن المستنصر
٥٢٧	٣٣٨	٥٠٠	٣٠٤	ابو اسحق ابراهيم بن يحيى
٥٢٨	٣٣٨	٥٠١	٣٠٧	ابو فارس عبد العزيز بن ابراهيم
٥٢٩	٣٤٣	٥٠٢	٣٠٨	ابو حفص بن يحيى
٥٣٠	٣٤٦	٥٠٣	٣٠٩	ابو عبيدة محمد بن الواثق بن المستنصر
٥٣١	٣٤٨	٥٠٤	٣١١	ابو بكر الشهيد بن عبد الرحمن
٥٣٢	٣٤٩	٥٠٥	٣١٢	ابو البقاء خالد بن ابي زكريا
٥٣٣	٣٥٢	٥٠٦	٣١٤	ابو يحيى زكريا بن احمد اللخاني
٥٣٤	٣٥٨	٥٠٧	٣١٥	ابو ضربة محمد بن ابي يحيى زكريا
		٥٠٨	٣١٦	ابو بكر بن ابي زكريا
٥٣٥	٣٦١	٥٠٩	٣٢٠	ابو حفص بن ابي بكر
٥٣٦	٣٦٢	٥١٠	٣٢٢	ابو العباس الفضل بن ابي بكر
٥٣٧	٣٦٤	٥١١	٣٢٣	ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر
٥٣٨	٣٦٥	٥١٢	٣٢٥	ابو البقاء خالد بن ابي اسحق
٥٣٩	٣٦٥	٥١٣	٣٢٥	ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر
٥٤٠	٣٦٧	٥١٤	٣٢٦	ابو فارس عزوز بن ابي العباس احمد
٥٤١	٣٦٨	٥١٥	٣٢٨	محمد المنتصر
٥٤٢	٣٧٠	٥١٦	٣٢٨	ابو عمر عثمان بن محمد
٥٤٣	٣٧٠	٥١٧	٣٢٨	ابو زكريا يحيى بن محمد المسعود
٥٤٤	٣٧١	٥١٨	٣٢٩	ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود
٥٤٥	٣٧١	٥١٩	٣٣٠	الحسن بن ابي عبد الله محمد
٥٤٦	٣٧٢	٥٢٠	٣٣١	ابو العباس احمد بن الحسن
٥٤٧	٣٧٣	٥٢١	٣٣١	محمد بن الحسن
٥٤٨	٣٧٣	٥٢٢	٣٣٢	الدولة المربنية بمراكش
٥٤٩	٣٧٤	٥٢٣	٣٣٣	عبد الحق بن محيو الربني

اصلاح خطاء

ارجو حضرات القراء تصحيح الاغلاط الآتية في مواضعها قبل مطالعة الكتاب

صحيفة	سطر	كله	خطاء	صواب	خطاء	كله	سطر	صحيفة
٢٠	١٧	١٠	نم دعوة	نم نبذوا دعوة	١٦٧	١٦	١١	يحفظ
٢٣	٣	١٢	كاد	كان	١٧٠	١٨	٨	البياسي
٢٤	١٤	١٤	لانهما	لانها	١٨١	٥	١٣	وازنكي
٢٧	١١	٨	انقرضت	وانقرضت	١٩١	١٠	١١	نار
٣١	٥	١	جسفل	اجفل	٢٠٦	٢٣	١	ترمد
٣١	٦	١	فالحسن	الحسن	٢١١	١٨	٤	٦٢٩ هـ
٤٠	١٣	٨	١٠١٢ م	١٠١٧ م	٢٣٢	٥	١٣	هيا جاء
٤٠	١٦	١	امره	فقوي امره	٢٧٠	٢	٦	قد يسينا
٤٤	٨	٩	١٠٣٤ م	١٠٤٢ م	٢٧٤	١٢	١	ليعجز
٨٢	٢٢	١	مال	ثمال	٢٧٥	٤	٧	جقانا
١١٠	١	٢	سليمان بن شاه	سليمان شاه	٢٨٥	٢٠	٤	بغض
١١٧	٤	٣	ليخسرو	كيخسرو	٣٢٣	١٤	٤	السلطان عمال
١٢٠	١٥	٢	اتفق	واتفق	٣٢٦	٨	١١	ابي يحيى
١٣٤	١٢	٢	سقان	سقمان	٣٢٨	٦	٨	١٤٣٣ م - ١٤٣٣
١٤٠	٢	٣	٤١٦ هـ	٥١٦ هـ	٣٣٤	٢٣	٥	بابذه
١٥٢	٢٠	٦	ففتح	فتح	٣٣٩	٧	٨	اخيه
١٦٢	١١	٩	١١٣ م	١٢١٣ م	٣٤٩	١٧	٢	ابن سعيد

ويوجد بعض اغلاط اخري اغضينا النظر عن تصحيحها اعتماداً على فطنة القاريء الكريم



٢٢٩ - الدولة الغزنوية بأفغانستان والهند

(تمهيد) هذه الدولة من الدول الاسلامية العظمى وكما ان اغلب الدول
 تفرعت من بعضها هكذا هذه الدولة تفرعت من الدولة السامانية التي مر ذكرها .
 وبيان ذلك ان سبكتكين رأس هذه الدولة كان من غلمان أبي اسحق بن البتكين
 صاحب جيش غزنة للسامانية . فلما توفي المذكور اجتمع اهل غزنة على تقديم
 سبكتكين عليهم فأحسن السياسة . ثم طرق الدولة السامانية الهرم الذي بطرق
 الدول فاستقل سبكتكين بأماره غزنة وابتدأ بتوسيع هذه الامارة بشن الغارات
 المتوالية حتى اتناول اخيراً على غزو بلاد الهند وبلغت مملكته من العز والقوة شأواً
 بعيداً كما سنراه ان شاء الله .



٢٣٠ - سبكتكين

من سنة ٣٦٦ - ٣٨٧ هـ او من سنة ٩٧٦ - ٩٩٧ م

لما قوي أمر سبكتكين وعلاصيته بين الناس قصاه الامراء يستعينون به في الملمات التي تدناهم فمن ذلك ان امير بست المدعو طغان كان غلب عليه شخص آخر يعرف بأبي ثور فالتجاء الى سبكتكين مستنجداً به على عدوه وكان سبكتكين ذا مطامع بعيدة وامال عالية فانتهز هذه الفرصة وانجد طغان على عدوه واستخلص له مدينة بست من مغتصبها وردّها الى طغان المذكور ولكن ليس على سبيل الاستقلال كما كان أولاً بل كمال لسبكتكين عليها . وفي بست هذه اجتمع سبكتكين بأبي الفتح علي بن محمد البستي الشاعر المشهور واستكتبه

فلما رأى سبكتكين ان السعد خادمه والنصر رفيقه جمع جيوشه وغزا بلاد الهند وحارب جيپول أحد ملوكها واستولى على مدن وقلاع كثيرة من بلاده فلما رأى جيپول مادام بلاده وان حدودها صارت في قبضة عدو شديد حشد جيوشه واستكثر من الفيلة وسار حتى اتصل بحدود ولاية سبكتكين فلما علم سبكتكين بمجيئه جند الجنود ونادى بالغزو في اهل الكفر فاجتمع اليه خلق يحل عن الحصر فلما التقى الجمعان انتصر المسلمون انتصاراً باهراً وأسروا ملك الهند فغدى نفسه بألف الف درهم وخمسين فيلاً وأودع كثيرين من كبار قومه رهائن عند سبكتكين حتى يفي له بالمال

فأرسل سبكتكين معه من يحضر المال منه ولكنه غدر باصحاب سبكتكين في الطريق وقبض عليهم . فلما اتصل هذا الخبر بسبكتكين سار اليه في جموعه فكسره شر كسرة وغنم منه الغنائم الوفرة وملك بلاديشاور ولنگام وهي في الشمال الغربي من بلاد الهند

وفي سنة ٣٨٤ هـ اتفق أبو علي وفايق علي خلع طاعة الامير نوح الساماني

فخلعا طاعته وكان الامير نوح قد ضمه امره لهجوم الترك على بلاده فانتمز ان يرسل الى سبكتكين يستنجده عليها . فلما وصل كتاب الامير نوح (الملقب بالمنصور) الى سبكتكين أسرع باجابة طلبه علماً منه ان هذا يزيد في سطوته في البلاد الاسلامية ولكي يثبت دعوته فيها ايضاً . فانتمز هذه الفرصة وسار هو وابنه محمود الى خراسان وأزالا عنها أبا علي وفايقاً . فانهم الامير نوح علي محمود بن سبكتكين بولاية خراسان وبالقرب سيف الدولة وعلى ابيه سبكتكين بلقب ااصر الدولة . وعاد سبكتكين تاركاً ابنه محموداً بمدينة نيسابور ولكنه لم يعتمد كثيراً حتى علم ان ابا علي وفايقاً رجعا الى خراسان وانها اتحدت على قتال ابنه محمود وهزمه وهو في قلعة من عسكره فعاد مسرعاً الى خراسان واتحد مع ابنه وأزالا أبا علي وفايقاً عن خراسان واستتب الامر لمحمود فيها وتوفي سبكتكين سنة ٣٨٧ هـ وقد اتفقت الآراء على مدح أعماله . وكان موته بمدينة بلخ

٢٣١ - اسمعيل بن سبكتكين

من سنة ٣٨٧ - ٣٨٧ هـ او من سنة ٩٩٧ - ٩٩٧ م

لما توفي سبكتكين قام بالامر بعده ابنه اسمعيل بعهد منه مع انه اصغر من اخيه محمود فمن ذلك على محمود وأرسل الى اخيه اسمعيل يعزیه في ابيه ويطلب منه ان يتنازل له عن الملك لانه اكبر منه سناً وحق منه بذلك شرعاً وبين له انه قادر على غزوه واغضاب الملك منه اذا شاء . فلم يجبه اسمعيل بشيء . فسار محمود من نيسابور الى هرات عازماً على قصد اخيه . وكان اسمعيل في ذلك الوقت يبلخ فأسرع الى غزنة لما بلغه خبر قدوم محمود اليه وكان قصد محمود ان يسبقه اليها ليدخلها بلا منازع ولكن اتفق انهم التقوا بجمعهم بظاهر غزنة فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمزم اسمعيل وصعد الى قلعة غزنة واعتصم بها فحصره محمود واستنزله على الامان

فلما نزل إليه اكرمه وأحسن اليه . واستولى محمود على ملك ابيه . وكان ملك
اسمعييل سبعة اشهر فقط

٢٣٢ - محمود بن سبكتكين

من سنة ٣٨٧ - ٤٢١ هـ او من سنة ٩٩٧ - ١٠٣٠ م

لا خلاف ان محمود بن سبكتكين هذا اعظم ملوك الدولة الغزنوية وله من
الاعمال والمآثر ما يلاء المجلدات تأتي على ذكر المشهور منها فقط
كان محمود والياً على خراسان في ايام ابيه فلما توفي أبوه وسار من نيسابور
للاستيلاء على الملك عقد الامير منصور بن نوح الساماني (لان نوحاً كان قد توفي
سنة ٣٨٧ هـ) على ولاية خراسان لشخص يقال له بكتوزون فارسل اليه محمود
يماتبه ويذكره بنجده له ولكن بلا فائدة فعزم على فتح خراسان بالقوة
وفي هذه الاثناء قام الامير عبد الملك بن نوح وقبض على اخيه منصور
واستولى على الملك واستوزر فايقاً فسار محمود الى خراسان . وعلم بكتوزون
بمسيره اليه فاستمد الامير عبد الملك وفايقاً فأمداه وسارافي الجيوش والنقت جموعهم
بمسار محمود بمرو آخر جمادى الاولى سنة ٣٨٩ هـ واقتتلوا قتالاً شديداً فانهمزم
بكتوزون وفايق والامير عبد الملك ولحق كل منهم بجهة التجاء اليها واستولى
محمود على مرو وجميع خراسان واقام بنيسابور اياماً ثم عاد الى هرات بعد ان
استخاف على نيسابور ارسال الحاجب من اكابر قواده . ولما علم بكتوزون بمسير
محمود عن نيسابور عاد اليها وملكها واتصل الخبر بمحمود فأسرع وأزاله عنها ومحا
منها الدعوة السامانية وخطب فيها للخليفة القادر بالله العباسي واستتب له الامر
فيها ثم وجه الثغاته الى بلاد الهند اتماماً لمقاصد ابيه

وفي سنة ٣٩٠ هـ سار السلطان محمود قاصداً بلاد الهند ومرفي طريقه على
بلاد سجستان التي كان غلب عليها خلف بن احمد بعد موت سبكتكين فأزاحه

عنها وملكها منه واستمر في سيره الى بلاد الهند وكان جييول قد استمدد للاقائه استعداداً تاماً فالنقيا عند مدينة برشور فانهمز جييول ملك الهند ووقع هو وكثيرون من أمراء بلاده أسرى في يدي السلطان محمود . وغنم المسلمون في هذه الواقعة غنائم لا تحصى . ثم أطلق السلطان محمود الملك جييول من أسره وقرر عليه مالا يدفعه سنوياً ولكنه فضل الموت على حياة الذل فأحرق نفسه . وكانت هذه الواقعة سنة ٣٩٢ هـ . وعاد السلطان محمود غانماً ظافراً

وفي سنة ٣٩٥ هـ عاود السلطان محمود الغزو في بلاد الهند فغزا مدينة بهاطية وحاصرها طويلاً ولكن حب الجهاد في قلوب المسلمين سهل عليهم صموداً امتلاك هذه المدينة لأنها مع حصانتها وعظم الخندق المحفور حولها لوقايتها من مهاجمة العدو لم تقو على صد هجماتهم لأنهم هاجموا بقلوب لا تنهاب الردى وملكوها فهرب ملكها واستولى المسلمون عليها وغنموا منها غنائم . ثم عاد السلطان محمود الى غزنة . وكان كره الكفر عند السلطان محمود عظيماً . وحب الجهاد في الكفار أعظم وحببه في نشر الاسلام جعله لا يبدأ بلا غزو فانه لم يرتح من قتال الهنود في سنة ٣٩٥ هـ حتى بلغه في اوائل سنة ٣٩٦ هـ انتشار سطوة أبي الفتوح صاحب ملتان الهندية وكرهه الاسلام فعزم على غزوه فسار اليه مجدداً ولكنه لما وصل الى حدود الهند وجد ان الانهار غزيرة المياه لا تخاض فطلب من أنوند بال بن جييول ملك الهند ان يأذن له في العبور في بلاده الى ملتان فلم يجبه الى ذلك . فاستحسن السلطان محمود ان يقاتل أنوند بال أولاً فقدم اليه وقاتله وهزمه وما زال يطارده من قلعة الى قلعة ومن مدينة الى مدينة حتى مدينة قشمبر

وانصل بأبي الفتوح خبر تقدم السلطان محمود اليه فجمع أمواله وسار عن ملتان الى سرديب فقصدها السلطان وامتنع اهلبا عليه فجار بهم وافتتحها عنوة واغرمهم عشرين الف الف درهم عقوبة لهم على عصيانهم ثم سار الى كوكير واسم صاحبها بيذا وكان بها ٦٠٠ صنم فافتتحها وأحرق اصنامها واعتصم صاحبها بقلعة له فحاصره السلطان بها ٤٣ يوماً ثم بلغه ان ايلك خان سلطان الترك تقدم على بلاده

فصالح ملك الهند وأجل ما كان ينويه في الهند الى ما بعد ان ينتهي من ايلك خان .

كان بين السلطان محمود وبين السلطان ايلك خان ملك الترك منافسة بخصوص خراسان ثم استقر الحال بينهما وانتهي الامر بالصالح والصر وانكن لم يزل سعاة السوء يغرون ما بينهما حتى فسد الحال بينهما فلما سار السلطان محمود الى ملتان اغتشم ايلك خان الفرصة وأرسل عساكره فاستولت على بلخ . وكان ارسلان الحاجب عامل السلطان محمود بهرات وأمره اذا دهمه ما يخشاه ان يسرع الى غزنة ففعل وتقدمت عساكر ايلك خان الى هرات واستولت عليها بلا قتال واقام جعفر تكين أخو السلطان ايلك خان بها وأرسل الحسين بن نصر الى نيسابور فلما كان . واتصل الخبر بالسلطان محمود وهو محاصر بيضا بخصه كما ذكرنا فاسرع بعقد الصلح معه وعاد الى بلاده لرد هذا العدو عنها . فتقدم الى بلخ فهرب عنها جعفر تكين أخو السلطان ايلك خان . وأرسل محمود جيشاً بقيادة ارسلان الحاجب يبلغ عدده ١٠ الاف مقاتل الى هرات فلما كان واخرج عساكر الترك منها . وما زال السلطان محمود يقاتل الترك على خراسان حتى اجلاهم عنها وسير وراءهم جيشاً بقيادة اخيه نصر بن سبكتكين فتبعهم الى ساحل جيحون فقطع دابرهم ولما علم ايلك خان بانهم زام جيوشه امام السلطان محمود صعب عليه الامر جداً واستنجد قدر خان ملك الختل ودهاقين ما وراء النهر فامدوه كل منهم بما قدر عليه حتى اجتمع لديه ٥٠ الف مقاتل فتقدم بهم نحو طخارستان وقصد بلخ واستعد السلطان محمود للملاقاته ورتب جيشه هكذا - في القاب نصر بن سبكتكين - الميمنة ابو نصر بن احمد وابو عبدالله بن ابراهيم الطائي - والميسرة ارسلان الحاجب وحصن مقدمته بخمسين من القبيلة . ورتب ايلك خان جيوشه هكذا - السلطان ايلك خان نفسه في القاب . الميمنة قدر خان ملك الختل - الميسرة اخوه جعفر تكين . والتقى الجيشان بظاهر بلخ ودارت بينهما رحى الحرب واستمات الفريقان وطال المدى عليهما ولم تظهر النتيجة حتى هجم اخيراً السلطان محمود

بالفيلة على قلب جيوش ايلك خان فهزمه فظهرت حينئذ الضوضاء والارتباك في صفوف الترك ثم ولوا الادبار وجيوش السلطان محمود تتبعهم وتعمل فيهم قتلاً وسبياً الى أن عبروا النهر وتم الظفر للسلطان محمود واكثر الشعراء من مدحه وتهنئته بهذا النصر المبين . ثم أعاد السلطان محمود نظره نحو بلاد الهند فسار اليها الايقاع بنواسه شاه (احد اولاد ملوك الهند كان اسلم على يده فاستخافه على بعض المعاقل التي اقتحمها ثم ارتد ونبذ الاسلام) فلما اتصل بنواسه شاه قدومه هرب واستولى السلطان محمود على معاقله بلا عذاب ثم عاد الى غزنة ظافراً . وفي سنة ٣٩٨ هـ سار السلطان محمود غازياً الى الهند فلما وصل الى نهر الهند وجد برهما بال بن انونديال ملك الهند مستعداً لقتاله في جموع الهند فاقتلوا شديداً وكاد يظفر الهند بالمسلمين ولكن حسن صبر المسلمين جعلهم ينتصرون فانهمزم برهما بال ولحق بيهم ثغر (مدينة مقدسة للهند) فتعقبهم السلطان محمود وحاصرهم وافتتحها وغنم منهم جواهر واواني ذهباً وفضة من بيوت اصنامها شيئاً لا يقدر وعاد غانماً ظافراً

وفي سنة ٤٠١ هـ استولى السلطان محمود على بلاد الغور . وفي سنة ٤٠٢ هـ استولى على قصران . وفي سنة ٤٠٤ هـ استولى على نارددين من بلاد الهند وفي سنة ٤٠٥ هـ سار لغزو تانيسر من بلاد الهند فلقى مشقة في طريقه واخيراً انتهى مقابلها على شاطئ نهر غزير المياه لا يخاض وملك تانيسر على شاطئه الآخر متربصاً ليمنع عبور المسلمين اليه فأمر السلطان محمود بعض شجعانه أن يعبروا ويشغلوا جيش الهند حتى يتمكن باقي العسكر من العبور ففعلوا وعبر المسلمون وقتلوا الهند وهزمهم وغنموا منهم شيئاً كثيراً ثم عادوا ظافرين

وفي سنة ٤٠٧ هـ سار السلطان محمود الى خوارزم واستولى عليها والسبب في ذلك ان ابا العباس كان قد ملك خوارزم والجرجانية وصاهر السلطان محموداً باخته وكان السلطان محمود قد كتب اليه يامره أن يخطب له على منابرہ . فجمع أبو العباس كبراء دولته وامرهم بذلك فامتنعوا وهددوه بالقتل ان فعل ثم قتلوه واقاموا

احد اولاده مكانه فسار السلطان محمود اليهم وقتلهم واستولي على خوارزم واستتاب بها حاجبه التوتناش والانتهى السلطان من خوارزم وصارت جزءاً من مملكته زحف على قشمبر فاخضعها واعنق كثير من اهلها الاسلام . وفي السنة التالية عاد وقصد مدينة قنوج ففتحها واستولى على كل ما فيها وظل ينتقل في بلاد الهند ويخضع ممالكها واماراتها حتى امتلك سبعة عشر اقلياً من الهند .

وفي سنة ٤١٦ هـ وجه السلطان محمود همه الى فتح سومنات وهي مدينة مقدسة عند الهنود اشتهر اهلها بالعكف على اصنامهم من دون الله ومركزها الى شمالي مدينة دهلي تبعد عنها نحو سبعين ميلاً فاخضعها هذا الفاتح العظيم ولم يجسر احد من ملوك الهند على التعرض له اما كيفية فتحها فهو انه نفي الى السلطان محمود ان في المدينة المذكورة صنماً عظيماً وثروة هائلة فقصد المدينة ليفتحها واحاط بها فرأى من غناها وقوة اهلها شيئاً كثيراً . وكان الهنود يظنون ان اهلهم يسحق قوات المسلمين بلا عناء فلما صار المسلمون على الابواب واوشكوا ان يملكوا المدينة هاج الهنود وحاربوا محاربة الذي لا يطمع في الحياة وكانوا يعتقدون ان الصنم الكبير غضب عليهم وتنحى عن مساعدتهم فارادوا ان يموتوا تحت شفرات سيوف المسلمين كفارة عن ذنوبهم التي اوجبت غضب صنمهم عليهم فافادهم هذا الاعتقاد لانهم ردوا هجمات المسلمين مراراً حتى رأى السلطان محمود ان العود بالسلامة والاكتفاء بالغنائم السابقة اسلم عاقبة من محاصرة هذه المدينة فاصر عساكره بالرجوع وطرب الهنود لهذه النتيجة فاقبلوا على صنمهم يشكرونه لغفرانه لهم بزعمهم . وكان اهل سومنات قد بعثوا الى جيرانهم يطلبون المدد فبينما كان جيش غزنة راجعاً عنها التقى بالمدد قادماً وكان جيشاً جراراً . فاستعد محمود للقتال وصلى الى ربه يطلب النصر على الكفار ثم اعتلى صهوة جواده وانتضى سيفه وكرهه على الاعداء من يريد الموت واقتدى عساكره به فهجموا هجوماً عنيفاً على الاعداء ونكلوا بهم من كل جانب وفرقوهم شذر مذر وانتصروا انتصاراً باهراً ثم عزموا على الرجوع الى المدينة لفتحها ونهب ما فيها فاعادوا الكرة على

القوم بهمة زعزعت اركان تلك المدينة العظيمة فهرب اهلها ودخلها المسلمون فغنموا يومئذ اوفر غنيمة وجمعوا من نفيس التحف والمال والذهب شيئاً لا حد له ولا عد . ثم تقدم السلطان محمود الى الصنم الكبير لتحطيمه والمناداة بالاسلام فتقدم اليه اعيان البلدة وكهنتها وقدموا له مبلغاً طائلاً من المال ليزك لهم صنمهم على حاله فطعم اصحاب محمود بالمال ورجوه ان يقبل طلبهم ويوزع المال على الذين جاهدوا معه فاطرق السلطان في الارض ملياً ثم صرح بالاباء وقال :

- انه جاء المدينة ليكسر صنمها لا ليعيده الي اهلها وقال هذه الجملة بالفارسية (محمود بت سكن است نه بت فروش) وجرد سيفه فضرب به ذلك التمثال العظيم وامر من معه من الجنود ان يحطموه ففعلوا . وبينما هم يكسرونه عثروا في جوفه على جواهر ولاآلى واموال كثيرة جداً تزيد عن المبلغ الذي عرضه عليه الكهنة زيادة هائلة ففهم السلطان محمود حينئذ غايتهم من ابناءعه . وبعد ان جمع كل التحف أمر الهنود بالحضور عنده فحضروا لديه وفرض عليهم ذلك المال الذي عرضه عليه فجاؤا به على سبيل الغرامة . وكان الذي جمعه المسلمون من مدينة سومنات هذه اعظم مما نالوه من كل غزواتهم السابقة

وكان السلطان محمود اشبع من الغزو والفتح وصار ملكه ضخماً واسماً وكبرت ثروته الى حد انه لم يسمع عن مثلها منذ غيره من ملوك تلك الايام فاراد ان يتمتع بلذة النصر والثروة وعزم على السكون حيناً من الدهر وهو اول من سعى نفسه سلطاناً ولقب بيمين الدولة . فاستراح في غزنة عاصمة ملكه وكرمي عزه واهتم ببناء القصور والجوامع فشاد صروحاً فخيمة وزين مدينة غزنة باجمل البناءات وانفق عليها الاموال الوفرة التي غنمها في غزواته الكثيرة وكان امراء غزنة اصحاب السلطان محمود وقواده قد جمعوا شيئاً كثيراً من الذهب والجواهر ايضاً فاقتدوا بسلطانهم وبنوا القصور حتي اصبحت مدينة غزنة من اشهر مدن الشرق في تلك الايام وطار صيتها وصيت سلطانها في الافاق . وكان اجمل ما في المدينة الجامع العظيم الذي بناه السلطان محمود وانفق عليه الاموال بغير حساب وجعل في عتبته

بعضاً من حجارة صنم سومنات العظيم
وفي أيام هذا السلطان العظيم عاش القردوسي الشاعر الفارسي الشهير صاحب
الشاهنامه الياذة الفرس وقد نظمها بإيعاز السلطان محمود
والسلطان محمود غزوات وفتوحات وآثر كثيرة غير ما ذكرنا يطول شرحها
فاكتفينا بما تقدم . وفي سنة ٤٢١ هـ توفي السلطان محمود وقد أكثر المؤرخون
من ذكره وأعداد مناقبه وأوصله البعض بمبادئهم إلى أعلى الدرجات وهو بلا شك
من أعظم سلاطين الغزنويين وأكبر ملوك الشرق

٢٣٣ - السلطان محمد بن محمود

من سنة ٤٢١ — ٤٢٢ هـ أو سنة ١٠٣٠ م

كان للسلطان محمود ابنان أكبرهما مسعود ولاء والده على العراق وما يليه في مدة
حياته وحرمه الملك فاوصى به من بعده إلى ابنه الثاني محمد
فلما توفي السلطان محمود كان ابنه محمد يبلغ فارس إلى أرباب الدولة وأخبروه
ب وفاة أبيه والوصاية له بالملك فأسرع إلى غزنة واستولى على الملك وخطب له في كل مملكة
أبيه . ولما اتصل هذا الخبر بمسعود بن محمود وهو بأصفهان زحف بجيش كثيف إلى
مدينة غزنة وقبل أن يصلها أرسل إلى أخيه محمد يطلب منه تسليم الملك إليه ويعرض
عليه شروطاً توافق الاثنين فلم يقبلها محمد . وانتشبت الحرب بين الاثنين ففاز فيها
مسعود وأسر محمدًا وسجنه في مدينة غزنة بعد أن سمله واستولى على الملك

٢٣٤ - السلطان مسعود بن محمود

من سنة ٤٢٢ — ٤٣٢ هـ أو من سنة ١٠٣٠ — ١٠٤٠ م

واستتب الأمر للسلطان مسعود وكان شجاعاً كأيّاه إلا أن الأيام لم تخدمه كما
خدمت أباه والسعد لم يكن رفيقه في كثير من الأحيان

وكان السلطان محمود قد استولى على اصفهان من يد علاء الدولة بن كاكويه واقطعها ابنه مسعوداً ولحق علاء الدولة بأبي كاليبجار يستنجد به ولكن هذا كان احوج منه لمن ينجده فاقام عنده الى ان توفي السلطان محمود ثم عزم على العود الى اصفهان واستخلاصها من يد السلطان مسعود فحارب عامله لكنه انهزم ولم يتيسر له ما تمناه فلحق بقلعة فردجان على بعد ١٥ فرسخاً من همدان فاقام بها الى ان برأ من جراح اصابته ثم استنجد فرهاذ بن مرداويج واعاد الكرة على اصفهان فانهزم هزيمة أشنع من الاولى وفي سنة ٤٢٣ هجرية سار السلطان مسعود من غزنة الى خراسان لتهديد امورها فلما وصلها وكان قد استخلف على بلاد الهند وما جاورها احد قواده المذعور احمد نبال فعظمت سطوته وسولت له نفسه الاستيلاء على ملك الهند فانتقض سنة ٤٢٤ هـ ومنع حمل المال المفروض عليه . فسار السلطان مسعود الى الهند فلما وصلها اظهر احمد نبال الطاعة والخضوع له فعاد السلطان الى خراسان . فلما ابعد عن بلاد الهند عاد احمد نبال الى العصيان واتبعه جمع كثير فارسل اليه السلطان مسعود سنة ٤٢٦ هـ جيشاً كثيفاً لقتاله فهزمه وطارده من مدينة الى مدينة حتى ضعفت نفوس اصحابه وتركوا احمد فقتل نفسه

وفي هذه الاثناء اخذت الدولة السلجوقية في الظهور فتقدم طغرل بك ملكها الى خراسان وانزعها من يد الغزنوية فلما علم السلطان مسعود بذلك سار الى خراسان وقاتل طغرل بك وازاحه عنها . ولكن السلجوقية كانت في بداية امرها مثل جميع الدول العظيمة التي لا ترضى بالهزيمة والعار فجمع طغرل بك جيشاً كثيفاً واعاد الكرة على خراسان فاستولى عليها نهائياً سنة ٤٣١ هـ ونجا السلطان مسعود الى غزنة . وتقدم طغرل بك الى نيسابور فملكها وارسل اخاه داود الى بلخ فحاصرها فارسل السلطان مسعود ابنه مدغود اليها للمدافعة السلجوقية عنها وذلك في ربيع سنة ٤٣٢ هـ . واقام هو بعد مسير ابنه سبعة ايام ثم خرج من غزنة قاصداً بلاد الهند المشتى بها على عادة ابيه وليجمع جيشاً من الهنود لقتال السلجوقية واستصحب اخاه محمداً المسمول معه . وكان اهل الدولة قد ضجروا منه فتشاوروا في خلعه وولاية اخيه محمد واجمعوا على ذلك فقاموا عليه وخلعوه وبايعوا اخاه محمداً المسمول ثم داروا بعضهم على بعض ينهبون ما اجتمع لديهم من التحف حتى غني قوم منهم وانتقر آخرون وعمت الفوضى وخربت البلاد

وكان السلطان مسعود غزير الفضل محباً للعلم والعلماء محسناً إليهم كثير الصلات والعطاء

٢٣٥ - السلطان محمد بن محمود ثمانية

من سنة ٤٣٢ - ٤٣٣ هـ او من سنة ١٠٤٠ - ١٠٤١ م

ولما خلع القواد السلطان مسعوداً نادوا بمحمد ملكاً عليهم وجاءوا اليه في محبسه وهو لا يبصر واعلموه بالحكاية ففرح بالخلاص ولم ينو قتل اخيه لكنه اكتفى بسجنه واظهر له بعض الاكرام . على ان احد اولاد محمد قتل مسعوداً وهو في السجن بدون علم اخيه فحزن محمد عليه حزناً مفرطاً وبعث الى ابن اخيه يعزبه على فقد والده ويتبرأ من اثم قتله . وكان ابن اخيه قد اجلى السلجوقية عن بلخ واستولى عليها واقام بها فلم يصدق رواية عمه وزحف عليه فحاربه وانتصر في الحرب واسرعه وامر بقتله وقتل كل اولاده الا واحداً منهم يدعي عبد الرحمن لرفقه بابيه في سجنه واستولى على الملك

٢٣٦ - مدعود بن مسعود

من سنة ٤٣٣ - ٤٤١ هـ او من سنة ١٠٤١ - ١٠٤٩ م

واستتب الامر لمدعود الا انه خاف سطوة أخ له يدعي مجدود كان سيره ابوه سنة ٤٢٦ هـ الى الهند فاقام بها الى ان توفي ابوه فلما بلغه خبر وفاته بايع لنفسه وخالف على اخيه مدعود وجهاز الجيوش بمدينة ملتان لغزو اخيه ولكن ائنه منيته قبل اتمام مقاصده فاستراح مدعود من عناء قتاله . وكانت خوارزم من ممالك محمود بن سبكتكين وابنه مسعود من بعده وكان عليها التوتاش حاجب محمود ومن اكابر قواده وولياها لها معاً ولما شغل مسعود بفتنة اخيه محمد عند موت ابيهما اغار علي تكين صاحب بخارا من اطراف البلاد فلما فرغ مسعود من امر اخيه واستقل بالملك بعث الى التوتاش بالمسير الى اعمال علي وانتزاع بخارا وسمرقند منه وامده بالعساكر فعبّر جيحون سنة ٤٢٤ هـ واستولى علي كثير من بلاد تكين وهرب هذا من بين يديه ثم دعت التوتاش الحاجة

الى الاموال للعساكر ولم يكن في جبابته تلك البلاد فاستأذن في العود الى خوارزم وعاد وفي اثناء عودته كبسه علي تكين على غرة منه ولكنه تمكن من هزمه وتشتيت جيشه ثم عاد الى خوارزم ومات من جراح اصابته في هذه الواقعة الاخيرة وترك من الولد ثلاثة وهم هارون ورشيد واسماعيل وضبط وزيره احمد بن عبد الصمد البلد والخزائن الى ان جاء هرون من عند السلطان بعده على خوارزم . تم توفي المتيمدي وزير السلطان مسعود وبعث على ابي نصر لوزارته واستتاب ابو نصر عند هرون بخوارزم ابنه عبد الجبار ثم استوحش من هرون وسخطه ثم اظهر هرون العصيان سنة ٤٢٥ هـ واختفى عبد الجبار خوفاً من غائلته وسعى حتي تمكن من قتله وكتب الى السلطان مسعود بذلك فافتره على خوارزم ولكن اصحاب التونشاق قاموا على عبد الجبار وقتلوه وولوا على انفسهم اسماعيل بن التونشاق فضبط البلد وقام بامرته شكر خادم ابيه . فلما اتصل الخبر بالسلطان مسعود كتب الى شاه ملك بن علي احد اصحاب الاطراف بنواحي خوارزم بقصد خوارزم وقتال اسماعيل واخذها منه . فسار اليها وقتاله عليها اسماعيل وشكر لكنه هزمها واستولى على خوارزم فالتجأ اسماعيل وشكر الى طغرل بك وداود السلجوقيين وطلبوا المعونة منها . فسار داود معها الى خوارزم فانتصر شاه ملك عليهم واعادهم على الاعقاب فولاه السلطان مسعود خوارزم فاقام بها مقيماً الدعوة الغزنوية . فلما جرى على مسعود من القتل ماجرى وملك مدعود دخل شاه ملك في طاعته وصافاه . وانتهر طغرل بك السلجوقي الفرصة بضعف الدولة الغزنوية بشوالي الفتن وسار سنة ٤٣٤ هـ الى خوارزم واستولى عليها وهرب شاه ملك بين يديه . ثم استولى السلجوقيون على جميع بلاد خراسان وجرجان وطبرستان وهمذان والري والجليل فانزعج مدعود بن مسعود لضياح البلاد منه وارسل سنة ٤٣٥ هـ جيشاً الى خراسان فارسل اليهم داود السلجوقي ابنه الب ارسلان في العساكر فاقبلوا وانتصر الب ارسلان وعاد عسكر غزاة مهزوماً

ولما رأى الهنود اذبار الغزنوية اجتمع ثلاثة ملوك منهم وقرأهم على الاتحاد لاستخلاص البلاد التي افتتحتها المسلمون واخراجهم منها . فجمع عامل مدعود في الهند جيوش المسلمين واستمد سلطانه فامده حتى اجتمع لديه جيش جرار سار بهم لمقابلة اولئك المتحدين فخاف احدهم وسحب عساكره واعلن طاعته لمدعود فالتزم الاخران على العود عن قصدهم ورحلوا الى بلادهم فتمتعبتهم جيوش المسلمين وهزموها وغنموا منها شيئاً

كثيراً وعادوا ظافرين

وفي سنة ٤٤١ هـ توفي السلطان مدعود بن مسعود لعشر سنين من ملكه واراد ابنه ان يستولي على الملك بعد ابيه ولكن كان عمه عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين قد خرج من سجنه (لان مدعود كان قد سجنه) ودعا الجنود الى طاعته فبايعوه واستولى على الملك

٢٣٧ - عبد الرشيد بن محمود

من سنة ٤٤١ - ٤٤٤ هـ او من سنة ١٠٤٩ - ١٠٥٢ م

واسنقر الامر لعبد الرشيد ولقب شمس دين الله سيف الدولة واستحجب طغرل حاجب مدعود وقربه اليه . وكان طغرل هذا شديداً على السلجوقيين فلما استولوا على ايران صعب عليه الامر جداً وحث عبد الرشيد على تجهيش الجيوش واستخلاصهم منهم . ولكن عبد الرشيد كان يرى انه مهما جند وجيش ومهما جمع وبذل فلا يستفيد شيئاً فاقعده فكره هذا عن اجابة طلب طغرل . فالح طغرل على عبد الرشيد بارسال الجنود فارسله هو في الف فارس فسار نحو سجستان وبها ابو الفضل نائباً عن ييقو اخي طغرل بك السلجوقي فحاصر قلعة طاق اربعين يوماً ولم يتهيأ له فتحها . فكتب ابو الفضل الى ييقو يستمده لاجلاء الغزنوية عن بلاده فسار بنفسه اليه في جيش جرار ثم التقوا وقاتلوا وكان طغرل يقاتل وليس له امل في الحياة فانصرف على السلجوقيين مع كثيرتهم وقلة من معه وغنم منهم غنائم كثيرة

ولحق ييقو وابو الفضل بهرات فاتبعهم طغرل اليها وكتب الى عبد الرشيد يعلمه بما تم ويستمده فامده بما قدر عليه . فلما وصله المدد ورأى نفسه في قوة طمع في الملك وعزم على العود الى غزنة والاستيلاء عليها . فجد السير اليها فلما قربها كتب الى عبد الرشيد يخادعاً له يعلمه ان العسكر خالفوا عليه وطلبوا الزيادة في العطاء فشاور اصحابه في ذلك فكشفوا له وجه المكيدة وحذروه من طغرل فصعد الى قلعة غزنة وتحصن فيها وحاصر طغرل غزنة وهدد اهليها ان لم يسلموه عبد الرشيد فسلموه اليه فقتله واستولى على ملكهم وتزوج ابنة عبد الرشيد كرهاً . وكانت الدولة الغزنوية في ذلك الوقت المنحصرة

في بلاد افغانستان والهند وضاع منها ما سوى ذلك وكانت الهند اعظم ايلانيتها فكان عاملها عظيماً ويخاف منه في كثير من الاوقات

وكان العامل على الهند في ذلك الوقت خرخيز الحاجب . قرأى طغرل انه لا يستتب له امر الا اذا استمال خرخيز هذا فكتب اليه بطلب طاعته ودعاه للاتحاد على السلجوقيين واستخلاص ما استولوا عليه . فاغتنظ خرخيز جداً لما حصل وحزن على عبد الرشيد حزناً مفرطاً واسرع الى غزنة وقتل طغرل المغتصب وكل من له يد في قتل عبد الرشيد . ثم اخرج فرخزاد بن مسعود من محبسه وباعه بالملك . وكان قتل عبد الرشيد سنة ٤٤٤ هـ

٢٣٨ - فرخزاد بن مسعود

من سنة ٤٤٤ هـ — ٤٥١ هـ او من سنة ١٠٥٢ — ١٠٥٩ م

وعلم داود السلجوقي بقتل عبد الرشيد وبالفتن التي امتد طغيانها في غزنة فارادانتهار الفرصة للاستيلاء عليها فدار اليها في جيش جرار فخرج اليه خرخيز الحاجب في العساكر وهزمه وعاد داود من حيث اتي . ثم جهز فرخزاد جيشاً عظيماً وسار فاصدأ خراسان وقاتل السلجوقيين عليها وانتصر عليهم واسر عاملهم هناك وكثيرين من امراءهم فانزعج السلجوقيون لهذا النبأ

وجمع داود العساكر وسار الى خراسان وقاتل فرخزاد وهزمه واسر من امرائه جماعة ثم استقر الامر بينهما واطلق كل منهما اسرا وعاد الى بلاده

وفي سنة ٤٥٠ هـ ثار على فرخزاد مماليكه واتفقوا على قتله فقصده وهو في الحمام وكان معه سيف فاخذوه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى ادركه اصحابه وخلصوه منهم . وبعد ان نجا من هذا الحادث صغرت نفسه وكان كثيراً ما يذكر الموت ويحتقر الدنيا وبذري بها . وبقي كذلك الى ان اصابه القوانج في صفر سنة ٤٥١ هـ فمات منه

٢٣٩ - ابراهيم بن مسعود

من سنة ٤٥١ - ٤٩٢ هـ او من سنة ١٠٥٩ - ١٠٩٨ م

لما توفي فرخزاد بن مسعود تولى بعده اخوه ابراهيم بن مسعود فاحسن السيرة وغزا الهند مراراً وفتح فيها حصوناً امتنعت على اييه . ومن اعظم اعمال هذا السلطان اتحاده الودي مع جعفري بك داود السلجوقي لانه لما رأى الخراب الذي ينتج من الحروب من قتل رجال وخسارة مال واتلاف مزارع وغير ذلك عمد الى مصالحه السلجوقيين فصالح ملكهم داود على ان يكون كل واحد منهما على ما يدره ويترك منازعة الآخر في ملكه فوقع الاتفاق على ذلك وكتبت الشروط بينهما فاستبشر الناس به وساد الامن في ايام هذا السلطان واستتببت السكينة في البلاد فحسنت التجارة والزراعة وارتقت العلوم والمعارف وفي سنة ٤٩٢ هـ توفي السلطان ابراهيم بن مسعود بعد ان ملك اربعين سنة وبضعة اشهر

٢٤٠ - مسعود بن ابراهيم

من سنة ٤٩٢ - ٥٠٨ هـ او من سنة ١٠٩٨ - ١١١٤ م

ولما توفي السلطان ابراهيم بن مسعود تولى بعده ابنه مسعود واتبع خطة ابيه ولم يجد عنها فعاش سعيداً الى ان توفي سنة ٥٠٨ هـ

٢٤١ - ارسلان شاه بن مسعود

من سنة ٥٠٨ - ٥١٢ هـ او من سنة ١١١٤ - ١١١٨ م

ولما توفي السلطان مسعود تولى بعده ابنه ارسلان شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وامه سلجوقية اخت السلطان الب ارسلان . فلما جلس

على سرير الملك قبض على اخوته وقتل بعضهم وسجن بعضهم بعد سملهم . وهرب أخ له اسمه بهرام شاه والتجأ الى السلطان سنجر السلجوقي صاحب خراسان فامده بجيش عظيم بقيادة الامير انز قائد جيوشه . فسار الامير انز وبهرام شاه حتى وصلا الى بست وهناك التقيا بجيش كان قد ارسله ارسلان شاه لقتالهما لما بلغه خبر قدومهما فهزماه ونهباه وعاد من سلم الى غزنة في اسوأ حال فخاف حينئذ ارسلان شاه وارسل الى الامير انز يضمن له الاموال الكثيرة على ان يعود عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يقبل . وتجهز الملك سنجر للمسير بنفسه مدداً للامير انز فلما وصل الى بست ارسل خادماً من خواصه الى ارسلان شاه في رسالة فقبض عليه في بعض القلاع . فسار حينئذ الملك سنجر مجدداً . فلما سمع ارسلان شاه بقربه اطلق الرسول وخرج لقتال سنجر فالتقوا وافتتلوا قتالاً تشيب لهوله الاطفال . وانتصر اخيراً الملك سنجر انتصاراً باهراً ودخل مدينة غزنة في العشرين . من شوال سنة ٥١٠ هـ واقام بهرام شاه ملكاً على كرسي اجداده بعد ان اشترط عليه ان تكون الخطبة بغزنة للخليفة العباسي والسلطان محمد والملك سنجر وبعدهم لبهرام شاه . ورجع الملك سنجر الى خراسان ظافراً منصوراً وهو اول من دخل غزنة من السلجوقيين حتى ان ملك شاه السلجوقي مع تمكنه وعظمته ملكه لم يطمع في هذا الامر يوماً ما

واما ارسلان شاه فانه لما انهزم قصد هندستان واجتمع عليه اصحابه فقويت شوكته . فلما عاد الملك سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فسار بهرام شاه الى باميان وكتب من هناك الى الملك سنجر يستعده فارسل اليه جيشاً جراراً . واقام ارسلان شاه بغزنة شهراً واحداً وسار يطلب اخاه بهرام شاه فبلغه وصول عساكر سنجر فانهمرم بغير قتال لما اعتراه واصحابه من الخوف فلحق بجبال اوغنان فتعقبه اخوه بهرام شاه في عساكر سنجر وارسلوا الى اهلها يهددونهم فسلموه اليهم فاخذاه قائد جيش الملك سنجر واراد ارساله الى سلطانه فبذل له فيه بهرام شاه مالاً فسلمه اليه فخنقه ودفنه في تربة ابيه في غزنة . وكان قتله في جمادى الاخرى سنة ٥١٢ هـ



٢٤٢ - بهرام شاه بن مسعود

من سنة ٥١٢ - ٥٤٧ هـ او من سنة ١١١٨ - ١١٥٢

ولما قتل بهرام شاه اخاه ارسلان شاه تولى بعده واستتب له الامر وما زال يخطب على منابرہ للسلجوقيين حتى رأى في نفسه القوة على مقاومتهم فقطع خطبتهم وعلم الملك سنجر بذلك فصار الى غزنة سنة ٥٢٩ هـ ولما قربها ارسل الى بهرام شاه يطلب حضوره اليه فخاف بهرام شاه منه وهرب عن غزنة فدخلها الملك سنجر ثم ارسل الى بهرام شاه يعتب عليه لعدم استقباله وحلف له انه لا يطمع في ملكه فعاد بهرام شاه الى غزنة واعتذر للملك سنجر عما حصل منه فافره على ملكه وعاد عنه الى خراسان سنة ٥٣٠ هـ واستقر بهرام شاه ملكاً على غزنة بلا منازع حتى ظهرت الدولة الغورية وتقدم الحسين بن الحسين ملك الغور الى مدينة غزنة سنة ٥٤٧ هـ فملكها وهرب منها بهرام شاه واحسن الحسين الغوري السيرة في اهلها واستعمل عليها اخاه سيف الدين واجلسه على تخت المملكة وخطب فيها لنفسه ولاخيه سيف الدين بعده . ثم عاد الحسين الى بلد الغور بعد ان امر اخاه بالخلع والاحسان على اهل غزنة ففعل ولما جاء الشتاء ووقع الثلج وعلم اهل غزنة ان الطريق انقطع اليهم كاتبوا بهرام شاه ملكهم القديم واستدعوه اليهم فصار نحوهم في عسكره فلما قارب البلد ثار اهل على سيف الدين فاخذوه بغير قتال وصلبوه . ودخل بهرام شاه غزنة ثانية لكنه لم تطل ايامه لانه توفي بعد ايام فلائيل من هذه الحادثة وذلك سنة ٥٤٧ هـ

٢٤٣ - خسرو شاه بن بهرام شاه

من سنة ٥٤٧ - ٥٥٥ هـ او من سنة ١١٥٢ - ١١٦٠ م

لما توفي بهرام شاه تولى مكانه خسرو شاه ابنه لكنه لم يهنأ بالملك كثيراً لان الحسين بن الحسين الغوري بعد ان قتل اخوه بغزنة اقسم ان لا يعود عنها حتى ينتقم لاخيه فصار اليها سنة ٥٥٠ هـ فحرب عنها خسرو شاه الى مدينة هاور واستولى الحسين على مدينة غزنة واستباحها ثلاثة ايام وقتل كل من له يد في قتل اخيه . وبعد ان

اخذ بثار اخيه عاد عنها الى بلاده فرجع اليها خسرو شاه واستولى عليها واقام بها الى ان توفي سنة ٥٥٥ هـ . وكان عادلاً حسن السيرة في رعيته محباً للخير واهله مقرباً للعلماء محسناً اليهم راجعاً الى قولهم

٢٤٤ - ملك شاه بن خسرو شاه (ويعرف بخسرو شاه الثاني)

من سنة ٥٥٥ - ٥٧٩ هـ او من سنة ١١٦٠ - ١١٨٣ م

لما توفي خسرو شاه تولى بعده ابنه ملك شاه ولقب بخسرو شاه الثاني وفي ايامه كان غياث الدين الغوري قد استفحل امره فجهز جيشاً وارسله بقيادة اخيه شهاب الدين الى غزنة فاستولى عليها وهرب خسرو شاه الى هاور واقام بها . ولما استولى شهاب الدين على غزنة احسن السيرة في اهلها وافاض العدل وافتتح جبال الهند مما يليه ثم قصد هاور وبها خسرو شاه سنة ٥٧٩ هـ في جيش كثيف وحاصرها ثم راسل خسرو شاه وبذل له الامان على نفسه واهله وماله ومن الاقطاع ما اراد وان يزوج ابنته بابن خسرو شاه على ان يطاء بساطه ويخطب لاهيه فامتنع عن اجابته فشد شهاب الدين الحصار على هاور حتى ضعفت نفوس اهلها وخزلوا خسرو شاه وخرج قاضي البلد وخطيبها يطلبون الامان من شهاب الدين لانفسهم وخسرو شاه تخاف لهم على ذلك وخرج خسرو شاه الى شهاب الدين واستولى هذا على هاور ثم بعث بخسرو شاه واهله وولده مع جيش يحفظونه الى اخيه غياث الدين . فلما وصلوا الى بلد الغور قبض عليهم غياث الدين وحبسهم فكان آخر العهد بهم . وانقرضت دولة بني سبكتكين واستولى الغورية على اعمالها والبقاء لله وحده

٢٤٥ الدولة الصنهاجية بتونس

« تمهيد » رأس هذه الدولة بلكين بن زيري ويرفع نسبه الى حمير بن سبأ وكان في بداية امره قائداً من قواد المعز لدين الله الفاطمي . فلما استولى الفاطميون على مصر وارادوا نقل كرسى مملكتهم من المهديّة الى القاهرة صرف المعز اهتمامه الى ما يتخلف وراء ظهره من الممالك والعمالات ونظر في من يوليه امر افريقية والمغرب ممن له الاطلاع وبه الوثوق من صدق التشيع ورسوخ القدم في دراية الدولة فوقع اختياره على بلكين ابن زيري بن مناد

٢٤٦ - بلكين بن زيري

من سنة ٣٧٠ — ٣٧٣ هـ او من سنة ٩٨٠ — ٩٨٣ م

وكان بلكين بن زيري في ذلك الوقت متوغلاً في المغرب يحارب زناتة . فبعث المعز اليه واحضره وولاه افريقية ما عدا جزيرة صقلية (سيسيليا) لانها كانت للسكاليين وطرابلس لانها كانت لعبد الله بن يخلف الكتامي . وسماه يوسف بدلاً من بلكين وكناه ابا الفتوح ولقبه سيف الدولة واوصاه بثلاث ان لا يرفع السيف عن البربر . ولا يرفع الجباية عن اهل البادية . ولا يولي احداً من اهل يبلته . ثم ارتحل المعز الى القاهرة ٣٦٢ هـ بعد ان اطلق يد بلكين في افريقية يفعل ما يشاء

وكان اهل المغرب الاقصى يعرجون بين الشيعة والمروانية بالاندلس ثم دعوة الشيعة وخطبوا للمروانيين فسار بلكين بن زيري الى المغرب الاقصى وقاتل المرتدين ودخل فاساً واستولى عليها وعلى سجناسه وارض الهبط وطرد منها عمال بني امية واعاد اليها الدعوة العبيدية

وكان القائم بامر الاندلس لذلك الوقت المنصور فصعب عليه انتصار بلكين على عماله وهربهم امامه فجند جنداً عظيماً واجازهم البحر الى مسيلة واتحد ملوك زناتة مع عساكر المنصور على قتال بلكين فاجتمعوا وضرّبوا مصاف القتال بظاهر سبتة ووصل بلكين بن زيري تيطاوير وتسّم هضابها وقطع شعبها لنهج المسالك والطرق

لعسكره حتى اطل على معسكرهم بظاهر سبته فرأى ما هاله واستيقن ظفرهم به ان قاتلهم
فكر راجعاً على عقبه وتوفي سنة ٣٧٣ هـ بواركش بين سجلماسة ولسان منصرفاً من
هذه الغارة الطويلة

٢٤٧ - المنصور بن بلكين

من سنة ٣٧٣ — ٣٨٦ هـ او من سنة ٩٨٣ — ٩٩٦ م

ولما توفي بلكين بعث مولاه ابو زغل الى ابنه المنصور بذلك وكان والياً باشير فقام
بامر صنهاجة من بعده واتاه تقليد العزيز بالله الفاطمي على افريقية والمغرب واتبع سنة
ابيه . ولما توفي بلكين بن زيري استولى خزون وزيري الزناتيان على سجلماسة وفاس
فلما كانت سنة ٣٧٥ هـ ارسل المنصور جيشاً كثيفاً اليهما يردهما الى طاعته فلما قرب
الجيش من فاس خرج اليهم زيري بن عطية الزناتي المغراوي المعروف بالقرطاس في
عساكره فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز عسكر المنصور وكر راجعاً

ثم قوي المنصور بن بلكين حتى خاف العزيز بالله الفاطمي بمصر جانبه واراد افساد
الحال عليه فارسل داعياً الى كتامة يقال له ابو فهم واسمه حسن بن نصر ليجمعهم لقتال
المنصور وعلم بالتحاد كتامة مع ابي فهم ولكنه لم يعلم ان ذلك باغراء العزيز . فارسل
الى العزيز يعلمه الخبر ويطالب منه التصريح بقتال كتامة قبل استفحال امرها فارسل اليه
العزيز رسولين بنهاء عن قتالهم فعلم حينذاك حقيقة الحال وقبض على الرسولين وسجنهما
واسرع بتجهيز العساكر وقاتل الكتاميين واثخن فيهم وقتل ابا الفهم وجعل عبيده باكون
لحمه امام رسولي العزيز ثم اطلقهما فعدا الى مولاها وقالوا له ارسلتنا الى شياطين باكون
لحم الناس وخبراه بما كان فارسل العزيز الى المنصور بطيب قلبه وارسل اليه هدية جليلة
ولم يذكر له شيئاً عن ابي الفهم وذلك سنة ٣٧٦ هـ

وفي سنة ٣٧٩ هـ خرج من كتامة شخص آخر يقال له ابو الفرج وزعم انه من
ولد القائم بامر الله الفاطمي فاجتمع حوله كثيرون من كتامة وقوي امره اكثر كثيراً
من ابي الفهم حتى انه ضرب السكة باسمه . وجرت بينه وبين نائب المنصور وقائع كثيرة
ثم سار اليه المنصور في عساكره وقاتله وهزمه واسره وقتله واستراح منه

وفي هذه السنة ايضاً خالف ابو البهار بن زيري (عم المنصور) عليه فرحف اليه المنصور بتاهرت ففارقها عمه الي الغرب بمن معه من اهلها واصحابه ودخل عسكر المنصور تاهرت فانتهبوها فطلب اهلها الامان فامنهم ثم سار في طلب عمه حتي جاوز تاهرت بسبع عشرة مرحلة ولقي عسكره شدة واشير على ابي البهار بالرجوع فرجع الى المنصور فاكرم وفادته

وفي سنة ٣٨٦ هـ توفي المنصور بن بلكين وكان ملكاً كريماً شجاعاً حازماً مظفراً منصوراً حسن السيرة محباً للعدل في الرعية وكانت وفاته اوائل ربيع اول من تلك السنة

٢٤٨ - باديس بن المنصور

من سنة ٣٨٦ - ٤٠٦ هـ او من سنة ٩٩٦ - ١٠١٥ م

لما توفي المنصور بن بلكين تولى الملك بعده باديس ويكنى ابا مناد فلما استقر له الامر سار الى سردانيا وسكنها واتاه تقايد القائم بامر الله الفاطمي من مصر واول عمل باشره ارساله العساكر مع عميه يطوفت وحماد لاختضاع زناتة فانهمزما امام زناتة ورجعا الى اشير . وفي سنة ٣٨٩ هـ ارسل باديس الى المغرب الاقصى عمه حماداً لحرب زيري ابن عطية وبينما هو راجع ولي اخاه يطوفت على تاهرت واشير واستصغر بنو زيري (عمومة باديس) باديس فخالفوا عليه وكادوا يفتكون بعسكره لولا نصيح الناصحين

وفي هذه السنة (٣٨٩ هـ) ارسل عامل باديس بطرابلس الى الحاكم بامر الله بمصر يطلب منه ان يرسل من يستلم طرابلس منه فارسل اليه الحاكم يانسا الصقلي من اخضاء الحاكم فوصل يانس الى طرابلس سنة ٣٩٠ هـ واستلمها واقام بها فارسل باديس الى يانس يساله عن سبب قدومه الى طرابلس فاغلظ يانس في الجواب فارسل اليه باديس جيشاً فلقبهم يانس خارج طرابلس فقتل هو في المعركة وانهمز اصحابه ودخلوا طرابلس وتحصنوا بها فحاصرهم جيش باديس فاستمدوا الحاكم فامدهم بجيش بقيادة يحيى بن علي الاندلسي وسبهم الى طرابلس وقل المال مع يحيى فاختلف حاله فسار الى قلقل وكان قد دخل طرابلس واستولى عليها فاقام معه واستوطنها

وفي سنة ٣٩١ هـ سار ما كسن بن زبري عم ابي باديس الى اشير وبها ابن اخيه حماد بن بلكين فكانت بينهما حرب شديدة قتل فيها ما كسن واولاده وقوي حماد بن بلكين حتى ندم باديس على اقطاعه ما بيده وكاد لباديس ابن اسمه المنصور اراد ان يقدمه ويجعله ولي عهده فارسل الى عمه حماد بان يسلم نائب ابنه المنصور بعض ما بيده من الاعمال منها مدينة نيجس وقصر الافريقي وفسنطينة وسير هاشم بن جعفر من اكابر قواده لاستلام هذه المدن وسير معه عمه ابراهيم لينزع اخاه حماداً من امر ان اراده فلما قارب حماداً فارق ابراهيم هاشماً وتقدم الى اخيه حماد وحسن له الخلاف على باديس واتخذ معه واطهر العصيان وجمع الجموع الكثيرة حتى بلغ جيشهما ٣٠ الف مقاتل فبلغ ذلك باديس فجمع عساكره وسار اليهما وتقدم حماد وابراهيم لقتاله فقاتلها وهزمها ولحق حماد بقلعته وحاصره باديس فيها وفي يوم الثالث سلخ ذي القعدة سنة ٤٠٦ هـ استعرض باديس جنوده وفرح لنشاطهم وقوتهم ثم ذهب الى خيمته فتوفي في نصف الليل بغتة

٢٤٩ - المعز بن باديس

من سنة ٤٠٦ — ٤٥٤ هـ او من سنة ١٠١٥ — ١٠٦٢ م

لما توفي باديس بن المنصور تولى الملك بعده ابنه المعز بن باديس وكان عمره ثماني سنين . ورجع عسكر باديس عن قتال حماد بجنته ووصلوا الى المهديّة وبها المعز ثامن المحرم سنة ٤٠٧ هـ

وقوي حماد بعد موت باديس واتاه الفرج من حيث لا يحتسب فخرج من قلعته حيث كان محصوراً واستولى على المسيلة واشير واساء السيرة في اهلها وتقدم الى مدينة باغانة وحاصرها فسير اليه المعز جيشاً سنة ٤٠٨ هـ وقاتله فلم تكن الاساعة حتى انهزم حماد وتشتت شمل عساكره فهرب وارسل الى المعز يطلب الامان على نفسه وارسل ابنه القائد رهينة على صدقه فامنه المعز واحسن اليه . وجاء ابراهيم بن بلكين ايضاً الى المعز فامنه واكرم وفادته . وبعد ان استراح المعز من امر عميه اللذين اقلقا راحة والده وراحته اياماً كثيرة وجه التفاته الى الفتن التي كانت قد اضطربت نيرانها في البلاد بين القبائل وبعضها بتوالي هذه الحروب فغضب المفسدين بيد من حديد حتى عادت السكينة الى البلاد

ولما عاد الامن الى البلاد واستراح المعز من الحروب اراد ان يتمتع بلذة انتصاراته
فبنى البنايات الجميلة والجوامع الكثيرة وانفق الاموال بغير حساب واكرم العلماء وخالطهم
حتى اعترف المؤرخون انه اعظم من قام من الصنهاجيين

وكانت بينه وبين زنانة حروب انتصر في جميعها * وكان المعز منحرفاً عن مذاهب
الرافضة ومنتحلاً لسنة فاعلن بمذهبه لاول ولايته ولعن الرافضة ثم امر بقتل من
وجد منهم * وكبابه فرسه ذات يوم فنادى مستغيثاً باسم ابي بكر وعمر فسمعه العامة
فثاروا لحينهم بالشيعة واتخذوا فيهم * وامتعض لذلك خلفاء الشيعة بالقاهرة وخطبه
وزيرهم ابو القاسم الجرجاني محذراً وهو يراجع بالتعريض لخلفائه والمزح فيهم حتى
اظلم الجو بينه وبينهم الى ان قطع الخطبة لهم سنة ٤٤٠ هـ وخطب على جميع منابر
للقاسم بن القادر العباسي * فاستشار المستنصر بالله الخليفة الفاطمي بطانته في الانتقام
منه فاشاروا عليه بتسريح الاعراب الهلالية والسليمية من وادي النيل الى افريقية

وبيان ذلك ان اعراب بني هلال وبني سليم من قبائل الحجاز كانوا قد نزعوا
الى التورة على احد الخلفاء الفاطميين فنفاهم الى صعيد مصر الا انهم عاثوا فيه فساداً
فلما كان من امر المعز ما كان وسمع المستنصر تلك المشورة اعجبته جداً لانهما تكفيه
مؤنة عدوين في وقت واحد فاستقدم اليه وجوهم وقال لهم (قد اذنت لكم في جواز
النيل وأوليتكم ما يملك ابن باديس العبد الآبق) * فذهبوا مع قومهم الى الرحيل ولما
دنوا من القيروان خرج المعز الى قنابلهم فهزموه الى حيدران بالقرب من قابس ثم
دخلوها وفتكوا باهلها وفر المعز امامهم الى المهدية ولاذبانته تميم عامها وذلك سنة ٤٤٩ هـ
فاقام بها لا يقدر على رد غارات هؤلاء الاعراب الى ان توفي سنة ٤٥٤ هـ

٢٥٠ - تميم بن المعز

من سنة ٤٥٤ - ٥٠١ هـ او من سنة ١٠٦٢ - ١١٠٧ م

لما توفي المعز بن باديس تولى الملك بعده ابنه تميم وكانت امور الدولة قد وصلت
الى حالة من الاختلال لم يسبق لها نظير واستولى القواد على كثير من الاعمال فضلاً
عن غارة العرب التي كانت سبباً في اندثار معالم المدنية والحضارة ببلاد تونس لما اتاه

اولئك الاعراب من ضروب العيث ولكن رغمًا عن هذا الاندثار والاضمحلال
الظاهرين قام تميم بامور الملك وحارب المخالفين حتى اعاد الى الدولة شيئًا من سطوتها
واغتنت فرصة اشتغال الهلالية بفتح جهات قسنطينة لاسترداد مداين سوسة وصفاقس
وتونس الى طاعته

وفي سنة ٤٨٠ هـ قدم اهل جنوة ويشة (من مدن ايطاليا) في اسطول مؤلف
من ٣٠٠ مركب تحمل ٣٠ ألف مقاتل فاحرقوا مراكب تميم واخذوا المهديّة وكان
روجر زعيم النورمنديين بصقلية على ولاء ومودة مع تميم فاستمده فلم ينجده ولذا اضطر
الى مصالحة اهل جنوة على مال اخذوه وانصرفوا

وفي سنة ٥٠١ هـ توفي تميم بن المعز وكان شهيدًا شجاعًا ذكيًا وله شعر حسن . فنه
انه وقع الاختلاف بين طائفتين من العرب وهما عدي ورياح فقتل رجل من رياح ثم
اصطلحوا وكان يهيمه ان لا يصطلحوا فقال ابياتًا يحرض أهل المقتول على الاخذ بثاره وهي

مضى كانت دماؤكم تطل اما فيكم بثار مستقل
اغانم ثم سالم ان فشلت فما كانت اوائلكم نذل
ونتم عن طلاب النار حتى كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرت فيه العوالي ولا يبيض ثقل ولا تسل

فعمد اخوة المقتول فقتلوا اميرًا من عدي واشتد بينهم القتال . ولما توفي كان
عمره تسعًا وسبعين سنة وكانت ولايته ٤٦ سنة وعشرة اشهر وايامًا وخلف من المذكور
اكثر من مائة ومن البنات ستين بنتًا

٢٥١ - يحيى بن تميم

من سنة ٥٠١ - ٥٠٩ هـ او من سنة ١١٠٧ - ١١١٥ م

لما توفي تميم بن المعز تولى بعده ابنه يحيى فاحسن السيرة في الرعية واجزل في العطاء
لهم وعمد الي فتح ما لم يفتحه ابوه فارسل جيشًا الى قلعة قلبية وهي من احصن قلاع
افريقية فنزل عليها وحصرها حصارًا شديدًا ولم يبرحها حتى فتحها . ثم رأى يحيى
انه من مصلحته ان تراجع طاعه العبيديين فخطب لهم بيلاده فارسلوا اليه بالخلع والهدايا
وكان قدوم اسطول جنوة ويشة في ايام ابيه قد نبهه الى بناء الاساطيل فبنى

اسطولا عظيماً وغزا به جنوة وسردينيا فصالحه اهلها
ومع حسن سيرته في الرعية واحسانه اليهم عامل اخوته بالقسوة فشتهم شرقاً وغرباً
فتجبل عليه ثلاثة منهم فتذكروا له وزعموا انهم من العارفين بالكيمياء وكان ولعاً بها
واشترطوا عليه الخلوة بفخلا بهم ومعه وزيرة وخادمه فوثبوا عليهم بالسكاكين التي كانوا
خبأوها بشياهم لمثل هذه الساعة فقتلوا الوزير والخادم واثنونه هو بالجراح وقالوا له
« ايها الكلب نحن اخوتك نفيتنا وبقيت في الملك » وما زال متألماً من جراحه هذه
حتى توفي بها سنة ٥٠٩ هـ . وقيل انه توفي فجأة والاول اصح والله اعلم

٢٥٢ - علي بن يحيى

من سنة ٥٠٩ - ٥١٥ هـ او من سنة ١١١٥ - ١١٢١ م

ولما توفي يحيى بن تميم تولى الملك بعده ابنه علي فلما استتب له الامر ارسل عساكرة
الى مدينة تونس وحاصرها احمد بن خراسان فصالحه اهلها على ما اراد ثم تقدمت
عساكره الى جبل وسلات وافتتحه وكان ممتنعاً على من سلف من قومه . وناً كدت
الوحشة بينه وبين روجر صاحب صقلية فجدد الاسطول وكاتب المرابطين بمراكش
في الاجتماع معه على الدخول الى صقلية ولكنه لم يتم له ما اراد لان المنيعة عاجلته في
سنة ٥١٥ هـ

٢٥٣ الحسن بن علي

من سنة ٥١٥ - ٥٦٦ هـ او من سنة ١١٢١ - ١١٧٠ م

لما توفي علي بن يحيى تولى الملك بعده ابنه الحسن بن علي وكان عمره لا يزيد عن
١٢ سنة فقام بامر دولة مولاه صندل ولم تطل ايامه حتى توفي وكادت الفوضى تقع بين
اصحاب الحسن الى ان فوض امر دولته الى ابي عزيزه وفق فصلحت الامور
وكان بين الصنهاجيين وبين روجر ما رأيت من الوحشة فاتفق ان غزا احمد بن
ميمون قائد اسطول المرابطين جزيرة صقلية وافتتح قرية منها واثن في اهلها قتلاً

وسبباً وذلك سنة ٥١٦ هـ فلم يشك روجران ذلك باغراء الحسن فارسل اساطيله الى المهدي بقيادة جرجير الذي كان قبلاً من ثقات الامير تميم وخادم دولته ففر بما جمعه من الاموال الى روجرواطلعه على احوال اعدائه فجهزه بذلك الاسطول وكان الحسن قد استعد للقاءه احسن استعداد فانتصر عليه وعاد جرجير من حيث اتي

وفي سنة ٥٣٦ هـ عاد جرجير في ٣٠٠ مركب فوقف على بعد لان الريح لم تساعد على الدخول وبعث للحسن يخادعها انه جاء مدداً له على صاحب قابس فلم تنطل هذه الحيلة ودعا الناس للرحيل عن المهدي لغيب حاميتها في محاربة صاحب تونس . ولما هدأت الريح دخل اسطول جرجير الى المهدي وتم للنور منديين الاستيلاء عليها وعلى جميع بلاد الساحل سنة ٥٤٣ هـ . ولبث النورمانديون اصحاب تلك السواحل حتى اخبرهم منها الموحدون كما سنذكره عند ذكر تلك الدولة ان شاء الله . وفي سنة ٥٦٦ هـ توفي الحسن بن علي انقضت به الدولة الصنهاجية والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٥٤ - الدولة المروانية بديار بكر

« تمهيد » في حوالي سنة ٣٧٤ هـ ظهر بديار بكر شخص يقال له باز الكردي وصار يقطع الطرق وكلما غنم شيئاً فرقه في اصحابه فكثر جمعه ثم دخل ارمينيا فملك مدينة ارجيش وهي اول مدينة ملكها فقوي بها وسار منها الى ديار بكر فملك مدينة آمد وميافرقين . ولما ملك عضد الدولة الموصل اهمه امر باز الكردي وخاف جانبه فبعث اليه من يقبض عليه ولكنه تمكن من الهرب فكف الطلب عنه . ثم توفي عضد الدولة وشرف الدولة ثم جاء ابو طاهر ابراهيم وابو عبد الله الحسن الى الموصل فملكها ثم حدث الفتنة بينها وبين الديلم فطمع باز في ملك الموصل فسار من ديار بكر الى الموصل فغلبه ابنا ناصر الدولة وقتل في المعركة . وكان ابو علي بن مروان ابن اخت باز معه في هذه الواقعة فتجا ولحق بخصن كيفا فتجايل حتي استولى على ملك ديار بكر كما ستراه ان شاء الله وهو رأس هذه الدولة

٢٥٥ - ابو علي بن مروان

لما قتل باز سار ابن اخته ابو علي بن مروان في طائفة من الجيش الى حصن كيفا وهو على دجلة وهو من احصن المعافل وكان به امرأة باز واهله فلما بلغ الحصن قال لزوجته خاله (قد انقذني خالي اليك في امرهم) . فظنته صادقا وامرت ففتحو له باب الحصن ودخله فلما صعد اليها اعلمها بهلاك خاله باز واطعمها في الزوج بها فوافقته على ملك الحصن وغيره ونزل وقصد حصنا حصنا حتى ملك ما كان لخاله وسار الى ميفارقين وسار اليه ابو طاهر وابو عبدالله ابنا حمدان طمعا فيه فهزمهما ابو علي وقام بديار بكر وضبطها واحسن السيرة في اهلها ثم خالف عليه اهل ميفارقين واستطالوا على اصحابه فامسك عنهم الى يوم العيد وقد خرجوا الى المصلى فلما تكاملوا في الصحراء دخل البلد واخذ ابا الصقر شيخها والقاء من على السور وقبض على من كان معه منهم واغلق ابواب البلد وامر اهلها ان لا يدخلوها بل يذهبوا حيثما شاؤوا فتشتتوا في البلاد المجاورة وساءت احوالهم

وكان ابو علي قد تزوج ست الناس بنت سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فأتته من حلب فعزم على زفافها بآمد فخاف شيخ البلد واسمه عبد البر ان يفعل بهم مثل فعله باهل ميفارقين فحذر اصحابه منه وامرهم ان ينثروا الذهب في وجهه فاذا غطي وجهه ضربوه بالسكاكين ففعلوا ذلك . والذي تولى قتله رجل يقال له ابن دمنة

٢٥٦ - ابو منصور بن مروان

لما قتل ابو علي بن مروان هاج الناس وماجوا ولم يصدقوا بقتله حتى رمى ابن دمنة رأسه فاسترعوا السير الى ميفارقين وحدث جماعة من الاكراد تفوسهم بملك البلد فاستراب بهم . مستحفظ ميفارقين لاسرائهم وقال لهم « ان كان الامير حيا فادخلوا معه وان قتل فاخوه مستحق لموضعه » فلم يكن اسرع من ان وصل ابو المنصور بن مروان الى ميفارقين ودخلها ومليها ولقب بمهد الدولة

واستولى عبد البر على مدينة آمد وزوج ابنته لابن دمنة الذي قتل ابا علي ثم استدعاه ابن دمنة عنده لوليعة عملها فقتله واستولى على آمد وعمرها ببناء البنانيات الشاهقة والقصور الفخيمة وعقد مع مهد الدولة الصلح وهادى ملك الروم وحاجب

مصر وغيرها من الملوك فانتشر ذكره وعظم امره
 اما ممهد الدولة فلم يكن له ميافارقين الا الخطبة والسكة لتغلب وزيره شروة على
 امور الدولة . وكان لشروة هذا غلام قد ولاه الشرطة وكان ممهد الدولة يبغضه ويريد
 قتله ويتحركه احتراماً لشروة ففطن الغلام لذلك فعمل الحيلة حتى افسد الحال بين شروة
 وممهد الدولة فطمع شروة في الملك وعمل وليمة بقاعة الملتاخ ودعا اليها ممهد الدولة فلما
 حضر عذره قتله وذلك سنة ٤٠٢ هـ

٢٥٧ - ابو نصر احمد بن مروان

من سنة ٤٠٢ - ٤٥٣ هـ او من سنة ١٠١١ - ١٠٦١ م

لما قتل شروة ممهد الدولة ابا منصور خرج من الدار الى بني عم ممهد الدولة فقبض
 عليهم وقيدهم واظهر ان ممهد الدولة امره بذلك ومضى الى ميافارقين فقبضوا له ظناً منهم
 انه ممهد الدولة فدخلها واستولى عليها وكتب الى اصحاب القلاع يستدعيهم لياخذ
 طاعتهم وارسل رسولا الى ارزن الروم ليحضر متوليها ويعرف بخواجه ابي القاسم فزار
 خواجه نحوه ولم يسلم القلعة الى القاصد اليه . فلما توسط الطريق سمع بقتل ممهد الدولة
 فعاد الى ارزن وارسل الى قلعة اسعد فاحضر ابا نصر احمد بن مروان اخا ممهد الدولة
 (وكان اخوه قد ابعده عنه لانه يبغضه) فلما حضر اليه يابعه وسلمه القلعة . وكان شروة
 قد انقذ الى ابي نصر من يحضره فوجدوه قد سار الى ارزن فتحقق حينئذ انتقاض امره
 ولما استولى ابو نصر على ارزن الروم احسن السيرة في اهلها ثم ابتدأ ان يملك باقي
 ديار بكر فملكها مدينة مدينة الى ان استولى على جميعها . وعلا صيته فصار مقصداً للعلماء
 من سائر الافاق وكثروا ببلاده ومدحه الشعراء فاجزل لهم العطاء وبقي كذلك الى
 ان توفي سنة ٤٥٣ هـ وكان عمره نيفاً وثمانين سنة

٢٥٨ - نصر بن احمد

من سنة ٤٥٣ - ٤٧٢ هـ او من سنة ١٠٦١ - ١٠٧٩ م

لما توفي ابو نصر احمد بن مروان قام بالامر بعده ابنه نصر باتحاده مع وزير ابيه وخالف عليه اخوه سعيد وجرى بينهما حروب كان الظفر فيها لنصر فاستقر في الامارة بميفارقين وغيرها . واستولى اخوه سعيد على آمد وفي سنة ٤٧٢ هـ توفي نصر بن احمد وكانت ايامه ايام راحة وسلام

٢٥٩ - منصور بن نصر

من سنة ٤٧٢ - ٤٧٩ هـ او من سنة ١٠٧٩ - ١٠٨٦ م

لما توفي نصر بن احمد تولى بعده ابنه منصور فلم تطل ايام ملكه كثيرا لان فخر الدولة ابا نصر محمد بن جهير تقدم الى بلاده واستولى على مدينة آمد ثم ميفارقين وباقي مدن ديار بكر سنة ٤٧٩ هـ . ودخل ابن جهير ميفارقين واستولى على اموال بني مروان وذخائرهم وبعثها الى السلطان ملك شاه . اما منصور بن نصر المرواني فانه لحق بالجزيرة واقام بين الغز في اسواق حال الى ان قبض عليه جكرمس وجبسه بداريهودي حيث توفي سنة ٤٨٩ هـ وبه انقرضت الدولة المروانية والله غالب على امره

٢٦٠ - الدولة الطغراوية بمراكش

(تمهيد) مغراوة ويفرن فييلتان من اعيان قبائل زناتة وكان مغراو ويفرن اخوين شقيقين وهما ابنا بصليتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن الدبديت بن زانا وهو ابو زناتة . وقد ذكرنا عند ذكرنا الدولة الصنهاجية ان بلكين بن زيري صاحب افرقية زحف سنة ٣٦٩ هـ الى المغرب الاقصى واناخ على مدينة فاس وقتل عاملها محمد ابن ابي علي صاحب عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الاندلس واستعمل عليها محمد بن عامر المكناشي فاجفلت ملوك زناتة من بني خزر المغراو بين

وبني محمد بن صالح اليفرنين اماه وانحازوا جميعاً الى سبته وعبر محمد بن الخير من آل خزر الى المنصور بن أبي عامر المتسلط على الاندلس مستجيراً به فخرج المنصور في عساكره الى الجزيرة الخضراء مداهم بنفسه وعقد لجعفر بن علي بن حمدون على حرب بلكين الصنهاجي واجازه البحر فاجتمعت اليه ملوك زناتة وخرىوا مصافهم بظاهر سبتة جسفل بلكين بن زيري الصنهاجي منهم وكر راجعاً . ثم لما كانت سنة ٣٧٣ هـ قدم فالحن بن كنون الادريسي من مصر الى المغرب يطلب ملك جدوده انضم اليه يدو ابن يعلي اليفرني في قومه وشايعه على مراده وصرح المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس اليه ابن عمه ابا الحكم الملقب بعسكلاجه فانضم اليه آل خزر المغراويون وفيهم زيري ابن عطية رأس الدولة المغراوية هذه فلما انتصر ابو الحكم وحاصر الحسن بن كنون حتى طلب الامان لنفسه وامنه واستولى على المغرب الاقصى ودخل فاساً سنة ٣٧٥ هـ وخطب فيها لبني امية عاد الى الاندلس فاستعمل المنصور على المغرب الاقصى الوزير حسن بن احمد بن عبد الودود السلمي واوصاه بالاحسان الى مغراوة ولا سيما مقاتل وزيري ابنا عطية لحسن طاعتهم للروانيين واغراه بيدو بن يعلي اليفرني لعدم صدق طاعته . ففعل حسن بن عبد الودود ما امر به

وفي سنة ٣٧٨ هـ توفي مقاتل بن عطية رئيس مغراوة فقام بالامر بعده اخوه زيري ابن عطية وحسنت محبته للوزير حسن بن عبد الودود ومعاملته له ثم استدعى المنصور بن ابي عامر زيري بن عطية للوفادة عليه بقرطبة فوفد عليه واحسن المنصور اليه ورفع منزلته وعاد الى المغرب بعد ان امره المنصور بقتال بدو بن يعلي اليفرني فاجتمع عليه هو والوزير حسن بن عبد الودود فانتصر عليهم بدو بن يعلي وقتل الوزير حسن بن عبد الودود في المعركة فعقد المنصور بن ابي عامر لزيري بن عطية على المغرب الاقصى من بعده وذلك سنة ٣٨١ هـ وهذا بداية امرهم

٣٦١ - زيري بن عطية

من سنة ٣٨١ - ٣٩١ هـ او من سنة ٩٩١ - ١٠٠٠ م

ولما استتب الامر لزيري بن عطية استدعاه المنصور بن ابي عامر الى قرطبة سنة ٣٨٢ هـ فوفد عليه واخذ معه من الهدايا كل مستغرب من الحيوان والطير فاحتفل

المنصور بقدومه احتفالاً عظيماً وافاض عليه في الجرايات ولقبه بالوزير
ولا يخفى على القاريء الكريم انه كان بين زيري بن عطية المغراوي وبين يدو
ابن يعلى اليفرنى منافسات ومنازعات على الرئاسة بالمغرب الاقصى فكان يدو بن يعلى
اذا غلب على زيري دخل مدينة فاس واستولى عليها واذا غلب عليه زيري اخرجها عنها
وملكها وكانت الحرب بينهما سجلاً حتى سئمت الرغبة بفاس كثرة تعاقبهم عليها .
فلما سافر زيري بن عطية الى الاندلس كما تقدم استخلف ابنه المعز بن زيري على
المغرب وامره بسكنى تلمسان فانتهر يدو بن يعلى الفرصة في غيبته فزحف الى فاس
ودخلها من عدوة الاندلس بالسيف في ذي القعدة سنة ٣٨٢ هـ وقتل بها خلقاً
كثيراً من مغراوة فلما عاد زيري بن عطية ونزل طنجة بلغه خبر استيلاء يدو على فاس
فاسرع السير نحوه حتى نزل قريباً من فاس فكانت بينهما حرب شديدة هلك فيها خلق
كثير من القبيلتين مغراوة وبني يفرن الى ان هزمه زيري واقتحم عليه فاساً عنوة
فقتله ومثل به وبعث برأسه الى المنصور بن ابي عامر بقرطبة وذلك سنة ٣٨٣ هـ
وقد تقدم معنا ان زيري بن عطية وفد على المنصور كطلبه سنة ٣٨٢ هـ وانه
افاض عليه في الجرايات ولقبه بالوزير ولكنه لم يكن هذا حد مطمع زيري بن عطية
بل استقل ما وصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة الذي سماه به حتى انه لما خاطبه
به احد رجاله انتهره على ذلك قائلاً له « وزير من يالكع لا والله الا امير بن امير
واعجباً لابن ابي عامر ونخرقته لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه والله لو كان بالاندلس
رجل ما تركه على حاله وان له منا ايوماً » فبلغ هذا القول المنصور فصبر عليه . ثم
علم المنصور بعد ذلك ان زيري بن عطية يتنقصه ويعرض في شأنه ويتكلم فيه بالقبيح
فقطع المنصور عنه رزق الوزارة الذي كان يجريه عليه في كل سنة ومحا اسمه من ديوانه
ونادى بالبراءة منه . فعزم زيري على خلافه فقطع ذكره من الخطبة واقتصر على ذكر
هشام الموندد وطرد عماله من المغرب والجاأهم الى سبتة فانفذ اليه المنصور بن ابي عامر
مولاه واضحاً في جيش عظيم فانتصر زيري عليه وفر واضح الى طنجة فدخلها منهزماً
وكتب الى المنصور يستمد فامده المنصور بجيش كثيف بقيادة ابنه عبد الملك المظفر
واستعد زيري لملاقاته والتقوا بوادي الحية فانهمز زيري بن عطية وفر في شرذمة من
اصحابه وبني عمه الى مدينة فاس فلما قربها اغلق اهلها دونه الابواب فطلب منهم ان
يخرجوا له حرمه واولاده ففعلوا فأخذهم وانصرف الى الصحراء ونزل بلاد صنهاجة

اما عبد الملك المظفر فانه تقدم بعد انتصاره على زيري فاصداً مدينة فاس فدخلها يوم السبت سلخ شوال سنة ٣٨٧ هـ فاستقبله اهلها مستبشرين به فاحسن لقاءهم . وكتب الى ابيه المنصور بالفتح فقرأ الكتاب على منبر جامع الزهراء بقرطبة وكتب الى ولده المظفر بهذه علي المغرب الاقصى واوصاه بحسن السيرة والعدل فقرأ كتابه على منبر جامع القرويين . واقام عبد الملك بفاس ستة اشهر ثم صرفه والده الى الاندلس وبعث اليها عوضاً عنه عيسى بن سعيد صاحب شرطته فاقام والياً عليها الى صفر سنة ٣٨٩ هـ ثم عزله المنصور عنها وولى عليها مولاه واضحاً الفتي

اما ما كان من امر زيري بن عطية فانه لما نزل بلاد صنهاجة وجدهم قد اختلفوا على ملكهم باديس بن المنصور بن بلكين الصنهاجي فاغتنم زيري تلك الفرصة من صنهاجة وزحف اليهم واوغل في بلادهم وهزم جيوشهم ودخل مدينة تاهرت وحيلة من بلاد الزاب وملك تلسان وشلف والمسيلة واقام بها الدعوة لشام المؤيد وحاصر مدينة آشير قاعدة بلاد صنهاجة وكتب الى المنصور بن ابي عامر بذلك يسترضيه ويشترط على نفسه الرهن والاستقامة ان اعيد الى ولايته . وبينما هو محاصر لآشير انقضت عليه جراح كانت اصابته فمات منها وذلك سنة ٣٩١ هـ

٢٩٢ — المعز بن زيري بن عطية

من سنة ٣٩١ — ٤١٧ هـ او من سنة ١٠٠٠ — ١٠٢٦ م

لما توفي زيري بن عطية اجتمع آل خزر وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيري فبايعوه وضبط امرهم واقصر عن محاربة صنهاجة وصالح المنصور ابن ابي عامر وقام بدعوته ورجع الى طاعته ولم يزل على ذلك الى ان توفي المنصور وقام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفر فبايعه المعز أيضاً ودعاه له منابره فعزل المظفر واضحاً الفتي عن فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الاندلس وكتب الى المعز بن زيري بهذه علي فاس وسائر اعمال المغرب حواضره وبواديها وذلك سنة ٣٩٣ هـ فبث عماله في جميع كور المغرب وجبا خراجها ولم تزل ولايته متسمة

وطاعة رعاياه منتظمة الى ان افترق امر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة بها فاضطرب امر المغرب على المعز واقام على ذلك الى ان توفي سنة ٤١٧ هـ .

٢٦٣ حمامة بن المعز بن عطية

من سنة ٤١٧ - ٤٣١ هـ او من سنة ١٠٢٦ - ١٠٣٩ م

لما توفي المعز بن زيري تولى الملك بعده ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية وكان اختلال امور الدولة بالاندلس بعد انقراض الدولة العامرية داعيا لاستئصال امر حمامة وزيادة استقلاله بالمغرب فقصده الامراء والعلماء واتبه الوفود ومدحه الشعراء ولم يزل مهاجرا الى ان نازعه ابو كمال اليفرنى كما سنده ان شاء الله

قد ذكرنا بعض الحروب التي وقعت بين مغراوة وبنى يفرن في ايام زيري ابن عطية وكيف انه ظلمهم وقتل يدو بن يعلى اليفرنى واستولى على فاس من يده (راجع فصل ٢٦١) فلما انهزم بنو يفرن انجازوا الى نواحي سلا فاستولوا عليها وعلى مدينة شالة ثم ملكوا تادلا وما والاها من البلاد .

ثم لما كانت سنة ٤٢٤ هـ كان الامير على بنى يفرن ابا الكمال تميم بن زيري ابن يعلى فزحف من سلا الى فاس في قبائل بنى يفرن وبرز اليه حمامة في جموع مغراوة فكانت بينهم حرب شديدة اجلت عن هزيمة حمامة واستيلاء تميم على فاس واعمال المغرب ودخلها في جمادي الاخرى من السنة المذكورة ولحق حمامة بوجدة فاستبد من كان هناك من قبائل مغراوة وزناتة فاجتمع معه جم غفير فزحف بهم الى فاس سنة ٤٢٩ هـ فافرج عنها ابو كمال ولحق ببلده من شالة واقام بها الى ان هلك سنة ٤٤٦ هـ . وعاد حمامة الى ملكه وجلس على كرسي عزه بفاس الى ان توفي سنة ٤٣١ هـ

٢٦٤ دوناس بن حمامة

من سنة ٤٣١ - ٤٥٢ هـ او من سنة ١٠٣٩ - ١٠٦٠ م

لما توفي حمامة بن المعز تولى بعده ابن دوناس بن حمامة ويكنى ابا العطف وخرج عليه لاول دولته ابن عمه حماد بن معنصر بن المعز بن عطية بن زيري فجرت له معه حروب وخطوب وكثرت جموع حماد وغلب على ضواحي فاس وحاصرها حصاراً شديداً واحتفر السياج المعروف بسياج حماد (ويقال ان دوناس خندق به على نفسه) واستمر حماد محاصراً لفاس الى ان هلك سنة ٤٣٥ هـ فاستقامت دولة دوناس وساد الامن والسلام بعد أيام الحرب والكرب وفي ايامه بلغت فاس من العمارة مبلغاً عظيماً فكثرت فيها القصور الشاهقة والبساتين النامقة . وانعمت التجارة بها وحسنت الصناعة حتى صارت مقصداً لكل طالب . وذلك لاعتناء دوناس الزائد بعمارتها . ولم تزل أيام دوناس احسن ايام الى ان توفي سنة ٤٥٢ هـ

٢٦٥ - فتوح بن دوناس

من سنة ٤٥٢ - ٤٥٥ هـ او من سنة ١٠٦٠ - ١٠٦٣ م

ولما توفي دوناس بن حمامة تولى بعده ابنه فتوح بن دوناس وكان خفيف الراس قابيل الدراية ونزل بعدوة الاندلس ونازعه اخوه الاصغر عجيسة وكان بطالاً مقداماً وشهماً مغواراً فاستولى على عدوة الاندلس واستبد على اخيه وافترق امر فاس بافتراقهما وقامت الحروب بينهما على ساق وقدم حتى عظم الخوف بالمغرب وكثر الهرج وغلت الاسعار واشتدت المجاعة واستمر الامر على هذا الحال ثلاث سنين ظفر في آخرها الفتوح على اخيه عجيسة وقتله واستولى على العدوتين ثم ظهر

امر المرابطين من لتونة وخشي الفتوح مغبة ذلك فافرج عن فاس وتخلي عنها
واراد عيشة السلام بعيداً عن الملك ومناعبه وذلك سنة ٤٥٥ هـ

٢٦٦ - معنصر بن حماد

من سنة ٤٥٥ - ٤٦٠ هـ او من سنة ١٠٦٣ - ١٠٦٧ م

لما تجلى الفتوح بن دوناس عن ملك فاس قام بالامر بعده قريبه معنصر بن
حماد بن معنصر بن المعز زيري بن عطية فبايعه قبائل مغراوة الذين بفاس واحوازاها
وكان معنصر ذا حزم ورأي وشجاعة وشغل بحرب لتونة وكانت له معهم وقائع
مشهورة . ثم قدم يوسف بن تاشفين واستولى على فاس ورحل عنها بعد ان
استخلف عليها عامله الى غارة وفتح كثيراً من مدنها وتقدم لحصار قلعة فازاز فخالفه
معنصر الى فاس وملكها وقتل عامله عليها .

وانصل الخير بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة فازاز فأرسل اليه جيشاً
بقيادة مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مكناسة فالتقاه معنصر وناجزه الحرب
وانتصر عليه وشتت جموعه وقتله وأعمل السيف في عسكره فاستصرخ اهل مكناسة
بيوسف بن تاشفين فسرح عساكر لتونة لحصار فاس فحاصروها وضيقوا عليها جدا
حتى اشتد البلاء على اهلها وخرج معنصر من فاس لقتال عساكر ابن تاشفين
فانهزم وقتل في المعركة وذلك سنة ٤٦٠ هـ .

٢٦٧ - تميم بن معنصر

من سنة ٤٦٠ - ٤٦٢ هـ او من سنة ١٠٦٧ - ١٠٦٩ م

لما قتل معنصر بن حماد في المعركة كما ذكرنا تولى بعده ابنه تميم بن معنصر
فبايعه اهل فاس وكانت أيامه ايام حصار وقتنة وجهد وغلاء وشغل يوسف بن

تاشفين عنه بفتح بلاد غمارة حتى اذا كانت سنة ٤٦٢ هـ وفرغ من فتح غمارة
قدم الى فاس وحاصرها اياماً ثم اقتحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلثة الاف من
مغراوة وبني يفرن وهلك تميم بن معنصر في جملتهم وبموته انقرض أمر الدولة
المغراوية والدوام لله وحده

٢٦٨ - الدولة الابليكية بتركستان

(تمهيد) هذه الدولة عريقة في القدم ولا يعرف كيف ابتدأت . ولم تعرف
احوالها الا بعد ان اسلم ملكها عبد الكريم سبق وتسمى عبد الملك واطاع بني
سامان اصحاب ما وراء النهر لمجاورته لهم فخطب لهم في اعماله وهي تركستان
وقاعدتها مدينة كاشغر . فلما طرق الهرم الدولة السامانية في عشرة التسعين والثلاثمائة
طمع ملك الترك في ذلك الوقت ويعرف بشهاب الدولة هرون بن سليمان ويقال
له بقراخان في ملك بخارى قاعدة الدولة السامانية فقصد بلاد بني سامان واستولى
عليها شيئاً فشيئاً حتى قرب من مدينة بخارى فخرج اليه جيش السامانية فانهمزم امامه
وقتل قائد الجيش ودخل بقراخان مدينة بخارى واستولى عليها وهرب الامير نوح
ابن منصور الساماني منها . ولكن لم يطل بقراخان الاقامة في بخارى لمرض اصابه
من عفونة الارض ورطوبة الهواء فرجع الى كاشغر وتوفي في طريقه وذلك سنة
٣٨٣ هـ ورجع الامير نوح الى بخارى كما مر ذكر ذلك (راجع فصل ١٤٤)

٢٦٩ - ايلك خان سليمان

من سنة ٣٨٣ - ٤٠٣ هـ او من سنة ٩٩٣ - ١٠١٢ م

لما توفي بقراخان في طريقه الى كاشغر تولى الامر بعده اخوه ايلك خان ولما
استولى محمود بن سبكتكين على خراسان من أيدي السامانية وانحصروا هم في

ما وراء النهر واتفق محمود وفائق وبكتوزون على قصد بخارى فجمعوا جيوشهم وساروا قاصديها فاتفق ان مات فائق في الطريق فانفض جمعهم لانه كان المشار اليه بينهم فلما علم ايلك خان ملك الترك بعود عساكرهم عن قصد بخارى طمع هو في الاستيلاء عليها فسار في سنة ٣٨٩ هـ في جمع من الاتراك الى بخارى مظهراً الانتصار لعبد الملك بن نوح الساماني صاحب بخارى فظنه صادقاً ولم يحترس منه وخرج اليه القواد وأعيان الدولة من بخارى لاستقباله فقبض عليهم ودخل بخارى بغير قتال في ١٢ ذي القعدة سنة ٣٨٩ هـ فاخفى عبد الملك بن نوح وبث ايلك خان عليه العيون حتى ظفوه به وسجنه فمات مسجوناً واقترض بموته ملك الدولة السامانية كما تقدم ذكر ذلك (راجع فصل ١٤٥)

واستولى ايلك خان على ما وراء النهر وقبض على بني سامان أخوة عبد الملك ابن نوح واقاربهم واودعهم السجن ولكن تجايل اسمعيل بن نوح اخو عبد الملك وخرج من السجن في زبي امرأة كانت تتردد عليه ولحق باصحاب ابيه بخوارزم وذلك سنة ٣٩٠ هـ فاجتمع اليه قواده وبايعوه ولقبوه المستنصر فكثرت جمعة وقوي جانبهم فقصد بخارى لاسترجاعها وكان ايلك خان قد عاد الى تركستان بعد ان استخاف على بخارى أخاه جعفر تكين في قلة من العسكر لضبط المدينة فقصدهم اسمعيل وقتلهم وهزمهم واجلاهم عن بخارى واستولى عليها وفر المنهزمون من الترك الى حدود سمرقند واسمعيل يتعقبهم فالتقوا بجيش جرار من الترك وضعهم ايلك خان لحفظ سمرقند فانضاف اليهم المنهزمون وخاربوا اسمعيل المستنصر فهزموا ايضاً وغنم سوادهم ثم عاد الى بخارى وقد صالحت احواله فاستبشر الناس بعود السامانية . أما ايلك خان لما علم بما كان جمع جيوشه وتقدم الى ما وراء النهر فالتقاء اسمعيل وهزمه ايضاً فاغتاظ ايلك خان لهذه الهزيمة المتوالية وجمع جنداً كثيراً واعاد الكرة والتقى هو واسمعيل بنواحي اسروشنة فاقتلوا وانهزم اسمعيل شر هزيمة وعبر النهر الى نواحي الجوزجان ومنها سار الى مرو فبعث محمود بن سبكتكين العساكر في اثره من جهة وقابوس بن شمكير صاحب

جرجان من جهة اخرى فحام عن لقاء هذه العساكر وعاد الى ما وراء النهر وقد
ضجر اصحابه ونزل بجي من العرب فامهلوه حتى كان الليل فقتلوه واستقرت بخارى
في ملك ايلك خان فاستعمل عليها اخاه جعفر تكين . ثم اصطلح ايلك خان
والسلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي الذي كان استولى على خراسان من يد
السامانية على ان يستقر كل منهما في عمله ولا يطمع احدهما في الآخر واتفقت
بينهما المصاهرة الا أن سعاة السوء لم يزالوا بهما حتى أفسدوا الحال بينهما فلما غزا
محمود ملتان سنة ٣٩٦ هـ أغتتم ايلك خان الفرصة في خراسان وبعث اليها جيشاً
بقيادة سبامي تكين واخيه جعفر تكين فسار الى بلخ وجيشاً آخر بقيادة ارسلان
الحاجب فسار الى غزنة . أما جيش سبامي فتقدم الى هرات وملكها وأقام هو بها
وتقدم جعفر تكين بباقي الجيش الى نيسابور فاستولى عليها ثم الى بلخ فملكها وأقام
بها . واتصل الخبر بمحمود بن سبكتكين وهو بالهند فاسرع بالعودة وجمع جنوده
وسار الى جعفر تكين ففارقها الى ترمذ وارسل محمود جيشاً الى سبامي بهرات
ففارقها الى مرو وما زال جيش محمود منتصراً على الترك حتى أجلاهم عن جميع
خراسان فاستمد ايلك خان بملك الخنل فامده بجيش جرار فتقدم به ونزل قبالة
عساكر محمود ثم اقتتلوا قتالاً شديداً حتى انهزم جيش ايلك خان وأتبعهم عساكر
محمود وأخذوا فيهم قتلاً وأسراً وذلك سنة ٣٩٧ هـ

وعزم ايلك خان أن يجهز جيشاً آخر ليأخذ بثأره من محمود فماجانه منيته قبل
أنتمام غرضه فتوفي سنة ٤٠٣ هـ

٢٧٠ طغان خان

من سنة ٤٠٣ - ٤٠٨ او من سنة ١٠١٢ - ١٠١٧ م

ولما توفي ايلك خان تولى الملك بعده اخوه طغان خان فراسل محمود بن
سبكتكين وصالحه وقال له « المصلحة للاسلام والمسلمين ان تشتغل انت بغزو الهند

واشتغل انا بغزو کفار الترك وأن يترك بعضنا بعضاً » فأجابه محمود الى ما طالب وتم الاتفاق والصالح بينهما على هذه القاعدة
ومرض طغان مرضاً شديداً حتى طمع ترك الصين في بلاده فجمعوا جيشاً عظيماً وهاجموا بلاده واستولوا على بعضها فلما بلغه خبرهم وهو مريض طلب من الحق سبحانه وتعالى ان يشفيه ليحلي الكفار عن بلاده ثم يفعل به ما يريد فشفاه الله واستنصر المسلمين للجهاد في الكفار فاجتمع لديه جمع كثير . فلما علم الترك بشفائه وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فنعق بهم واثخن فيهم قتلاً واسراً حتى اوصلهم الى بلادهم ثم عاد الى بلاسغون عاصمة ملكه وكرسي عزه فلما وصلها عاوده المرض فمات في سنة ٤٠٨ هـ . وكان عادلاً دينياً يحب العلم وأهله

٢٧١ ارسله خاله وقدر خاله

من سنة ٤٠٨ - ٤٢٣ هـ او من سنة ١٠١٢ - ١٠٣١ م

لما مات طغان خان تولى بعده اخوه ارسلان خان فخالف عليه لاول ولايته قدرخان يوسف بن بغراخان (وقدرخان هذا كان عاملاً لطغان خان على سمرقند امره بعد موت طغان واستولى على بخارى) وكاتب محمود بن سبكتكين يستنجد به على ارسلان خان فأمدّه بجيش عظيم وأخيراً خاف محمود من قدرخان فسحب جنوده التي أمدّه بها فاغتنظ قدرخان واصطالح مع ارسلان خان واتفقا على غزو بلاد محمود بن سبكتكين واقتسامها فسارا الى بلخ واتصل الخبر بمحمود فارسل اليهما العساكر وهزمهما فلما لم يجد قدرخان وارسلان خان سبيلاً الى الاستيلاء على بلاد محمود عادا من حيث اتيا . ويظهر ان ارسلان خان كان ضعيف الرأي فاستولى قدرخان على الدولة وصار صاحب الامر والنهي فيها وما زال الحال كذلك الى ان توفي سنة ٤٢٣ هـ

٢٧٢ - بقراخان بن قدر خان

من سنة ٤٢٣ - ٤٣٩ هـ او من سنة ١٠٣١ - ١٠٤٧ م

بعد موت قدرخان اقتسم ولداه ارسلان خان وبقراخان المملكة فكان نصيب ارسلان خان كاشغر وختن وبلاسنون وكان نصيب بقراخان طر زواسيجاب وكان ارسلان خان حسن السيرة ديناً مكرماً لا يشرب الخمر فاكتفى بنصيبه ولكن بقراخان كان يطمع في الاستيلاء على بلاد اخيه فاغار على حدوده حتى انزعم ارسلان خان ان يجند الجنود لمحاربة اخيه فحارب به وهزمه وكاد يستولي على بلاداه الا انه انهزم اخيراً ووقع اسيراً بين يدي اخيه بقراخان فاودعه السجن واستولى على جميع تركستان التي كانت لهم في ذلك الوقت

ولما استتب الامر لبقراخان بايع بولاية العهد من بعده لابنه حسين جعفر تكين فاغتاظت امرأة لبقراخان له منها ولد صغير وكانت تطمع في ان يجعله ولي عهده فلما خاب ظنها عمدت اليه فسمته فمات هو وعدة من اهله وخنقت اخاه ارسلان خان بن قدرخان وقتلت وجوه اصحابه وذلك سنة ٤٣٩ هـ

٢٧٣ - طغرل خان بن قدر خان

من سنة ٤٣٩ - ٤٥٥ هـ او من سنة ١٠٤٧ - ١٠٦٣ م

لما سم بقراخان ارادت امراته التي سمته ان تولي ابنها بعده فلم يتيسر لها ذلك واختلف اولاده فيما بينهم حتى كاد الملك يخرج عن يدهم فقام طغرل خان بن قدرخان وقبض على اولاد اخيه بقراخان واعاقهم واستولى على الملك واستمر كذلك حتى توفي سنة ٤٥٥ هـ

٢٧٤ - طغرل تكين بن طغرل هاه

من سنة ٤٥٥ - ٤٩٦ هـ او من سنة ١٠٦٣ - ١١٠٢ م

لما توفي طغرل خان تولى بعده ابنه طغرل تكين خان وقام عليه لاول ولايته هرون بن طفقاج خان (من عائلة تركية صينية خرجت قريباً من بلاد الصين فاستولت على كثير من بلاد الدولة الايليكية) واراد ان يستولي على مافي يده فانهمزم هرون امام طغرل تكين وعاد خائباً . وفي ايام طغرل تكين هذا قدم الملك سنجر السلاجوقي واستولى على تركستان فصارت جزءاً من المملكة السلاجوقية

وفي سنة ٤٩٦ هـ توفي طغرل تكين بن طغرل خان وبموته انقرضت الدولة الايليكية وظهرت في تركستان دول تركية صغيرة لا يهمننا استيفاء اخبارها خصوصاً لعدم وجود تواريج يوثق بها تذكر هذه الدول وغاية مافي الامر ان يأتي ذكر احد ملوك الترك في بعض اخبار الدول الاخرى كالسلاجوقية وغيرها فيقال مثلاً في سنة كذا خالف قدرخان (مثلاً) صاحب سمرقند على الملك سنجر وينقطع ذكر هذا الملك بالمرّة فلذا اغضينا النظر عنها

وزيادة على ذلك فان الدولة الايليكية المتقدم ذكرها لم تذكر في التواريج العربية بطريقة يوثق بصحتها فاخصرت منها ما تقدم مع بعض اختلاف افتكرت انه يكون اقرب الى الصواب من غيره . والله ولي الامر وعليه الاتكال

٢٧٥ - دولة المرابطين او الملتيمين بمراكش

(تمهيد) هذه الدولة من قبيلة صنهاجة احدى قبائل البرانس وزعم بعض النسابين من العرب ان صنهاجة وكتامة من حمير خلفهم الملك افر يقيش بالمغرب فاستحالت لغتهم الى البربرية والصحيح غير ذلك وانهم من كنعان بن حام بن نوح كسائر البربر . ومن قبيلة صنهاجة قامت دولتان عظيمتان احدهما دولة بني

زيري بن مناد وقد تقدم ذكرها تحت اسم الدولة الصنهاجية والاخرى دولة
المثميين بالمغرب الاقصى والابوسط والاندلس كما سيأتي وهي هذه الدولة التي سنتكلم
عنها الآن بمشيئة الله

موطن هؤلاء المثميين ارض الصحراء فيما بين بلاد البربر والسودان واصحابهم
قوم لا يعرفون حرثاً ولا زرعاً وانما اموالهم الانعام وعيشهم اللحم واللبن يقسم
أحدهم عمره لا يأكل خبزاً الا ان ير بيلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق
وقيل لهم المثلثون لانهم يثلثون ولا يكشفون وجوههم اصلاً وذلك سنة لهم
يتوارثونها خلفاً عن سلف . وقيل في اسباب هذا اللثام اقوال كثيرة فمن ذلك
ان الذين يلحقون نسبهم بحمير يقولون ان حمير كانت تثلث لشدة الحر والبرد حتى
صار اللثام عادة لا تنفك عنهم . وقيل في سبب اللثام ان قوماً من اعدائهم كانوا
يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي يأخذون المال والحريم
فأشار عليهم بعض مشائخهم ان يبعثوا النساء في زي الرجال الى ناحية ويقعدون
هم (الرجال) في البيوت متلثمين في زي النساء فاذا اتاهم العدو وظنهم نساء
خرجوا عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركاً به وقيل
غير ذلك والله اعلم

وكان دين صنهاجة اهل اللثام المجوسية شأن برابرة المغرب ولم يزالوا مستقرين
بتلك المجالات الصحراوية حتى اسلموا بعد فتح الاندلس وكانت الرياسة فيهم
للمتونة وكان لهم ملك ضخم ودوخوا البلاد الصحراوية وجاهدوا من بها من أمم
السودان وحملوهم على الاسلام فدان به كثير منهم واتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها
منهم ثم افترق امرهم من بعد ذلك وصار ملكهم طوائف ور ياستهم شيعاً واستمروا
على ذلك مائة وعشرين سنة

٢٧٦ - محمد بن تيفاف

من سنة ٤٠٠ - ٤٠٣ هـ او من سنة ١٠٠٩ - ١٠١٢ م
ثم قام فيهم الامير محمد بن تيفاف المعروف بتاسرت اللمتوني فاجتمعوا عليه
واحبه وباعوه وكان من اهل الفضل والدين والجهاد فلبث فيهم ثلاث سنين
ثم استشهد في بعض غزواته

٢٧٧ - يحيى بن ابراهيم الكدالي

من سنة ٤٠٣ - ٤٣٤ هـ او من سنة ١٠١٢ - ١٠٣٤ م

لما توفي ابو عبد الله محمد بن تيفاف قام بامر صنهاجة من بعده يحيى بن
ابراهيم الكدالي واسمعه على رياستهم وحرهم لاعدائهم الى ان كانت سنة ٤٢٧ هـ
فاستخلف على صنهاجة ابنه ابراهيم بن يحيى وارتحل الى المشرق برسم الحج فلما
قضى حجه وزيارته قفل الى بلاده فمر في عوده بالقيروان فلقى بها الشيخ الفقيه ابا
عمران الغاسي وحضر مجلس درسه وتأثر بوعظه فراه الشيخ ابو عمران محباً في
الخير فأعجبه حاله وسأله عن اسمه ونسبه وبلده فأخبره بذلك كله واعلمه بسعة
بلاده وما فيها من كثرة الخلق وكيف غلب فيهم الجهل . فسأله الشيخ عن
فروض دينه فلم يجده يعرف منها شيئاً ووجد فيه اشتياقاً عظيماً لتعلم تلك الفرائض
فقال له الشيخ :

« وما يمنعك من تعلم العلم » فقال له « يا سيدي عدم وجود عالم بإرضي
وليس في بلادي من يقرأ القرآن فضلاً عن العلم ومع ذلك فاهل ارضي يحبون
الخير ويرغبون فيه لو وجدوا من يقرئهم القرآن ويدرس لهم العلم ويقمهم في
دينهم ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الاسلام فان رغبت في الثواب من الله
لبعثت معي بعض طلبك يقرئهم القرآن ويقمهم في الدين فينتفعون به ويكون لك
وله الاجر العظيم عند الله تعالى اذ كنت سبب هدايتهم »

فاعطاه الشيخ ابو عمران كتاباً الى الفقيه وأجاج بن زلوا بمدينة نفيس ليعيـث معه أحد طلبته لرفض طلبه الشيخ ابي عمران من الذهاب معه

فأخذ يحيى بن ابراهيم كتاب الشيخ ابي عمران وذهب الى مدينة نفيس والتقى بالفقيه واجاج فانتدب معه أحد طلبته المدعو عبد الله بن ياسين الجزولي وكان من حذاق الطلبة ومن اهل الفضل والدين والورع . فخرج مع يحيى بن ابراهيم الى الصحراء . فتلقاهما قبائل كدالة وملتونة وفرحوا باميرهم وتبعنوا بالفقيه وبالغوا في اكرامه . ثم شرع يعلمهم القرآن ويقيم لهم رسم الدين . ولما كانت قبائل البربر لجهلهم قد اعتادوا عوائد مخالفة كل مخالفة لروح القرآن ابتداء ان ينهـم عن تلك العوائد فلقى منهم اذناً صماء ورفضوا تعاليم القرآن رفضاً باتاً لكي لا يخلعوا تلك العوائد التي انغرسـت في اذهانهم . فلما رأى عبد الله بن ياسين اعراضهم عنه واتباعهم لاهوائهم عزم على الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا في دين الاسلام يومئذ فلم يتركه يحيى بن ابراهيم لذلك وقال له :

« انما أتيت بك لانتفع بعلمك في خاصة نفسي وما عليّ فيمن ضل من قومي » ثم أشار عليه ان يعتزل العالم وان يذهب الى جزيرة قريية هناك ليتعبدا فيها فوافق عبد الله بن ياسين على ذلك وذهب هو ويحيى بن ابراهيم ومعهما سبعة نفر من كدالة الى تلك الجزيرة وابتنى فيها عبد الله بن ياسين رابطة (منها لقب مرابطين) هناك وأقام في اصحابه يعبدون الله مدة ثلاثة اشهر فتسامع الناس بهم وانهم اعزلوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثرت الواردون عليهم والتوابون لديهم فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستعملهم الى الخير ويرغبهم في ثواب الله ويحذرهم الم عاقبه حتي تمكن حبه من قلوبهم فلم تمر عليه الا مدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو الف رجل من اشراف صنـجة فسماهم المرابطين لازومهم رابطة

ولما أنس منهم التتوي نديهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنـجة وقال لهم « معشر المرابطين انكم اليوم جمع كثير نحو الف رجل وان يغلب اف من قلة

وانتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد اصلحكم الله وهداكم الى صراطه المستقيم فوجب عليكم ان تشكروا نعمته عليكم بان تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في الله حق جهاده »

فقالوا له « أيها الشيخ المبارك مرنا بما شئت تجدنا سامعين لك مطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا » فأمرهم بارشاد عشائركم وارجاعهم عن غيهم . فوعظهم فلم يتعظوا وزجروهم فلم يزدجروا فخرج اليهم عبد الله بن ياسين بنفسه ووعظهم وحذرهم فلم يسمعوا له كلاماً . فلما يئس منهم أمر اصحابه بجهادهم فبدأ اولاً بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة الاف رجل من المرابطين فانهمزموا بين يديه وقتل منهم خلقاً كثيراً واسلم الباقون اسلاماً جديداً وحسنت حالهم ثم سار الى قبيلة لمتونة فنزل عليها وقتلهم حتى انتصر عليهم واذعنوا الى الطاعة وبايعوه على اقامة الكتاب والسنة ثم سار الى قبيلة مسوفة فقاتلهم حتى اذعنوا له وبايعوه على ما بايعته لمتونة وكدالة فلما رأى ذلك سائر صنهاجة سارعوا الى التوبة والمبايعة وأقروا له بالسمع والطاعة .

فلما قوي أمر عبد الله بن ياسين اخذ في شراء السلاح وتجنيد الجنود لغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء وذلها وطار صيته في جميع بلاد المغرب ثم توفي يحيى بن ابراهيم أمير صنهاجة على اثر ذلك سنة ٤٣٤ هـ

٢٧٨ - يحيى بن عمر المهنوني

من سنة ٤٣٤ - ٤٤٧ هـ او من سنة ١٠٤٢ - ١٠٥٥ م

لما توفي يحيى بن ابراهيم عزم عبد الله بن ياسين على تقديم رجل يقوم بامر المرابطين في حربهم وجهادهم لعدوهم . وكانت قبيلة لمتونة من بين صنهاجة اكثر تدنياً فكان عبد الله بن ياسين بكرمهم وبقدمهم على غيرهم فاختر منهم ابا زكريا يحيى بن عمر وولاه امر صنهاجة بعد يحيى بن ابراهيم . وكان عبد الله بن ياسين هو الامير في الحقيقة

صاحب الامر والنهي فاطاعه يحيى بن عمر طاعة عمياء وبذا استقام له الامر بجميع بلاد الصحراء .

وفي سنة ٤٤٧ هـ كان قد انتشر ذكر عبد الله بن ياسين واصحابه المرابطين في المغرب الاقصى فاجتمع فقهاء سجلماسة ودرعة وكتبوا الى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر واشياخ المرابطين كتاباً يرغبون اليهم في الوصول الى بلادهم ليظهروها مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف من الامراء .

فلما وصل الكتاب الى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأ عليهم واستشارهم فيما يجب به ففوضوا امر ذلك الى فطنته واظهروا اذعانهم وطاعتهم باوامره . فدعاهم بالخير وحضهم على الجهاد وخرج بهم في ٢٠ صفر سنة ٤٤٧ هـ في جيش كثيف من المرابطين فسار حتى وصل الى بلاد درعة فطرد منها عامل مسعود بن والنودين الخزر وفي واستولى عليها . واتصل خبر تقدمه بمسعود فجمع جيوشه وسار لقتاله فانتهى الجمعان بين درعة وسجلماسة فاقتتلوا قتالاً شديداً وقتل مسعود وانهزم جمعه واستولى عبد الله بن ياسين على سجلماسة واصلح شأنها وغير ما وجد بها من المنكرات وقطع الزامير وآلة اللهو واحرق الدور التي تباع فيها الخمر وازال المكوس واسقط المغارم الخزنية ومحا ما موجب الكتاب والسنة محوه واستعمل على سجلماسة عاملاً من لثونة وعاد الى الصحراء . وفي هذه السنة (٤٤٧ هـ) توفي الامير ابو زكريا يحيى بن عمر في بعض غزواته ببلاد السودان .

٢٧٩ - ابو بكر بن عمر اللواتني

من سنة ٤٤٧ - ٤٥٣ هـ او من سنة ١٠٥٥ - ١٠٦١ م

لما توفي الامير يحيى بن عمر ولي عبد الله بن ياسين مكانه اخاه ابا بكر بن عمر . وفي سنة ٤٤٨ هـ ندب عبد الله بن ياسين المرابطين لفتح بلاد السوس فزحف ابو بكر بن عمر اليها في جيش كثيف جعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين فغزا جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة فقاتلهم عبد الله بن ياسين حتى قبلوا مذهب السنة والجماعة

ثم ارتحل عبد الله بن ياسين الى بلاد المصامدة ففتحها بالسيف واستولى عليها قوةً واقتداراً ثم تقدم الى بلاد قبائل برغواطة واستولى عليها وأزال منها الكفر . وتوفي عبد الله بن ياسين مهدي المرابطين اثر جراح اصابته في قتال قبائل برغواطة هذه سنة ٤٥١ هـ

فاستمر الامير أبو بكر على رياسته وجددت له البيعة بعد وفاة عبد الله بن ياسين وعاد بعد ان اخضع قبائل برغواطة الى مدينة اغمات فاقام بها الى صفر سنة ٤٥٢ هـ وفيها خرج غازياً بلاد المغرب في أمم لا تحصى من صنهاجة وجزولة والمصامدة ففتح بلاد فزاز وسائر بلاد زناتة وفتح مدائن مكناسة ثم نزل على مدينة لواتة فحاصرها وافتتحها عنوة وخر بها فلم تعمر بعد الى الآن وكان تخريبه اياها في آخر يوم من ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم رجع الى مدينة اغمات وفي سنة ٤٥٢ هـ بلغ ابا بكر بن عمر ان قد وقع الخلاف بالصحراء فزار اليها لاصلاح احوالها واستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ولما اصاح ابو بكر بن عمر احوال الصحراء وقتل المفسدين سمع بعظم شأن ابن عمه يوسف بن تاشفين بالمغرب فخافه واراد عزله فتقدم اليه لهذا الغرض . وكان ليوسف بن تاشفين زوجة تدعى زينب بنت اسحق النفزاوية (وكانت امرأة ابي بكر بن عمر من قبله) وكانت بارعة الجمال مع علم وسياسة ف اشارت عليه كيف يستقبل ابن عمه ابا بكر بن عمر فعمل بمشورتها فتنازل له ابو بكر بن عمر عن الرياسة وعاد الى الصحراء يجاهد كفار السودان الى ان استشهد من سهم مسموم اصابه في شعبان سنة ٤٨٠ هـ .

٢٨٠ — امير المسلمين يوسف بن تاشفين

من سنة ٤٥٣ — ٥٠٠ هـ او من سنة ١٠٦١ — ١١٠٦ م

لما عزم الامير ابو بكر بن عمر على السفر الى بلاد الصحراء دعا ابن عمه

يوسف بن تاشفين بن ابراهيم الممتوني فعقد له على بلاد المغرب وفوض اليه امره وامره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة وبني يفرن وسائر زناتة البربر وبايعه اشياخ المرابطين لما يعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدته . فعاد يوسف الى سبلماسة بنصف جيش المرابطين بعد ارتحال ابي بكر بالنصف الاخر وذلك في ذي القعدة سنة ٤٥٣ هـ فنقدم بهم لقتال من بالمغرب من مغراوة وبني يفرن وسائر قبائل البربر القايين به فنقري المغرب بلدًا بلدًا وتبع اهله قبيلة قبيلة فقوم يقاتلونه ثم يظفروهم وقوم يفرون بين يديه وقوم يلقون السلم ويبدلون الطاعة حتى دوح بلاد المغرب ثم سار حتى دخل مدينة اغمات ولما استقر بها تزوج زينب بنت اسحق النفاوية التي كانت تحت ابي بكر بن عمر فكانت عنوان سعمه والقائمة بملكه والمديرة لامره والقائمة عليه لحسن سياستها لاكثر بلاد المغرب ومن ذلك اشارتها عليه في امر ابي بكر وكيفية ملاقاته حتى ثبتت لزوجها ملك المغرب بحسن تديرها

وفي سنة ٤٥٤ هـ كان امر يوسف بن تاشفين قد استفحل بالمغرب جدًا ورسخت قدمه في الملك وعظم صيته فسمت همته الى بناء مدينة يأوى اليها بحشمه وجنده وتكون حصنًا له ولارباب دولته فاشتري موضع مدينة مراكش وبنهاها . ومعنى لفظه مراكش (امش مسرعًا) واصلاها بريرية وقيل لها ذلك لانها كانت مسكنًا للصوم

وفي سنة ٤٥٤ هـ المذكورة جمع يوسف بن تاشفين جيشًا كثيرًا قبل بلغ اكثر من مائة الف وقصد مدينة فاس فقاتله قبائل زناتة قتالًا شديدًا انهزموا في اخره وانحصروا بمدينة صدينة فدخلها عليهم بالسيف عنوة ثم زحل الى فاس فنازلها بعد ان فتح جميع احوازها فحاصرها حتى فتحها وهو الفتح الاول وذلك سنة ٤٥٥ هـ فاقام بها ايامًا واستعمل عليها عاملا من لمتونة وخرج الى بلاد غمارة ففتح الكثير منها حتى اشرف على طنجة وبها يومئذ الحاجب سكوت البرغواطي من موالي بني حمود ثم رجع الى منازل قلعة فزاز فخالفه بنو معنصر بن حماد

المغراوي الى فاس فدخلوها وقتلوا عامل يوسف الذي كان بها . واتصل الخبر
 يوسف بن تاشفين فسير العساكر لقتالهم فتوالت عساكر المرابطين علي تميم بن
 معنصر المغراوي صاحب فاس بالغارات والنهب واشتد عليه الحصار حتى قات
 الاقوات بفاس . فلما رأى ما نزل به من المرابطين جمع مغراوة وبني يفرن
 وخرج اليهم لاحدى الراحتين فدارت عليه الدائرة فقتل تميم وجماة من عشيرته
 في تلك الوقعة وتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن
 موسى بن ابي العافية المكناسي فجمع قبائل زناتة وخرج بهم الى المرابطين وبعد
 وقائع كثيرة انتصر عليهم وازاحهم عن فاس

وكان الامير يوسف بن تاشفين في ذلك الوقت محاصراً لقلعة فازاز فاتاه
 الخبر بانهزام عساكره أمام الزناتيين فارتحل عن قلعة فازاز بعد ان ترك بها
 جيشاً من المرابطين لحصارها فاقاموا عليها تسع سنين ثم دخلوها صلحاً
 سنة ٤٦٥ هـ .

ولما ارتحل يوسف بن تاشفين عن قلعة فازاز وذلك سنة ٤٥٦ هـ سار الى
 بني مراسن واميرهم يومثد يعلي بن يوسف فغزاهم وفتح بلادهم ثم سار الى
 بلاد فندلاوة فغزاهها وفتح جميع تلك الجهات ثم سار منها الى بلاد ورغة ففتحها
 وذلك في سنة ٤٥٨ هـ . وفي سنة ٤٦٠ هـ فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف
 الى طنجة . وفي سنة ٤٦٢ هـ اقبل الى فاس فقتل عليها بجميع جيوشه وشدد
 الحصار عليها حتى دخلها عنوة بالسيف فقتل بها من مغراوة وبني يفرن ومكناسة خلقاً
 كثيراً وهذا هو الفتح الثاني لمدينة فاس . فتم لبوسف بن تاشفين في هذه المرة
 فتح جميع بلاد المغرب الاقصى ما عدى سبتة وطنجة . ثم ظاف بجميع بلاد
 المغرب الاقصى يتفقد احواله وينظر في سيرة ولاته وعماله حتى اصاح الكثير من
 امور الناس وارجع الناس عن كثير من غيهم

وكانت سبتة وطنجة لبني حمود الادريسين الذين استولوا على الاندلس
 عقب انقراض الدولة الاموية فيها . فاستنابوا على سبتة وطنجة من وثقوا به من

مواليهم الصقالبة . ولم يزل أمر المدينتين الى نظر هؤلاء النواب واحد بعد واحد الى ان اسنقل بهما الحاجب سكوت البرغواطي فاستمر عاملاً على المدينتين حتى اتصلت أيام ولايته بدولة امير المسلمين يوسف بن تاشفين . فدعا الحاجب سكوت الى مظهرته على غمارة فهم باطاعة أو امره فنهاه ابنه عن ذلك فسكت . فلما فرغ يوسف بن تاشفين من امر المغرب صرف عزمه الى الحاجب سكوت . وكان المعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية بالاندلس قد كتب الى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز يرسم الجهاد ونصر البلاد فاعتذر له يوسف بعدم تمكنه مبارحة المغرب حتى ينتهي من أمر الحاجب سكوت . فراجع ابن عباد يشير عليه بان يسير هو الى سبتة بمساكره في البر فينازلها ويبعث ابن عباد اساطيله في البحر فينازلونها ايضاً حتى يمتلكها فعزم يوسف على انفاذ هذا الرأي

وفي سنة ٤٧٠ هـ جهز يوسف بن تاشفين جيشاً مؤلفاً من ٤٢ الف مقاتل بقيادة صالح بن عمران وسيرهم الى طنجة فلما قربوا منها برز اليهم الحاجب سكوت وقد أقسم ان لا يرجع حتى ينتصر او يموت وكان سكوت شيخاً يناهز التسعين . فالتقى الجمعان بظاهر طنجة فانهمزم سكوت وقتل في المعركة ونشبت جوعه وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها واستولوا عليها . ولحق ضياء الدولة يحيى بن سكوت بسبتة واعتصم بها

وفي سنة ٤٧٢ هـ بعث الامير يوسف بن تاشفين جيشاً بقيادة مرزلي بن تليكان اللامتوني لغزو المغرب الاوسط فسار الى تلمسان وبها العباس بن بختي من ولد يولي بن محمد المفاوي فدخلوا المغرب الاوسط وظفروا بيولي بن الامير العباس فقتلوه ثم كروا راجعين الى يوسف بن تاشفين بمراكش .

وفي سنة ٤٧٥ هـ ورد كتاب المعتمد بن عباد الى الامير يوسف بن تاشفين يعلمه بحال بلاد الاندلس وما آل اليه أمرها من تغلب الافرنج على اكثر ثغورها ويسأله النصر والاعانة فاجابه يوسف بقوله « اذا فتح الله علي سبتة اتصلت بكم وبذلت جهدي في جهاد العدو »

وكان الفونس السادس ملك أراغون قد تحرك في هذه السنة في جيوش لا تحصى واستولى على أغلب بلاد الاندلس مدينة مدينة فنزل على أشبيلية فأقام عليها ثلاثة أيام فافسد وخرب كل ما حولها وكذلك فعل في شدونة واحوازا وخرب بشرق الاندلس قرى كثيرة ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف فادخل قوائم فرسه في البحر وقال « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته » ثم رجع الى مدينة سرقسطة فنزل عليها وحاصرها وحلف ان لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت دونها وأراد ان يقدمها بالفتح عن غيرها فبذل له أميرها المستعين بن هود مالاً عظيماً فلم يقبله منه وقال المال والبلاد لي وبعث الى كل قاعدة من قواعد الاندلس جيشاً لحصارها والتضييق عليها ثم ملك مدينة طليطلة من يد صاحبها القادر بن ذي النون سنة ٤٧٧ هـ . فلما بلغ ضعف المسلمين بالاندلس هذا الحد من عدم مقدرتهم مقاومة اعدائهم اجتمع رأيهم على مكاتبة الامير يوسف بن تاشفين يستنجدونه على عدوهم فكانت اهل الاندلس كافة من الخاصة والعامة يستصرخونه في تنفيس العدو عن مخنفهم على ان يكونوا معه يداً واحدة . فلما تواترت كتبهم ورسائلهم عليه بعث ابنه المعز بن يوسف في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة الجاز فجازها براً وأحاطت بها أساطيل ابن عباد بجزراً فاقتحموها عنوة في ربيع الآخر سنة ٤٧٧ هـ وقبض على صاحبها ضياء الدولة يحيى بن سكوت وجيء به الى المعز أسيراً فقتله صبراً وبعث بكتاب الفتح الى أبيه وهو بغاس ينظر في امر الجهاد ويستعدله ففرح يوسف بفتح سبتة وخرج من حينه قاصداً نحوها ليعبر منها الى الاندلس . ولما سمع المعتمد بن عباد بفتح سبتة ركب البحر الى المغرب لاستنفار يوسف الى الجهاد فلقيه مقبلاً ببلاد طنجة بموضع يعرف ببلطة فاخبره بحال الاندلس وما هي عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب وما يلقاه المسلمون من عدوهم من القتل والاسر فأمره يوسف بن تاشفين ان يرجع الى الاندلس ويستعد بمن عنده حتى يلحقه . وجمع يوسف بن تاشفين جمعاً كثيراً من المسلمين وأجازهم البحر واتخذ الجزيرة الخضراء قاعدة لاعماله . ولما تكاملت جنوده بساحل الجزيرة الخضراء

عبر هو في أثرها في موكب عظيم من قواد المرابطين وانجادهم وصلحائهم فوصل الى الجزيرة الخضراء منتصف ربيع الاول سنة ٤٧٩ هـ .
 وكان في انتظاره المعتمد بن عباد صاحب شبيلية وابن الافطس صاحب بطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس . واتصل الخبير بالفونس السادس ملك اراغون وهو في ذلك الوقت يحاصر سرقسطة فارتحل عنها وقصد يوسف بن تاشفين بعد ان استمد أمراء الاندلس فأمدوه بجموع لا تحصى وسار اليه يوسف بن تاشفين ايضاً فالتقى الجمعان بالقرب من بطليوس وكان نزول يوسف بن تاشفين بموضع يعرف بالزلاقة (واليه تنسب هذه الغزوة الشهيرة)

ونزل المعتمد بن عباد بموضع آخر يحجز بينه وبين يوسف ربوة وبين المسلمين والافرنج نهر بطليوس يشرب منه الجميع . فلما تكاملت جيوش الفونس امرهم بالهجوم على المعتمد بن عباد بعد ان حثهم قائلاً « ان ابن عباد مسعر هذه الحروب وهو لاء الصحراويون (يقصد المرابطين) وان كانوا اهل جفاظ وذوي بصائر في الحرب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم امر الصحراويين بعده ولا اراه (اعني ابن عباد) يصبر لكم ان صدقتموه القتال »

فاتت جواسيس ابن عباد واخبرته الحقيقة فاستمد يوسف بن تاشفين لكنه لم يصله مدده حتى كانت غشيته جنود الفونس واحاطت به من كل جهة فهاجت الحرب وحمي الوطيس واستمر القتال في اصحاب ابن عباد فصبر صبراً لم يهد مثله وكاد يتلاشى جيشه لولا ان وافته جنود يوسف بن تاشفين واول من وصل من قواده داود بن عائشة وكان بطلاً شهماً فنفس بجيشه كرهته ثم وصل يوسف بن تاشفين بعد ذلك وطبوله قد ملئت أصواتها الجؤ فلما ابصره الفونس وجه حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم يوسف فصددهم صدمة ردتهم الى مركزهم وصبر الفريقان صبراً عظيماً وبعد قتال تشيب لهوله الولدان انهزم الفونس هزيمة شماء واصابته طعنة في احدى ركبتيه بقي يتجمع بها بقية عمره . وهرب الفونس

وجيوشه وسيوف المسلمين تصفعهم والرماح تطعنهم حتى لحقوا بربوة لجاو اليبا واعتصموا بها واحدقت بهم الخيل فلما كان الليل انساب الفونس واصحابه من الربوة واقلتوا من بعد ما نشبت فيهم اظافر المنية . واستولى المسلمون على ما كان في محلهم من الاثاث والانية والاسلحة وغير ذلك

وعظم شأن يوسف بن تاشفين بهذا الانتصار المبين فقلقب في ذلك اليوم بامير المسلمين واتاه تقليد الخليفة المقتدي بامر الله العباسي على ما فتحه ولقبه ناصر الدين ثم رجع يوسف بن تاشفين الى المغرب ظافراً منصوراً

وفي سنة ٤٨٤ هـ طمع امير المسلمين يوسف بن تاشفين في الاستيلاء على بلاد الاندلس لما تحققه من ضعف اهلها وعدم مقدرتهم حفظ انفسهم فسير جيشاً بقيادة سير بن ابي بكر فعبروا الخليج واتوا مدينة مرسية فملكوها واعمالها وخرجوا ابا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوها ثم قصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصره بها وضيقوا عليه فقاتل اهلها قتالاً شديداً وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلدة ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه ولكن لما كانت الكثرة تغلب الشجاعة واذا نفدت المدة لم تكن العدة انتصر المرابطون مراراً عليه فالتجأ الى الفونس ملك اراغون وكاتبه ليده بالمساكر ليحلي عنه المرابطين على أن تكون البلاد له فامده الفونس بجيش عظيم . ولما علم سير قائد المرابطين بقدوم الافرنج لنصرة ابن عباد انتخب من رجاله عشرة الاف من اهل الشجاعة والنجدة وسيرهم بقيادة ابراهيم بن اسحق اللمتوني وبعثهم للقاء الافرنج فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها الافرنج حتى لم يقات منهم الا القليل ثم شدد سير بن ابي بكر الحصار والتضييق على اشبيلية حتى اقتحمها عنوة وقبض على المعتمد وجماعة من اهل بيته وبعث بهم الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فسجن المعتمد باغمات واستمر في السجن الى ان مات سنة ٤٨٨ هـ .

ثم عمد سير الى بطليوس وقبض على صاحبها عمر بن الافطس وقتله هو

وابنيه يوم الاضحى سنة ٤٨٩ هـ ورثاهم ابن عبدون بقصيدته المشهورة التي يقول
في أولها

الدهر يفجع بعد العين بالآثر فما البكاء على الاشباح والصور
واستولى سير قائد يوسف بن تاشفين على جميع بلاد الاندلس ومحا منها
ملوك الطوائف ولم يبق منهم غير المستعين بن هود صاحب سرقسطة وكان قد
اعتصم بالافرنج

وفي سنة ٥٠٠ هـ توفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان حازماً ضابطاً
للأمور مؤثراً لاهل العلم والدين كثير المشورة وهو اعظم ملوك المرابطين بلا
مراء حتى جعله كثير من المؤرخين اول الدولة المرابطية لشهرته الفاتكة وعدم
اشتهار من سبقه



٢٨١ علي بن يوسف

من سنة ٥٠٠ — ٥٣٧ هـ او من سنة ١١٠٦ — ١١٤٢ م

لما توفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين قام بالامر بعده ابنه علي بن يوسف بعهد
منه اليه بذلك فبايعه جميع من حضر من لتونة برا كش وسائر قبائل صنهاجة وبايعه
الفقهاء واشياخ القبائل ولما تمت له البيعة برا كش كتب الى سائر بلاد المغرب والاندلس
يعلمهم بوفاة ابيه واستخلافه من بعده وبأمرهم بالبيعة فاتته البيعة من جميع البلاد واقبلت
نحوه الوفود للتعزية والتهنئة الا اهل مدينة فاس فان ابن اخيه يحيى بن أبي بكر بن
يوسف كان اميراً عليها من قبل جده يوسف فلما انتهى اليه الخبر بموت جده وولاية
عمه عظم عليه ذلك وأنف من مبايعة عمه فخرج عليه ووافقه على ذلك جماعة من قواد
لتونة فرحف عليه علي بن يوسف من مرا كش حتى اذا دنا من فاس خاف يحيى بن
أبي بكر على نفسه وعلم ان لا طاقة له بحرب عمه . فاسلم فاساً لعمه وخرج منها واسكنه
عمه معه برا كش ثم اتهمه بالتشغيب عليه فبعث به الى الجزيرة الخضراء فاستقر بها الى
ان مات

وفي سنة ٥٠٣ هـ جاز امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى الاندلس بقصد الجهاد فعبّر البحر من سبتة منتصف المحرم في جيوش عظيمة فانتهى الى قرطبة فأقام بها شهراً ثم خرج منها غازياً الى مدينة طلائوت ففتحها عنوة بالسيف وفتح حصوناً كثيرة حتى انتهى الى طليطلة فحاصرها ولم يتمكن من فتحها فقفل راجعاً الى قرطبة ومنها عاد الى المغرب الأقصى

وفي سنة ٥٠٤ هـ فتح الامير سير بن ابي بكر شنارين وبطايوس وبرنقال واشبونه وغير ذلك من بلاد غرب الاندلس وكتب بالفتح الى امير المسلمين

وفي سنة ٥٠٧ هـ توفي الامير سير بن ابي بكر بمدينة اشبيلية ودفن بها وولى اشبيلية عوضاً عنه ابو عبد الله محمد بن فاطمة فلم يزل عليها الى ان توفي سنة ٥١٠ هـ

وكانت سرقسطة من بلاد الاندلس تحت تسلط بني هود تغلبوا عليها في صدر المائة الخامسة ايام الطوائف وتوارثوها الى ان كان منهم احمد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله فزحف اليه ابن رودمير سنة ٥٠٣ هـ فخرج اليه المستعين فالتقوا بظاهر سرقسطة فانهزم المسلمون واستشهد المستعين احمد بن يوسف بن هود صاحب سرقسطة فتولى بعده ابنه عبد الملك بن المستعين الملقب بعماد الدولة .

فلما كانت سنة ٥١٢ هـ اتحد الفونس وابن رودمير على فتح سرقسطة فزحفا اليها وشددا الحصار عليها واتصل الخبر بامير المسلمين علي بن يوسف فكتب الى امراء غرب الاندلس يامرهم بالاتحاد مع اخيه تميم بن يوسف (الذي كان يومئذ والياً على شرق الاندلس) فيسيرون معه لاستنقاذ سرقسطة ولاردة فاطاعوا امره . وخرج تميم بن يوسف من بلنسية مع امراء الاندلس وقصد لاردة وقاتل الاسبانيين عليها قتالاً شديداً والنصر متبادل بين الطرفين حتى كل تميم ورجع الى بلنسية . فلما رجع شدد الفونس وابن رودمير الحصار على سرقسطة وافتجها قوةً واقتداراً سنة ٥١٢ هـ المذكورة

وفي سنة ٥١٣ هـ تقدم ابن رودمير الى شرق الاندلس وابتداء بفتح مدنه وحصونه حتى استولى على قلعة ابوب وهي من احصن قلاع الاندلس فانزعج امير المسلمين علي بن يوسف لهذه الاخبار وجاز الى الاندلس في السنة المذكورة وهو جوازه الثاني وقاتل الاسبانيين وانتصر عليهم في عدة مواقع واصلح احوال الاندلس ثم عاد منها سنة ٥١٥ هـ بعد ان استخلف عليها اخاه تميم بن يوسف

وفي سنة ٥٢٠ هـ توفي الامير تميم بن يوسف بن تاشفين فولى امير المسلمين علي

ابن يوسف مكانه على الاندلس ابنه تاشفين بن علي فكان حسن الجهاد
وفي سنة ٥٣٧ هـ توفي امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وذلك لسبع خلون
من رجب من السنة المذكورة وكان حليماً وقوراً صالحاً عادلاً . وفي ايامه ظهر محمد بن
تومرت المعروف بالمهدي بجبال المصامدة فكان ظهوره الضربة القاضية على دولة المرابطين
وسبباً لتأسيس دولة الموحدين كما سيأتي ذكره ان شاء الله

٢٨٢ - تاشفين بن علي

من سنة ٥٣٧ - ٥٣٩ هـ او من سنة ١١٤٢ - ١١٤٤ م

لما توفي امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين تولى بعده ابنه المعز تاشفين بعهد
منه اليه بذلك وكان امر عبد المؤمن بن علي خليفة محمد بن تومرت المهدي قد استفتح
بتينمل وسائر بلاد المصامدة اهل جبل درن وخرج للاستيلاء على المغرب الاقصى من
يد الدولة المرابطية فسار امير المسلمين تاشفين بن علي لقتاله فاقتلوا قتالاً شديداً انهزم
فيه المرابطون هزيمة شنعاء وتوالت الهزائم على تاشفين فلما علم بعدم مقدرته برد هجمات
الموحدين رحل الى وهران سنة ٥٣٩ هـ فتعقبه الموحدون اليها وقتلوه بها وذلك لسبع
وعشرين من رمضان سنة ٥٣٩ هـ

٢٨٣ - اسحق بن علي بن يوسف

من سنة ٥٣٩ - ٥٤١ هـ او من سنة ١١٤٤ - ١١٤٦ م

لما قتل امير المسلمين تاشفين بن علي قام بالامر بعده اخوه اسحق بن علي ولكن لم
يلبث طويلاً حتى داهمته جنود الموحدين وحاصرت مرا كش وهو بها سنة ٥٤٠ هـ
واستمر حصار مرا كش تسعة اشهر حتى جهد اهلها الجوع والخوف فخرجوا لقتال الموحدين
فانهزموا امامهم وافتتحوا عليهم المدينة في شوال سنة ٥٤١ هـ وقتل عامة الملتزمين ونجا
اسحق في خواصه الى القصبه حتى نزلوا على حكم الموحدين وأحضر اسحق بن علي بين
يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون وانجى اثر الملتزمين واستولى الموحدون على جميع بلاد

المغرب والله غالب على امره

٢٨٤ - الدولة المزيدية بالحلة

(تمهيد) كان بنو مزيد هؤلاء من بني أسد وكانت تحلاتهم من بغداد الى البصرة الى نجد وكان بينهم وبين بني ديبس من عشائهم وقائع وحروب اشتهر بسببها ابو الحسن علي بن مزيد لانتصاراته المتوالية على ابن ديبس فقلده نجر الدولة بن بويه امر الجزيرة الديسية سنة ٤٠٣ هـ وهذا ابتداء ملكهم

٢٨٥ - ابو الحسن علي بن مزير

من سنة ٤٠٣ - ٤٠٨ هـ او من سنة ١٠١٢ - ١٠١٧ م

وقام عليه لاول ولايته مضر بن ديبس وقاتله واسترجع منه الجزيرة الديسية فانحصر ملك علي في نواحي الحلة فاقام عليها الى ان توفي سنة ٤٠٨ هـ

٢٨٦ - ديبس بن علي بن مزير

من سنة ٤٠٨ - ٤٧٤ هـ او من سنة ١٠١٧ - ١٠٨١ م

لما توفي ابو الحسن علي بن مزير تولى بعده ابنه ديبس بن علي بن مزير بعهد منه فخالفه اخوه الا كبر المقلد واتصل ببني عقيل واقام بينهم ثم استمد جلال الدولة فامده بعسكر وقصدوا ديبساً فانهمز امامهم واسر جماعة من اصحابه ولحق ديبس بالشر يدمنهمزماً فسار به الى مجد الدولة وضمن عنه المال المقرر في ولايته فاجيب الى ذلك وخلع عليه واستنقام حاله . وذهب المقلد مع جماعة من خفاجة فنهبوا مطير اباد والنيل اقبح نهب وعاثوا في منازلها . ولم تكن الحلة بنيت حينئذ . وعبر المقلد دجلة الى ابي الشوك فاقام عنده حتى اصلح امره

وكان لديس بن مزيد اخ آخر اسمه ثابت بن علي فهذا انفصل بالبساسيري سنة ٤٢٤ هـ واستمده على أخيه ديس فامده بجيش عظيم فتزحزح لهم ديس عن البلاد وملاك ثابت اعمال ديس والنيل فبعث اليه ديس طائفة من اصحابه فانهزموا امام ثابت فسار ديس عن البلاد وتركها لثابت حتى رجع البساسيري الى بغداد فسار في جموع بني اسد وخفاجة فقاتلوا ثابتاً ملياً ثم اصطلحوا على ان يعود ديس الى اعماله ويقطع أخاه ثابتاً بعض تلك الاعمال فتحالفوا على ذلك وفي سنة ٤٤١ هـ اقطع الملك الرحيم ديس بن علي بن مزيد حماية نهر الصلة ونهر الفضل وكانت من اقطاع جند واسط فغضبوا وزحفوا اليه فلقبهم واكن لهم فهزمهم واثخن فيهم وغنم اموالهم ودوابهم فكروا راجعين الى واسط

وفي سنة ٤٤٦ هـ خالف بنو خفاجة على الامير ديس وعاثوا في بلاده بالفساد فاستنجد البساسيري فجاء بنفسه ليجدته وعبر ديس الفرات معه وقاتل خفاجة واجلاهم عن بلاده فسلخوا البرية ورجع البساسيري عنهم فعادوا الى الفساد فعاد اليهم فدخلوا البرية فاتبعهم الى خفان فواقع بهم واثخن فيهم وحاصر خفان ثم اقتحمه واخرجهم ورجع الى بغداد ومعه اسارى من خفاجة فصلبوا بها

ولا انقض امر بني بويه واستولى الك طغرل بك السلجوقي على بغداد وقتل الملك الرحيم آخر بني بويه كما تقدم ذكر ذلك وكان البساسيري قد فارق الملك الرحيم قبل مسيره من واسط الى بغداد للقاء طغرل بك مجمعاً على الخلاف على السلجوقيين الذين مع قطلمش ابن عم طغرل بك جدملوك السلاجقة ببلاد الروم ومعه متمم الدولة ابو الفتح عمر وسار معهم قریش بن بدران صاحب الموصل . فلقبهم ديس والبساسيري على سنجار وهزمهم ورجع قریش الى ديس جريماً فخلع عليه وسار معهم وذهب بهم الى الموصل وخرج ديس وقریش والبساسيري الى البرية واتبعهم عساكر السلجوقيين بقيادة هزارست فواقع بهم ورجع بالغنائم والاسرى وارسل ديس وقریش الى هزارست ان يستعطف بهم

السلطان ففعل . وبعث ديبس ابنه بهاء الدولة مع وافد قریش فاكرمها السلطان
طغرل بك واقرب ديبساً على اعماله ثم خالف نيسال اخو السلطان طغرل بك عليه
بهمذان فسار اليه فانتہز البساسيري فرصة غيابه واتحد هو وديس وغيره ودخلوا
بغداد سنة ٤٥٠ هـ وخطبوا فيها للعلويين اصحاب مصر (للفاطميين) .

ولما انتهى طغرل بك من امر اخيه رجع الى بغداد فخرج عنها البساسيري
وديس واصحابهما ولحقوا ببلاد ديس . واعاد طغرل بك الخطبة ببغداد للخليفة
العباسي وارسل عساكره لقتال البساسيري وديس فالتقوا وانهزم ديس وهرب
وقتل البساسيري وذلك سنة ٤٥١ هـ ثم كاتب ديس السلطان طغرل بك الساجوقي
يطلب منه الامان فآمنه واقربه على عمله وخلع عليه خلعة سنية . فاستمر ديس في
ولايته الى ان توفي سنة ٤٧٤ هـ

٢٨٧ - منصور بن ديبس

من سنة ٤٧٤ - ٤٧٩ هـ او من سنة ١٠٨١ - ١٠٨٦ م

ولما توفي ديبس بن علي بن مزيد تولى بعده ابنه منصور ولقب بهاء الدولة
وسار الى السلطان ملك شاه فاقره على عمله فاستمر كذلك الى ان توفي سنة ٤٧٩ هـ

٢٨٨ - صدق بن منصور

من سنة ٤٧٩ - ٥٠١ هـ او من سنة ١٠٨٦ - ١١٠٧ م

لما توفي منصور بن ديبس تولى بعده ابنه صدقة الملقب بسيف الدولة فارسل
اليه الخليفة نقيب العلويين ابا الغنائم يعزيه وسار صدقة الى السلطان ملك شاه
فخلع عليه ولاء مكان ابيه

وفي سنة ٤٨٥ هـ توفي السلطان ملك شاه وتولى بعده ابنه السلطان بركيارق

وحصلت بينه وبين اخوته فتن يطول شرحها سندكرها ان شاء الله في تاريخ الدولة السلجوقية . وفي كل هذه المدة كانت صدقة بن منصور مطيعاً للسلطان بركيارق ممداً له تارة بنفسه وتارة بجيوشه الى ان كانت سنة ٤٩٤ هـ وفيها ارسل الوزير الاعز ابو المحاسن الدهستاني وزير السلطان بركيارق الى صدقة بن منصور يقول له « قد تخاف عندك خزانة السلطان الف الف دينار فان أرسلتها والا سيرنا اليك العساكر وأخذنا منك بلادك » فلما وصلته هذه الرسالة قطع خطبة السلطان بركيارق وخطب لاختيه السلطان محمد . وكان السلطان بركيارق في ذلك الوقت مشغولاً بقتال اخوته وفتنتهم فلما عاد الى بغداد في هذه السنة منهزماً امام اخويه محمد وسنجر ارسل الى صدقة بن منصور مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير اياذ من اكابر اصحابه يشير عليه بطاعة السلطان وامثال اوامره فابي الامتثال أن لم يسلم اليه الوزير أبا المحاسن فلم يجبه الى ذلك فتم على مقاطعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

وفي سنة ٤٩٦ هـ استولى صدقة على مدينة هيت من يد عاملها بهاء الدولة شروان بن وهب بن وهيب

وفي سنة ٤٩٧ هـ استولى على مدينة واسط واجلى الاثراك عنها واقام بها الى سادس ذي القعدة ثم انجدر الى بلده

وفي سنة ٤٩٩ هـ انجدر سيف الدولة صدقة بن منصور من الحلة الى البصرة فملكها والسبب في ذلك ان البصرة كانت لاسماعيل بن ارسلانجق عاملاً عليها من قبل السلجوقيين فاقام بها عشر سنين نافذ الامر وازداد قوة وتمكناً بالاختلاف الواقع بين السلاطين السلجوقية فاخذ الاموال السلطانية واستولى عليها . وكان قد راسل صدقة واطهر له انه في طاعته وموافقته . فلما استقر الامر للسلطان محمد اراد ان يرسل الى البصرة مقطعاً ياخذها من اسماعيل فخطب صدقة في معناه حتي أقرت البصرة عليه . فارسل السلطان عميداً اليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان

هناك فتمنع اسماعيل ولم يمكنه من عمله فامر السلطان صدقة بقصده وأخذ البصرة منه فتحرك لذلك . واتفق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وأنه على قصد واسط فسر اسماعيل بذلك لا يشغال صدقة عن البصرة فأرسل صدقة عاملاً من قبله على البصرة فامسكه اسماعيل واعتقله . فسار صدقة اليه وحصن اسماعيل القلاع واعتزل وجوه البلد من العباسيين والعلويين والاعيان وجاعرها صدقة وخرج اسماعيل لقتاله فخالفه طائفة من اصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد فاقتحموها وأنهرم اسماعيل الى قلعة الجزيرة فامتنع بها واستولي صدقة على البصرة ثم استأمن اسماعيل الى صدقة فأمنه . وسار اسماعيل الى فارس ففرض ومات بها . ورتب صدقة بالبصرة مملوك جده واسمه التونشاش شحنة على البصرة ورتب معه مائة وعشرين فارساً فخالفت عليه ربيعة واجتمعت ضده ودخلوا البصرة بالسيف واسروا التونشاش وأقاموا بها شهراً ينيهون ويخربون فأرسل اليهم صدقة عسكرياً لخراجهم منها فوصل بعد خروجهم وانتزع السلطان البصرة من صدقة وبعث اليها شحنة وعميلاً واستنقام امرها

وفي سنة ٥٠١ هـ خالف سرخاب بن كيخسرو على السلطان محمد والتجأ الى صدقة بن منصور فاجاره وطلبه السلطان فلم يسلمه واظهر الخلاف فسار اليه السلطان في جيش جرار فقاتله وقتله واسر اولاده واسر سرخاب بن كيخسرو أيضاً وكان صدقة جواداً حليماً صدوقاً عادلاً في رعيته وكان يقرأ ولا يكتب وكانت له خزانة كتب . وهو الذي بنى الحلة في العراق فعظم شأنه وعلي قدره بين الملوك

٢٨٩ - دبيس بن صدقة

من سنة ٥٠١ - ٥٢٩ هـ أو من سنة ١١٠٧ - ١١٣٤ م

ولما قتل السلطان محمد صدقة ارسل اماناً لزوجته فجاءت الى بغداد وأمر

السلطان الامراء بتلقيها واطلق لها ولدها ديسكا واعتذر لها من قتل صدقة واستخلف ديسكا على الطاعة وأن لا يحدث حدثاً . واقام في ظله واقطعه السلطان أقطاعاً كثيرة . ولم يزل ديس مقيماً عند السلطان محمد الى ان توفي وملك ابنه محمود سنة ٥١١ هـ . فطلب اليه ديس ان يسرحه الى بلده فسرجه وعاد اليها فملكها واستقام امره

وفي سنة ٥١٢ هـ لما توفي الخليفة المستظهر وبويع ابنه المسترشد خاف ابنه الآخر من غائلة اخيه وانحدر في البحر الى المدائن وسار منها الى الحلة فابى ديس ان يكرمه وتكفل بما يطلبه . وفي اثناء ذلك برز البرسقي من بغداد مجلباً على ديس الجوع وسار اخو الخليفة الى واسط فملكها سنة ٥١٣ هـ وقوى امره وكثرت جموعه فبعث الخليفة الى ديس بشأنه وانه خرج عن جواره فلقى امره بالطاعة وبعث اليه وهو بواسط عسكرياً من قبله وقبض عليه وبعثه الى اخيه المسترشد . وكان مسعود اخو السلطان محمد بالموصل ومعه اتابكه حيوس بك فاعتزما على قصد العراق لغية السلطان محمود عنه فسار لذلك ومعه وزيره فخر الملك ابو علي ابن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكي بن اقسنقر وكروباوي بن خراسان التركماني صاحب البواريج وابو الهيجاء صاحب اربل وسنجار فلما قاربوا بغداد خاف البرسقي شأنهم وبعث اليه الملك مسعود وحيوس بك انهم انما جاؤا نجدة على ديس . وكان البرسقي انما ارتاب من حيوس بك فصالحهم ودخل مسعود بغداد ونزل دار المملكة . وجاء منكبرس في العساكر فسار البرسقي عن بغداد لمحاربتة ودفاعه فمال الى النعمانية وعبر دجلة واجتمع مع ديس بن صدقة وكان ديس قد صانع مسعوداً وصاحبه بالهدايا والالطاف مدافعة عن نفسه فلما لقيه منكبرس اعتضد به وخالف على السلطان مسعود فسار اليهم بعساكره لقاتلهم فخاف عن اللقاء لكثرة من معها فبقي الفريقان مدة بلا قتال حتى اتاهم كتاب الخليفة بوجوب الصلح وترك القتال فاصطلحوا وعاد ديس الى الحلة

وفي سنة ٥١٤ هـ خالف السلطان مسعود على اخيه السلطان محمد وكان

ديس من أعظم المحرضين له على العصيان . وجمع مسعود جيوشه وجيش من ناصرته على هذا الأمر وبينهم ديس المذكور وساروا لقتال السلطان محمود فانهمزموا امامه وعادوا خاسرين فبادر ديس لطلب الامان بعد ان ارسل حرمه الى البطيحة وسار بامواله عن الحلة وأمر بنهبها فوصل السلطان الى الحلة فوجدها خاوية على عروشها فرجع عنها . وارسل ديس اخاه منصوراً لاصلاح الحال بينه وبين السلطان فامسكه السلطان وسمّله فحزن ديس لذلك جداً ولبس السواد وحصلت بينه وبين البرسقي وقائع اسر فيها عفيفاً خادماً الخليفة فاطلقه وحمله الى المسترشد عقاباً ووعداً على سمل اخيه فغضب الخليفة وسار لحرب ديس فكانت بينهما حروب انهزم فيها ديس واسر جماعة من اصحابه فقتلوا صبراً وسبيت حرمه ورجع المسترشد الى بغداد يوم عاشورا من سنة ٥١٧ هـ .

ونجا ديس وعبر الفرات وقصد غزنة من عرب نجد مستنصرأ بهم فابوا عليه فسار الى المننقي وحالفهم على أخذ البصرة فدخلوا ونهبوا أهلها وقتل مقدم عسكرها فبعث المسترشد الى البرسقي بالعتاب على اهمال امر البصرة فتجهز البرسقي للانحدار اليها ففارقها ديس ولحق بقاعة جعبر وصار مع الافرنج (الصليبيين) واطعمهم في حلب وسار معهم لحصارها سنة ٥١٨ هـ فامتعت عليهم فعادوا عنها . ولحق ديس بالملك طغرل بك ابن السلطان محمد فاغراه بالمسير الى العراق وسهل عليه أمر امتلاكه . فسمع له وسار معه بالعساكر الى العراق وملكوا بغداد ونهبوها ثم أجلاهم عنها الملك محمود فلاحقوا بالسلطان سنجر بخراسان مستنجدين به وحسن له ديس الاستيلاء على العراق وخيل له ان المسترشد والسلطان محموداً متفقان على أبعاده ولم يزل يقتل له الذروة والغارب حتى حرك حفيظته لذلك وسار الى العراق سنة ٥٢٢ هـ فوصل الى الري وأستدعى السلطان محموداً من همدان فيختبر ما خيل له ديس فجاء محمود مبادراً واكذب ديساً فيما خيل وأمر السلطان سنجر العساكر بتلقي محمود وأجلسه معه على التخت واقام عنده الى آخر سنة ٥٢٢ هـ ثم عاد الى خراسان بعد ان اوصاه باعادة ديس الى بلده فرجع السلطان محمود الى

همذان وديس معه ثم سار الى بغداد سنة ٥٢٣ هـ وأنزل ديبساً بداره واسترضى له الخليفة فرخي عنه ولكنه أمتنع عن ولايته فضمن الامير ابن قزل والاحديلي ديبساً الى السلطان محمود فاعاده لولايته

فلما عاد السلطان محمود من العراق الى همذان منتصف سنة ٥٢٣ هـ وكان قد ألم به مرض أخذ ديبس ابنه الصغير وقصد العراق فجمع المسترشد لمدافعته وكان بهرور شحنة بغداد بالحلة فهرب عنها وملكها ديبس

واتصل الخبز بالسلطان محمود فاحضر الامير ابن قزل والاحديلي ضامني ديبس وطلبهما بالضمان فسار الاحديلي في اثر ديبس - وجاء السلطان الى العراق فلحق ديبس بالبصرة ونهبها وأخذ ما في بيوت الاموال وبعث السلطان في اثره العساكر فدخل البرية - وجاءه عند مفارقتة البصرة قاصد من صرصر يستدعيه والسبب في ذلك ان صاحبها توفي في هذه السنة وخلف سرية له فاستولت على القلعة وارادت أن تتم أمرها برجل له قوة ونجدة فوصف لها ديبس وحاله في العراق وكثرة عشيرته فكتبت اليه تستدعيه لينزوج بها وتملكه القلعة بما فيها فلحقه كتابها بعد مفارقتة البصرة فاخذ الادلاء معه وسار من أرض العراق الى الشام فوصل به الادلاء بنواحي دمشق فنزل بناس من بني كلب كانوا شرقي الغوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وبعث فيه عماد الدين زنكي وكان عدوه وكان عنده ابن تاج الملوك مأسوراً في واقعة كانت بينهما فطلب أن يبعث اليه ديبساً ويفادي به ابنه والامراء الذين معه ففعل ذلك تاج الملوك - وحصل ديبس في يد زنكي وقد ايقن بالهلاك لكن زنكي أطلقه وحمل له الاموال والدواب وأكرم وفادته واستمر ديبس مقيماً مع زنكي حتى أنجدر معه الى العراق كما سنذكره أن شاء الله

في سنة ٥٢٦ هـ نازع مسعود وشلجوق ابن اخيهما داود بعد وفاة ابيه السلطان محمود ثم استقر الامر للسلطان مسعود - وكان اخوهما طغرل عند عمهما سنجر بنخراسان وكان كبير بيت أهل السلجوقية وله الحكم على ملوكهم ففكر على

السلطان مسعود لقتاله ساجوق وظفرل وسار به الى العراق وانتهى الى همدان وبعث الى عماد الدين زنكي فولاه شحنة بغداد والى ديس بن صدقة وهو عند زنكي فاقطعه الحلة . وتجهز السلطان مسعود لقتال سنجر وظفرل واستدعى الخليفة للحضور معه فخرج من بغداد معه فانهمز السلطان مسعود أمام عمه سنجر وولى سنجر الملك ظفرل وخطب له في جميع البلاد

وفي هذه الاثناء كان قد وصل عماد الدين زنكي وديس بن صدقة واستولوا على بغداد فعلم الخليفة المسترشد وهوراجع من المعركة بذلك فاسرع بالعود الى بغداد وقاتل عماد الدين زنكي وديس بن صدقة وهزمهما ودخل بغداد ولحق ديس الى بلاد الحلة وكانت بيد اتباع الخليفة فارسل اليه الخليفة العساكر لقتاله فهزموه وشتتوا شمله ثم جمع جمعاً وقصد واسط وانضم الى عسكرها فلما سنة ٥٢٧ هـ فبعث الخليفة اقبال الخادم وبرئثش الشحنة بالعساكر الى ديس فلقيهم في عسكر واسط وانهمز وسار الى السلطان مسعود واقام عنده

واقام ديس بن صدقة عند السلطان مسعود الى سنة ٥٢٩ هـ وفيها كانت الحرب بين السلطان مسعود والخليفة المسترشد وانهمز المسترشد ووضع في خيمته واتفق وصول السلطان سنجر فخرج مسعود لاستقباله وترك الخليفة وحده في خيمته فقام عليه الباطنية وقتلوه كما تقدم ذكر ذلك فلما قتل الباطنية الخليفة اتهم السلطان مسعود ديساً بقتله وقتله بهذه التهمة

٢٩٠ - صدقة بن ديس

من سنة ٥٢٩ هـ - ٥٣٢ هـ أو من سنة ١١٣٤ - ١١٣٧ م

ولا قتل ديس بن صدقة كان ابنه صدقة مقيماً بالحلة فاجتمعت اليه عساكر ابيه ويايعوه وأمر السلطان مسعود الشحنة بك ايه بمعالجته وأخذ الحلة منه فقام عن ذلك لكثرة من مع صدقة بن ديس فلما رجع السلطان مسعود الى بغداد

سنة ٥٣١ هـ صالحه صدقة بن ديس وأطاعه وقاتل معه الباقين عليه
وفي سنة ٥٣٢ هـ خرج صدقة بن ديس مع السلطان مسعود لقتال صاحب
فارس وخوزستان فقتل في تلك الحرب

٢٩١ - محمد بن صدقة

من سنة ٥٣٢ - ٥٤٠ هـ أو من سنة ١١٣٧ - ١١٤٥ م

لما قتل صدقة بن ديس كما تقدم ولي السلطان مسعود بعده ابنه محمداً علي
الحلة وجعل معه مهمل بن ابي عسكر واستقام أمره بالحلة
وفي سنة ٥٤٠ هـ خالف عليه عمه علي بن ديس وتجهض بقلعة تكريت فآشار
مهمل علي السلطان مسعود بالقبض عليه فعلم علي بن ديس بذلك فهرب من
تكريت ولحق ببني أسد وجمعهم وسار بهم الى الحلة فخرج اليه محمد فزمه علي وملك
الحلة . واستهان السلطان بأمره أولاً ولكنه لم يلبث حتى استفحل

٢٩٢ - علي بن ديس

من سنة ٥٤٠ - ٥٤٥ هـ أو من سنة ١١٤٥ - ١١٥٠ م

فلما استفحل أمر علي بن ديس وقوي أمره بالحلة وكثر جمعه سار اليه مهمل
فيمين معه من العسكر من بغداد فقاتلهم علي وهزمهم وعادوا منهزمين الى بغداد .
وكان أهل بغداد يتعصبون لعلي بن ديس فازعجوا مهملًا عن اللحاق به مرة
اخرى . فصارت يد علي بن ديس فوق كل يد في أوضاع الامراء بالحلة وتصرف
فيها وصار شحنة بغداد فاطعته الناس . ولكنه اساء السيرة في الرعية حتى رفعوا
شكواهم ضده الى السلطان مسعود سنة ٥٤٢ هـ فخلعه عن الحلة واقطعها سلار كرد

فسار اليها من همدان وجمع عسكرياً من بغداد وقصد الحلة. واحتاط على أهل علي وأقام بالحلة . ولحق علي بن ديس بالتشكنجر في أقطاعه بالاحف مستنجداً به فانجده وسار معه الى واسط وسار معها الطرناطى صاحب واسط فانزعوا الحلة من سلاركرد فرجع الى بغداد آخر سنة ٥٤٢ هـ واستولى علي على الحلة وفي سنة ٥٤٤ هـ انتقض علي بن ديس والتشكنجر والطرناطى على الملك مسعود وقطعوا خطبته وخطبوا لملك شاه ابن السلطان محمود وساروا به الى العراق وراسلوا الخليفة المقتفي في الخطبة له فامتنع وجمع المساكر وحصن بغداد وارسل الى السلطان مسعود بالخبر فشغل عنهم بقاء عمه السلطان سنجر كان سار اليه بالري . فلما علم التشكنجر بمراسلة الخليفة للسلطان مسعود نهب النهروان وقبض على الامير علي بن ديس فهرب الطرناطى خوفاً الى النعمانية . ثم وصل السلطان مسعود الى بغداد فرحل التشكنجر من النهروان وأطلق علي بن ديس فسار الى السلطان مسعود فلقية ببغداد واستعطفه فرضي عنه وفي سنة ٥٤٥ هـ توفي علي بن ديس بن صدقة صاحب الحلة وبموته انقرضت الدولة المزيدية والبقاء لله وحده

٢٩٣ - الدولة الزيرية بغرناطة (بالاندلس)

(تمديد) لما استبد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي بافريقية سنة ٣٨٥ هـ ولي عمومته وقرابته ثغور عمله . ثم كانت الحرب بينه وبين زيري بن عطية المغراوي صاحب المغرب الاقصى وخام عن لقائه في جيوش المنصور بن أبي عامر التي كان قد امد بهما كما تقدم ذكر ذلك فلما رجع باديس بلا قتال خالف عليه عمه حماد بن بلكين فقاتله باديس وانتصر عليه . وكان لحامد بن بلكين عم يقال له زاوي بن زيري بن مناد فهذا لما رأى الفتنة بين قومه قد امتدت فضل فراقهم فاجاز البحر الى الاندلس في بنييه وبني اخيه

وحاشيته ونزل على المنصور بن أبي عامر المتسلط على الدولة في ذلك الوقت فاصطنعهم لنفسه واكرم وفادتهم واتخذهم بطانة لدولته فاستمروا كذلك الى أن انتفضي امر الدولة العامرية ونشأت الفتنة بالاندلس وأنحل نظام الخلافة فيها فعمد زاوي بن زيري الى البيرة ونزل غرناطة واتخذها داراً لملكه وهو رأس هذه الدولة

٢٩٤ - زاوي بن زيري

من سنة ٤٠٣ - ٤٢٠ هـ أو من سنة ١٠١٢ - ١٠٢٩ م

واستولى زاوي على ملك غرناطة وأطاعه أهلها واستمر له الامر كذلك حتى بايع العامريون المرتضي المرواني سنة ٤٠٨ هـ فقصد غرناطة سنة ٤٢٠ هـ في عساكره فلقبهم زاوي بن زيري في جموع صنهاجة وهزمهم في السنة المذكورة وأصاب من زخائرهم وأموالهم شيئاً كثيراً . ثم وقع في نفسه سوء اثار البربر بالاندلس أيام هذه الفتنة وحذر مغبته فارتحل الى سلطان قومه بالقيروان واستخلف على غرناطة أبنه وانا بن زاوي وذلك سنة ٤٢٠ هـ

٢٩٥ - وانا بن زاوي

من سنة ٤٢٠ - ٤٢١ هـ أو من سنة ١٠٢٩ - ١٠٣٠ م

واساء وانا السيرة في أهل غرناطة فبعث أهل غرناطة الى ابن عمه حبوس ابن ماكسن بن زيري وكان مقبياً في بعض الحصون فاسرع الى غرناطة واستولى عليها

٢٩٦ - حيوس بن ماكسن بن زيري

من سنة ٤٢١ - ٤٢٩ هـ أو من سنة ١٠٣٠ - ١٠٣٧ م

فاس شيد حيوس بن ماكسن بن زيري بفراطة الى أن توفي سنة ٤٢٩ هـ

٢٩٧ - باديس بن ماكسن

من سنة ٤٢٩ - ٤٦٧ هـ أو من سنة ١٠٣٧ - ١٠٧٤ م

لما توفي حيوس بن ماكسن بن زيري تولى بعده ابنه باديس بن حيوس ابن ماكسن وكانت بينه وبين ذي النون وابن عباد حروب واستولى على سلطانه كاتبه اسماعيل بن لغزلة الذي ثم نكبه وقتله سنة ٤٥٩ هـ وقتل معه خلقاً من اليهود ثم توفي باديس بن ماكسن سنة ٤٦٧ هـ

٢٩٨ - المظفر أبو محمد عبد الله بهر بلكين

من سنة ٤٦٧ - ٤٨٣ هـ أو من سنة ١٠٧٤ - ١٠٩٠ م

لما توفي باديس بن ماكسن تولى بعده حافده المظفر أبو محمد عبد الله بن بلكين بن باديس وولى اخاه ثمياً بالاقعة بعد من جده وخلعها المرابطون سنة ٤٨٣ هـ وانقرض أمرهم .

٢٩٩ - الدولة الحموية بالاندلس

(تمهيد) رأس هذه الدولة علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ولد ادريس اجاز هو واخوه القاسم الى الاندلس في جملة من اتباعها وصاروا في جملة المستعنين مع أمراء العدو من البربر فعقد لها المستعنين فيمن عقده

من المغاربة عقد لملي على طنجة وعملها ولقاسم وكان الاسن على الجزيرة الخضراء
وكان في نفوس المغاربة والبرابرة تشييع لاولاد ادريس فابتدأ علي بن حمود
يبتث دعوته سرا . ولما حصلت فتنة البربر بالاندلس وحاصروا قرطبة بدعوة
المستعين واقتحموها وقتلوا هشاماً المتغلب عليها اغتنم علي بن حمود هذه الفرصة
واظهر دعوته جهاراً وتعصب معه الكثير من البربر وهو حينئذ بسببة

٣٠٠ - علي بن حمود

من سنة ٤٠٦ - ٤٠٨ هـ او من سنة ١٠١٥ - ١٠١٧ م

لما اقتحم البربر قرطبة وقتلوا هشاماً بدعوة سليمان المستعين بالله خالف عليه
الفتى خيران العامري لانه لم يكن راضياً عن ولايته فقاتله المستعين وهزمه واصابته
جراح كثيرة وقع منها طريقاً حتى ظنوه مات فتركوه ولكنه لم يمت بل قام بعد
ان تركوه وشفي من جراحه وخرج سرا الى شرق الاندلس

واستولى على المرية وما جاورها وعظم أمره وكان يخطب في بلاد دلهشام الموثد
ظاناً منه انه في قيد الحياة . فلما رأى علي بن حمود هذه الفتن طمع في ملك الاندلس
فكتب لخيران الفتى العامري يعلمه بموت هشام الموثد وانه ولاء عهده والاخذ بثار
ان هو قتل . فخطب خيران لملي بن حمود واستمال الناس للخروج معه على سليمان
المستعين وأرسل استنعى علي بن حمود من سببة فأجاز البحر الى الاندلس والتقاء
خيران ومن وافقه بالمنكب وهي بين المرية ومالقة سنة ٤٠٦ هـ فقر رأيهم على قصد
قرطبة فتجهزوا وساروا الى قرطبة وبايعوا لملي بن حمود . فلما علم بهم المستعين
خرج اليهم في جموع البربر فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم سليمان والبربر
وأخذ هو اسيراً فحمل الى علي بن حمود فاعتقه له هو واخوته ودخل علي بن حمود
قرطبة في المحرم سنة ٤٠٧ هـ وقتل سليمان في ٧ محرم من السنة واستولى على قرطبة
ودعا الناس الى بيعته فبويع واجتمع له الملك ولقب المتوكل على الله

ثم خالف عليه خيران الفتي العامري لانه نقل اليه ان علياً يسعى في قتله
فخرج من قرطبة واطهر الخلاف وسأل عن بني أمية فدل على عبد الرحمن بن محمد
ابن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي وكان قد خرج من قرطبة مستخفياً
ونزل بجيان فبايعه خيران وغيره ولقبوه المرئضي وساروا جميعاً الى غرناطة فقاتلهم
صاحبها زاوي بن زيري وقتل المرئضي في هذه الواقعة ورجع خيران الى جيان .
واتصلت هذه الاخبار بعلي بن حمود فتجهز للسير الى جيان لقتال خيران
فلما كان يوم ٢٨ ذي القعدة سنة ٤٠٨ هـ برزت العساكر الى ظاهر قرطبة
ووقفوا ينتظرون خروجه أما هو فكان قد دخل الحمام فقتله غلماناً فلما طال على الناس
انتظاره بحثوا عنه فوجدوه مقتولاً فعاد العسكر الى البلد . وكان علي بن حمود حسن
السيرة يحب المدح ويجزل العطاء عليه

٣٠١ - القاسم بن حمود

من سنة ٤٠٨ - ٤١٥ هـ او من سنة ١٠١٧ - ١٠٢٤ م

١١ توفي علي بن حمود بايع الناس اخاه القاسم ولقب المأمون فلما استقر ملكه
كاتب العامريين واستمالهم . وبقي مالكاً قرطبة الى سنة ٤١٢ هـ وفيها سار من
قرطبة الى أشبيلية فخالفه ابن اخيه يحيى بن علي بن حمود من مالقة الى قرطبة
ودخلها بلا مانع ودعا الناس الى بيعته فاجابوه وبايعوه في مستهل جمادى الاولى
سنة ٤١٢ هـ ولقب الممالي . وبقي بقرطبة يدعي له بالخلافة وعمه القاسم بأشبيلية
وفي سنة ٤١٣ هـ سار يحيى عن قرطبة الى مالقة وعلم عمه بذلك فأسرع الى
قرطبة فدخلها يوم ١٨ ذي القعدة سنة ٤١٣ هـ واقام بها شهوراً ثم اضطرب أمره
بها وسار ابن اخيه يحيى بن علي الى الجزيرة الخضراء وغلب عليها وبها اهل عمه
وماله . وغلب اخوه ادريس بن علي صاحب سبتة على طنجة فلما ملك ابنا اخيه
بلاده طمع الناس فيه وثار عليه اهل قرطبة ونقضوا طاعته و بايعوا المستظهر ثم

للمستكفي من بني أمية كما تقدم ذكر ذلك في الدولة الاموية بالاندلس ولحق المأمون وبراثرته بالارباض واعتصموا به وقتلوا دونه وحاصروا المدينة ٥٠ يوماً ثم عزم اهل قرطبة لمداومتهم فافرجوا عن الارباض وانفضت جموعهم سنة ٤١٤ هـ ولحق المأمون باشبيلية وبها ابنه محمد ومحمد بن زيري من رجالات البربر فاطمعه القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد في الملك وان يمتنع من القاسم فمنعوه واخرجوا اليه ابنه وضبطوا بلادهم ثم اشد ابن عباد واخرج محمد بن زيري وملك المدينة. أما القاسم فلحق بشريش ورجع عنه اكثر البربر الي يحيى المعتلي ابن اخيه فبايعوه سنة ٤١٥ هـ وزحف الى عمه المأمون بشريش فتغلب عليه وأسره ولم يزل عنده أسيراً وتمتد اخيه ادريس من بعده بمالقة الى ان توفي في محبسه سنة ٤٢٧ هـ

٣٠٢ - يحيى بن علي بن محمود

من سنة ٤١٥ - ٤٢٦ هـ او من سنة ١٠٢٤ - ١٠٣٤ م

واسنقل يحيى المعتلي بن علي بالامور واعتقل محمداً والحسن ابني عمه القاسم المأمون بالجزيرة الخضراء ووكل بها من يحفظها واستمر كذلك الى ان خلع اهل قرطبة المستكفي بالله الاموي وقتلوه فخطبوا بعده للمعتلي يحيى بن علي وكشوا اليه بمالقة وخطبوه بالخلافة وخطبوا له في رمضان سنة ٤١٦ هـ فاجابهم الى ذلك وأرسل اليهم عبد الرحمن بن عطف اليفرني واليا عليهم فبقي هذا في قرطبة الى محرم سنة ٤١٧ هـ فسار اليه مجاهد وخيران العامريان في ربيع الاول في جيش كثير فلما قاربوا قرطبة ثار اهلها بعبد الرحمن بن عطف فاخرجوه بعد ان قتلوا من اصحابه جماعة واستولى خيران ومجاهد على قرطبة واقاموا بها نحو شهر ثم اختلفا فخاف احدهما من الآخر فعاد خيران الى المرية وبقي مجاهد بعده مدة ثم عاد الى دالية فبايع اهل قرطبة للمعتد اخي المرتضي الاموي ثم خلعوه واستبد بأمر قرطبة الوزير ابن جهور بن محمد . وأقام المعتلي يحيى بن علي بمالقة يتر بص لهم ويردد اليهم العساكر

لحصارهم من وقت لآخر حتى انفق البربر على طاعته وسلموا اليه ما بأيديهم من الحصون والمدن فقوي وعظم شأنه وظهره محمد بن عبد الله البرزالي على أمره فسار اليه بقرمونة واقام فيها محاصراً لاشبيلية طامعاً في الاستيلاء عليها من بداين عباد الى ان توفي سنة ٤٢٦ هـ غدر به محمد بن عبد الله البرزالي وبهوته انقطعت دولة بني حمود بقرطبة وانحصر ملكهم في مالقة

٣٠٣ - ادريس بن علي بن حمود

من سنة ٤٢٧ - ٤٣١ هـ او من سنة ١٠٣٥ - ١٠٣٩ م

لما توفي يحيى بن علي رجع احمد بن موسى بن بقية والخادم نجا الصقلي وزيراً دولة الحمديين الى مالقة دار ملكهم واستدعوا أخاه ادريس بن علي بن حمود من سبتة وطنجة وكانت اقطاعه في مدة حياة اخيه وبايعوه بالخلافة واشترطوا عليه ان يولي سبتة حسن بن أخيه يحيى فقبل هذا الشرط فتم أمره بالخلافة وتلقب المتأيد بالله وبايعه اهل المرية وأعمالها وورندة والجزيرة

وفي سنة ٤٣١ هـ سير القاضي ابو القاسم بن عباد ولده اسماعيل في عسكر ليتغلب على البلاد فاستولى على قرمونة واشبونة واستنجد صاحبها بادريس بن علي وباديس بن حموس صاحب صنهاجة فاتاه صاحب صنهاجة بنفسه وأمدّه ادريس بعسكر بقية ابن بقية مدبر دوانه فلم يجسروا على اسماعيل بن عباد فعادوا عنه فسار اسماعيل مجدداً لياخذ على صنهاجة الطريق فادركهم وقد فارقهم عسكر ادريس قبل ذلك بقليل فارسلت صنهاجة من ردهم فعادوا وقتلوا اسماعيل بن عباد فلم يلبث أصحابه ان انهزموا وأسلموه فقتل وحمل رأسه الى ادريس ولم يكن ادريس مصدقاً بانتصار جيوشه على ابن عباد حتى انه لحونه العاقبة ولا يقانه انتصار ابن عباد انتقل من مالقة الى جبل محتفي به واصابه المرض لكثرة افسكاره بهذا الامر فلما

جاؤا له براس ابن عباد كان قد أشرف على الهلاك فعاش بعد ذلك يومين
ثم توفي

٣٠٤ الحسن بن يحيى بن علي

من سنة ٤٣١ - ٤٣٤ هـ او من سنة ١٠٣٩ - ١٠٤٢ م

لما توفي ادريس بن علي بايع ابن بقية ابنه يحيى بن ادريس بمالمة بعده
وكان نجا الصقلي بسببة فبايع للحسن بن يحيى بن علي بن حمود وسار معه في
جموعهما الى مالقة فحرب عنها ابن بقية ودخلها الحسن بن يحيى ونجا الصقلي ثم
استمالا ابن بقية حتى حضر فقتله الحسن وقتل ابن عمه يحيى بن ادريس . وبايع
الناس الحسن بالخلافة ولقب المستنصر بالله وبعد ان استتب له الامر رجع نجا
الصقلي الى سببة وترك معه الحسن المستنصر نائباً له يعرف بالشطيفي فبقي الحسن
كذلك نحواً من سنتين ثم مات سنة ٤٣٤ هـ فقبل ان زوجته ابنة عمه ادريس
سمته بشار أخوها يحيى فلما مات المستنصر اعتقل الشطيفي ادريس بن يحيى
وكتب الى نجا وابن الحسن المستنصر بسببة ليعتدله فاغتال نجا ابن الحسن وسار
الى مالقة عازماً على محو دولة الحمديين ليستبد هو بالامر ولكنه لما أظهر قصده
هذا الدبر لم يقبلوه وقتلوه وقتلوا الشطيفي واحضروا ادريس بن يحيى بن علي
وبايعوه

٣٠٥ ادريس بن يحيى

من سنة ٤٣٤ - ٤٣٨ هـ او من سنة ١٠٤٢ - ١٠٤٦ م

واستتب الامر لادريس بن يحيى وتلقب بالعالى وولى على سببة سكوت
ورزق الله من عبده ابيه ثم قتل محمداً وحسناً ابني عمه ادريس فثار ضده السودان

بدعوة أخيهما محمد بمالقة وامتنعوا بالقصبة . ثم ارسل محمد الى ادريس بن يحيى
فجاء اليه وثنأزل له عن الخلافة سنة ٤٣٨ هـ . واعتقله محمد

٣٠٦ - محمد بن ادريس بن علي

من سنة ٤٣٨ - ٤٥٠ هـ او من سنة ١٠٤٦ - ١٠٥٨ م

وتلقب محمد هذا بالمهدي وولى أخاه عهده واقبه السامي ثم نكر منه بعض
الزغات فنفاه الى العدو فاقام بين غماره

وكان محمد المهدي هذا شديد البطش باعدائه فهزبه البربر وخافوه وراسلوا
الموكل بادر يس بن يحيى فاجابهم الى اخراجه واخرجه وبايع له رخطب له بسبنة
وطنجة وبقى بها الى ان توفي سنة ٤٤٦ هـ

ولما نفي المهدي اخاه السامي وسار الى غماره اطاعوه وبايعوه . ولما توفي
ادر يس بن يحيى خاطب البربر محمد بن القاسم بالجزيرة واجتمعوا اليه وبايعوه
بالخلافة وتلقب بالمهدي ايضاً . فمن ذلك ترى ان الفوضى ضربت اطفالها في
تلك الربوع الامر الذي أدى الى زوال ملك جميعهم

واستمر محمد بن ادريس بمالقة الى ان توفي سنة ٤٥٠ هـ ولما توفي محمد
ابن ادريس قصد ادريس بن يحيى مالقة واستولى عليها ولكنه لم تطل مدته ثم
انقلت الى صنهاجة وانقرض امر الحمديين

٣٠٧ - الدولة الحمدية بسر قسنطة بالاندلس

(تمهيد) لما انتثر ملك الخلافة العربية بالاندلس وافترق الجاعة بالجهات
وصار ملكها طوائف من الموالي والوزراء كان ابو ايوب سليمان بن محمد بن هود
الجدامي مقبلاً بمدينة تطيلة فاستبد بها وملكها وتلقب المستعين بالله وذلك سنة ٤١٠ هـ

٣٠٨ - سليمان بن محمد بن هود

من سنة ٤١٠ - ٤٣٥ هـ او من سنة ١٠١٩ - ١٠٤٣ م

ولما استولى سليمان على تطيلة كان منذر بن مطرف بن يحيى التجيبي قد استولى على سرقسطة والثغر وتلقب المنصور واقام بها الى ان توفي سنة ٤١٤ هـ فتولى بعده ابنه وتلقب المظفر فطمع فيه سليمان وسار اليه الى سرقسطة وقايله واستولى عليها وقتل المظفر ففر ابن المظفر الى لاردة واستولى عليها وجمع بها جموعاً كثيرة وجاءهم الى سرقسطة وحاصرها لكنه لم يتمكن من فتحها فعاد عنها خائباً واستمر سليمان ملكاً بسرقسطة الى ان توفي سنة ٤٣٥ هـ

٣٠٩ - المقنن احمد بن سليمان

من سنة ٤٣٥ - ٤٧٤ هـ او من سنة ١٠٤٣ - ١٠٨١ م

لما توفي سليمان بن محمد بن هود تولى بعده على سرقسطة ابنه احمد وتلقب المنتدر واتبع سيرة ابيه الى ان توفي سنة ٤٧٤ هـ لتسع وثلاثين سنة من ملكه

٣١٠ - يوسف بن احمد

من سنة ٤٧٤ - ٤٧٨ هـ او من سنة ١٠٨١ - ١٠٨٥ م

لما توفي احمد بن سليمان تولى بعده ابنه يوسف بن احمد وتلقب المؤتمن وكان عالماً بالعلوم الرياضية وله فيها تأليف مثل الاستهلال والمناظر وتوفي سنة ٤٧٨ هـ

٣١١ - اصمحر بن يوسف

من سنة ٤٧٨ - ٥٠٣ هـ او من سنة ١٠٨٥ - ١١٠٩ م

ولما توفي يوسف بن احمد تولى بعده ابنه احمد وتلقب المستعين بالله كلقب جده وفي ايامه كانت وقعة وسمة زحف سنة ٤٨٩ هـ في جموع لا تحصى من المسلمين لقتال الافرنج فانهمزم المسلمون وقتل منهم اكثر من عشرة آلاف رجل . وأقام اميراً بسرقسطة الى ان توفي سنة ٥٠٣ هـ شهيداً بظاهر سرقسطة في زحف الفونس السادس ملك اراغون (يلقبه مؤرخو المسلمين بالطاغية) اليها

٣١٢ - عبد الملك بن اصمحر

من سنة ٥٠٣ - ٥١٣ هـ او من سنة ١١٠٩ - ١١١٩ م

لما توفي احمد بن يوسف تولى بعده ابنه عبد الملك وتلقب عماد الدولة وفي سنة ٥١٢ هـ زحف الفونس (الطاغية) الى سرقسطة بجيش كثيف وقاتل عبد الملك قتالاً شديداً واستولى على سرقسطة من يده فلقق عبد الملك بروطة من حصونها واقام بها الى ان توفي سنة ٥١٣ هـ

٣١٣ - اصمحر بن عبد الملك

من سنة ٥١٣ - ٥٣٦ هـ او من سنة ١١١٩ - ١١٤١ م

لما توفي عبد الملك بن احمد تولى بعده ابنه احمد وتلقب سيف الدولة والمستنصر وباغ النكاية في الطاغية ثم سلم له روطه على ان يملكه بلاد الاندلس فانتقل معه الى طابطة بجشمه وأمواله وأقام بها الى ان هلك سنة ٥٣٦ هـ وانقرض أمرهم ثم ظهر منهم محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان

المستمعين بن محمد بن هود وثار على دولة الموحدين عند فشلها وسند ذكر اخباره
متفرقة في دولة الموحدين ان شاء الله

٣١٤ - الدولة العامرية ببلنسية ورايئة بالاندلس

« تمهيد » لما تفرق ملك الاندلس طوائف كان للعامرين فيه مملكتان
احدهما اسمها مجاهد العامري ومركزها دانية وجزائر ميوركا ومنوركا والاخرى
اسمها خيران العامري ومركزها بلنسية ولان هاتين المملكتين من اصل واحد
فسمند كرها الآن تحت اسم الدولة العامرية انما تقسمها الى قسمين القسم الاول
دولة مجاهد العامري والقسم الثاني دولة خيران العامري فنقول وعلى الله الاتكال

القسم الاول

٣١٥ - مجاهد العامري

من سنة ٤١٢ - ٤٣٦ هـ او من سنة ١٠٢١ - ١٠٤٤ م

كان مجاهد بن يوسف بن علي من فحول الموالي العامرين وكان المنصور
ابن ابي عامر قد رباه وعلمه مع مواليه القراآت والحديث والعربية فكان مجيداً
في ذلك . فلما كانت الفتنة البربرية الشهيرة خرج مجاهد من قرطبة هو والموالي
العامريون وكثير من جند الاندلس سنة ٤٠٠ هـ وبايعوا المرئضي الاموي كما ذكرنا
ذلك ولقيهم زاوي بن زيري بفحص غرناطة فجزمهم وبدد شملهم ثم قتل المرئضي
كما تقدم . وسار مجاهد الى طرطوشة فلما كملها ثم تركها وانتقل الى دانية واستقل بها
سنة ٤١٢ هـ واستولى على جزائر ميوركا ومنوركا سنة ٤١٣ هـ واستعمل عليها العبيطي
فاراد الاستبداد ومنع طاعة مجاهد فلم يوافقه اهل ميوركا على ذلك وعزله مجاهد
وولى مكانه عبد الله ابن اخيه فغزا سردينية في الاساطيل واقتحمها وكانت بينه

و بين اهلها وقائع كثيرة اسر في احداها ابنه فبذل فيه مالا كثيراً فداء به واستمر والياً على جزائر مبوكا ومنوركا خمس عشرة سنة ثم توفي فولى مجاهد عليها بعد ابن اخيه مولاه الاغلب سنة ٤٢٨ هـ

وكان بين مجاهد صاحب دانية وبين خيران صاحب مرسية وابن ابي عامر صاحب بلنسية حروب ووقائع يطول شرحها الى ان توفي مجاهد سنة ٤٣٦ هـ

٣١٦ - علي بن مجاهد

من سنة ٤٣٦ - ٤٧٤ هـ او من سنة ١٠٤٤ - ١٠٨١ م

لما توفي مجاهد العامري تولى بعده ابنه علي بن مجاهد وتلقب اقبال الدولة . وكان علي محباً لاهل العلم كثير الاحسان اليهم وكان حسن السياسة فصاهر المقتدر ابن هود وحالفه واستمر الحال بينهما على اتفاق ووثام حتى وقعت بينهما الفتنة سنة ٤٦٨ هـ فزحف ابن هود الى دانية واخرج علي بن مجاهد منها ونقله الى سرقسطة فاقام بها الى ان توفي سنة ٤٧٤ هـ

٣١٧ - ابو عامر بن علي

من سنة ٤٧٤ - ٤٧٨ هـ او من سنة ١٠٨١ - ١٠٨٥ م

لما توفي علي بن مجاهد بمقتله بسرقسطة لحق ابنه أبو عامر بالافرنجة واستمد لهم علي ابن هود فامدوه بشروط اشترطوها عليه فتغلب على بعض حصونه وملكمها وتلقب سراج الدولة . وفي سنة ٤٧٨ هـ زحف اليه الموتى بن هود واستولى على ما كان بيده وانقرض ملكهم

القسم الثاني

٣١٨ - خيران العامري

من سنة ٤٠٤ - ٤١٩ هـ او من سنة ١٠١٣ - ١٠٢٨ م

كان خيران الفتي العامري من موالى العامريين ومن المتقدمين في دولتهم وكانت له يد اثناء الفتن البربرية كما تقدم ذكر ذلك فلما تولى اصحاب الاطراف كل على مافي يده تغلب خيران العامري على اربولة سنة ٤٠٤ هـ ثم ملك مرسية سنة ٤٠٧ هـ ثم حيان ثم المرية سنة ٤٠٩ هـ وبايع المنصور بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر ثم انتفض خيران على المنصور وسار من المرية الى مرسية واقام بها ابن عم المنصور أبا عامر محمد بن المظفر بن المنصور بن أبي عامر الذي خرج اليه من قرطبة من حجير القاسم بن حمود لهذا الغرض فبايعه ولقبه الموثمن ثم المعتصم ثم تنكر عليه واخرجه من مرسية فلحق بالرية واغرى بها الموالي فاخذوا ماله وطرده ولحق بغرب الاندلس الى ان مات واقام خيران أميراً على مرسية الى ان توفي سنة ٤١٩ هـ

٣١٩ = زهير العامري

من سنة ٤١٩ - ٤٢٩ هـ او من سنة ١٠٢٨ - ١٠٣٧ م

لما توفي خيران الفتي العامري قام بالامر بعده أبو القاسم زهير العامري وتلقب عميد الدولة واستمر أميراً على مرسية الى ان كانت سنة ٤٢٩ هـ وفيها زحف الى غرناطة فبرز اليه باديس بن حبوس صاحبها وهزمه وقتل زهير بظاهر غرناطة

٣٢٠ - المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن

من سنة ٤٢٩ - ٠٠ او من سنة ١٠٣٧ - ٠٠ م

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر بويع سنة ٤١١ هـ عقب الفتنة المشهورة بشاطبة وتلقب المنصور واطاعه الموالي العامريون وخطبوا له ثم ثار عليه اهالي شاطبة فلحق ببلنسية فملكها وفوض أمرها للموالي .
وكان خيران العامري مبايعاً للمنصور هذا كما تقدم ثم خاف عليه واستقل بمرسية الى ان توفي بها واستولى عليها بعده زهير العامري الى ان قتل سنة ٤٢٩ هـ .
فلما قتل زهير العامري ارسل المنصور ابنه محمداً الى مرسية فملكها وتولاها من قبل ابيه فصار المنصور اميراً على بلنسية ومرسية ثم انضاف اليه المرية بعد قليل فقوي أمره وعلا صيته فخافته ملوك الظوائف واستمر الحال كذلك الى ان توفي

٣٢١ - محمد بن عبد العزيز

من سنة ٤٥٧ - ٠٠ او من سنة ١٠٦٤ - ٠٠ م

فلما توفي المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن تولى بعده ابنه محمد بن عبد العزيز فطمع فيه صهره المأمون بن اسماعيل بن ذي النون وزحف اليه في ذي الحجة سنة ٤٥٧ هـ واستولى على بلنسية وانقرض بهذه الحادثة أمر الدولة العامرية التي اغسها خيران العامري

٣٢٢ الدولة المرادسية بحلب

(تمهيد) راس هذه الدولة صالح بن مرداس من بني كلاب بن ربيعة بن طامر ابن صمصمة وكانت مجالاتهم بضواحي حلب . وكانت مدينة الرجة لابي علي بن بقال الخفاجي فقتله عيسى بن خلاط البقيلي وملكها من يده وبقيت له مدة ثم أخذها

منه بدران بن المقلد العقيني فعند ذلك أمر الحاكم بامر الله اخليفة الفاطمي بمصر نائبه بدمشق لؤلؤا البشاري بالمسير اليها فقصد الرقة أولاً وملكها ثم سار الى الرحبة وملكها وعاد الى دمشق . وكان بالرحبة رجل يعرف بابن محكان فملك البلد واستبد بها وبعث الى صالح بن مرداس يستعين به على امره فحضر وأقام عنده مدة ثم فسد ما بينهما وقاتله صالح ثم اصطالحا وزوجه ابن محكان ابنته . ثم انتقل ابن محكان الى مدينة عانة وأقام بها ثم ثار عليه أهلها فقاتلهم واستعان عليهم بصالح بن مرداس فلما وصل صالح الى عانة وضع لابن محكان من يقاتله فقتله غيلة وسار صالح الى الرحبة وملكها واستولى على اموال ابن محكان وأحسن الى الرعية وخطب بالرحبة للفاطميين اصحاب مصر

وكان المتولي على حلب في ذلك الوقت من بني حمدان ولكن كان أمرهم قد ضعف واستولى لؤلؤ مولى ابن المعالي بن سيف الدولة على حلب واستبد بها فطمع صالح ابن مرداس في الاستيلاء عليها فهاجمها في ٥٠٠ فارس ولكنه انهزم امام لؤلؤ ووقع أسيراً في يده فبقي معتقلاً عنده مدة ثم تمكن من الهرب وجمع ٢٠٠٠ فارس وهاجم بهم حلب وانتصر على لؤلؤ فدفع له لؤلؤ مالا جزيلاً على ان يترك حلب ففعل . ثم ضعف امر لؤلؤ بحلب وخالف عليه أحد قواده المدعو فتح واستقر بالقلعة وكاتب الحاكم بامر الله الفاطمي بمصر وأظهر طاعته والعصيان على مولاه لؤلؤ وأخذ من الحاكم صيدا وببروت

وخرج لؤلؤ منها الى انطاكية . وتسلم حلب نواب الحاكم وتنقلت بأيديهم الى ان ضعف امر الخلافة الفاطمية بمصر واعتراه ما يعترى الدول من الهرم فاجتمع حسان امير بني طي وصالح بن مرداس امير بني كلاب وسنان بن عليان وتحالفوا واتفقوا على ان يكون من حلب لعانة لصالح بن مرداس ومن الرملة الى مصر لحسان ودمشق لسنان وكان هذا التحالف سنة ٤١٤ هـ

٣٢٣ - صالح بن مرداس

من سنة ٤١٤ - ٤٢٠ هـ او من سنة ١٠٢٣ - ١٠٢٩ م

فقصد صالح حلب وبها انسان يعرف بابن ثعبان يتولى امرها للمصريين وبالقلعة

خادم يعرف بموصوف فلما اهل البلد في لعموه الى صالح لاحسانه ولسوء سيرة المصريين معهم • وصعد ابن تيمان الى القلعة فحصره صالح بالقلعة الى ان نفذت الاقوات التي فيها فسلم الجند القلعة لصالح فاستتب له الامر بحلب وملك من بعلبك الى عانة واستمر اميراً مطاعاً ٦ سنين الى ان كانت سنة ٤٢٠ هـ وفيها أرسل الظاهر الفاطمي من مصر جيشاً بقيادة انوشتكين البربري الى الشام لقتال صالح وحسان • فاجتمع صالح وحسان على قتاله فاقتتلوا بالاقحوانة على الاردن عند طبرية فقتل صالح وولده الاصغر وانفذ راسها الى مصر ونجا ولده ابو كامل نصر بن صالح

٣٢٤ - نصر بن صالح

من سنة ٤٢٠ - ٤٢٩ هـ او من سنة ١٠٢٩ - ١٠٣٧ م

لسانجا ابو كامل نصر بن صالح من المعركة كما تقدم اسرع الى حلب وملكها وتلقب شبل الدولة وطمع فيه الروم اهل انطاكية ونجهزوا في جيش عظيم وقصدوا حلب للاغارة عليها فهزمهم اصحاب نصر بن صالح فعادوا الى انطاكية خاسرين واستمر نصر بن صالح ملكاً على حلب الى سنة ٤٢٩ هـ

وفيها أرسل المستنصر بالله الخليفة الفاطمي صاحب مصر الوزير بعساكر مصر الى حلب فبرز اليه نصر والتقوا عند حماة فانهزم نصر وقتل وملك الوزير حلب في رمضان من هذه السنة • واستولى الوزير على الشام كله وعظم امره وكثر ماله واستكثر من الجند فنعى للمصريين عنه انه عازم على العصيان فهدسوا لاهل دمشق بالخروج عن طاعته ففعلوا فسار الوزير عنها الى حلب في ربيع الآخر سنة ٤٣٢ هـ وتوفي بعد وصوله اليها بشهر واحد

٣٢٥ - ثمال بن صالح

من سنة ٤٣٣ - ٤٤٩ هـ او من سنة ١٠٤١ - ١٠٥٧ م

وكان ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بمعز الدولة بالرحبة فلما بلغه موت الوزير جاء الى حلب فملكها تسليماً من اهلها وحصر امرأة الوزير واصحابه بالقلعة

احد عشر شهراً ومالكها في صفر سنة ٤٣٤ هـ

وفي سنة ٤٤٠ هـ انفذ المصريون الى محاربته ابا عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان فخرج اهل حلب لحربه فهزمهم ثم رحل عن حلب الى مصر . ودامت الفتن والحروب بين ثمال بن صالح وبين المصريين الى ان تنازل ثمال عن حلب للمصريين فانفذوا اليها ابا علي الحسن بن علي بن ملهم ولقبوه مكين الدولة فتسلمها من ثمال في ذي القعدة سنة ٤٤٩ هـ

وسار ثمال الى مصر واستقر ابن ملهم بحلب ولكنه اساء السيرة في اهلها حتى ابغضوه وراسلوا محمود بن شبل الدولة نصر بن مرداس . وعلم ابن ملهم بذلك فقبض على جماعة منهم . وكان من ضمن الذين كاتبوا محموداً رجل يعرف بكامل بن نباتة فلما قبض ابن ملهم على اصحابه خاف وجلس يبكي ويقول لكل من ساله عن سبب بكائه . « ان اصحابنا الذين اخذوا قتلوا واخاف علي الباقيين » حتى هيج اهل المدينة على ابن ملهم واجتمعوا الى كامل بن نباتة وراسلوا محموداً وهو على مسيرة يوم يستدعونه فحضر عندهم واشتد ساعده بهم وذلك سنة ٤٥٢ هـ

٣٣٦ - محمود بن نصر بن صالح

من سنة ٤٥٢ - ٤٥٣ هـ او من سنة ١٠٦٠ - ١٠٦١ م

وحاصر محمود ومن معه ابن ملهم بحلب واتصل هذا الخبر بالمصريين فسيروا ناصر الدولة ابا علي بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر لينزع محموداً من دخول حلب . فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب ودخل البرية فتبعه ناصر الدولة فالتقيا بالفيندق في رجب من السنة فانهمزم اصحاب ابن حمدان وثبت هو فخرج وحمل الى محمود اسيراً فاخذه وسار الى حلب فملكها وملك القلعة في شعبان سنة ٤٥٢ هـ ثم اطلق محمود ابن حمدان وابن ملهم فسارا الى مصر . ثم ارسل المصريون ثمال بن صالح لاستخلاص حلب من يد ابن اخيه فذهب اليها في عسكر مصر وقاتل ابن اخيه وهزمه واستولى على حلب ثانية سنة ٤٥٣ هـ اما محمود فلحق باخواله بني نمير بحوران

٣٢٧ - ثمال بن صالح ثانية

من سنة ٤٥٣ - ٤٥٤ او من سنة ٢٠٦١ - ١٠٦٢ م

ولما دخل ثمال بن صالح حلب امتلكها واستتب له الامر فيها ثم غزا الروم وانتصر عليهم ثم توفي بحلب في سنة ٤٥٤ هـ وكان كرياً حلياً

٣٢٨ - عطية بن صالح

سنة ٤٥٤ هـ او سنة ١٠٦٢ م

لما توفي ثمال بن صالح تولى على حلب بعده اخوه عطية بن صالح فاستكثر من الترك حتى قوي امرهم عنده واستولوا على امور الدولة فاشار عليه اصحابه بقتلهم فامر اهل البلد بذلك فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون فقصدها محمود ابجرات واجتمعوا معه على حصار حلب فحصرها وملكها . اما عمه عطية بن صالح فلحق بالركة وملكها ولم يزل بها حتى اخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ٤٦٣ هـ ولحق عطية ببلاد الروم واقام بالتسطينية الى ان توفي سنة ٤٦٥ هـ

٣٢٩ - محمود بن نصر بن صالح ثانية

من سنة ٤٥٤ - ٤٦٨ هـ او من سنة ١٠٦٢ - ١٠٧٥ م

واستتب الامر لمحمود بحلب ثانية وقوي امره حتى اغار على ماحوله ففي سنة ٤٦٠ هـ ارسل محمود جيشاً من الترك بقيادة ابن خان التركاني الى ارتاح فحصرها واخذها من الروم . وسار محمود الى طرابلس وحصرها ولم يتركها حتى اخذ من اهلها اموالاً جزيلة واستمر محمود ملكاً مطاعاً الى ان توفي بحلب سنة ٤٦٨ هـ

٣٣٠ - نصر بن محمود

من سنة ٤٦٨ - ٤٦٩ هـ او من سنة ١٠٧٥ - ١٠٧٦ م

لما توفي محمود بن نصر بن صالح بن مرداس تولى بعده ابنه نصر وكان سيء السيرة مدمناً للخمر محباً لعشرة النساء فخرج يوماً وهو سكران الى جيش التركان الذين ملكوا اباه البلد وهو بالحاضر يوم الفطر فلقوه وقبلوا الارض بين يديه فسيهم واراد قتلهم فرماه احدهم بنشاب كانت القاضية عليه

٣٣١ - سابق بن محمود

من سنة ٤٦٩ - ٤٧٣ هـ او من سنة ١٠٧٦ - ١٠٨٠ م

لما قتل الترك نصراً اقاموا مكانه اخاه سابق بن محمود فاحسن السيرة وخصوصاً مع الترك ووصلهم وملاً ايديهم . وفي سنة ٤٧٢ هـ قدم تنش بن الب ارسلان وحاصر حلب اربعة اشهر حتى اشتد الحصار على اهلها وكاد تنش يفتحها لولا مساعدة شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي للحليين وامداده لهم . ثم رحل تنش عن حلب وملك بزاغة والبيرة . فلما رحل عنها استدعى اهل حلب شرف الدولة ليسلموها له فلما قاربها امتنعوا عن ذلك واتفق ابن ابن مقدمهم ابن الحثيثي خرج بتصيد فوقع اسيراً في يد شرف الدولة فقرر معه ان يسلمه البلد اذا اطلقه فاجابه الى ذلك واطلقه فسار الى حلب واجتمع بابيه وعرفه ما استقر فاذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ٤٧٣ هـ . وحصر القلعة واستنزل منها سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس وانقرضت بهذه الحادثة الدولة المرداسية والبقاء لله وحده

٣٣٢ - الدولة العبادية باشبيلية بالاندلس

(تمهيد) رأس هذه الدولة القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي من ولد النعمان بن المنذر واصل رياسته انه كان ولي القضاء والوزارة باشبيلية فلما حصلت الفتنة واستولى الحموديون على قرطبة من يد الامويين كان القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل مختصاً بالقاسم بن حمود وهو الذي احكم ولايته فلما ثار اهل قرطبة بالقاسم بن حمود وبايعوا المستظهر الاموي لحق القاسم باشبيلية وكان بها مع القاضي أبي القاسم محمد بن اسماعيل ومحمد بن زيري والياً عليها فاشار عليه أبو القاسم بعدم قبول القاسم بن حمود باشبيلية ففعل وطرده . ثم قام أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد وطرده محمد بن زيري من اشبيلية ايضاً وملكها هو واستتب له الامر فيها وذلك سنة ٤١٤ هـ ١٠٠٥ م

٣٣٣ - أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد

من سنة ٤١٤ - ٤٣٣ هـ او من سنة ١٠٢٣ - ١٠٤١ م

هكذا كانت بداية تملك محمد بن اسماعيل على اشبيلية واستمر أميراً على اشبيلية واحسن السيرة في اهلها . وفي ايامه ظهر امر المؤيد هشام بن الحاكم وكان قد اختفى وانقطع خبره وكان ظهوره بمالقة ثم سار منها الى المرية فخافه صاحبها زهير العامري فاخرجه منها فقصده قلعة رباح فاطاعه اهلها فسار اليهم صاحبه اسماعيل بن ذي النون وحاربهم فضعفوا عن مقاومته فاخرجوه فاستدعاه القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل ابن عباد اليه باشبيلية واذاع امره وقام بنصره وكان رؤساء الاندلس في طاعته فاجابه الى ذلك صاحب بلنسية ونواحيها وصاحب قرطبة وصاحب دانية والجزائر وصاحب طرطوشة واقرؤا بخلافته وخطبوا له وجددت بيعته بقرطبة في المحرم سنة ٤٢٩ هـ وسير ابن عباد جيشاً الى زهير العامري لانه لم يخاطب للمؤيد فاستنجد زهير بحبوس ابن ماكسن صاحب غرناطة فسار اليه بجيشه فعاد عسكر ابن عباد ولم يكن بين العسكرين قتال .

وفي سنة ٤٣١ هـ ارسل ابو القاسم ابنه اسماعيل في عسكر عظيم ليستولى على البلاد فاستولى على قرمونة واشبونة فاستنجدوا صاحبها بادريس بن علي الحمودي وباديس ابن حبوس الزيري فذهب اليه باديس بنفسه واهله ادريس بن علي بعسكر بقيادة ابن بقية مدبر دولته لكنهم خاموا عن لقاء اسماعيل بن ابي القاسم لكثرة من معه وعادوا عنه فسار اسماعيل مجدداً لياخذ الطريق على اصحاب باديس فادركهم وقد فارقه عسكر ادريس الحمودي قبل ذلك بقليل فارسل باديس من ردهم فعادوا وقاتلوا اسماعيل العبادي قتالاً شديداً فانهمزم اصحابه وقتل هو

وفي سنة ٤٣٣ هـ توفي ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد صاحب اشبيلية وكان حسن السياسة كريماً مهاباً تمكن من مد نفوذه على اغلب ملوك الطوائف بالاندلس بحسن سياسته

٣٣٤ - عباد بن محمد

من سنة ٤٣٣ - ٤٦١ هـ او من سنة ١٠٤١ - ١٠٦٨ م

لما توفي القاضي ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد تولى بعده ابنه عباد بن محمد ولقب بالمتعضد بالله فضبط ما ولي ثم اظهر موت الموثد واستقل بامر اشبيلية وما انضاف اليها (وقال بعض المؤرخين ان ظهور الموثد لا حقيقة له بل كان ذلك من تمويهات ومكر القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد ليستتب له الامر والله اعلم) وبقي عباد اميراً على اشبيلية الى ان توفي من ذبيحة لحقته لليلتين خلتا من جمادى الاخرى سنة ٤٦١ هـ

٣٣٥ - ابو القاسم محمد بن عباد بن القاضي محمد

من سنة ٤٦١ - ٤٨٤ هـ او من سنة ١٠٦٨ - ١٠٩١ م

لما توفي المتعضد عباد بن محمد تولى بعده ابنه ابو القاسم محمد بن عباد بن القاضي ابي القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد ولقب بالمتعضد على الله واتسع ملكه وشمخ سلطانه

وملك كثيراً من الاندلس وملك قرطبة ايضاً وولى عليها ابنه الظافر بالله فحسده يحيى ابن ذى النون عليها فسير اليها جرير بن عكاشة فملكها وقتل الظافر بالله . ولم يزل المعتمد يسعى في اخذها حتى عاد وملكها وولى عليها ولده المأمون

ولا يغرب عن القارىء الكريم ان المعتمد لم يملك ما ملك من بلاد الاندلس بمحض قوته بل كان يستمد بالفونس ملك اراغون كما استنجده غيره من ملوك الطوائف فانفتح للافونس باب للتدخل في امور المسلمين بالاندلس واستعمل معهم المكر والحيل وصار يضرب احدهم بالآخر حتى اخضع الجميع لسلطانه وضرب عليهم جزية سنوية كانوا يؤدونها وهم صاغرون واستمر الحال على ذلك الى ان ظهر بالمغرب ملك المرابطين واستفحل امر يوسف بن تاشفين فتعالت آمال المسلمين بالاندلس باعانه . وضايقهم الفونس (الطاغية) في طلب الجزية فقتل ابن عباد ثقتة اليهودي الذي كان يتردد اليه لاختذ الجزية بسبب كلمة اسف بها فاغتاظ الفونس جداً وابتدأ يتجهز الى اشبيلية فخاف المعتمد العاقبة واستنجد يوسف بن تاشفين فانجده وهزم الافرنج في واقعة الزلاقة المشهورة . (راجع فصل ٢٨٠) ثم طمع يوسف بن تاشفين في ملك الاندلس فاغار عليه واستولى على اشبيلية من يد ابن عباد سنة ٤٨٤ هـ

٣٣٦ - دولة ابن الافطس بيطليوس بالاندلس

(تمديد) رأس هذه الدولة ابو محمد عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الافطس اصله من بربر مكناسة لكنه ولد ابوه بالاندلس ونشأ بها وتخلقوا بخلق اهلها فلما كانت الفتنة التي شئت شمل الاندلس استولى عبد الله بن مسلمة على بطليوس وذلك سنة ٤٢١ هـ

٣٣٧ - ابو محمد عبد الله بن مسلمة

واستمر ابو محمد عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس اميراً على بطليوس الى ان توفي

٣٣٨ - ابو بكر محمد بن عبد الله

لما توفي ابن الافطس تولى بعده ابنه ابو بكر محمد بن عبد الله ولقب المظفر واستفحل ملكه وكان من أعظم ملوك الطوائف وكانت بينه وبين ابن ذي النون حروب كثيرة وكذلك مع ابن عباد * واستولى ابن عباد على كثير من ثغوره ومعاقله واعتصم المظفر بجبلبوس بعد هزيمتين هلك فيها خلق كثير وذلك سنة ٤٤٣ هـ ثم اصاح بينهما ابن جهور وفي سنة ٤٦٠ هـ توفي المظفر ابو بكر محمد بن عبد الله

٣٣٩ - عمر بن محمد

من سنة ٤٦٠ - ٤٨٩ هـ او من سنة ١٠٦٧ - ١٠٩٥ م

لما توفي محمد بن عبد الله تولى بعده ابنه ابو حفص عمر بن محمد المعروف بساجة ولم يزل سلطاناً بها الى ان قتله يوسف بن تاشفين امير المرابطين يوم الاضحى سنة ٤٨٩ هـ ورثاه ابن عبدون بقصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها
الدهر يفجع بعد العين بالاثر فما البكاء على الاشباح والصور
عدد فيها اهل النكبات ومن عثر به الزمان بما يبكي الجواد * وانقرضت دولة ابن الافطس بهذه الحادثة والدوام لله وحده

٣٤٠ - الدولة الجهورية بقرطبة بالاندلس

(تمهيد) كان رئيس الجماعة ايام الفتنة بقرطبة ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور لما خلع الجند المعتز آخر بني أمية ولم يدخل في شيء من الفتن قبل هذا بل كان يتصاون عنها فلما خلا له الجو وامكنته الفرص وثب على قرطبة واستولى عليها سنة ٤٢٢ هـ

٣٤١ - ابو الحزم جهور بن محمد

من سنة ٤٢٢ - ٤٣٥ هـ أو من سنة ١٠٣٠ - ١٠٤٣ م

ولما استولى جهور بن محمد على قرطبة لم ينتقل الى رتبة الامارة ظاهراً بل دبرها تدبيراً لم يسبق اليه مثيل واظهر انه حام للبلد الى ان يجيء من يستحقه ويتفق اليه الناس فيسلمه اليه . ورتب البوابين والحشم على ابواب قصور الامارة ولم يتحول هو عن داره اليها وجعل ما يرتفع من الاموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم . وكان جهور حسن السيرة جداً محباً للرعية للغاية حتى كان يحضر جنازتهم ويعود مرضاهم ويشهد افراحهم على طريقة الصالحين وهو مع ذلك يدبر الامر تدبير الملوك

وكان مأمون الجانب وأمن الناس في ايامه وبقي كذلك الى ان توفي

سنة ٤٣٥ هـ

٣٤٢ - ابو الوليد محمد بن جهور

لما توفي ابو الحزم جهور بن محمد تولى بعده ابنه ابو الوليد محمد بن جهور فجرت على سنن أبيه الى ان توفي

٣٤٣ - عبد الملك بن محمد

ولما توفي ابو الوليد محمد بن جهور تولى بعده ابنه عبد الملك بن محمد فاساء السيرة وتكره الى الناس وحاصره ابن ذي النون بقرطبة فاستغاث بمحمد بن عباد فامده بالجيش ووصي عسكره بذلك فدخلوا اهل قرطبة وخلعوه سنة ٤٦١ هـ واخرجوه عن قرطبة وانقض امر الدولة الجمهورية والله غالب على امره

٣٤٤ - دولة بني ذى النون بطليطلة بالاندلس

(تمهيد) راس هذه الدولة اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان ابن ذى النون أصله من قبائل هواره ورأس سلفه في الدولة المروانية وكانت لهم رئاسة في شنترية وتغلب اسماعيل هذا على حصن افلتين سنة ٤٠٩ هـ أثناء الفتنة وكانت طليطلة ليعيش بن محمد بن يعيش واليها منذ اول الفتنة فلما توفي يعيش هذا سنة ٤٢٧ هـ استدعى الجند بطليطلة اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذى النون من حصن افلتين فضى الي طليطلة وملكها

٣٤٥ - اسماعيل بن عبد الرحمن

من سنة ٤٢٧ - ٤٢٩ هـ او من سنة ١٠٣٥ - ١٠٣٧ م
وامتد ملك اسماعيل الي جنجالة من عمل مرشية ولم يزل اميراً بطليطلة الي ان توفي سنة ٤٢٩ هـ

٣٤٦ يحيى بن اسماعيل

من سنة ٤٢٩ - ٤٦٧ هـ او من سنة ١٠٣٧ - ١٠٧٤ م
لما توفي الظافر اسماعيل بن محمد تولى بعده ابنه يحيى بن اسماعيل ولقب المأمون واستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف ساطانته وكانت بيته و بين القونس (الطاغية) مواقف مشهورة .

وفي سنة ٤٣٥ هـ غزا بلنسية وغلب على صاحبها المظفر من ولد المنصور بن أبي غامر ثم غلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد وقتل ابنه أبا عمر
وفي سنة ٤٦٧ هـ توفي المأمون يحيى بن اسماعيل مسموماً على ما قيل

٣٤٧ - القادر بالله يحيى بن اسماعيل

من سنة ٤٦٧ - ٤٧٨ هـ او من سنة ١٠٧٤ - ١٠٨٥ م

لما توفي الأمامون يحيى بن اسماعيل تولى بعده حافده القادر بالله يحيى بن اسماعيل وضايقة الفونس مضايقة شديدة وحاصره مراراً حتى غلب على طليطة فخرج له القادر عنها سنة ٤٧٨ هـ وشرط عليه ان يظاھرہ على اخذ بلنسية وكانت لابن أبي عامر فخلع اهلها العامل عليهم خوفاً من القادر ان يمكن منهم الفونس فدخلها القادر واقام بها سنتين وقتل سنة ٤٨١ هـ وانقرض أمرهم .

وفي اخذ طليطة يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال
يا اهل اندلس حثوا مطيكم فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بدين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سنفط

٣٤٨ - الدولة السلجوقية بإيران

(تمهيد) تنسب هذه الدولة الى سلجوق وهو احد أمراء الترك رحل من بلاده لمضايقة ملك الترك له الى بلاد الاسلام بمجدود ايران واسلم هو وعشيرته وتوفي على مقربة من بخارى فخلفه على رياسة قبيلته ابنه ميكائيل فقاتل كفار الاتراك مراراً الى ان استشهد في بعض غزواته وخلف من الاولاد ياقو وطغرل بك محمداً وجفرى بك داود فاطاعهم عشائرم ووقفوا عند أمرهم ونهيم فخاف أمير بخارى منهم فاساء جوارهم وعمل جهده في ايصال لاذى بهم فالتجأوا الى بقراخان ملك الترك واقاموا عنده الى ان شعروا بنفرة منه سببت بينهم الحروب فالتجأتم الضرورة الى العبور الى خراسان فلما عبروا جيحون كتب اليهم خوازم شاه هرون بن التوتاش يستدعيهم ليعتقوا معه على ان يكونوا يداً واحدة فسار

ظفر بك وداود وبيقوا اليه وخبوا بظاهر خوارزم وذلك سنة ٤٢٦ هـ فغدر خوارزم شاه بهم واكثر في اصحابهم القتل والنهب والسبي فساروا عن خوارزم مجموعهم وقصدوا مرو

وكان السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين الغزنوي هذه السنة بطبرستان قد ملكها فراسلوه وطلبوا منه الامان وضمنوا انهم يقصدون الطائفة التي تفسد في بلاده ويدفعونها عنه ويكونون من اعظم اعوانه . فقبض السلطان مسعود على رسالهم وجيز عسكراً جراراً اليهم فساروا اليهم والنقوا عند نسا في شعبان واقتلوا فانهم السلجوقيون وعظم الامر عليهم واشتغل جيش السلطان مسعود بالغنيمة فكبسهم داود بن ميكائيل بعد ان كانوا قد اطمأنوا وامنوا الطالب فمزهمهم شر هزيمة

وعاد المنهزمون من العسكر الى الملك مسعود وهو بنيسابور فقدم على ما كان منه وخاف ان هيبة السلجوقيين تمكن من قلوب عساكره فلا يقدر ان يثبتوا امامهم فيما بعد فارسل الى ظفر بك وداود ابني ميكائيل يتهددهم ويتوعددهم . فامر ظفر بك كاتبه ان يكتب الى السلطان مسعود

« قل اللهم مالك الملك توقي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

فلما وصل كتابه هذا الى السلطان مسعود ارسل اليهم بعهدهم بالمواعيد الجميلة وشير اليهم خلعاً نفيسة ومنحهم لقب دهاقين فلم يقبلوا خلعهم واستخفوا برسالة لعلمهم بان كل ذلك مكر من السلطان مسعود وانه لو قدر عليهم لافناهم . وعاثوا في بلاده فساداً وتوات كتب نواب السلطان مسعود اليه بافسادهم في البلاد يستغيثون به فلا يجيبهم بشيء ولا يرسل اليهم من يمنع السلجوقيين لامر يريد الله حتى استولي السلجوقيون على خراسان وطردها منها اعمال السلطان مسعود . فاستيقظ السلطان مسعود من غفاته وجيز جيشاً عظيماً سيره بقيادة حاجبه سباشي فاقام بهرات مدة خائفاً لقاء السلجوقيين ثم تقدم الى مرو وبها

داود بن ميكائيل السلجوقي فقاتله داود وانتصر عليه وقويت نفوس السلجوقيين بهذا الانتصار وزاد طمعهم وعاد داود الى مرو فاحسن السيرة في اهلها وخطب له فيها اول جمعة في رجب سنة ٤٢٨ هـ وهذا بداية أمرهم ولا يخفى على القاري الكريم انه تفرغ من الدولة السلجوقية عدة فروع وممالك كبيرة لها شأن عظيم في التاريخ . والآن سأذكر الدولة السلجوقية الكبرى التي تفرع عنها كل ممالك السلجوقيين وان شاء الله سأذكر باقي ممالك السلجوقيين كل واحدة في حينها حسب الطريقة التي اتبعتها من البداية في هذا الكتاب مقدماً ما وضعاً الدولة التي ظهرت مقدماً طبعاً والله ولي التوفيق

داود بن ميکائیل

— ٣٤٩ —

وطغرل بك بن ميکائیل

من سنة ٤٢٨ — ٤٥٥ هـ او من سنة ١٠٣٦ — ١٠٦٣ م

وفي مدة يسيرة استولى داود وطغرل بك على كل خراسان وجرجان وطبرستان وخطب لهما بها حتى هاهم ملوك بني بويه المستولين على العراق والتزم الملك كاليجار من بني بويه ان يعقد اتفاقاً مع طغرل بك خوف غائلتهم وذلك سنة ٤٣٩ هـ وفي سنة ٤٤٢ هـ استولى طغرل بك على اصفهان وعلى اذربيجان في سنة ٤٤٦ هـ ولم يزل السعد يخدمهم والفوز يحالفهم والملك داود يفتح البلاد من جهة واخوه الملك طغرل بك من جهة حتى قوي امرهما وعظم صيتهما وكانت دولة بني بويه لذلك العهد للملك الرحيم آخر ملوكهم وكانت قد بلغت من الضعف والفوضى الى درجة لم يسبق لها مثيل فطمع السلطان طغرل بك في الاستيلاء على بغداد فتقدم اليها وملكها سنة ٤٤٧ هـ واعتقل الملك الرحيم وخطب له بها . واستقر الملك طغرل بك بالعراق واخوه داود بخراسان

وفي سنة ٤٥١ هـ توفي السلطان داود بن ميكائيل وملك بعده ابنه الب ارسلان وخلف داود عدة اولاد ذكور منهم السلطان الب ارسلان وياقوتي وسليمان وقاروت بك . واما توفي الملك داود تزوج اخوه طغرل بك امرأته ام ابنه سليمان وعهد لابنها سليمان بالملك من بعده

وفي سنة ٤٥٤ هـ خطب السلطان طغرل بك ابنة الخليفة القائم بامر الله العباسي فانزعج الخليفة لهذا الطلب الذي لم يقدم عليه احد قبل السلطان طغرل بك ورفض ذلك رفضاً باتاً مهما كانت نتيجة الرفض ولكن عميد الملك وزير السلطان طغرل بك اظهر للخليفة خطارة الرفض ونصحه كذلك القضاة والعلماء فقبل ذلك مضطراً وتم العقد في شعبان من هذه السنة . وكان السلطان طغرل بك في هذا الوقت في جهات بلاد ارمينية يحارب الروم فقدم في المحرم سنة ٤٥٥ هـ ليتم زفاف ابنة الخليفة له وتم ذلك في صفر من السنة فلما دخل اليها كانت تجالسة على سرير ملبس بالذهب فقبل الارض بين يديها وخدمها ومع ذلك هي لم ترفع الحمار عن وجهها ولا قامت له . ولم تطل ايام السلطان طغرل بك بعد هذا الزفاف لانه سار في ربيع الاول من هذه السنة من بغداد الى بلاد الجبل فلما وصل الى الري مرض وتوفي . وكان عمره سبعين سنة تقريباً وكان عقيماً لم يلد ولداً . وكان طغرل بك حليماً شجاعاً باسلاً في الحروب لا يطيب له عيش بغير الغزو وشن الغارات

٣٥٠ - الب ارسلان بن داود

من سنة ٤٥٥ - ٤٦٥ هـ او من سنة ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م

ولما توفي السلطان طغرل بك اجلس عميد الملك في السلطنة سليمان بن داود فلما خطب له بالسلطنة اختلف عليه الامراء وخطب بعضهم للسلطان الب ارسلان وهو في ذلك الوقت صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيده والناس ماثلون اليه .

فلما رأى عميد الملك انقلاب الحال عليه امر بالخطبة للسلطان الب ارسلان
وبعده لآخيه سليمان

أما السلطان الب ارسلان (ومعنى اسمه الأسد الظافر) فكان بطلاً صنديداً
وسيداً مهيباً لم يقم في الدولة الساجوقية اعظم منه . وقام عليه لاول ولايته الامير
قطلمش الساجوقي (جد سلاجقة بلاد الروم او بالحري اسيا الصغرى) وجمع
جموعاً كثيرة وتقدم قاصداً الري فاتصل الخبر بالسلطان الب ارسلان فاسرع
بتسيير الجنود الى الري فسبقوا قطلمش اليها وقتلوه وهزموه

ولما استتب الامر للسلطان الب ارسلان وجه التفاته لغزو بلاد الروم اتماماً
لما قصد اليه فلما منها عدة مدن لكنه كان شديد الوطأة على المسيحيين حتى
هيجت معاملته لهم غضب الدولة الرومانية الشرقية وكان امبراطور القسطنطينية
يومئذ من اشهر ابطال زمانه واعظمهم قدراً وهو رومانوس ديوجانيس (رومانوس
الرابع) فهذا بدء بالاستعداد لقتال السلطان الب ارسلان فجهز جيشاً عظيماً
بالغ ٢٠٠ الف مقاتل على ما قيل وتقدم بهم الى ملازكرد من اعمال خلاط
(يقال خلاط أو اخلاط) فبلغ السلطان الب ارسلان وهو بمدينة خونج من
اذريجان عائداً من حلب فسار اليه في خمسة عشر الفا اذ لم يتمكن من جمع
المساكر لبعدها وقرب العدو . فجد في السير فلما قرب العسكران رأى الب
ارسلان ان قوته اقل كثيراً من قوة الرومانيين فارسل الى امبراطورهم
يطلب منه المهادنة فرفض رومانوس هذا الطلب فانزعج السلطان لذلك . فلما
كان يوم الجمعة بعد الزوال صلى وبكى فبكى الناس لبكائه ثم لبس البياض وتخطط
وقال « ان قتلت فهذا كفي » وزحف الى الروم بجيشه القليل بقلوب لا امل
لها في الحياة فانهمز الروم هزيمة شنعاء وأسر الامبراطور رومانوس بنفسه
والذي اسره ضابط خامل من ضباط السلطان الب ارسلان تهدده الب ارسلان
في اليوم السابق بالعزل والتجريد على خوله ولم يعلم ان الذي قبض عليه هو
الامبراطور ولكنه جاء به الى مولاة فلما رأى الب ارسلان اهتمام الرومانيين

العظيم في انقاذ هذا الاسير وصراخهم الكثير من بعده علم ان اسيره رومانوس وسأله عن ذلك فاجاب بالايجاب فعند ذلك ضربه ثلاث مقارع وقال له « الم ارسل اليك في المهادنة فاييت » فقال « دعني من التوبيخ وافعل ما تريد » فقال له السلطان « ما عزمت ان تفعل بي ان اسرتني » قال « القبيح . فلم يغضب الب ارسلان من هذا ولا اظهر الكدر فدل بذلك على شهامته ومروءته وسأل رومانوس ثانية « ماذا تظن اني سافعل بك » قال « ان كنت ظالماً فاقتلني او محبباً لفخر فجزني بالقيود الى عاصمة ملكك والاخرى بعيدة وهي ان كنت كريماً فاطلقتني من الاسر على مال او ديه اليك » فقال الب ارسلان « اني شكرأ خالصاً ووعدته جزاء هذا الاحسان ان يخلص له الوداد ويدفع اليه جزية عاماً بعد عام وعلى هذا الاتفاق افترق البطلان ورومانوس ينوي القيام بوعدته ولكن التقادير لم تساعد على ذلك لانه وجد حين وصوله الى بلاده ان قومه خانوه وولوا غيره مكانه فخار في امره وخاف ان يتهمة الب ارسلان بالخيانة فجمع كل ما قدر على جمعه من المال وارسله الى السلطان شارحاً له حقيقة حاله وسبب التقصير في اداء المطلوب كله فثأثر الب ارسلان لذلك وعزم على تعضيد صديقه وارجاع الملك اليه بقوة السيف وبينما هو يستعد لذلك بلغه ان الرومانيين سجنوا رومانوس البطل وقتلوه فمدل عن عزمه ونوى للرومانيين شرّاً وكل ذلك كان سنة ٤٦٣ هـ .

وعظم قدر الب ارسلان بعد ذلك واتسعت حدود مملكته وصارت من حدود الشام الى ضفاف نهر جيحون وامتلات خزائنه بالمال واجتمع تحت أمره ٢٠٠ الف بطل فقصده ارجاع بلاده الاصلية وهجم على خوارزم فاعترضه في طريقه مستحفظ قلعة اسمه يوسف وأخره زماناً ثم ظفر به الب ارسلان فأمر اصحابه ان يضربوا له اربعة اوتاد ويشد اطرافه اليها . فقال له يوسف « يا مخنث مثلي يقتل هذه القنلة » فغضب السلطان واخذ القوس والنشاب وأمر غلمانه بتخليته

ليقتله هو بيده فخلوه ورماه السلطان بسهم فاخطاه فوثب يوسف يريد فقام السلطان عن السرير ونزل عنه فعثر ووقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته فكانت هي القاضية عليه وبقي الب أرسلان مدة يتألم من جرحه قبل الوفاة وهو يلوم نفسه على ما بدا منه من عدم التدبير وقلة الحكمة في معاملة خصمه ولات ساعة مندم وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله ثم توفي الب أرسلان في عاشر ربيع الاول سنة ٤٦٥ هـ وكانت مدة ملكه تسع سنين وستة اشهر واياماً . وكان السلطان الب أرسلان من اعظم الابطال واشهر القواد الفاتحين وكان يكرم العلماء وينشط العلم وقام بتدبير دولته الوزير الفائق الشهرة المعروف بالخواجه نظام الملك واعطاه السلطان الب أرسلان السلطة التامة في تدبير أمور الدولة وحكومتها فقام بما اسند اليه خير قيام وتقدمت البلاد في مدته تقدماً عظيماً ودفن الب أرسلان في مدينة مرو ببلاد خراسان ورسم على قبره عبارة هذه ترجمتها - (يا من رأيت عظمة الب أرسلان تصل الى السماء تعالوا الى مرو وانظروها مدفونة في التراب .)

٣٥١ - ملك شاه بن الب أرسلان

من سنة ٤٦٥ - ٤٨٥ هـ او من سنة ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م

لما توفي السلطان الب أرسلان تولى بعده ابنه ملك شاه وخالف عليه لأول ولايته غم قاروت بك بن داود واسرع طالباً الري للاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملك شاه والوزير نظام الملك وجرى بين الفريقين قتال انهزم به قاروت ووقع اسيراً في يد احد اصحاب السلطان ملك شاه فقتله فتشتت عساكره وكان كثيرون من عسكر ملك شاه يميلون الى قاروت بك فلما قتل مدوا ايديهم الى اموال الرعية بدعوى ان الوزير نظام الملك يمنع عنهم الاعطايات فزال الرعية من ذلك اذى شديد فظهر نظام الملك للسلطان خطارة الامر ان هو لم

يضرب على ايدي المنسدين ففوض ملك شاه الى الوزير نظام الملك اجراء ما يراه موافقاً فلم يمض وقت كبير حتى ازال تلك المفاسد واطهر من الكفاءة والشجاعة وحسن السيرة ما هو مشهور

وفي سنة ٤٧٣ هـ خالف الامير تكش (وقيل طرسوس) على اخيه السلطان ملك شاه وجمع من حوله رجالاً يجاهرون بعزمهم على اعطائه الملك فحارب به ملك شاه وانتصر عليه بغير عناء كبير ففر الامير من البلاد واستراح السلطان بعد ذلك من القلاقل . ثم وجه السلطان ملك شاه هممه الى الفتح فنجح في ذلك كثيراً وفي مدة يسيرة استولى على ما وراء النهر كبخارا وسمرقند وخوارزم وكاشغر غير ما افتتحه من جهات الشام التي صارت بعد قليل في قبضة يده فاتسعت مملكته اتساعاً هائلاً حتى صار هو السلطان المطلق على بلدان اسيا الواقعة ما بين البحر المتوسط وحدود الهند

وكان الخليفة العباسي صاحب بغداد في يد هذا السلطان العظيم ونحت أمره لا يملك من الخلافة غير اسمها وكل ما بقي من مهام الملك في يد هذا السلطان السلجوقي ثم زار السلطان ملك شاه بغداد مرتين فشغف بها حتى عزم على نقل كرسي مملكته اليها . وقد مدح المؤرخون ملك شاه بكل امر حميد ونسبوا اليه كل فضيلة ولكنه مع كل ما نسب اليه من الفضائل قد سود صحيفة تاريخه البيضاء بقتل وزيره نظام الملك الذي شاد له ولايته من قبله صروح الفخار وأسس له سلطنة نفوق كل سلطنات ذلك الزمان . وقد ذهب المؤرخون عدة مذاهب في سبب قتله نذكر اشهرها وقرر بها الى العقل وذلك ان نظام الملك ولي حافده عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك اعمال مرو وارسل السلطان اليها شحنة اسمه قودن وهو من خواصه فنازع عثمان في شيء فحملت عثمان حداثة سنه وطمعه بجده على ان قبض على قودن وسجنه ثم اطلقه فقصد السلطان ملك شاه مستغيثاً كياً فاغناظ السلطان ملك شاه لاستبدال نظام الملك وبنيه في الملك وتعدبهم حدود سلطتهم وارسل الى نظام الملك رسالة يقول له فيها « ان كنت شريكاً في الملك فلذلك

حكم وان كنت ناثبي فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهو لا اولادك قد جاوزوا أمر السياسة وطعموا الى ان فعلوا كذا وكذا»

فحضر المرسلون عند نظام الملك واوردوا عليه الرسالة فقال :

« قولوا للسلطان اذا كنت لم تعلم بعد اني شريكك في الملك فاعلم . فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيرى ورأيتى اما تذكر حين قتل ابوك فقامت بتدبير امرك وقمعت الخوارج عليك من أهلك وغيرهم وانت في ذلك الوقت لئمتك بي فلما قدت الامور اليك واطاعتك القاصي والداني اقبلت لئمتى لي الذنوب وتسمع في السمايات . وقولوا له عني ان ثبات تلك القنسوة معذوق بهذه الدواة وان اتفقا بها سبب كل غنيمة ومتى اطبقت هذه الدواة زالت تلك » واطال فيما هذا سبيله

فلما خرج الرسل من عنده اتفقوا على كتمان ماجرى عن السلطان فابلغوه ما مضمونه العبودية والاعتذار . ولكن كان للسلطان عين في أولئك الرسل من خواصه المقر بين اليه لانه خاف ان يكتم الرسل عنه ما يقول نظام الملك فابلغه ما قاله نظام الملك بالحرف الواحد . ومن هذا الوقت ابتداء السلطان ملك شاه في تدبير قتل نظام الملك فوضع له بعض الباطنية فقتله عاشر رمضان سنة ٤٨٥ هـ

وقبل في ابتداء أمر نظام الملك انه كان من ابناء الدهاقين بطوس وكان كاتباً للامير باخر صاحب بلخ وكان الامير يصادره في رأس كل سنة ويأخذ مامعه ويقول له (قد سمعت يا حسن) فهرب الى الملك داود بن ميكائيل السلجوقي وهو بمرود دخل اليه . فلما رآه اخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له « هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذ والدًا ولا تخلفه » . وكان نظام الملك اذا دخل عليه الائمة الا كابر لا يقوم لهم ويجلس في مسنده وكان له شيخ فقير اذا دخل اليه يقوم له ويجلسه في مكانه ويجلس بين يديه فقيل له عن سبب ذلك فقال « أن أولئك اذا دخلوا علي يشنون علي بما هو ليس في يدي كلامهم عجباً وتبهاً وهذا يذكرني بعبوب نفسي وما انا فيه من الظلم فتتكسر نفسي لذلك فارجع

عن كثير مما انا فيه وكان مجلسه عامراً بالعلماء واهل الخير والصلاح وهو الذي بني المدرسة النظامية ببغداد فكانت تضاهي اعظم مدارس أوروبا اليوم . واكثر الشعراء من رثائه فمن جيد ما قيل قول شبل الدولة :

كان الوزير نظام الملك لوثة يقيمة صاغها الرحمن من شرف
بدت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيره منه الي الصدف

ولم يعيش السلطان ملك شاه بعد هذا الوزير الا شهوراً وبضعة ايام حاول في خلالها ان ينفذ غرضه وينقل مقر السلطنة الى بغداد لانه كان مغرمًا بالعيش في تلك المدينة فعارضه الخليفة ورجاه ان يتمهل في الامر ويصبر عشرة ايام ريثما يرى طريقة في الانتقال منها فأبى له ملك شاه ذلك ولكن الموت عاجله قبل انقضاءها فمات مأسوفاً عليه ليلة الجمعة النصف من شوال سنة ٤٨٥ هـ ثمان وثلاثين من عمره بعد ان رقيت بلاده في ايامه الى اعلى درجات الثروة والعز ورتعت في مجبوحة الامن والسلام زمناً طويلاً فظم واصلح وشاد المعابد والمدارس . واكثر هذا السلطان من المستشفيات وقرب العلماء وأهل الادب واكثر لهم من الصلات . وفي ايامه اجتمع العارفون بالحساب والفلك والفوا التقويم الاسلامي المشهور باسم الجلالية نسبة الى جلال الدين وهو لقب السلطان ملك شاه

٣٥٢ - محمود بن ملك شاه

من سنة ٤٨٥ - ٤٨٥ هـ او من سنة ١٠٩٢ - ١٠٩٢ م

لما توفي السلطان ملك شاه كتبت زوجته ترکان خاتون موته واستدعت اليها الامراء فسترضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره اربع سنين وشهور وهو اصغر اولاد السلطان ملك شاه فخلفوها على ذلك وارسلت الى الخليفة المقتدي العباسي في الخطبة لابنها فاجابها الى ما طالبت به ان اشترط عليها ان يقوم ناج

الملك (وزير ملك شاه بعد قتل نظام الملك) بوصايته لصغر سنه فاجابته الى ذلك وخطب لمحمود يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال سنة ٤٨٥ هـ وكان بركيارق اكبر اولاد السلطان ملك شاه في اصفهان فخافته ترکان خاتون وارسلت اليه من قبض عليه واعتقله ولكن لما ظهر خبر موت السلطان ملك شاه لم ترض الجنود النظامية بمحمود سلطاناً عليهم لصغر سنه ووثبوا على السجن الذي فيه بركيارق واخرجوه من الحبس وخطبوا له في اصفهان وبايعوا له . فلما علمت ترکان خاتون بالخطبة لبركيارق باصفهان سارت اليها في العساكر لقتاله وحصلت وقائع بين الفريقين فانهزم عسكر ترکان خاتون وحاصرها باصفهان وشتت شمل عساكرها واستولى على الملك

٣٥٣ - بركيارق بن ملك شاه

من سنة ٤٨٥ - ٤٩٨ هـ أو من سنة ١٠٩٢ - ١١٠٤ م

ولما هزم بركيارق عسكر ترکان خاتون سار الى بغداد وخطب له فيها سنة ٤٨٦ هـ . وكان السلطان بركيارق هذا اشقى سلاطين السلاجقة وكل ايامه كانت حروب ومنازعات لانه لم يكد يستتب له الامر حتى خاف عليه عمه تنش ابن البارسلان (جد الدولة البورية في الشام وحلب) وقاتله وهزمه ولكنه تمكن بعد قليل من جمع شتات عسكره واعاد الكرة على عمه تنش فهزمه وقتله سنة ٤٨٨ هـ ولم يكد يستريح من عمه حتى ظهر اخوه الملك محمد بن ملك شاه وناوأ اخاه بركيارق القتال وانتصر عليه مراراً ودامت الحروب بينهما اكثر من ثماني سنوات تارة ينتصر محمد ويخطب له بغداد واخرى ينتصر بركيارق فيعيد الخطبة له الى ان وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملك شاه وتقررت القاعدة بينهما ان يخطب للسلطان بركيارق بالري والجل وطرستان وخوزستان وفارس وان يخطب للسلطان محمد بديار بكر والجزيرة والموصل والشام وارمينية

والمراق وان لا يعارض أحدهما الآخر في شيء مما له أما بلاد خراسان فاقطعها
لاخيهما الملك سنجر ولم يهنا السلطان بركيارق بهذا الصلح لان المنية عاجلته في السنة
التالية وكان قد أصيب بالسل والبواسير فلما يئس من نفسه خلع على ولده ملك شاه
وعمره أربع سنين وثمانية اشهر واحضر جماعة الامراء واعلمهم انه قد جعل ابنه ولي
عهد في السلطنة وجعل الامير اياس اتابكه فاجابوه كلهم بالسمع والطاعة . ثم توفي
السلطان بركيارق في يوم ١٢ ربيع الآخر سنة ٤٩٨ هـ .

٣٥٤ - ملك شاه بن بركيارق

من سنة ٤٩٨ - ٤٩٨ هـ او من سنة ١١٠٤ - ١١٠٤ م

ولما توفي السلطان بركيارق تولى بعده ابنه ملك شاه كوصيته وقام بتدبير
دولته وزيره اياس فطمع عمه محمد بن ملك شاه في الاستيلاء على ما بيد ابن
اخيه فسار اليه وانتزع الملك من يده فصارت جميع المملكة للسلطان محمد بن ملك
شاه بن الب ارسلان

٣٥٥ - محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان

من سنة ٤٩٨ - ٥١١ هـ أو من سنة ١١٠٤ - ١١١٧ م

واستتب الامر للسلطان محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان . وتوالي هذه
الحروب والفتن المهلكة ضعف شأن الدولة السلجوقية ووثب نواب الاعمال كل على
ما في يده واستولى عليه ولكن السلطان محمدًا كان شجاعاً لا يهتمل الضيم فلم يقدر ان
يرى هذا الانقسام وعزم على عمل كل ما في جهده لارجاع السطوة للدولة السلجوقية
كما كانت فسار سنة ٤٩٩ هـ الى الموصل ليأخذها من جكرميش صاحبها لذلك
الوقت فخرج هذا الى السلطان محمد واطهر عبوديته وتابعيته له فأقره على عمله وعاد

عنه . فلما عاد السلطان محمد عن الموصل وثب عليها شخص يقال له جاولي واغتصبها من جكرميش واستولى عليها فأرسل اليها السلطان محمد عسكرياً وملكها من اصحاب جاولي سنة ٥٠٢ هـ

وكان السلطان محمد عضداً قوياً لجيوش المسلمين في الحروب الصليبية التي ثارت نيرانها في تلك الايام وأمرها معروف

وفي ذي الحجة سنة ٥١١ هـ مرض السلطان محمد بن ملك شاه بن الب أرسلان فلما يئس من نفسه أحضر ولده محموداً وقبلة وبكى كل واحد منهما وأمره ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وعمره اذ ذاك قد زاد على اربع عشرة سنة . فقال محمود لوالده « انه يوم غير مبارك » يعني من طريق النجوم فقال له « صدقت ولكن عليّ اما عليك فمبارك بالسلطنة » فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين . وكان السلطان محمد عظيم الهيبة عادلاً حسن السيرة شجاعاً

٣٥٦ - محمود بن محمد

من سنة ٥١١ - ٥٢٥ هـ أو من سنة ١١١٧ - ١١٣٠ م

لما توفي السلطان محمد تولى السلطنة بعده ابنه محمود ووثب عليه لاول ولايته عمه الملك سنجر صاحب خراسان ووقع بينهما حرب شديدة انهزم فيها السلطان محمود واستولى عمه سنجر على جميع البلاد وهرب محمود فرأسله السلطان سنجر في الصالح على ان يخاطب السلطان سنجر في جميع البلاد أولاً وللسلطان محمود بعده واستقر الامر بينهما على ذلك فأعاد السلطان سنجر ابن اخيه السلطان محموداً الى بلاده . وكان السلطان سنجر شجاعاً فأعاد الى الصدور اخترام الناس الاول لآل سلجوق والخضوع لدولتهم حتي ولي على سمرقند رجلاً من اوباش الناس كان ساقياً له في قصره

ومار هذا الوالي مجيئاً الى السلطان سنجر حيناً بعد حين ويقدم له الشراب

وهو منرد برداء الامارة حتى شاع بين الناس ان سنجر عظم الى حد ان الملوك صارت تخدمه وتقف للخدمة بن يديه

ولم يكذ السلطان محمود يستريح من غارة عمه التي قضت على استقلاله حتى خالف عليه اخوه السلطان مسعود صاحب اذربيجان وأراد الوثوب عليه والاستيلاء على ما بقي من اثار السلطنة فأرسل السلطان محمود الى اخيه من نصحه ليرجع عن غيه واحضره الى اخيه السلطان محمود فقبله بكل تجلة واكرام واجلسه معه على كرسي السلطنة فدل بذلك على شهامته وكرم اخلاقه وذلك سنة ٥١٤ هـ .

وفي سنة ٥١٧ هـ اشتدت نكاية الكرج في بلاد الاسلام وعظم الامر على الناس لا سيما اهل دربند شروان فحضر جماعة من اعيانهم الى السلطان محمود وشكوا اليه ما هم فيه من الخوف من الكرج وعدم مقدرتهم عن حفظ بلادهم فسار السلطان محمود معهم وقاتل الكرج وهزمهم واجلاهم عن بلاد المسلمين

وفي سنة ٥١٩ هـ اتحد الملك طغرل اخو السلطان محمود مع ديبس بن صدقة المزيدي على قصد العراق فقصداه في جموعهما ولكنهما انهزما امام الخليفة اولاً وامام السلطان محمود ثانياً فلحقا بالملك سنجر بخراسان ثم دس ديبس الى الملك سنجر ان السلطان محموداً خرج عن طاعته وانه اتحد مع الخليفة على ابعاده (ابعاد سنجر) ولم يزل به حتى اجابه الى المسير الى العراق . فلما وصلوا الى الري كان السلطان محمود بهمدان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته ام تغير على ما زعم ديبس . فلما جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمه فاكرم السلطان سنجر وفادته واجلسه معه على التخت . وتحقق السلطان سنجر حسن نية السلطان محمود وكذب ديبس فعاد الى خراسان بعد ان سلم ديبساً الى السلطان محمود واوصاه باكرامه واعادته الى بلده

وفي سنة ٤٢٥ هـ في شوال توفي السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه بهمدان وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة . وولايته ثلاث عشرة سنة وكان حليماً كريماً

عاقلاً يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع في اموال الرعايا
عفيفاً عنها كافاً لاصحابه عن التطرق الى شيء منها

٣٥٧ - داود بن محمود

من سنة ٥٢٥ - ٥٢٦ هـ أو من سنة ١١٣٠ - ١١٣١ م

لما توفي السلطان محمود بن محمد تولى بعده ابنه داود ولكنه لم يهنأ بالسلطنة
اذ وثب عليه عمه السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه واخذ البلاد من يده
وذلك سنة ٤٢٦ هـ

٣٥٨ - مسعود بن محمد بن ملك شاه

من سنة ٥٢٦ - ٥٤٧ هـ أو من سنة ١١٣١ - ١١٥٢ م

وكانت ايام السلطان مسعود جميعها فتن وحروب لا يخرج من خرب حتى
تفتتح امامه اخرى وذلك لقيام اخوته واولادهم ومنازعتهم هذا السلطان السيء
الحظ في السلطنة حتى ضعفت الدولة السلجوقية الى درجة لم يسبق لها مثيل
وطمع الخليفة المسترشد بالله العباسي (مع ان عهدنا بالخلفاء من زمن طويل لا
يقدر على منازعة اقل الامراء اضعفهم فضلاً عن الملوك) في قتال السلطان
ولكن لم تكن قوة السلطان مسعود قد بلغت من الضعف هذه الدرجة حتى ينتصر
عليه الخليفة فانصر السلطان مسعود عليه واسر الخليفة ووضعه في خيمة واتفق
وصول السلطان سنجر فخرج الناس والسلطان مسعود لمقابله فقام الباطنية على
الخليفة وقتلوه كما تقدم ذكر ذلك . وكان بالضعف قد تطرق الى كل جسم
السلجوقية في ذلك الوقت فان السلطان سنجر وهو اعظم سلاطينهم ويعد الجميع
نواباً عنه في اعمالهم بلغ به الضعف الى درجة لم ترو عنه قبلاً فانهمزم امام الخطا

الذين استعان بهم خوارزم شاه على قتاله

وفي سنة ٥٤٧ هـ توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه بهمدان وكان عهده الى ملك شاه ابن اخيه السلطان محمود فخطب له الامير خاصبك بالسلطنة ورتب الامور وقررها بين يديه . ثم قبض عليه وارسل الى اخيه السلطان محمد ابن محمود وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده ان يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة . فسار اليه محمد فاجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة . ثم شمر محمد بنجبث خاصبك فثاني يوم وصوله لما دخل اليه قتله ومعه زكي الجاندار والقي راسيهما وبقيتا حتى اكتهما الكلاب واستقر محمد في السلطنة

٣٥٩ - محمد بن محمود

من سنة ٥٤٧ - ٥٥٤ هـ او من سنة ١١٥٢ - ١١٥٩ م

وكان السلطان محمد ضعيفاً بهذا المقدار حتى لم يتمكن من حمل الخليفة ان يخطب له ببغداد فاستبد الخليفة المقتني بالله بالعراق منفرداً عن اي سلطان وحكم على عسكره واصحابه وهو اول من قدر على ذلك من حين تحكم المماليك على الخلفاء ومن عهد المستنصر الى الان . وحاول السلطان محمد ان يحمل الخليفة بالقوة على ان يخطب له وحاصر بغداد لهذا الغرض فلم يفر بمراده

واهم ما يذكر في هذه المدة انهزام السلطان سنجر امام الغزو وقوعه اسيراً في قبضة يدهم فاذاقه الترياق كل انواع العذاب والهوان ثم تمكن من الفرار فوجد البلاد في اسواء حال فمات من الغم في سنة ٥٥٢ هـ . وهو يعرف بالسلطان العادل وله شهرة كبير في البأس والبسالة ولكنه كان سيئ الطالع

وفي سنة ٥٥٤ هـ توفي السلطان محمد بن محمود ولم يترك الا ولداً صغيراً فسلمه قبل وفاته الى آقسنقر الاحمديلي وقال « انا اعلم ان الناس لا تطيع مثل هذا الطفل وهو وديعة عندك فارحل به الى بلادك . » فاخذته ورحل الى مراغة

۳۶۰ - سلیمان بن شاه بن محمد

من سنة ۵۵۴ - ۵۵۶ هـ او من سنة ۱۱۵۹ - ۱۱۶۰ م

ولما توفي السلطان محمد بن محمود اجمع راي ولاية الامور على تولية عمه سليمان شاه في الملك بعده ولكن خاب ظنهم لما كان يرجونه من اصلاح سليمان شاه الاحوال لانه ما عثم ان تسلم السلطنة حتى عكف على شرب الخمر ومعاشرة النساء والصفاعين وكان له وزير عاقل يدعى شرف الدين كردبازة فنهأه عما هو فيه وان المملكة في غاية الاحتياج لمن يديرها فاهانه سليمان شاه وأمر اصحابه الصفاعين ان يعبثوا به فاغناظ شرف الدين كردبازة مما حصل وندم على نصحه لسليمان شاه وانقطع عن مقابلته وصار ينتهز الفرص للخلاص من تحت يد هذا السلطان الغشوم الى ان مكنته الفرص من ذلك فقتله سنة ۵۵۶ هـ .

۳۶۱ - ارسلان شاه بن طغرل بك بن محمد

من سنة ۵۵۶ - ۵۷۳ هـ او من سنة ۱۱۶۰ - ۱۱۷۷ م

لما قتل شرف الدولة كردبازة السلطان سليمان شاه بن محمد ولي بعده ارسلان شاه بن طغرل بك بن محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان فاستوزر لاول ولايته ايلد كز . وكان ايلد كز هذا من موالي السلطان مسعود وكان عاقلاً حسن السيرة عظيم السياسة فاستولى على الامور وصار صاحب الامر والتحي ولم يكن لارسلان شاه الا الاسم فقط واستمر الحال على ذلك الى ان توفي ايلد كز سنة ۵۶۷ هـ فقام بتدبير الدولة بعده ابنه محمد البلهوان واتبع بخطوات ابيه من الاستيلاء على أمور السلطنة والحجر على السلطان ارسلان شاه . وفي سنة ۵۷۳ هـ توفي السلطان ارسلان شاه بن طغرل

٣٦٢ - طغرل بن ارسلان شاه

من سنة ٥٧٣ - ٥٩٠ هـ أو من سنة ١١٧٧ - ١١٩٣ م

ولما توفي السلطان ارسلان شاه بن طغرل تولى بعده ابنه طغرل وقام
البلهوان محمد بن ايلدكز بتدبير دولته كما كان في أيام ابيه الى ان توفي البلهوان سنة
٥٨٢ هـ وتولى تدبير الدولة بعده ابنه قزل بن محمد فطمع طغرل حينئذ في استرجاع
حقوق السلطنة المضمومة وجمع العساكر وعارض قزل في اجراءاته جهاراً فخافه
وارسل الى الخليفة يستنجده ويخوفه من طغرل . وفي الوقت نفسه كان طغرل قد
أرسل رسولاً الى الخليفة يطلب الخطبة له ببغداد ونقل كرسي السلطنة اليها .
فاكرم الخليفة رسول قزل ووعدته بالنجدة ورد رسول السلطان طغرل بلا جواب وأمر
بنقض دار السلطنة ببغداد فهدمت الى الارض وعفي اثارها

وفي سنة ٥٨٤ هـ أرسل الخليفة العساكر مدداً لقتل السلطان طغرل
فهمزهم طغرل وشتت جموعهم وأعاد هيبة الناس للملك الساجوقية نوعاً ما . ولكن
قزل جمع شتات عسكره واعاد الكرة على السلطان طغرل فهمزهم وقبض عليه واعتقله
فبقي في اعتقاله الى سنة ٥٨٧ هـ وفيها قتل قزل ولم يعلم قاتله وتولى بعده ابنه اينانج
فهرب السلطان طغرل من سجنه بعد قتل قزل وحارب اينانج بن قزل وانتصر
عليه فاستنجد اينانج خوارزم شاه علاء الدين تكش فسار اليه سنة ٥٨٨ هـ فلما
تقارباً ندم اينانج على استدعاء خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه
وتحصن في قلعة له فوصل خوارزم شاه الى الري وملكها وحاصر قلعة طبرك ففتحها
في يومين ورأسله طغرل واصطلحا وبعث الري في يد خوارزم شاه ثم عاد الى
خوارزم لئلا يمنعها من استيلاء اخيه سلطان شاه عليها . فلما دخلت سنة ٥٩٠ هـ
قصد السلطان طغرل بلد الري فاغار على من به من اصحاب خوارزم شاه وعلم
بذلك اينانج بن البلهوان فخاف على نفسه وارسل الى خوارزم شاه يعتذر ويسأله
النجادة مرة ثانية ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من

السلطان طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومعه منشور باقطاعه البلاد . فسار خوارزم شاه من نيسابور الى الري وعلم طغرل بمجيئه وكانت عساكره متفرقة فلم ينتظر ليجمعها بل سار مجدا فين معه فراجع عن قصده حتى تجتمع اليه العساكر فلم يقبل وكان فيه شجاعة . بل تم مسيره فالنقى العسكران بالقرب من الري ولم يكن الا القليل حتى انهزم عسكر طغرل وقتل هو في المعركة واستولى خوارزم شاه على البلاد وبقتله انقرضت الدولة السلجوقية العظمى والملك لله يوثيه من يشاء

٣٦٣ - الدولة السلجوقية بآسيا الصغرى (بنو قطلمش)

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية وهي تنسب الى قطلمش بن اسراييل بن سلجوق . ولما انتشر السلجوقيون في البلاد طالب بن الملك دخل قطلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية واقصرا ونواحيها ولما قوي أمره وكثرت اتباعه خالف على السلطان الب أرسلان وظهر عليه العصيان فنهاء الب أرسلان عن ذلك فلم يفته فسير اليه العساكر لقتاله فانهمز قطلمش وقتل في المعركة وذلك سنة ٤٥٦ هـ .

٣٦٤ - سليمان بن قطلمش

من سنة ٤٥٦ - ٤٧٩ هـ او من سنة ١٠٦٣ - ١٠٨٦ م

لما قتل قطلمش كما تقدم تولى بعده ابنه سليمان بن قطلمش على قونية واقصرا ونواحيها مما كان لآبيه . وفي سنة ٤٧٧ هـ استولى على مدينة انطاكية من يد الروم المستولبين عليها لذلك الحين وفي ذلك قال اليبوردي من قصيدة مظهرها

لمعت كناصره الحصان الاشقر	نار بمعلج الكتيب الاعفر
وفتحت انطاكية الروم التي	نشرت معاقبها على الاسكندر
وطئت مناكبها جيادك فاثنت	تلقى اجنتها بنات الاصفر

وهي طويلة

وكان لمسلم بن قريش صاحب الموصل ضريبة على الروم بانطاكية فلما استولى سليمان بن قطلمش عليها ارسل اليه مسلم بن قريش يطلب منه الضريبة التي كانت تدفعها الروم اليه فابى ان يرسل اليه شيئاً فجمع مسلم عساكره من العرب والتركان لحصار انطاكية واستعد سليمان لقتاله ايضاً فالتقيا سنة ٤٧٨ هـ فانهمزم مسلم وتقدم سليمان لحصار حلب فامتنت عليه وسأله اهلها الامهال حتى يكتابوا السلطان ملك شاه بخصوص تسليمه البلد فامهلمهم ولكنهم عوضاً عن اتمام وعدهم ارسلوا الى تاج الدولة تنش بن الب ارسلان صاحب دمشق يستنجذونه على سليمان فاسرع لاجابة طلبهم وسار بنفسه لقتال سليمان فقاتله فانهمزم سليمان وخاف ان يقع اسيراً في يد عدوه فقتل نفسه بخنجر ومات سنة ٤٧٩ هـ

٣٦٥ - قلعج ارسلان بن سليمان

من سنة ٤٧٩ - ٥٠٠ هـ او من سنة ١٠٨٦ - ١١٠٦ م

ولما توفي سليمان بن قطلمش تولى بعده ابنه قلعج ارسلان وفي ايامه قدمت جموع الصليبيين ومروا ببلادهم وكان بين الفريقين وقائع مشهورة انهزم فيها قلعج ارسلان وقد تقدم ذكر ذلك في اخبار الصليبيين

وفي سنة ٥٠٠ هـ كان الخلاف بين جكرمس وجا ولي سقاو وكلاهما من فواد السلجوقية بشأن الاستيلاء على مدينة الموصل فاستعد جكرمس السلطان قلعج ارسلان فأمده بنفسه وعسكره فلما قرب من الموصل سار عنها جاوولي واستولى قلعج ارسلان عليها وعلى ديار بكر وتبع جاوولي . وكان هذا قد لحق بسنجار واستنجد الملك رضوان ابن تنش بن الب ارسلان صاحب الشام فانجده وسار معه لقتال قلعج ارسلان فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً انهزم فيه عسكر قلعج ارسلان والقي نفسه في نهر الخابور ففرق . وسار جاوولي الى الموصل وملكها

٣٦٦ - مسعود بن قلعج ارسلان

من سنة ٥٠٠ - ٥٥١ هـ او من سنة ١١٠٦ - ١١٥٦ م

لما توفي قلعج ارسلان تولى بعده على قونية واقصرا واعمالها ابنه مسعود واتسعت المملكة في ايامه باستيلائه على ملطية وسيواس واعمالها وساد السلام في مدته وعم الامن الى ان توفي سنة ٥٥١ هـ

٣٦٧ - قلعج ارسلان بن مسعود

من سنة ٥٥١ - ٥٨٨ هـ او من سنة ١١٥٦ - ١١٩٢ م

لما توفي مسعود بن قلعج ارسلان تولى بعده ابنه قلعج ارسلان وحصلت بينه وبين ذي النون بن الشمند صاحب ملطية وسيواس حرب فانهزم ذو النون ولحق بنور الدين محمود بن زنكي صاحب دمشق يستنجد به على قلعج ارسلان فسار نور الدين بعساكره الى بلاد قلعج ارسلان واستولى على كيسون ومرعش وبهنس ومرزبان وأرسل سرية من عسكره الى سيواس فملكوها

وكان قلعج ارسلان لما قصد نور الدين بلاده قد سار من طريقها التي تلي بلاد الشام الى وسطها وراسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح فصالحه على ان تكون سيواس بيد ذي النون واقرقا على ذلك سنة ٥٦٨ هـ

وكان قلعج ارسلان بن مسعود قد زوج ابنته من نور الدين محمود بن قرا ارسلان ابن داود صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر واعطاء عدة حصون فلم يحسن عشرتها وتزوج عليها وهجرها فامتعض ابوها قلعج ارسلان لذلك وعزم على غزو نور الدين في ديار بكر واخذ بلاده منه . فاستجار نور الدين بصلاخ الدين بن ابوب . فأرسل صلاح الدين الى قلعج ارسلان في المعنى فاعاد الجواب « انني كنت قد سلمت الى نور الدين عدة حصون تجاور بلاده لما تزوج ابنتي فحيث آل الامر معه الى ما يعلمه فأنا أريد ان يعيد الي ما اخذه مني » وترددت الرسل بينهما بلا فائدة فهادن صلاح الدين الفرنج وسار في عساكره فاضد ارسلان قلعج ارسلان . فلما سمع قلعج ارسلان بقربه منه ارسل

اليه اكبر امير عنده يقول « ان نور الدين فعل مع ابني كذا ولا بد من قصد بلاده وتعريفه محل نفسه » فلما وصل الرسول واجتمع بصلاح الدين وادى اليه الرسالة امتعض صلاح الدين لذلك واغتاض وقال للرسول « قل لصاحبك والله الذي لا اله الا هو لكن لم يرجع لاسيرين الى ملطية وبيننا يومان ولا انزل عن فرسي الا في البلد ثم اقصد جميع بلاده وأخذها منه » فرأى الرسول من شدة صلاح الدين وكثرة من معه ما هاله فخاف ان يرجع بلا نتيجة فتضيع بلادهم لا محالة فطلب من صلاح الدين ان يجتمع به ليقول شيئاً بدا له من نفسه وايس من موصله فأذن له صلاح الدين في ذلك فقال له « يا مولانا اما هو قبيح بمثلك وانت من اعظم السلاطين واكبرهم شأنًا ان تسمع عنك الناس انك صالحت الفرنج وتركت الغزو ومصالح المملكة واعرضت عن كل ما فيه صلاح لك ولرعيثك والمسلمين عامة وجمعت الغساكر من اطراف البلاد البعيدة والقريبة وسرت وخسرت انت وعساكرك الاموال العظيمة لاجل امرأة مغنية (يقصد المرأة التي تزوجها نور الدين على ابنة مولاة قلعج ارسلان) ما يكون عذرك عند الله تعالى ثم عند الخليفة وملوك الاسلام وكافة العالم واحسب ان احداً ما يواجهك بهذا اما يعلمون ان الامر هكذا ثم افرض ان قلعج ارسلان مات وهذه ابنته قد ارسلتني اليك استجورك وتسألك ان تنصفها من زوجها فان فعلت فهو الظن بك ان لا تردها »

فجذب صلاح الدين من فصاحته وقال له الحق معك وحمل نور الدين ان يترك المغنية التي تزوجها على ابنة قلعج ارسلان وان بكرم هذه ففعل . وخلص قلعج ارسلان بحكمة وزيره هذا من حروب مهلكة ربما كانت القاضية عليه وكل ذلك كان

سنة ٥٧٦ هـ

وكان قلعج ارسلان عدة اولاد ذكور فخاف اختلافهم بعد موته ففرق عليهم البلاد في حياته فاعطى قونية باعمالها لغياث الدين كيخسرو . واقصرا وسيواس لقطب الدين ودوقاط لابنه ركن الدين سليمان . وانقرة . لمحبي الدين . وملطية لعز الدين قيصر شاه وابلاستين لمغيث الدين . وقيسارية لنور الدين . واعطى تكسار واماسا لابني اخيه . فكانت هذه القسمة سبباً في تنغيص عيش قلعج ارسلان في اواخر ايامه لان اولاده استضعفوه وتحلوا عنه ولم يزل ينتقل من واحد الى واحد والكل يرفضونه حتى سار الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب قونية فقبله واكرمه ولكن لم تطل ايام قلعج ارسلان

بعد ذلك لشدة حزنه فتوفي في قونية سنة ٥٨٨ هـ وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة
وعدل وافر

٣٦٨ - غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان

من سنة ٥٨٨ - ٥٩٦ هـ او من سنة ١١٩٢ - ١١٩٩ م

لما توفي قلج ارسلان بن مسعود استولى بنوه كل منهم على ما في يده حسب قسمة
ابيهم فكانت قونية وهي عاصمة البلاد حينئذ من نصيب غياث الدين كيخسرو بن
قلج ارسلان . ولم يمض وقت طويل حتى وقعت المنازعات والمخاصمات والفتن بين الاخوة
اولاد قلج ارسلان . وطمع كل منهم في الاستيلاء على ما بيد اخيه الى ان ظهر عليهم
اخيرا اخوهم ركن الدين بن قلج ارسلان . واخيراً حاصر قونية وبها اخوه غياث
الدين فهرب غياث الدين منها ولحق ببلاد الشام واستولى ركن الدين على قونية فصارت
كل مملكة ابيه تحت تصرفه المطلق بلا منازع

٣٦٩ - ركنه الدين بن قلج ارسلان

من سنة ٥٩٦ - ٦٠٠ هـ او من سنة ١١٩٩ - ١٢٠٣ م

واستمر ركن الدين بن قلج ارسلان ملكاً على اسيا الصغرى (كانت تعرف
قبلاً ببلاد الروم) الى ان توفي سنة ٦٠٠ هـ . وكان ركن الدين ملكاً حازماً شديداً
على الاعداء الا انه رمي بالزندقه وقيل انه معطل

٣٧٠ - قلج ارسلان بن ركنه الدين

من سنة ٦٠٠ - ٦٠١ هـ او من سنة ١٢٠٣ - ١٢٠٤ م

لما توفي ركن الدين بن قلج ارسلان تولى بعده ابنه قلج ارسلان بن ركن الدين
ولكنه لم يهنا بالملك طويلاً لان عمه غياث الدين الذي هرب من ابيه كما تقدم طمع

في الملك بعد موت اخيه واستنجد ملك القسطنطينية لذلك الوقت لارجاع الملك اليه فانجده وتمكن من اغتصاب الملك من يد قلعج ارسلان ابن اخيه سنة ٦٠١ هـ

٣٧١ - غياث الدين كيخسرو بن قلعج ارسلان ثمانية

من سنة ٦٠١ - ٦٠٧ هـ او من سنة ١٢٠٤ - ١٢١٠ م

هكذا تمكن غياث الدين ان يستولى على الملك مرة اخرى واستفحل امره جداً واسترجع مدينة انطاكية التي كان استولى عليها الروم ابام الفتن بين اخوته . وقصده علي بن يوسف صاحب شمشاط ونظام الدين بن ارسلان صاحب خرت برت وغيرها وعظم امره الى ان قتله اشكر صاحب قسطنطينية ٦٠٧ هـ

٣٧٢ - كيكاوس بن كيخسرو

من سنة ٦٠٧ - ٦١٦ هـ او من سنة ١٢١٠ - ١٢١٩ م

لما قتل غياث الدين كيخسرو بن قلعج ارسلان تولى بعده ابنه كيكاوس وتلقب الغالب بالله وكان عمه طغرل شاه بن قلعج ارسلان صاحب ارزن الروم قد طلب الامر لنفسه وسار لقتال كيكاوس ابن اخيه وحاصره في سيواس وخالف عليه ايضاً اخوه كيغباد بن كيخسرو وقصد مدينة انقرة وملكها . فاستنجد كيكاوس بالملك العادل صاحب دمشق فانفذ اليه العساكر وافرغ طغرل عن سيواس قبل وصولهم . فسار كيكاوس الى انكورية وملكها من يد اخيه كيغباد وحبس وقتل اصحابه وسار الى عمه طغرل بارزن الروم فظفر به سنة ٦١٠ هـ وقتله

وفي سنة ٦١٥ هـ اتفق كيكاوس بن كيخسرو والافضل بن صلاح الدين على قصد حلب واعمالها وهي في ذلك الوقت لشهاب الدين طغرل بن الظاهر على ان تكون الخطبة لكيكاوس والولاية للافضل في جميع ما يفتحونه من حلب واعمالها وتعاقدا على ذلك وساروا فملكوا قلعة رغبان وتسلمها الافضل على الشرط . ثم ملكوا قلعة تل ناشر فاستأثر بها كيكاوس وارتاب الافضل : ثم استنجد ابن الظاهر صاحب حلب

الأشرف بن العادل صاحب الجزيرة وخلاط على أن يخطب له بحلب وينتش اسمه على السكة فسار لإنجاده ومعه أحياء طي من العرب فنزل بظاهر حلب وسار كيكافوس والأفضل إلى منبج ولقيت طليعتهم طليعة الظاهر فاقتتلوا وعاد عسكر كيكافوس منهزمين إليه فاجفل وسار الأشرف إلى رغبان وتل ناشر وبهما أصحاب كيكافوس فغلبهم عليهما وأطلقهم إلى أصحابهم . وسلم الأشرف الحصنين إلى شهاب الدين بن الظاهر صاحب حلب وبلغه الخبر بوفاة أبيه الملك العادل بمصر فرجع عن قصد بلاد الروم . وبعد انهزام كيكافوس كما تقدم ورجوع الأشرف إلى مصر عزم على قصد بلاد الأشرف بالجزيرة واتفق مع صاحب آمد وصاحب أربل على ذلك . وكانا يخطبان له . ولكن عاجلته المنية عن إتمام قصده إذ توفي سنة ٦١٦ هـ .

٣٧٣ - كيغباد بن كيخسرو

من سنة ٦١٦ - ٦٣٤ هـ أو من سنة ١٢١٩ - ١٢٣٦ م

توفي كيكافوس بن كيخسرو وخلف بنيه صفاراً وكان أخوه كيغباد محبوباً منذ أخذه من النكورية فأخرجه الجند من محبسه وملكوه . وفي هذه الأثناء حدثت الفتنة بين الأشرف صاحب الجزيرة والمعظم صاحب دمشق وجاء جلال الدين خوارزم شاه من الهند سنة ٦٢٣ هـ منهزماً أمام التتر فملك أذربيجان واعتضد به المعظم صاحب دمشق على الأشرف وظاهرهما الملك مسعود صاحب آمد من بني أرتق . فأرسل الأشرف إلى كيغباد ملك آسيا الصغرى (بلاد الروم) يستنجد على صاحب آمد والأشرف يومئذ محاصر لما ردين . فسار كيغباد وأقام على ملطية وجهاز العساكر من هناك إلى آمد ففتح عدة حصون . وعاد صاحب آمد إلى موافقة الأشرف فكتب إلى كيغباد أن يرد إليه ما أخذه منه فامتنع فبعث الأشرف عساكره مدداً لصاحب آمد على كيغباد وكان محاصراً القلعة الكحنا فلقبهم وهزمهم واتخذ فيهم وعاد ففتح القلعة .

واستفحل أمر كيغباد جداً وقوي شأنه وهابته الملوك واتسع ملكه بما افتتحه . ثم مد يده إلى ما يجاوره من البلاد فلما خلاط بعد أن دافع عنها مع الأشرف بن

العادل جلال الدين خوارزم شاه . فنازعه الاشرف في ذلك واستصرخ اخاه الكامل فسار في العساكر من مصر سنة ٦٣١ هـ وسار مع الملوك من اهل بيته وانتهى الى النهر الازرق من تخوم الروم وبعث في مقدمته المظفر صاحب حماة من اهل بيته فلقبه كيفباد وهزمه وحصره في خرت برت وكانت للارتقيين . ورجع الكامل بالعساكر الى مصر سنة ٦٣٢ هـ وكيفباد في اتباعهم ثم سار الى حران والرها فملكها من يد نواب الكامل وولى عليها من قبله . وسار الكامل سنة ٦٣٣ هـ فارتقيهما . ثم توفي كيفباد بن كيخسرو سنة ٦٣٤ هـ .

٣٧٤ - كيخسرو وبه كيفباد

من سنة ٦٣٤ هـ - ٦٥٤ هـ او من سنة ١٢٣٦ - ١٢٥٦ م

ولما توفي كيفباد بن كيخسرو تولى بعده ابنه كيخسرو بن كيفباد وفي هذه المدة انقضت الدولة السلجوقية من بلاد المسلمين واختلت الدولة الخوارزمية وخرج التتر من مفازة الترك وراء النهر واستولى جنكزخان سلطانهم على الممالك وانتزعها من يد بني خوارزم شاه وفر جلال الدين آخرهم الى الهند ثم رجع واستولى على اذربيجان وعراق العجم . وكانت الدولة الايوبية في ذلك الوقت المالكة على مصر والشام وارمينية كما سنذكر ذلك في اما كنه ان شاء الله .

وانتشر التتر في سائر النواحي وعاثوا فيها واستفحل ملكهم فسارت منهم طوائف الى بلاد الروم سنة ٦٤١ هـ فاستنجد كيخسرو ببني أبوب وغيرهم من الترك في جواره وجاءه المدد من كل جانب ولكنه انهزم امام التتر مع كثرة عساكره ونجبا بعياله وامواله الى قلعة فتحصن فيها ثم راسل التتر ودخل تحت طاعتهم واستقامت اموره معهم الى ان مات سنة ٦٥٤ هـ

٣٧٥ - عز الدين كيغباد بن كنجسر والثاني

من سنة ٦٥٤ - ٦٥٥ هـ او من سنة ١٢٥٦ - ١٢٥٧ م

وتولى بعده ابنه كيغباد الثاني وهو اكبر اخوته ومع ذلك خطب لاخويه عز الدين كيكاس وركن الدين قلاج ارسلان معه وامرهم واحد . وكان جنكزخان ملك التتر قد توفي وتولى بعده على كرسي سلطنتهم بقراقوم ابنه طلوخان ثم توفي وملك بعده ابنه منكوخان فبعث اخاه هولاء كوخان لفتح العراق فسار لذلك وملك العراقيين وفتح بغداد وفي سنة ٦٥٤ هـ ارسل الخان الاكبر منكوخان الى بلاد الروم اميراً من امراء الملعل اسمه بيكو في العساكر فسار الى ارض الروم وملكها عنوة ثم ملك قيسارية ومسيرة شهر معها واستولى على اكثر بلاد الروم وكثر عيث التتر الذين مع بيكو في مملكة كيغباد حتى عزم على المسير الى الخان الاعظم منكوخان ليقدّم عبوديته ويؤكّد تابعيته لكي يرجع عنه بيكو ومن معه . فسار من قونية سنة ٦٥٥ هـ ومعه سيف الدين طرطاي من موالي ابيه وأخذ معه من الهدايا والاموال للخان الاكبر شيئاً كثيراً . ولما سار كيغباد قاصداً قراقوم كرسي التتر وثب اخوه عز الدين كيكاس على المملكة واستولى عليها واعتقل اخاه الاكبر ركن الدين قلاج ارسلان . اتفق موت كيغباد اثناء طريقه الى قراقوم فخلصت بلاد الروم لآخيه عز الدين كيكاس .

٣٧٦ - عز الدين كيكاس الثاني بن كنجسر و

من سنة ٦٥٥ - ٦٥٩ هـ او من سنة ١٢٥٧ - ١٢٦٠ م

وضايق بيكو المغولي عز الدين كيكاس وهزمه مراراً فهرب كيكاس امامة ويكويتمقبة حتى جاء في اثبائه الى قونية فهرب عز الدين كيكاس الى بلاد الساحل ونزل بيكو على قونية وحاصرها حتى استامن له اهلها على يد خطيبهم فرفع عنهم الحصار وامنهم

وفي هذه الاثناء قدم هولاء كوفتج بغداد فارسل يستدعي بيكو من بلاد الروم فصار اليه في عساكره وحضر معه فتح بغداد ثم استشهد هولاء كوفتج باستبداد بيكو وميله الى العصيان فدرس له من سمه . ولما انتهى هولاء كوفتج من امر بغداد تقدم الى الشام وحاصر حلب وبعث من هناك يطلب عز الدين كيكافوس وركن الدين قلاج ارسلان ومعين الدين سليمان البرنواه وزير دولتهم والمدير لها فحضروا واعجب هولاء كوفتج بصاحبة البرنواه فاقر كيكافوس على بلاده واحسن الى وزيره البرنواه وفي سنة ٦٥٩ هـ حصلت فتنة بين كيكافوس وبين اخيه قلاج ارسلان وانحاز الوزير سليمان البرنواه الى ركن الدين قلاج ارسلان واستمدا هولاء كوفتج على قتال كيكافوس فامدهم فهزمهم كيكافوس اولاً ثم امدهم هولاء كوفتج بالعمارة كرمرة اخرى فانهمز كيكافوس وهرب ولحق بالقسطنطينية واستولى اخوه ركن الدين قلاج ارسلان على البلاد

٣٧٧ - قلاج ارسلان بن كيكافوس

من سنة ٦٥٩ - ٦٦٠ هـ او من سنة ١٢٦٠ - ١٢٦١ م

ولما استولى ركن الدين قلاج ارسلان على البلاد استحكم عليه البرنواه واراد الاستبداد بالامر فعارضه قلاج ارسلان فيما يريد ثم وضع له من قتله غيلة سنة ٦٦٠ هـ

٣٧٨ - غياث الدين كيكافوس بن ركن الدين قلاج ارسلان

من سنة ٦٦٠ - ٦٨٢ هـ او من سنة ١٢٦١ - ١٢٨٣ م

ولما قتل البرنواه قلاج ارسلان اقام بعده ابنه غياث الدين كيكافوس وكان صبيّاً وقام هو بتدبير الدولة وصارت اليه جميع الامور وله الامر والنهي بلا معارض ولا منازع . وكان التتر لما استولوا على البلاد وضعوا لهم فيها من يقوم مقامهم ويعرف ذلك في تلك الايام بالشحنة (كالقنصل في هذه الايام) وكان الشحنة

في ذلك الوقت في بلاد الروم اميراً من النتر اسمه طغا فسمع هذا الشحنة ان الملك
الظاهر صاحب مصر قد تقدم لقتال النتر فاستمد ابقا بن هولاء كوفامده بامير بن
هما كدوان وترقو لحماية بلاد الروم من الظاهر . ثم زحفوا الى الشام وسار اليهم
الظاهر من مصر وهزمهم مراراً حتى وصل الى قيسارية واستولى عليها فارسل اليه
البرنواه واستحثه للوصول الى بلاده . وبلغ ابقا بن هولاء كوفامده الواقعة وهزيمة
عساكره امام الظاهر فزحف في جموع المغل الى قيسارية وكان الظاهر قد عاد الى
مصر فاستولى على قيسارية وعلم بمكانة البرنواه للظاهر فقبض عليه وقتله واستعمل
على بلاد الروم مع كيخسرو اخاه قنطغرطاي بن هولاء كوفامده ثم غاد الى بغداد .
فعظم امر قنطغرطاي ببلاد الروم وصار امير المغل بها . ولما توفي ابقا بن هولاء كوفامده
واستولى بعده اخوه احمد نكرار بن هولاء كوفامده الى اخيه قنطغرطاي في القدوم
اليه فامتنع خوفاً منه على نفسه ثم حمله غياث الدين كيخسرو على اجابة اخيه وسار
معه فقتل تكرار اخاه قنطغرطاي . فاتهم المغل غياث الدين بانه علم برأي تكرار
فيه . ولما ولي ارغون بن ابقا بعد تكرار عزل غياث الدين كيخسرو عن بلاد
الروم وجلسه سنة ٦٨٢ هـ .

٣٧٩ - مسعود بن كيكائوس

من سنة ٦٨٢ - ٧١٨ هـ او من سنة ١٢٨٣ - ١٣١٨ م

وتولى بعده ابن عمه مسعود بن كيكائوس واستعمل ارغون معه هولاء كوفامده
امراء النتر فصار هذا الاخير صاحب الامر والنهي ولم يكن لمسعود من الملك سوي
الاسم واستمر الحال كذلك الى سنة ٧١٨ هـ فاضاب مسعود الفقر وانحل امره
وبقي الملك للنتر ثم فشل امرهم واضمحلت دولتهم واستوات الدولة العثمانية على جميع
هذه البلاد ولا تزال في يدها الى الان . والله غالب على امره يؤتي الملك من
يشاء وهو العزيز الحكيم

٣٨٠ - الدولة البورية (بنو تنش بن الب ارسلان ومواليهم)

بالشام وحلب

(تمهيد) لما قدم السلجوقيون طالبين للملك واستولوا على العراق كما تقدم ذكر ذلك ارسل السلطان ملك شاه السلجوقي احد امراء السلجوقية المدعو اتسز ابن اتق الى الشام ففتح الرملة وبيت المقدس واقام فيهما الدعوة العباسية ومعا الدعوة العلوية ثم حاصر دمشق مرارا حتى ملكها سنة ٤٦٨ هـ وفي سنة ٤٧٠ هـ اقطع السلطان ملك شاه اخاه تنش بن الب ارسلان بلاد الشام وما يفتحها من تلك النواحي فسار الى حلب وحاصرها وكان اتسز (قيل ان اسمه اقسس) يقاتل اهل بيت المقدس لغدرهم باصحابه فاقتحمها عنوة واسنابحها ثم قدم الى دمشق فارسل بدر الجمالي العساكر من مصر لطرد اقسس من الشام فاستنجد اقسس بنش بن الب ارسلان فسار الى دمشق ولما قرب منها رحل عنها عسكر المصريين وركب اقسس لمتقاء بالعرب من المدينة فلامه تنش على تأخره عن الطلوع الى القائد وقبض عليه وقتله وملك تنش دمشق واحسن السيرة في اهلها وسمي تاج الدولة وكان ملكه دمشق سنة ٤٧٢ هـ وهذا بداية ملكه . والدولة البورية هذه هي فرع من فروع الدولة السلجوقية كما لا يخفى وهذا نسب تنش مؤسس هذه الدولة . هو تنش بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق

٣٨١ - تنش بن الب ارسلان

من سنة ٤٧١ - ٤٨٨ هـ او من سنة ١٠٧٨ - ١٠٩٥ م

وفي سنة ٤٨٥ هـ استولى تنش بن الب ارسلان على حمص وقلعة عرقة وقلعة افامية وغيرها من بلاد الشام . ثم عزم تنش على المسير الى بغداد لقيادة اخيه السلطان ملك شاه لانه كان مريضاً فلما وصل الى هيت بلغه موته فاخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق وقد طمع في السلطنة فجمع العساكر وسار نحو

حلب وملكها واطاعه في طريقه صاحب انطاكية وصاحب الرها وحران وخطبوا له في بلادهم . وقصدوا الرحبة فحاصروها وملكوها في محرم سنة ٤٨٦ هـ وخطب فيها لتتش بالسلطنة ثم ساروا الى نصيبين فلم يقبلهم اهلها فحاصروها وافتتحوها عنوة وقتلوا من اهلها خلقاً كثيراً . ثم قصد تش الموصل واستولى عليها وعلى غيرها حتى استتب له الامر في جميع تلك النواحي فسار الى ديار بكر واستولى على ميافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان . وسار منها الى اذر بيجان يفتح المدن في طريقه حتى اتسعت مملكته وبلغت من العظمة شأواً بعيداً . فخاف السلطان بركيارق بن السلطان ملك شاه القائم على السلطنة السلجوقية العظمى بعد ابيه من زيادة سطوة عمه لئلا ينازعه الملك وكان بركيارق في ذلك الوقت بنصيبين فمهر دجلة وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقي بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير الف فارس فارسل اليه عمه احد الامراء اتباعه لقتاله فقاتله وانهزم بركيارق شر هزيمة فلاحق باصفهان وبها اخوه الملك محمود فلم يقبله اهل اصفهان ولكن اتفق موت اخيه بعد قليل فقبلوه واقاموه عليهم ملكاً بدلاً من اخيه فمظم شأنه وكثر عسكره . وعزم تش بن الب ارسال على المسير الى اصفهان للاستيلاء عليها من ابن اخيه بركيارق وكان بركيارق وقتئذ مريضاً بالجدري فامهل تش حتى شفي بركيارق ارجا يسلم اليه الملك بلا قتال فلما شفي بركيارق جمع العساكر وسار لقتال عمه تش والتقوا بقرب الري وبعد قتال شديد انهزم تش بن الب ارسال وقتل في هذه الواقعة وذلك سنة ٤٨٨ هـ

ولما توفي تش بن الب ارسال وقع الاختلاف بين ولديه رضوان ودقاق وحارب احدهما الآخر واستولى رضوان على حلب واورشها بنيه واستولى دقاق على دمشق واورشها بنيه فانقسمت هذه الدولة الى دولتين احدهما قاعدتها حلب وهي ابني رضوان والاخرى قاعدتها دمشق وهي ابني دقاق وسنذكر على كل منهما على حدة فلنبداً بدولة رضوان والله ولي التوفيق

القسم الاول

٣٨٢ - رضوان بن تنش

من سنة ٤٨٨ - ٥٠٩ هـ او من سنة ١٠٩٥ - ١١١٥ م

كان تنش بن الب ارسلان قد عهد بالملك بعده لابنه رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يأمره ان يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار في عدد كثير من الامراء فلما قارب هيت بلغه قتل ابيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها ابو القاسم الحسن بن علي الخوارزمي قد سلمها اليه تنش وحكمه في البلد والقلمة . فنزلوا اولاً كلاً ضياف على ابي الحسن القاسم ابن علي لتحكمه في البلد . ثم استمال رضوان جند القلمة اليه فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على ابي القاسم وخطب لرضوان على منابر حلب وقوي امره حتى اغار على ما حوله

وفي الوقت نفسه كان دقاق بن تنش قد استولي على دمشق فطمع رضوان في انتزاعها من يده فسار اليه سنة ٤٩٠ هـ وحاصره ولكن امتنعت دمشق عليه وعاد بخفي حنين فطمع دقاق في قصد حلب وساعده على ذلك باغيسيان صاحب انطاكية فاستنجد رضوان بسكمان من سروج في امم من التركمان والنقوا بقنسر بن فانهزمت عساكر دقاق ونهب شواذهم وعاد رضوان الى حلب ودقاق الى دمشق ثم سعى بينهما بالصلح على ان يخطب لرضوان بدمشق وانطاكية قبل دقاق فانهقد ذلك بينهما

وفي هذه السنة (٤٩٠ هـ) ارسل المستعلي بالله الفاطمي من مصر الى الملك رضوان بن تنش يدعوه الى الخطبة له على ان يساعده على اخيه وبذل له الاموال في ذلك فخطب له في جميع اعماله ما عدا انطاكية وحلب والمرة . ثم حضر عنده سكمان بن ارتق و باغيسيان صاحب انطاكية فانكرا ذلك واستظهرا فاعاد الخطبة العباسية في ذات السنة

وفي سنة ٥٠٩ هـ توفي رضوان بن تنش صاحب حلب وكان قد قتل اخويه
ابا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في اموره ويد اخاهم

٣٨٣ - الب ارسلان بن رضوان

من سنة ٥٠٩ - ٥١٠ هـ أو من سنة ١١١٥ - ١١١٦ م

لما توفي رضوان بن تنش بن الب ارسلان تولى بعده ابنه الب ارسلان
وكان صغيراً فقام بتدبير الدولة اتابكه لؤلؤ فاستبد بالامور وصار النافذ الكلمة
فعارضه الب ارسلان في بعض اجراءاته فلما شعر لؤلؤ بعارضه الب ارسلان قام
عليه وقتله وكان ذلك سنة ٥١٠ هـ

٣٨٤ - سلطان شاه بن رضوان

من سنة ٥١٠ - ٥١١ هـ أو من سنة ١١١٦ - ١١١٧ م

لما قتل لؤلؤ مولاه الب ارسلان ولي في الملك بعده اخاه سلطان شاه بن
رضوان بن تنش واستبد في دولته اكثر من استبداده في دولة اخيه حتى ضجر
ارباب الدولة وبالاخص الجند الاتراك من استبداده

وفي سنة ٥١١ هـ خرج لؤلؤ قاصداً قلعة جعبر ليجمع بصاحبها فلما كان عند
قلعة نادر قتله عسكره الاتراك وانتهبوا خزائنه فخرج عليهم اهل حلب فاستمادوا
ما اخذوه . وولى اتابكية سلطان شاه بن رضوان شمس الخواص يرقناش فبقى
شهرًا وعزلوه وولى بعده ابو المعالي بن المكي الدمشقي ثم عزله وصادروه وارتيكت
الاحوال وساد الاضطراب فخاف اهل حلب على مدينتهم من الصليبيين فاستعدوا
نجم الدين ايلغازي وسلموه المدينة وانخل امر بني رضوان والبقاء لله وحده

القسم الثاني

٣٨٥ - دقاق بن تنش

من سنة ٤٨٨ - ٤٩٧ هـ او من سنة ١٠٩٥ - ١١٠٣ م

كان تنش بن الب ارسلان قد بعث ابنه دققاً الى اخيه السلطان ملك شاه ببغداد فاقام هناك الى ان توفي ملك شاه فسار مع ابنه محمود وامه خاتون الجلاية الى اصفهان ثم ذهب عنهم سرّاً الى بركيارق ثم لحق بابيه وحضر معه البوقة التي قتل فيها فلما قتل ابوه تنش بن الب ارسلان (فصل ٣٨١) سار به مولا تكين الى حلب واقام عند اخيه الملك رضوان فراسله الامير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سرّاً يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سرّاً وجد في السير فارس اخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به ساوتكين وملكه المدينة وجعله مستقلاً عن اخيه رضوان وساعده على ذلك كثيرون من خواص ابيه . وفي هذه الاثناء وصل معتمد الدولة طغديكين ومعه جماعة من خواص تنش (وكان طغديكين زوج والدة دقاق) فقال اليه وثبت امره ولكن كان باغضاً لسautكين فاغرى اصحاب دقق على قتله فقتلوه

وفي سنة ٤٩٠ هـ قدم رضوان الى دمشق بقصد انتزاعها من يد اخيه دقاق فلم يقدر وعاد خائباً فطمع دقاق في الاستيلاء على ما بيد رضوان فنهزم امامه كما تقدم ذلك (راجع فصل ٣٨٢) وانتهى الحال بينهما بالصلح على ان يخطب دقاق لـ اخيه الملك رضوان في بلاده

وفي سنة ٤٩٦ هـ استولى الملك دقاق بن تنش صاحب دمشق على الرحبة والسبب في ذلك أن الرحبة كانت تكربوقا فلما قتل استولى عليها قايماز من موالي السلطان الب ارسلان فطمع دقاق فيها وسار هو واتباعه طغديكين اليها

سنة ٤٩٥ هـ ، فالتفت عليهم فعادوا عنها . ثم توفي قايمار في صفر سنة ٤٩٦ هـ وقام بأمر الرحبة حسن من موالى الاتراك فابعد عنه كثيراً من جنده وخطب لنفسه فسار دقاق اليه وحاصره في القلعة حتى استأمن وخرج اليه واقطعه بالشام اقطاعات كثيرة ، ولك دقاق الرحبة واحسن الى اهلها وجعل فيها من يحفظها ثم رجع الى دمشق .

وفي رمضان سنة ٤٩٧ هـ توفي دقاق بن تنش بن الب ارسلان صاحب دمشق وخطب اتابكه طغديكين لولد له صغير سنه سنة واحدة ثم قطع خطبته وخطب اعمه بكتاش بن تنش وعمره اثنتا عشرة سنة . ثم طمع طغديكين في الملك فاشار على بكتاش بن تنش بالمسير الى الرحبة وقتال اهلها لانهم عصوا عليه فخرج وملك الرحبة وعاد فلم يمكنه طغديكين من دخول دمشق . فمضى الى الملك بودوين ملك الصليبيين بالشام واستنجد به على طغديكين فخرضه بودوين على الافساد في اعمال دمشق وتخريبها ففعل ولكن بودوين لم ينجده فيش من اخذ دمشق من هذا المغتصب . واستقر الامر بدمشق لطغديكين

٣٨٦ اتابك طغديكين

من سنة ٤٩٧ - ٥٢٢ هـ أو من سنة ١١٠٣ - ١١٢٨ م

هكذا استتب الامر لاتابك طغديكين بدمشق وتمكن بحسن سياسته ان يستولي على الملك من يد بني مولاة . وكان طغديكين شجاعاً مهاباً حارب الصليبيين مراراً وانتصر عليهم حتى لم يجسروا على قصد دمشق مدة . وكان اذا قصدوه يستنجد بمن حوله من ملوك المسلمين عليهم ويشنت ضلوعهم . وفي سنة ٥٢٢ هـ توفي اتابك طغديكين صاحب دمشق وكان حسن السيرة مؤثراً للعدل محباً في الجهاد ولقبه ظهير الدين

٣٨٧ - بوري بن طغتكين

من سنة ٥٢٢ - ٥٢٦ هـ او من سنة ١١٢٨ - ١١٣١ م

لما توفي طغتكين تولى بعده ا كبر اولاده بوري بن طغتكين فاقر وزير ابيه ابا علي طاهر بن سيد المزدغاني على وزارته . وكان المزدغاني يرى راي الرافضية الاسماعيليه وكانوا كثيرين بدمشق فقوي بهم وتحكم في البلد . وجاء الخبر الى بوري بان وزيره المزدغاني والاسماعيليه قد راسلوا لافرنج بان يملكوهم دمشق فقتل المزدغاني وامر بقتل الاسماعيليه حيثما وجدوا . وقدم الافرنج الى دمشق وحاصروها وضيقوا عليها فاستصرخ بوري بالعرب والتركمان وبذل كل جهده في مدافعة الافرنج عن المدينة حتي لما لم يقدم حصارها شيئاً رجعوا عنها خائبين واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون . وفي سنة ٤٢٥ هـ ثار الاسماعيليه على بوري وطعنوه فاصابته جراحة واندمت ثم انتفضت عليه في رجب من سنة ٥٢٦ هـ فتوفي منها لاربع سنين ونصف من ولايته

٣٨٨ - شمس الملوك اسماعيل بن بوري

من سنة ٥٢٦ - ٥٢٩ هـ او من سنة ١١٣١ - ١١٣٤ م

لما توفي بوري بن طغتكين تولى بعده ابنه شمس الملوك اسماعيل وخالف عليه اخوه محمد بيمليك فسار اليه اسماعيل وحاصره حتي طلب الامان فامنه وعاد الى دمشق . ثم سار الى باشاش وقد كان الافرنج الذين بها نقضوا الصلح واخذوا جماعة من تجار دمشق في بيروت فسار اليها حتي وصلها في صفر سنة ٥٢٧ هـ وقتلها ونقب اسوارها وملكها عنوة وثل بالافرنج الذين بها واعتصم فاهم بالقلمة حتي استامنوا وملكها ورجع الى دمشق ثم بلغه ان المسترشد زحف الى الموصل فطعم هو في حماة وسار آخر رمضان وملكها يوم الفطر من غده فاستامنوا اليه فامنهم وعاد الى دمشق . وكان شمس الملوك سيء السيرة في رعيته كثير الظلم والمعدوان وبالغ

في المقوبات لاستخراج الاموال لانه كان بخيلاً دنيء النفس فكرهته رعيته كرهاً زائداً فراسل عماد الدين زنكي ليحضر اليه ليلمه دمشق وحشه الى سرعة الوصول واخلى المدينة من الذخائر والاموال ونقل الجميع الى صوبه . وثابع رسله الى زنكي يقول له « ان اهمات المجيء سلمت البلد الافرنج » فسار زنكي وظهر الخبر في المدينة فامتعض اصحاب ابيه وجده واقبلهم وذكروا الحال لوالدته . فساءها واشفقت منه ووعدتهم بالراحة من هذا الامر ثم انها ارتقت الفرصة في الخلوة من غلمانها فلما راته على ذلك امرت غلمانها بقتله فقتل وكان قتله في رابع عشر ربيع الاخر سنة ٥٢٩ هـ

٣٨٩ - شهاب الدين محمود بن بوري

من سنة ٥٢٩ - ٥٣٣ هـ او من سنة ١١٣٤ - ١١٣٨ م

لما قتل شمس الدين اسماعيل بن بوري تولى بعده اخوه شهاب الدين محمود ابن بوري وفي اول ولايته وصل اتابك زنكي وحاصر دمشق فدافع عنها اهلها دفاعاً محموداً . ثم وصل رسول المسترشد الى اتابك زنكي يامره بمسالة صاحب دمشق شهاب الدين محمود وصلحه معه فرحل عن دمشق منتصف السنة

وكانت مدينة حمص لذلك الوقت لغير جان بن قراجا وكان عماد الدين زنكي كثيراً ما يتعرض له حتى ضايقه . فلما كثر تعرض وتضييق عماد الدين على مدينة حمص راسل اهلها سنة ٥٣٠ هـ شهاب الدين محمود بن بوري في ان يسلموها اليه ويطيعهم عوضاً عنها تدمر فاجابهم الى ذلك . وسار اليهم وتسلمها منهم وسلم اليهم تدمر واقطع حمص مملوك جده معين الدين انز وعاد عنها الى دمشق . فلما علم عماد الدين زنكي باستيلاء شهاب الدين على حمص سار اليها في شعبان سنة ٥٣١ هـ وراسل اليها معين الدين انز في تسليمها فلم يفعل وحاصرها فامتعت عليه فرحل عنها آخر شوال من السنة وعاد اليها مراراً بلا فائدة .

وكان لامشهاب الدين محمود بن بوري المسماة مردخاتون ابنة جاولي اليد الطولى في تدبير المملكة فافتكر عماد الدين زنكي ان هو تزوجها تسهل عليه ملك حمص وغيرها حتى دمشق نفسها فخطبها الى ابنها وتزوجها ولكنه لم يظفر بما امله في دمشق فقط سلموا له حمص وقلعتها

وفي شوال سنة ٥٣٣ هـ قتل شهاب الدين محمود بن بوري على فراشه غيلة قتله ثلاثة من غلمانه كانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا

٣٩٠ - جمال الدين محمد بن بوري

من سنة ٥٣٣ - ٥٣٤ هـ او من سنة ١١٣٨ - ١١٣٩ م

وتولى بعده اخوه جمال الدين محمد بن بوري وفوض امر دولته الى مملوك جده معين الدين انز واقطعه بملك واستقامت اموره . وعلمت مردخاتون بقتل ابنها شهاب الدين محمود فارسلت الى زوجها (الجديد) زنكي بالخبر وكان بالجزيرة وسالت . منه الطالب بشار ابنها فساد الى دمشق واستمدوا للحصار فمدل الى بملك وجد في حربها ونصب عليها المجانيق حتى استامن اليه اهلها وملكهم في ذي الحجة سنة ٥٣٣ هـ ثم سار الى دمشق وبعث الى صاحبها جمال الدين في تسليمها والنزول عنها على ان يعرضه عنها فلم يجب الى ذلك فزحف عليها وحاصرها من جميع الجهات وضيق عليها .

ثم توفي جمال الدين محمد بن بوري رابع شعبان سنة ٥٣٤ هـ وزنكي محاصر به وهو معه في مراوضة الصالح

٣٩١ - مجبر الدين أبو بكر محمد

من سنة ٥٣٤ - ٥٤٩ هـ او من سنة ١١٣٩ - ١١٥٤ م

لما توفي جمال الدين محمد بن بوري طمع زنكي في الاستيلاء على دمشق

وهجم عليها بقوة غربية ولكن اهل دمشق كانوا في غاية التيقظ فدافعوا عنها بكل قواهم واقاموا مجير الدين آبق بن محمد مكان ابيه وقام بامر دولته معين الدين انز مملوك جده فارس الى الافرنج يستنجدهم على مدافعة زنكي على ان يحاصر قاشاش فاذا فتحها اعطاهم اياها فاجابوه الي ذلك حذراً من استيلاء زنكي بلك دمشق . فسار زنكي للقائهم قبل اتصالهم بعسكر دمشق ونزل حوران في رمضان من السنة فحاصم الافرنج عن لقاءه واقاموا ببلادهم فعاد زنكي الى حصار دمشق في شوال من السنة ثم احرق قرى المرج والغوطة ورحل عائداً الى بلده . ثم وصل امداد الافرنج الى دمشق بعد مسيره عنها فسار معهم معين الدين انز الى قاشاش فملكها وسلمها للافرنج كما وعدهم

وفي سنة ٥٤٣ هـ قصدت عساكر الافرنج (وفي مقدمتها ملك اورشليم وهو حينذاك بودوين الثالث ومن خلفه نصارى المشرق ومن بعدهم عسكر لويس ملك فرنسا وملك المانيا في ساقية الجيش ليحفظ المخاربين من وثوب عدو من الورا) مدينة دمشق وحاصروها وجد المسلمون على القتال ببسالة عند عدوة النهر الذي يخترق البساتين . ولما رأى كونراد ملك الالمان ذلك اسرع بفريق من رجاله الى مقدمة الجيش وانقض على المسلمين كصاعقة فوثب عليه رجل من المسلمين طويل القامة شديد الباس فعاجله ملك الالمان بضربة سيف بين العنق والكتف فشقه نصفين فارتاع المسلمون وانهمزوا الى المدينة وبقي الافرنج ماكين عدوة النهر وابقن سكان دمشق بعجزهم وهموا ان يخلوا المدينة والقوا على ابوابها ومداخل الافرنج منها حجارة ضخمة ليتيسر لهم الفرار بعيالهم واموالهم قبل ان يدركهم الفرنج وتيقن هؤلاء امثلاك دمشق ووقع بينهم الاختلاف في من منهم يكون الامير عليها فادى ذلك بينهم الى الخصام والنزاع واخذ بعضهم يعملون على احباط مساعي البعض الآخر . وبينما الافرنج يتخاصمون على من يستولي على دمشق منهم اتاهم الخبر بان اميري حلب والموصل قادمان بجيش جرار لقاتلهم فعادوا عن دمشق بالخرزي والفضيحة

وفي سنة ٥٤٤ هـ توفي معين الدين انزمدبر دولة ابق والمتغلب عليه
وفي سنة ٥٤٩ هـ استولى نور الدين محمود بن زنكي على مدينة دمشق والسبب
في ذلك ان الافرنج كانوا استولوا على عسقلان في السنة السابعة فلم يجد نور الدين
طريقاً اليهم ليزيجهم عنها لا اعتراض دمشق في طريقه بينه وبين عسقلان .
وقويت شوكة الافرنج بعد ملكهم عسقلان حتى استعرضوا كل مملوك وجارية من
النصارى بدمشق فمن اراد المنام بها تركوه ومن اراد العود الى الوطن اخذوه
قهرًا من مجير الدين . وكان للافرنج على اهل دمشق كل سنة قطيعة يأخذونها
منهم . فلما رأى نور الدين ذلك خاف ان يملكها الفرنج فلا يبقى المسلمين بالشام
مقام فراسل مجير الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا واظهر له المودة حتى
وثق به وكاتب من بها من الاحداث واستمالهم فوعده ان يسلموا المدينة اليه .
وسار نور الدين الى دمشق فارسل مجير الدين الى الفرنج يبذل لهم الاموال
وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه فشرعوا في امداده
ولكن نور الدين اسرع الى دمشق وتسلمها قبل ان يجمعوا هم عساكرهم فعادوا
بجني حنين ودخل نور الدين دمشق من الباب الشرقي وحصر مجير الدين في
القلعة وراسله في تسليمها وبذل له اقطاعاً في جملته مدينة حمص فسلم القلعة اليه
وسار الى حمص فاعطاه عوض حمص بالس فلم يرض بها مجير الدين وسار عنها
الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها داراً وانقرض ملك الدولة البورية من دمشق
وصارت دمشق تحت حكم الدولة الزنكية وسيأتي ذكرها ان شاء الله والملك لله
يوثبه من يشاء وهو ولي التوفيق



٣٩٢ - الدولة الارنقية بمباردين وديار بكر

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية لان مؤسسها ارتق ابن اكسك كان من ممالك السلطان ملك شاه بن الب ارسلان ملك السلجوقية وكان له مقام محمود في دولتهم . وكان على حلوان وما اليها من اعمال العراق . ولما بعث السلطان ملك شاه عساكره لحصار الموصل مع فخر الدولة بن جهمر سنة ٤٧٧ هـ امدته بعسكر آخر مع ارتق فهزمه مسلم بن قريش وحصره بآمد ثم داخله في الخروج من هذا الحصار على مال اشترطه ونجا الى الرقة ثم خشي ارتق من فعلته ولحق بنتش بن الب ارسلان بحباب طامعاً في الاستيلاء على حلب من يده فهزمه تنش فالحق ارتق بالرها واستولى عليها وعلى سروج وما زال كذلك الى ان توفي سنة ٤٨٣ هـ

٣٩٣ - سقمان بن ارتق

من سنة ٤٨٣ - ٤٩٨ هـ او من سنة ١٠٩٠ - ١١٠٤ م

لما توفي ارتق بن اكسك تولى بعده ابنه سقمان . وفي سنة ٤٩١ هـ لما ملك الافرنج انطاكية اجتمعت الامراء بالشام والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان في ذلك المقام المحمود ثم تخاذلوا وافترقوا وعاد سقمان الى الرها . وكان بينه وبين كربوقا صاحب الموصل فتن وحروب الى ان توفي كربوقا سنة ٤٩٥ هـ وولي الموصل بعده موسى التركاني فزحف اليه جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وحاصره بالموصل فاستنجد موسى بسقمان بن ارتق على ان يعطيه حصن كيفا فانجده وسار اليه وافرغ عنه جكرمس واستولى سقمان على حصن كيفا . وفي سنة ٤٩٧ هـ استولى سقمان على مدينة ماردين .

وفي سنة ٤٩٨ هـ توفي سقمان ابن ارتق وكان حازماً حسن السياسة صادق

الجهاد وبعد موته انقسمت الدولة الى قسمين مستقائين فاستبد اخوه ايلغازي
بماردین واورشليم وبقی ابنه ابراهيم بن سقمان بحصن كيفا واورثه اخوته وبنیه
واتباعا لجزی الاحوال ننکلم علی کل من القسمین علی حدته .

القسم الاول

٣٩٤ - ابراهيم بن سقمان

لما توفي سقمان ابن ارتق اجتمع اصحابه وبايعوا ابنه ابراهيم بن سقمان فملك
حصن كيفا واستمر به الى ان توفي

٣٩٥ - داود بن سقمان

ولما توفي ابراهيم بن سقمان تولى بعده اخوه داود بن سقمان واستمر ملكه
بحصن كيفا الى ان توفي

٣٩٦ - فخر الدين قرا ارسلان بن داود

لما توفي داود بن سقمان تولى بعده ابنه فخر الدين قرا ارسلان بن داود
فعظم شأنه وملك اكثر ديار بكر مع حصن كيفا وتوفي سنة ٥٦٢ هـ

٣٩٧ - نور الدين محمد بن قرا ارسلان

من سنة ٥٦٢ - ٥٨١ هـ او من سنة ١١٦٦ - ١١٨٥ م

ولما توفي فخر الدين قرا ارسلان بن داود ملك بعده ابنه نور الدين محمد
وكانت بينه وبين صلاح الدين الايوبي مواصلة ومظاهرة . ظاهر صلاح الدين

على الموصل على ان يظاھرہ على آمد فظاھرہ صلاح الدين وحاصرھا من صاحبھا
ابن سان سنة ٥٦٩ هـ وصارت من اعمال نور الدين . ثم توفي نور الدين محمد
سنة ٥٨١ هـ .

٣٩٨ - قطب الدين سقمان بن محمد

من سنة ٥٨١ - ٥٩٧ هـ او من سنة ١١٨٥ - ١٢٠٠ م

وتولى بعده ابنه قطب الدين سقمان بن محمد وقام بتدبير دولته العوام بن
سماق وكان عماد الدين (عم قطب الدين سقمان) اخو نور الدين محمد قد سار في
العساكر مهدداً اصلاح الدين على حصار الموصل فلما بلغه الخبر بوفاة اخيه سار
ملك البلد لصغر اولاد اخيه نور الدين فلم يظفر واستولى على خرت برت وانتزعها
منهم وملكها واورثها بنيه . فلما افرج صلاح الدين عن الموصل اقبله قطب الدين
سقمان فاقره صلاح الدين على ملك ابيه بكيفاً واتي بيده آمد التي ملكها لايه
واشترط عليه مراجعته في احواله ولوقوف عند اوامره . وكان لقطب الدين سقمان
اخ اسمه محمود وهو المرشح للامارة بعده الا ان سقمان كان شديد البغضاء له
فاشغصه الى حصن منصور من آخر عمله واصطفي مملوكه اياساً وزوجه باخنه
وجعله ولي عهده . واستقر ملك قطب الدين بكيفاً وآمد وما اليهما الى ان توفي
سنة ٥٩٧ هـ

٣٩٩ - اياسه مملوك قطب الدين

من سنة ٥٩٧ - ٥٩٧ هـ او من سنة ١٢٠٠ - ١٢٠٠ م

لما توفي قطب الدين سقمان بن محمد تولى بعده مملوكه اياس . كهده له ولكن
ارباب الدولة دسوا الى محمود بن محمد وهو بحبسه بالقدوم اليهم ليولوه الملك
فقدم اليهم وحارب اياساً وانتصر عليه وحبسه واستولى على ملك ابيه وجده

٤٠٠ - محمود بن محمد

من سنة ٥٩٧ - ٦١٩ هـ او من سنة ١٢٠٠ - ١٢٢٢ م

ولما استولى محمود على الملك اساء السيرة وظلم الرعية وكان ينتحل العلوم الفلسفية فكرهته رعيته كرهاً زائداً . وبقي كذلك الى ان توفي سنة ٦١٩ هـ غير ماسوف عليه .

٤٠١ - المسعود بن محمود

لما توفي محمود تولى بعده ابنه المسعود وحدثت بينه وبين الافضل بن العادل فتنة واستنجد عليه اخاه الكامل فسار في العساكر من مصر ومعه داود صاحب المكرك والمظفر صاحب حماة فحاصروه بآمد الى ان نزل عنها وجاء الى الكامل فاعنته وانقرض ملك بني سقمان

القسم الثاني

٤٠٢ - ايلغازي بن ارتق

من سنة ٤٩٨ - ٥١٦ هـ او من سنة ١١٠٤ - ١١٢٢ م

كان ايلغازي بن ارتق في ذلك الوقت شحنة بغداد وله اليد الطولى في تدبير أمور المملكة فلما توفي اخوه سقمان بن ارتق سار الى ماردين واستولى عليها وفي سنة ٥٠٨ هـ كتب السلطان محمد الساجوقى الى جميع أمراء الساجوقية بالشام وأسيا الصغرى والعراق وارمينية للاجتماع والاتحاد على قتال الافرنج فسار جميع الأمراء كامر السلطان محمد لا ايلغازي بن ارتق فسار اليه البرسقي ونازله بماردين حتى اذعن وأرسل عسكرياً مع ابنه اياز فسار البرسقي منه الى الرها ونازلها

ثم سار الى سيمساط وبلد سروج ثم عاد الى شحمان وهناك قبض على اياز بن ايلغازي حيث لم يحضر أبوه ونهب سواد ماردین . فسار ايلغازي الى حصن كينا واستنجد ابن اخيه داود بن سقمان فسار معه في عسكره الى البرسقي فلقبهم اواخر السنة وافتتلوا قتلًا شديدًا فانهمزم البرسقي وعسكره وخلص اياز بن ايلغازي من الاسر فارسل السلطان محمد الى ايلغازي يتهدده فخره وسار الى الشام واقام عند طغتكين صاحب دمشق ثم اتفق ايلغازي وطغتكين على الامتناع والالتجاء الى الافرنج والاحتيا بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حصن وجددوا العمود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازي الى الرستن على عزم قصد ديار بكر فقصد الامير قرجان بن قراجا صاحب حصن وقد تفرق عن ايلغازي جميع اصحابه فظفر به قرجان وأسرہ وارسل الى السلطان محمد يعرفه ذلك ليرسل اليه من يستلم ايلغازي فطال الامد ولم يرد السلطان بشيء فمدل الى الصالح مع ايلغازي على ان يطلقه ويأخذ ابنه اياز رهينة فاجابه الى ذلك فاطلقه وتحالفا وسلم اليه ابنه اياز . وسار ايلغازي من حصن حلب الى حلب وجمع التركمان وعاد الى حصن وطالب بولده اياز وحصر قرجان .

وفي هذه الاثناء كان السلطان محمد السلاجوقي قد جهز جيشًا عظيمًا وسيره بقيادة الامير برسق بن برسق لقتال الافرنج وأمرهم بقتال ايلغازي اولًا ثم طغتكين بدمشق فاذا فرغوا منها قصدوا بلاد الافرنج وقتلهم فوصل هذا الجيش العرمم الى حصن وكان ايلغازي محاصرًا لها فافرج عنها وسار الى حلب وسار طغتكين اليها ايضًا وحصنوا المدينة واستعدوا للحصار . وتقدم الامير برسق بعساكره وحاصر حلب فامتنعت عليه فساروا الى حماة من اعمال طغتكين وبها ذخائره ففتحوها عنوة ونهبوها وسلموها للامير قرجان صاحب حصن فاعطاهم اياز بن ايلغازي وكان رهينة عنده كما تقدم وبقي الامير برسق بعساكره ولم يتقدم لقتال الافرنج بكثرة جموعهم من جهة ولظنه انه متى دخل الشتاء تفرقوا من جهة أخرى فلما دخل الشتاء ولم يتفرقوا عاد برسق بالعساكر الى العراق فتمقبه الافرنج وهزموه ومن معه

فرجع الى بلاده بالبحري والعار . وكان اياز بن ايلغازي أسيراً عنده فقتله الموكلون به سنة ٥٠٩ هـ وعاد طغتكين الى دمشق وايلغازي الى ماردين وفي سنة ٥١١ هـ كتب اهل حلب الى الامير ايلغازي بن ارتق يطلبون منه ان يقدم اليهم ويستلم مدينتهم لضعف أمرائهم بها وعدم مقدرتهم مدافعة الافرنج فاجاب طلبهم وسار الى حلب وملكها واستخاف بها ابنه حسام الدين تمرشاش وعاد الى ماردين

ولما عاد ايلغازي عن حلب تاركاً بها ابنه طمع الافرنج في الاستيلاء عليها وتقدموا اليها وحاصروها وضيقوا عليها فجاء ايلغازي لقتالهم ومنعهم عن المدينة فهزموه فعاد وجمع عسكراً آخر واستأنف القتال فهزم الافرنج ودخل حلب فاصلح أمورها ثم عبر الفرات الى ماردين بعد ان استخلف على حلب ابنه سليمان . ومما مدح به ايلغازي في هذه الواقعة قول العظمي

قل ما تشاء فقولاك المقبول وعليك بعد الخالق التعويل
واستبشر القرآن حين نصرته وبكى لفقد رجاله الانجيل

وفي سنة ٥١٥ هـ عصى سليمان بن ايلغازي على ابيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة عنده فسمع والده الخبر فسار مجداً لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذراً فامسك عنه وقبض على من كان اشار عليه بذلك وقتلهم بعد ان مثل بهم واحضر ولده وهو سكران فاراد قتله فممنه رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فارسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه ايلغازي الى ذلك واستناب بحلب سليمان بن اخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

وفي سنة ٥١٦ هـ توفي ايلغازي بن ارتق بميفارقين

٤٠٣ - حسام الدین تمرتاش بن ایلغازی

من سنة ٤١٦ - ٥٤٧ هـ او من سنة ١١٢٢ - ١١٥٢ م

لما توفي ایلغازي بن ارتق تولى بعده بماردین ابنه حسام الدین تمرتاش وملك ابنه الآخر سلیمان میافارقین وکان بحلب سلیمان ابن اخیه عبد الجبار بن ارتق فاستولى علیها وبقى تمرتاش بماردین واستمر ملكه بها وکان مستولياً علی كثير من قلاع دیار بکر ثم استولى سنة ٥٣٢ هـ علی قلعة السیاح وکانت یسد بعض بني مروان . ولم یزل تمرتاش ملكاً بماردین الی ان توفي سنة ٥٤٧ هـ .

٤٠٤ - الی بن تمرتاش وابنه ایلغازی

لما توفي حسام الدین تمرتاش تولى بعده بماردین ابنه الی بن تمرتاش وبقى ملكاً الی ان توفي وولى بعده ابنه ایلغازي بن الی الی ان توفي ولم یقع الی تاریخ وفاتها

٤٠٥ - بولق ارسلان بن ایلغازی

لما توفي ایلغازي تولى بعده ابنه بولق ارسلان وکان صغيراً فقام بتدبیر الدولة وزیرہ النقش . وعلی عهد بولق هذا قصد العادل ابوبکر بن ایوب ماردین وخشیه ملوک الجزیره ولم یقدروا علی منعه فحاصر ماردین وضیق علیها حتی غلت الاقوات فیها فبعث الیه النقش وزیر بولق بالطاعة وتسليم القلعة لاجل معلوم علی ان یدخل الیهم الاقوات فأجابہ العادل الی ذلك ووضع ابنه علی بابها ان لا یدخلها من القوت الا ما یکنی اهلها یوماً بیوم فصانعوا الولد بالمال وشحنوها بالاقوات و بینما هم فی ذلك جاء نور الدین صاحب الموصل لانجادهم وقاتل عدوهم فانهمزم عسکر العادل وخرج اهل القلعة فافقعوها بعسکر الکامل ابنه فرحلوا جمیعاً منهزمین . ونزل بولق ارسلان الی نور الدین وشکره

ثم توفي بولق ارسلان بن ایلغازي صاحب ماردین بعد ذلك بقلیل

٤٠٦ - ارتق المنصور بن ايلغازي

لما توفي بولق ارسلان نصب لؤلؤ الخادم اخاه الاصغر ناصر الدين ارتق بن ايلغازي فقام النقش بتدبير دولته كما كان في ايام اخيه . وازداد استبداد النقش وحججه على ارتق الي درجة لا تطاق . فصار ارتق ينتهز الفرص للخلاص منه وفي سنة ٦٠١ هـ مرض النقش فجاء ارتق لعيادته وقتل لؤلؤاً خادمه ثم رجع الي النقش فقتله في فراش مرضه واستقل ارتق بعد موت النقش بالملك وتلقب الملك المنصور . ثم توفي سنة ٦٣٦ هـ .

٤٠٧ - السعيد نجم الدين غازي بن ارتق

من سنة ٦٣٦ - ٦٥٨ هـ او من سنة ١٢٣٨ - ١٢٥٩ م

ولما توفي ارتق بن ايلغازي تولى بعده ابنه السعيد نجم الدين غازي بن ارتق واستمر ملكاً الى ان توفي سنة ٦٥٨ هـ

٤٠٨ - المظفر قرا ارسلان بن ارتق

من سنة ٦٥٨ - ٦٥٩ هـ او من سنة ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م

ولما توفي السعيد نجم الدين غازي بن ارتق تولى بعده اخوه المظفر قرا ارسلان ابن ارتق ولم تطل مدته اذ توفي سنة ٦٥٩ هـ

٤٠٩ - نجم الدين غازي بن قرا ارسلان

من سنة ٦٥٩ - ٧١٢ هـ او من سنة ١٢٦٠ - ١٣١٢ م

لما توفي المظفر قرا ارسلان بن ارتق تولى بعده ابنه نجم الدين غازي بن قرا

ارسلان وطل ملكه الي ان توفي سنة ٧١٢ هـ لاربع وخمسين سنة من ولايته

٤١٠ - المنصور احمد بن غازي

من سنة ٧١٢ - ٧١٦ هـ او من سنة ١٣١٢ - ١٣١٦ م

ولما توفي نجم الدين غازي تولى بعده ابنه احمد بن غازي وملك الي ان توفي سنة ٧١٦ هـ

٤١١ - الصالح محمود بن احمد

من سنة ٧١٦ - ٧١٦ هـ او من سنة ١٣١٦ - ١٣١٦ م

ولما توفي المنصور احمد بن غازي تولى بعده ابنه الصالح محمود بن احمد ولكنه لم يهنأ بالملك طويلاً لان عمه المظفر نخر الدين داود بن المنصور قام عليه لاول ولايته وخلعه من الملك واغتصب المملكة لنفسه ولم يملك محمود الا اربعة اشهر

٤١٢ - المظفر فخر الدين داود بن المنصور

من سنة ٧١٦ - ٧٧٨ هـ او من سنة ١٣١٦ - ١٣٧٦ م

واستتب الامر للمظفر فخر الدين داود بن المنصور في المملكة وطالت ايامه ثم توفي سنة ٧٧٨ هـ

٤١٣ - مجد الدين عيسى بن داود

ثم تولى بعده ابنه مجد الدين عيسى بن داود فلم يزل ملكاً على ماردين حتى استولى عليها العثمانيون من يده وهي في يدهم الآن . وانقرضت الدولة الارثقية والملك لله بوثيه من يشاء وهو العزيز الحكيم .

٤١٤ - دولة الشاهات بارمينية

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية أيضاً لان مؤسسها سكان كان من موالي قطب الدين اسماعيل بن ياقوتي بن داود بن ميكائيل بن سلجوق وكان ينسب اليه فيقال سكان القطبي وكان شعباً عادلاً في احكامه . وكانت خلاط وارمينية لبني مروان ملوك ديار بكر وكنوا في آخر دولتهم قد اشتد عسفهم وظلمهم وساء حال اهل البلد معهم فاجتمع اهل خلاط وكاتبوا سكان هذا واستدعوه ليملكوه عليهم فسار اليهم سنة ٥٠٢ هـ

٤١٥ - سكان القطبي شاه ارمره

من سنة ٥٠٢ - ٥٠٩ هـ او من سنة ١١٠٨ - ١١١٥ م

لما سار سكان الي خلاط واستولى عليها خالف عليه اهل ميافارقين فحاصروها وضيق عليها حتى افتتحها في ذات السنة وفي سنة ٥٠٩ هـ ارسل السلطان محمد السلجوقي ملوك وامراء المسلمين لقتال الافرنج وكان سكان القطبي شاه ارمن منهم ففتحوا عدة حصون ثم حاصروا الرها فامتنعت عليهم ثم تل ناشر كذلك . واستدعاهم رضوان بن تئش صاحب حلب فلما ساروا اليه امتنع من لقاءهم . وفي هذه الاثناء مرض سكان القطبي هنا لك فرجع عنهم وتوفي في طريقه ببالس

٤١٦ - ظهير الدين ابراهيم بن سكان

من سنة ٥٠٩ - ٥٢١ هـ او من سنة ١١١٥ - ١١٢٧ م

لما توفي سكان القطبي ملك خلاط وارمينية بعده ابنه ظهير الدين ابراهيم بن سكان فاحسن السيرة واتبع طريقة ابيه الى ان توفي سنة ٥٢١ هـ

٤١٧ - احمد بهر سكرمانه

من سنة ٥٢١ - ٥٢٢ هـ أو من سنة ١١٢٧ - ١١٢٨ م

ولما توفي ظهير الدين ابراهيم بن سكرمان ملك بعده اخوه احمد بن سكرمان ولم تطل ايام ملكه لانه توفي سنة ٥٢٢ هـ لعشرة اشهر من ملكه .

٤١٨ - شاه ارمنه سكرمانه بهر ابراهيم

من سنة ٥٢٢ - ٥٨١ هـ أو من سنة ١١٢٨ - ١١٨٥ م

ثم ملك بعده ابن اخيه شاه ارمن سكرمان بن ابراهيم وكان صبيًا فاستبدت عليه جدته ام ابراهيم ثم عزمت على قتله فقتلها اهل الدولة سنة ٥٢٨ هـ واستبد شاه ارمن وقوي امره وكان بينه وبين الكرج وقائع مشهورة .
وفي هذه الاثناء كان صلاح الدين الايوبي ملك مصر والشام قد استفحل امره وعلا صيته فكاتبه مظفر الدين كوكبري واغراه بملك الجزيرة ووعدته بخمسين الف دينار . وسار صلاح الدين الى سنجار وحاصرها وهو مجمع المسير الى الموصل وبها يومئذ عز الدين مودود بن زنكي فاستنجد بشاه ارمن صاحب خلاط .
فبعث شاه ارمن مولاة مكتمر الى صلاح الدين شفيماً فلم يقبل صلاح الدين شفاعته فرجع عنه مغاضباً واخبر شاه ارمن الخبر وخوفه عاقبة الالهـال والتواني عن صلاح الدين . فسار شاه ارمن من خلاط وكان مخياً بظاهاها الى ماردين وصاحبها حينئذ نجم الدين البي وهو ابن اخت شاه ارمن وابن خال عز الدين فاستدعاه شاه ارمن فخرج معهم ومعه دولة شاه صاحب بدليس وارزن . وكان صلاح الدين قد ملك سنجار وسار عنها الى حران وفرق عساكره في نواحيها فلما سمع باجتماعهم ضده سار عن حران الى رأس عين فلما سمعوا بمسيره تفرقوا كل منهم الى بلده .

ثم توفي شاه ارمن سيمان بن ابراهيم سنة ٥٨١ هـ ولم يلد ولدًا ذكرًا

٤١٩ - مكنم مولى سيمان

من سنة ٥٨١ - ٥٨٩ هـ أو من سنة ١١٨٥ - ١١٩٢ م

لما توفي شاه ارمن سيمان بن ابراهيم كان مولاه مكنم بميفارقين فأسرع الى خلاط واستولى على كرسي بني سيمان وولي على ميفارقين اسد الدين برتقش من موالي شاه ارمن . وكان شمس الدين البلموان بن ايلدز صاحب اذربيجان قد زوج شاه ارمن على كبر سنه بنًا له ايجعل ذلك طريقةً الى ملك خلاط وأعمالها . فلما بلغه وفاة شاه ارمن كاتب صلاح الدين وكان محاصرًا للموصل (وقد عزم على قصد خلاط لئيلكها لخلوها من الساطان) ان لا يقصد خلاط وحسن له استمرار الحصار بالموصل حتى يفتحها . وكان ذلك مكرًا منه لكي يتمكن من الاستيلاء على خلاط فسار اليها . فلما علم أهل خلاط بمسيره اليهم كاتبوا صلاح الدين يستدعونه ايدفع عنهم البلموان فسار صلاح الدين الى خلاط وفي مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما ونزلوا قريبًا من خلاط فتردد الرسل بين صلاح الدين والبلموان واتفقوا ان يترك البلموان وصلاح الدين خلاط لمكنم مولى سيمان ففعلوا وعادوا عنها . واقام مكنم اميرًا بخلاط وجرت بينه وبين صلاح الدين فتن وحروب يطول شرحها . وكان مكنم لاول ولايته قد اخضع اقسقر من موالي شاه ارمن وزوجه بنه وجعله اتابكه فاقام على ذلك مدة ثم استوحش من مكنم وتربص به حتى امكنته الفرص فقام عليه وقتله وكان قتله سنة ٥٨٩ هـ .

٤٢٠ - اقسفر

من سنة ٥٨٩ - ٥٩٤ هـ أو من سنة ١١٩٢ - ١١٩٧ م

ولما قتل اقسفر مكتمر كما تقدم استقل بملك خلاط وارمينية واعتقل محمد ابن مكتمر واهله في بعض القلاع . واستمر ملكه الى ان توفي سنة ٥٩٤ هـ . وقام أحد الارمن بملك خلاط بعده ولكن الاهالي لم يرضوا به وخلعوه لسبعة ايام من ولايته وقتلوه واستدعوا محمد بن مكتمر من ممبسه وملكوه عليهم



٤٢١ محمد بن مكتمر

من سنة ٥٩٤ - ٦٠٤ هـ أو من سنة ١١٩٧ - ١٢٠٧ م

واستولى محمد بن مكتمر على خلاط وارمينية وتلقب الملك المنصور واستوزر شجاع الدين قطاغ التتاجي داود ارشاه ارمن فقام بما عهد اليه خير قيام الى سنة ٦٠٣ هـ وفيها قبض محمد بن مكتمر على وزيره هذا مع حسن سيرته واعتقله فهاج الجند لهذا الفعل . وعكف محمد بن مكتمر بعد نكته الوزير على لذاته فاجتمع اهل خلاط وجندوها وكبرهم بلبان مملوك شاه ارمن وكتبوا الى ارتق بن ايلغازي بن البي صاحب ماردن يستدعونه للملك . وجاهر بلبان ومن معه بالمصيان وساروا الى ملاذ كرد واستولوا عليها واجتمع الجند على بلبان فسار يريد خلاط ووصل ارتق بن ايلغازي لموعدهم ونزل قريباً من خلاط فبعث اليه بلبان « ان الجند والرعية انهموني فيك فارجع واذا ملكت البلد سلمته اليك » فتسحق قليلاً . وكان الاشرف موسى بن العادل بن ايوب صاحب الجزيرة وحران لما سمع بمسير ارتق الى خلاط طعم فيها نفسه وخشي أن يزداد قوة عليهم فخالفه الى ماردن واقام بتدليس وجبى ديار بكر حتى استوعبها وعاد الى حران . أما بلبان فجمع العساكر وجدد الحصار على خلاط ومحمد بن مكتمر منعكف على لذته

غير سائل عما يكون فقام عليه أهل خلاط وقبضوه ومكنوا بلبان منه فدخل الى خلاط واستولى عليها ولكنه لم تطل ايامه لان الاوحد نجم الدين ايوب بن العادل الايوبي حاصره فيها واستولى عليها سنة ٦٠٤ هـ فصارت ارمينية جزءاً من المملكة الايوبية وانقرضت دولة الشاهات والله غالب على امره . وهو ولي التوفيق

٤٢٢ - دولة الموحدين بمراكش

(تمهيد) راس هذه الدولة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي واصله من هرغة من بطون المصامدة . وزعم بعض المؤرخين ان نسبه يتصل باهل البيت والاغاب غير ذلك . نشاء في جبل السوس اقصى بلاد المغرب ثم رحل الى المشرق في شببته طالباً للعلم فاتهى الى العراق واجتمع بابي حامد الغزالي والكيلا الهراسي والطرطوشي وغيرهم فتعلمد لابي حامد الغزالي وحصل طرفاً صالحاً من علم الشريعة والحديث النبوي واصول الفقه والدين ثم حج واقم بمكة وكان ورعاً ناسكاً متقشفاً لا يصحبه من مناع الدنيا الا العساوور كوة وكان شجاعاً فصيحاً في لسانه العرب والمغرب شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع في امر الله بغير اظهاره وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك متحملاً للاذى من الناس بسببه فزاله بمكة من المكروه بسبب ذلك ما حبيب اليه مفارقتها فخرج منها الى مصر وبالع في الانكار فزادوا في اذاه وطرده الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الناس به خلط في كلامه فينسب الى جنون . فخرج من مصر الى الاسكندرية ومنها بجرأ الى بلاده فاتهى الى المهدية وملكها يومئذ الامير يحيى ابن تميم الصنهاجي وذلك في سنة ٥٠٥ هـ فنزل فيها وجلس على الطريق ينظر الى انارة فلا يرى منكراً من آله الملاحى او اواني الحجر الا نزل اليها وكسرها فتسامع الناس به في البلد فاجاءوا اليه وبلغ خبره الامير يحيى فاستدعاه واما راي ورعه اكرمه وساله الدعاء فقال له « اصالحك الله لرعينك » . ولم يقم بعد ذلك بالمهدية الا اياماً

يسيرة ثم انتقل الى بجاية فاقام بها مدة وفيها وجد عبد المؤمن بن علي فتوسم محمد ابن تومرت في عبد المؤمن بن علي النجاة والفصاحة فاصدح به معه وسار الى مراكش دار مملكة امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فرأى فيها من المنكرات اكثر مما عاينه قبلاً فزاد في امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثير اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه . وبينما هو في بعض الايام في طريقه اذ رأى اخت امير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات (وكانت عادة المسلمين يسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال) فحين رأى النساء كذلك انكر عليهن وامرهن بستر وجوههن وضرب هو واصحابه دوابهن فسقطت اخت امير المسلمين عن دابتها فرفع امره الى امير المسلمين وانه يتحدث في تغيير الدولة . فامر علي بن يوسف باحضاره واحضر جماعة من علماء البلد لينظروه فلما ضمهم المجلس قال الملك لعملاء بلده سلوا هذا الرجل ما يبغي مننا فالتدب له قاضي المرية واسمه محمد بن اسود وقال مخاطباً محمد بن تومرت « ما هذا الذي يذكر عنك من الاقوال في حق الملك العادل الخليم المتقاد الى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه » فقال له محمد بن تومرت « اما ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه اقوال واما قولك ان الملك يؤثر طاعة الله على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم بتعريبه عن هذه الصفة انه مغرور بما يقولونه له وتضرونه به مع علمكم ان الحججة عليه متوجهة فهل بلغك يا قاضي ان الخمر تباع جهاراً وتمشي الخنازير بين المسلمين وتؤخذ اموال البتامي » وعدد من ذلك شيئاً كثيراً

فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه واطرق حياء ففهم الحاضرون من فحوى كلامه انه طامع في المملكة لنفسه . ولما راوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم احد منهم فقال مالك بن وهيب (وزير الملك علي بن يوسف) وكان كثير الاجترار على الملك :

« ايها الملك ان هذا سيفتح علينا باباً يمسر علينا سده وان عئدي لنصيحة ان

قبلتها حذت عاقبتها وان تركتها لم تامن غائلتها . فقال الملك « ما هي » فقال :
« اني خائف عليك من هذا الرجل وارى ان تعقله واصحابه وثنفق عليهم كل يوم
ديناراً لتكتفى شره وان لم تفعل ذلك لننفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفك ذلك »
فقبل الملك هذا الاقتراح ولكن قام رجل من الملمسين رشع في محمد بن تومرت
فاطلقه الملك . فلحق محمد بن تومرت ومن معه بجبل السوس الذي فيه قبيلة هرغة
وغيرهم من المصامدة سنة ٥١٤ هـ فاتوه واجتمعوا حوله وتسامع به اهل تلك النواحي
فوفدوا عليه وحضر اعيانهم بين يديه فجعل يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكرهم
شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة
من هذه الدول لا تباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه . فاقام على
ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمي اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبي بشر
بالمهدي الذي يملأ الارض عدلاً وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى .
فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن بن علي وقالوا له لا يوجد هذا الا فيك
فانت المهدي فبايعوه على ذلك . وسمع الامير علي بن يوسف بمبايعته فارسل
عسكراً لقتاله فهزم اصحاب ابن تومرت عسكر علي بن يوسف مع كثيرتهم وقتلهم
فقوى ظنهم بالمهدي واقبلت اليه افواج القبائل وانتهى خبره الى امير المسلمين ثانياً
فاحضره مرة اخرى وقال له « ايها الرجل اثق الله في نفسك الم انك عن عقد
الجموع والمغازب وامرتك بالخروج من البلد » فقال « ايها الملك قد امتثلت امرك
وخرجت من البلد واشتغلت بما يعنيني فلا تسمع لاقوال المبطلين » فتوعدده امير
المسلمين وهم بالقبض عليه ثم عصمه الله منه ليقتضي الله امراً كان مفعولاً

فخرج محمد بن تومرت حتى اتي مدينة تينمال فاقام بها ثم لحق به اصحابه العشرة
السابقون الى دعوته والمصدقون بامامته وهم عبد المؤمن بن علي الكومي وابو محمد
البشير الوائشر يسي وابو حنص عمر بن يحيى الهنتاتي وابو يحيى بن يكيث الهنتاتي
وابو حفص عمر بن علي آصنك وابراهيم بن اسماعيل الخزرجي وابو محمد عبد الواحد
الحضرمي وابو عمران موسى بن تمار وسليمان بن خلوف وعاشر . فاقاموا بتينمال

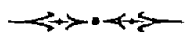
وعظم صيت محمد بن تومرت في جبل درن وكثر اتباعه فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعى الناس الى بيعته وخطب فيهم واسلمهم انه المهدي المنتظر فبايعوه بيعة عامة . ثم بث دعائه في بلاد المصامدة يدعون الناس الى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ووصفه بالزهد وتجرى الحق وظهار الكرامات فانشأ الناس عليه من كل جهة فلقنهم عقائد التوحيد باللسان البربرى وجعل لهم فيه الاشارة والاحزاب والسور وقال لهم من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد لا تجوز امامته ولا تؤكل ذبيحته . فاستوات محبته على قلوبهم وعظموه ظهراً وباطناً حتى كانوا يستغيثون به في شدائهم وينوّهون باسمه على منابرهم ولم ترل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع عليه جمع غفير . فلما علم ان ناموسه قد رسخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيباً وندبهم الى جهاد المرابطين واباح لهم دماءهم واموالهم فانتدب الناس لذلك وبايعوه على الموت فانخب منهم عشرة الاف من انجاد الموحدين وقدم عليهم ابا محمد البشير وعقد له راية بيضاء ودعى لهم وانصرفوا فساروا الى مدينة غمات وانتهى الخبر الى امير المسلمين فجهز اقطاعه جيشاً من الحشم والاجناد فلما التقوا انتصر الموحدون وهزموا المرابطين واتبعوهم بالسيف حتى ادخلوهم مراكش وحاصروها اياماً ثم افرجوا عنها حين تكاثرت عليهم جيوش المرابطين وكان ذلك ثالث شعبان سنة ٥١٦ هـ .

وقسم المهدي الغنائم التي غنمها من المرابطين . وانتشر ذكر المهدي بجميع اقطار المغرب والاندلس ثم غزا مراكش فقام محاصراً لها ثلاث سنين يباكرها باقتال ويراوحها من سنة ٥١٦ - ٥١٩ هـ .

والضجر من مقامه هنالك نهض الى وادي نفيس ونحدر مع مسيلة يدعو الناس لطاعته ويقا تل من ابي منهم فانقاد له اهل السهل والجبل وبايعته كدمية ثم غزا بلاد ركة فاخذهم بالدعاء الى توحيد الله وشرائع دينه وسار في بلاد المصامدة يقاتل من ابي ويسالم من اجاب ففتح بلاداً كثيرة ثم رجع الى تينمل فقام بها شهرين ريثما استراح الناس ثم غزا مدينة اغمات وبلاد هزرجة وانتصر

عليها ثم غزا اهل درن ففتح قلاع وحصونه واطاعه جميع من فيه من قبائل هرغة وهتاتة وكفيسة وغيرهم وعاد الى تينمال ظافراً غنائماً . وبعد ان استراح اصحابه انتدبهم الى غزو مرا كش وقتل المرابطين وقدم عليهم عبد المؤمن بن علي وابا محمد البشير وخص عبد المؤمن بامامة الصلاة فساروا حتى انتهوا الى اغمت فلقبهم ابو بكر بن علي بن يوسف في جيش كثيف من لتونة وقبائل صنهاجة فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم ثمانية ايام ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموا ابا بكر وجيشه الى مرا كش وقتلوه في كل طريق وحصروا مرا كش اياماً ثم رجعوا الى تينمال فخرج المهدي للقائهم فرحب بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح وتوفي المهدي عقب هذه الحادثة وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٥٢٤ هـ وكان المهدي رجلاً ربة اسمع اعظم الهامة غائر العينين حاد النظر خفيف المارضين ذا سياسة ودهاء عظيم وكان مع ذلك عالماً فقيهاً راوياً بالحديث عارفاً بالاصول والجدل فصيح اللسان مقداماً على الامور والاعظام غير متوقف في سفك الدماء ويهون عليه اتلاف عالم في بلوغ غرضه وكان كثيراً ما يتمثل بقول ابي الطيب المتنبي

اذا غامرت في شرف مروم فما تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير كطعم الموت في امر عظيم



٤٢٣ - عبد المؤمن بن علي الكوسى

من سنة ٥٢٤ - ٥٥٨ هـ أو من سنة ١١٢٩ - ١١٦٢ م

لما توفي المهدي تشوق كل واحد من العشرة اخصائه الى الخلافة بعده وكانوا من قبائل شتى وأحبت كل قبيلة ان يكون الخليفة منها وان لا يتولى عليها من هو من غيرها فتماسوا في ذلك فاجتمع العشرة ونأمروا فيما بينهم وخافوا على انفسهم النفاق وان تفسد نياتهم وتفرق جماعتهم فاتفقوا على خلافة عبد المؤمن بن علي

لكونه كان غريباً بين اظهريهم ليس من المصامدة لان المصامدة من البرانس وكومية
قبيلة عبد المؤمن من البتر فقدموه لذلك مع ما كانوا يرربن من ميل المهدي
الخصوصي اليه فتم له الامر بعد مضي سنتين من موت المهدي ويوم البيعة العامة
بعد صلاة الجمعة لعشرين يوماً من ربيع الاول سنة ٥٢٦ هـ

وفي سنة ٥٢٨ هـ تسمى عبد المؤمن بن علي امير المؤمنين (واعلم ان لقب
امير المؤمنين كان في صدر الاسلام خاصا بالخليفة بالمشرق من الرشدين او بني امية
او من بني العباس بعدهم . ولما قام عبيد الله المهدي اول ملوك العبيديين بافريقية
تسمى امير المؤمنين لانه كان يرى انه احق بالخلافة من بني العباس المعاصرين
له بالمشرق فهو اول من زاحم الخليفة في هذا اللقب ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن
الناصر الاموي صاحب الاندلس وراى ان له في الخلافة حقاً اقتداء بسلفه الذين
كانوا خلفاء بالمشرق . وكلاهما اعني العبيدي والاموي قرشي من بني عبد مناف .
ثم لم يتجاسر احد لا من ملوك العجم بالمشرق ولا من ملوك البربر بالمغرب
على التلقب باير المؤمنين لانه لقب الخليفة الاعظم القرشي الى ان جاءت دولة
المرابطين وكان منهم يوسف بن تاشفين واستولى على المغريين والاندلس وعظم
سلطانه واتسعت مملكته وخاطب الخليفة العباسي بالمشرق فولاه على ما بيده
وتسمى بامير المسلمين ادباً مع الخليفة . ولما جاء عبد المؤمن هذا لم يبال بذلك
كله واتسم بالخليفة وتلقب باير المؤمنين وتبعه على ذلك بنوه من بعده . اهـ

وفي سنة ٥٢٩ هـ امر عبد المؤمن ببناء رباط مدينة تازا فبنيت وحصن سورها
ثم صرف عبد المؤمن عزمه لفتح بلاد المغرب فغزا غزوته الطويلة التي مكث
فيها سبع سنين واجلت عن ففتح المغربين معاً الاقصى والاوسط خرج لها من
تيمال في صفر سنة ٥٣٤ وقصد جبال غمارة وخرج تاشفين بن علي (في حياة
ايه) بمساكره يجاذبه في البسيط والناس يفرون منه الى عبد المؤمن . ثم نزل
تاشفين بازاء عين القديم وذلك في فصل الشتاء فقام بذلك المنزل شهرين حتى
احرق اهل محاته او تاد اخبيتهم ورماحهم وهدموا بيوتهم وخيامهم . ثم اشتعلت نار

الغلبة والغلاء بالمغرب واقشعت الرعايا من البلاد وتوفي خلال ذلك امير المسلمين علي بن يوسف سنة ٥٣٧ هـ وتولى بعده ابنه تاشفين بن علي المذكور في غزاته هذه . وتمادى عبد المؤمن في غزاته الى جبال غياثة وبطوية فافتتحها ثم نزل ملوية فافتتح حصونها ثم تخطى الى بلاد زناتة فطاعته قبائل مديونة ثم رحل الى تلمسان وسار اليهم الى هناك تاشفين بن علي بن يوسف امير المسلمين بن المرابطين فمزقه الموحدون مراراً فلحق بوهران وبث ابنه ولي عهده ابراهيم بن تاشفين الى مراكش في جماعة من لمتونة . وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبث في مقدمته الشيخ ابا حفص عمر بن يحيى الهنتاتي (جد الملوك الحفصيين اصحاب تونس) ومعه بنو ومانوا من زناتة فتقدموا الى بلاد زناتة ونزلوا منداس وسط بلادهم واجتمع بنو يادين كلهم وبنو يلومي وبنو مريين ومغراوة فشن فيهم الموحدون حتى ازعنوا للطاعة ودخلوا في دعوتهم . ثم سار عبد المؤمن في جموع الموحدون الى وهران فلجأ تاشفين الى راية هناك فاحدقوا بها واضرموا النيران حولها حتى اذا غشيهم الليل خرج تاشنين من الحصن راكباً فرسه فتردى به من بعض حافات الجبل ومات لسبع وعشرين من رمضان سنة ٥٣٩ هـ (وبه انقضت دولة المرابطين وتلتها دولة الموحدون التي نحن بصددھا الآن) ولما مات تاشفين ايقن عبد المؤمن ببلوغ امله فعاد الى تلمسان وحاصرها وافتتحها عنوة وعفا عن اهلها . ثم سار الى مدينة فاس وحاصرها حصاراً شديداً وافتتحها ثم رحل عبد المؤمن من فاس عامداً الى مراكش فوافته في طريقه بيعة اهل سبتة فولى عليهم يوسف بن مخلوف من مشيخة هنتاتة ومر على مدينة ندلا فافتتحها ثم تمادى عبد المؤمن الى مراكش وهناك اجتمع بقائده ابي حفص عمر بن يحيى بباقي جيشه فتحدوا جميعاً على حصار مراكش والمرابطون يدافعون جهدهم حتى اعياهم الجوع فبرزوا الى مدافعة الموحدون فانهمزموا وتبعهم الموحدون بالقتل فاقتمحوهم عليهم المدينة في اخريات شوال سنة ٥٤١ هـ وقتل عامة المرابطين ونمى اثرهم واستولى الموحدون على جميع البلاد فسبحان من يغير ولا يتغير

وما صدق عبد المؤمن ان انتصر على المرابطين واستتب له الامر حتى ظهر له عدو آخر هو محمد بن هود السلاوي اصله رجل من سوقة اهل سلا لحق بعبد المؤمن عند ما ظهر وشهد معه فتح مراكش ثم فارقه وظهر برباط ماسة من ناحية السوس ودعا لنفسه وتسمى بالهادي وتمكن ناموسه من قلوب العامة وكثير من الخاصة ثم بايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت طاعة عبد المؤمن الا مراكش .

فسرح اليه عبد المؤمن عسكرياً من الموحدين بقيادة يحيى بن اسحق فاللقى بالماسي وقاتله فانتصر الماسي عليه وعاد مهزوماً الى عبد المؤمن فسرح اليه عبد المؤمن الشيخ ابا حفص الهنتاتي في جيش عظيم فاتح ذي القعدة سنة ٥٤٢ هـ فانصرف الشيخ ابو حفص في جيوش الموحدين حتى انتهوا الى رابطة ماسة فبرز اليهم محمد ابن هود في نحو ٦٠ الفاً من اصحابه وبعد قتال شديد انهزم اصحاب محمد بن هود وقتل في المعركة فكفى الله عبد المؤمن شره بعد ان كاد يفقد عليه امره

ولما غزا عبد المؤمن غزوته الطويلة التي مر ذكرها واستولى على المغربين كما تقدم اتته وفود اهل الاندلس ليرسل اليها الجيوش ويستولي عليها من يد المرابطين فارسل معهم عبد المؤمن عسكرياً فاجازوا الى الاندلس ونزلوا على بلدة شريش ففتحوها في ذي الحجة سنة ٥٣٩ هـ ثم زحف الموحدون الى لبللة ثم الى شاب وبطليوس وباجة ففتحوا الجميع ثم تقدموا الى مدينة اشبيلية فحاصروها برّاً وبحراً الى ان فتحوها في شعبان سنة ٥٤١ هـ ثم اميلوا على قرطبة سنة ٥٤٣ هـ ثم فتحوا غرناطة بعد ذلك وصارت جميع بلاد المسلمين بالاندلس تابعة لدولة عبد المؤمن بن علي أو بالحري دولة الموحدين

ثم بلغ عبد المؤمن اضطراب افريقية بسبب تنازع ملوكها من بني زيري بن مناد الصنهاجيين واستطالة العرب عليهم بها فاجمع على غزوها فخرج من مراكش اواخر سنة ٥٤٦ هـ واستخلف عليها الشيخ ابا حفص الهنتاتي وسار عبد المؤمن مجدداً لا يلوى على شيء حتى دخل الجزائر في غفلة من اهلها فاطاعوه ثم تقدم الى مدينة بجاية وافتتحها عنوة واطاعه يحيى بن عبد العزيز ونزل له عن

قسطنطينة فقتله عبد المؤمن معه الى مراكش باعله وخاصته فسكنها وأحسن عبد المؤمن اليه

وفي سنة ٥٥٠ هـ أمر عبد المؤمن بن علي باصلاح المساجد وبنائها في جميع ممالكه وبتغيير المنكرات ما كانت وامر مع ذلك بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة كتب الحديث واستنباط الاحكام منها وكتب بذلك الى جميع طلبة العلم من بلاد الاندلس والعدوة .

وفي سنة ٥٥٢ هـ نقل عبد المؤمن مصحف امير المؤمنين عثمان بن عفان من قرطبة الى مراكش وفيها بناء جامع الكتبيين بمراكش .

وفي سنة ٥٥٣ هـ غزا عبد المؤمن افريقية وافتتح المهدية وطارابلس وصفاقس وسوسة وجبال نفوسة وقابس وبالجملة فانه استخلص في هذه السنة جميع بلاد افريقية من القائمين بها

وفي سنة ٥٥٥ هـ أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد افريقية والمغرب فكسر من برقة في جهة الشرق الى بلاد نول من السوس الاقصى في جهة الغرب بالافراسخ والاميال طولا وعرضا ثم اسقط من التكسير الثلث في الجبال والغياض والانهار والسباخ وما بقي قسط عليه الخراج والزم كل قبيلة بقسطها وهو أول من احدث ذلك بالمغرب

وفي هذه السنة ٥٥٥ هـ أمر عبد المؤمن ببناء جبل الفتح وتحصينه وهو جبل طارق قبلى وشيد حصنه .

وفي سنة ٥٥٦ هـ عبر عبد المؤمن الى جبل طارق والسبب في ذلك أنه بلغه أن محمد بن مردنيش الشتر بشرق الاندلس قد خرج من مرسية ونازل جيان وأطاعه واليا محمد بن علي الكومي ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها وغدر بقرمونة وملكها ثم رجع الى قرطبة وخرج ابن يكيث لحربه فهزمه ابن مردنيش وقتله . فكتب عبد المؤمن الى عماله بالاندلس يخبرهم بفتح افريقية عليه وأنه واصل اليهم فلما نهض من تلمسان في رجعتة هذه عدل الى طنجة فدخلها في ذي

الحجة سنة ٥٥٥ هـ وأقام بها الى أن دخلت سنة ٥٥٦ هـ فغبر منها الى الاندلس ونزل بجبل طارق فأقام به شهرين واستشرف من احوال الاندلس ووفد عليه قوادها واشياخها فامر بغزو غرب الاندلس (بلاد البرتغال) فنهض اليه الشيخ ابو محمد عبدالله بن أبي حفص الهنتاتي من قرطبة في جيش كثيف من الموحدين ففتح حصن المرنكش من احواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصاري وخرج الفونس من طليطلة لاغاثة فانهزم امام ابن أبي حفص والموحدين وساق المسلمون السبي الى قرطبة واشبيلية

وفي هذه السنة ملك الموحدون بطليوس وباجة وبابورة وحصن القصر فولى عليها عبد المؤمن محمد بن علي بن الحاج وعاد الى مراكش ولما استتب الامر لعبد المؤمن بالمغربيين وافريقية والاندلس تآقت نفسه الى الجهاد فامر بتجهيز العساكر وبناء المراكب فتم له ما اراد وبني اربعمائة سفينة حربية ولكنه لم يلبث طويلاً بعد تمامها حتى عاجلته المنية سنة ٥٥٨ هـ وكان قد خرج من مراكش قاصداً الاندلس للجهاد فلما وصل الى رباط سلا ابتداء به مرضه الذي توفي فيه فلما تماذى به الله خاف ان يفاجئه الحمام فأمر بنزل ولده محمد من ولاية العهد (وكان ولده ولاية عهده قبل ذلك بمدة) واسقط اسمه من الخطبة لما ظهر له من المعجز عن القيام بامر الخلافة . ثم اشتد مرضه فتوفي ليلة الجمعة اثامن من جمادي الاخرى من سنة ٥٥٨ هـ وكان عالماً فصيحاً فقيهاً عالماً بالاصول والجدل والحديث مشاركاً في كثير من العلوم الدينية والدنيوية ذا حزم وسياسة واقdam في الحرب ومهمات الامور سرى الهمة ميمون النقية . لم يقصد قط بلداً الا فتحه ولا جيشاً الا هزمه . محباً لال العلم والادب مكرماً لوفادتهم منقماً لبضاعتهم ذكر بعضهم ان الفقيه أبا عبد الله محمد بن ابي العباس لما انشده :

ماهر عظميه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

اشار عليه ان يقتصر على هذا البيت وأمر له بالف دينار . والله اعلم .

٤٢٤ - يوسف بن عبد المؤمن بن علي

من سنة ٥٥٨ - ٥٨٠ هـ او من سنة ١١٦٢ - ١١٨٤ م

لما توفي عبد المؤمن بن علي بويع بالخلافة بعده ابنه يوسف بن عبد المؤمن وامتنع من بيعته اخواه السيد ابو محمد صاحب بجاية والسيد ابو عبد الله صاحب قرطبة فكف عنهم ولم يطالبهم ببيعتهم فلما راوا اجتماع الناس عليه قدم اخواه مبايعين في سنة ٥٥٩ هـ فوصلهم امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بالاموال والخراج واحسن اليهم

وفي سنة ٥٥٩ هـ ثار مزدغ الصنهاجي من صنهاجة وضرب السكة باسمه وكتب فيها « مزدغ الغريب نصره الله عن قريب » وكانت ثورته ببلاد غمارة فبايعه خلق كثير فافسد تلك الناحية ودخل مدينة تازا وقتل بها خلقاً كثيراً فبعث اليه امير المؤمنين يوسف جيشاً من الموحدين فقتل وحمل راسه الى مراكش

وفي سنة ٥٦٠ هـ كانت واقعة الجلاب بالاندلس بين السيد ابي سعيد بن عبد المؤمن وجيوش الافرنج مع ابن مردنيش فانهزم ابن مردنيش ومن معه من الافرنج وكتب السيد ابو سعيد بالفتح الى اخيه امير المؤمنين يوسف

وفي سنة ٥٦١ هـ ثار شمع بن منغداد بجبل تيزيران من بلاد غمارة وعظمت الفتنة في قبائلها فبعث اليهم يوسف بن عبد المؤمن عساكر الموحدين بقيادة الشيخ ابي حفص الهنتاتي ثم تعاضمت الفتنة في غمارة وصنهاجة فخرج اليهم امير المؤمنين بنفسه ووقع بهم واستاصلهم وقتل سبع بن منغداد وحمل راسه الى مراكش وعقد يوسف لاختيه السيد ابي علي الحسن على سبقة وسائر بلادهم

وفي سنة ٥٦٤ هـ بعث امير المؤمنين الشيخ ابا حفص الهنتاتي في جيوش الموحدين الى الاندلس لاستنقاذ بطليوس من حصار العدو فلما انتهوا الى اشبيلية بلغه ان الموحدين واهل بطليوس هزموا العدو واسروا قائده جيشه فسار الشيخ ابو حفص الى قرطبة

وفي سنة ٥٦٥ هـ وجه يوسف بن عبد المؤمن اخاه السيد ابا حفص الى الاندلس برسم الجهاد فمهر البحر من قصر المجاز الى طريف في عشرين الفاً من الموحدين والمتطوعة فدخلوا بلاد العدو ثم نهضوا الى مرسية ومعهم ابراهيم بن همشك (كان من قواد ابن مردنيش فنزع عنه الى الموحدين) فحاصروا ابن مردنيش اثنا عشر مرسية واعمالها واستولوا على اكثر بلادها

ولما اتصل بامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما انفق لشقيقه السيد ابي حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مردنيش تاقت نفسه الى العبور الى بلاد الاندلس بقصد اصلاح حالها وجهاد العدو فنهض الى الاندلس في مائة الف من العرب والموحدين فوصل قرطبة سنة ٥٦٧ هـ ثم ارتحل بعدها الى اشبيلية فخافه محمد بن مردنيش وحمل على قلبه فمضى ومات فجاء اولاده واخوته الى امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت لابيهم فاحسن اليهم امير المؤمنين وتزوج اختهم واصبحوا عنده في اعز منزلة

ثم خرج امير المؤمنين غازياً بلاد العدو ولكنه لم ينجح كثيراً في غزواته هذه فرجع الى اشبيلية في ذات السنة (٥٦٧) . وفي هذه السنة شرع يوسف بن عبد المؤمن في بناء جامع اشبيلية فتم وصليت فيه الجمعة في ذي الحجة منها . ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية واجماً الى مراکش سنة ٥٧١ هـ .

وفي سنة ٥٧٥ هـ ثار احد بني الرند بقفصة بافريقية وعصا الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن فسار الخليفة اليه في ذات السنة وحاصر قفصة وضيق عليها واقتحمها عنوة وظفر بان الرند القائم بها فقتله وذلك سنة ٥٧٦ هـ ثم عاد الى مراکش فدخلها سنة ٥٧٧ هـ وقدم عليه ولادة الاندلس ورواها يهنونه بالاياب فاكرم وفادتهم وانصرفوا ثم بلغه ان الفونس نازل قرطبة وشن الغارات على جهة مالقة ورندة وغرناطة ثم نزل استجة وتغلب على حصن شتيلة واسكنه الافرنج وانصرف . واعتزم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على معاودة الجهاد فخرج من مراکش سنة

٥٧٩ هـ وسار الى سبتة ومنها امر الناس بالجواز الى الاندلس فلما استكمل الناس الجواز عبر هو في آخرهم في الحاشية والعبيد وكان جوازه يوم الخميس خامس صفر سنة ٥٨٠ هـ فنزل بجبل الفتح ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ثم سار الى اشبيلية ثم نهض الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الاندلس فانهى اليها في السابع من ربيع الاول من السنة وحاصرها وقتل اهلها ثم حصل سوء تفاهم بين عساكر المسلمين في بعض الاوامر المعطاة لهم فرحلوا عن المدينة والخليفة غير عالم بذلك ولم يبق معه لا القليل من خواصه فلما رأى الافرنج المحصورون بالمدينة قلة من مع يوسف فتحوا ابوابها وخرجوا اليه وقتلوه حتى اصابه هو في هذه المعركة جراح بالغة فانهزم صحابه وساروا به الى اشبيلية ثم اراد الخليفة العبور الى المغرب فاشتد الله ومات في الطريق . وكانت وفاته يوم السبت العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٠ هـ وكان محباً للعلوم راعياً في تحصيلها مع حسن سيرة وسياسة

٤٢٥ — المنصور بالله يعقوب بن يوسف

من سنة ٥٨٠ — ٥٩٥ هـ او من سنة ١١٨٤ — ١١٩٨ م

لما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بويع ابنه ابو يوسف يعقوب بن يوسف ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة ولقب المنصور بالله واشتوزر الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاقي واستفز الناس للغزو مع أخيه السيد يحيى فاستولى على بعض الحصون واثخن في بلاد العدو ثم اجاز البحر الى الحضرة وتمت له البيعة بالمغرب ايضاً وكان اول شيء فعله انه اخرج مائة الف دينار ذهباً من بيت المال ففرقها في الضعفاء من بيوتات المغرب ورد المظالم التي ظلمها العمال في ايام ابيه واكرم الفقهاء وراعى الصلحاء . واهم ما حدث في دولته ثورة بني غانية المسوفيين أصحاب جزيرة ميورقة واعمالها فلنأب بشيء من ذلك

كان امير المسلمين يوسف بن تاشفين قد استعمل على الجزائر الشرقية من بلاد الاندلس وهي ميورقة ومنورقة ويابسة محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية

فتوارثها بنوه من بعده الى ايام يوسف بن عبد المومن فبعث اليه محمد بن اسحق بن محمد المسوفي بالطاعة فقبل ذلك يوسف بن عبد المومن وبعث اليه قائده علي بن الروبرير ليختبر امره ويعقد له البيعة عليه ويؤكده الامر في ذلك . وكان لمحمد بن اسحق المذكور عدة اخوة يساهمون في الرئاسة فلما انتهى اليهم ابن الروبرير وعلما الامر الذي قدم لاجله انكروا على اخيهم ذلك لانه لم يكن اعلمهم بكاتبته يوسف بن عبد المومن فقبضوا عليه وعلى الروبرير و قدما . مكانه اخاهم علي بن اسحق بن محمد ثم بلغهم خبر وفاة يوسف بن عبد المومن وولاية ابنه يعقوب المنصور فركب علي بن اسحق اسطوله وطرق بجاية على حين غفلة من اهلها وعاينها يومئذ السيد ابو الربيع بن عبد المومن وكان خارجا في بعض مذاهبه فاستولى عليها ابن غانية في صفر سنة ٥٨١ هـ .

وكان اقتحام ابن غانية لمدينة بجاية يوم الجمعة فعمد الى الجامع الاعظم وادار به الخيل والرجل فن بايعه خلى سبيله ومن توقف عن بيعته ضرب عنقه ثم استولى علي بن اسحق على مازونة ثم على مليانة ثم على القلعة ثم نازل قسطنطينة فامتنعت عليه واتصل الخبر بالمنصور فسرح ابا زيد بن ابي حنص بن عبد المومن وعقد له على حرب ابن غانية . فوصل السيد ابو زيد افريقية وشرذ ابن غانية عنها الى الصحراء . ثم عاود ابن غانية الاجلاب على بلاد افريقية فسار اليه المنصور بنفسه فهدد افريقية وشرذ ابن غانية في خبر يطول شرحه ثم عاد الى مراكش فدخلها سنة اربع وثمانين وخمسائة للهجرة . وفي ايام المنصور هذا قدم العرب من بلادهم الى افريقية واستوطنوها بجملهم وخيامهم كذلك وصارت ارض المغرب منقسمة بين امتين امة العرب اهل اللسان العربي وامة البربر اهل اللسان البربري بعد ان كانت بلاده خاصة بالبربر لان العرب الذين وفدوا اليه قبل هذا التاريخ كان قصدهم الغزو والجهاد وليس الاستيطان فمقي قضا وطرم عادوا لبلادهم او اقاموا قيام المحتلين

وفي سنة ٥٨٥ هـ تحرك امير المومنين يعقوب المنصور الى الاندلس برسم غزو بلاد غربها وهي اول غزواته فعبه من قصر المجاز الى الجزيرة الخضراء يوم الخميس الثالث من ربيع الاول من السنة المذكورة ثم نهض من الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة لشبونة وانجائها فقطع الثمار واحرق الزرع وقتل وسبا واخرم النيران في القرى وابلق في النكاية وانصرف الى العدو فدخل فاسا في آخر رجب من السنة المذكورة وفي هذه الاثناء كانت الحروب الصليبية بالشام واستولى الفرنج على بيت المقدس

وغيره منها وقام صلاح الدين للجهادهم فارسل صلاح الدين الى يعقوب المنصور هدايا
حمة نفيسة وطلب منه تسيير اساطيله لغزو الافرنج بالشام واستخلاصه منهم ولكن صلاح
الدين لم يخاطبه في رسالته بامير المؤمنين فلم يجبه الى حاجته

وفي سنة ٥٨٦ هـ عاد ابن غانية الى افريقية فنهض المنصور اليها من فاس فالتى
بلاد افريقية ساكنة وقد فر ابن غانية منها الى الصحراء حين سمع بقدومه .

ولما علم الافرنج بالاندلس ان المنصور مشغول عنهم بابن غانية طمعوا في البلاد
واستولوا في هذه السنة على مدينة شلب وباجة وبابورة من غرب الاندلس . واتصل
الخبر بالمنصور وهو بافريقية فغاضه ذلك جداً فعاد الى فاس سنة ٥٨٧ هـ وكانت قد
مرض في طريقه فدخل فاساً واقام بها مريضاً سبعة اشهر فلما شفي من علته نهض الى
مراكش فاقام بها الى سنة ٥٩١ هـ ثم نهض منها الى الاندلس بقصد الجهاد فخرج من
مراكش يوم الخميس ١٨ جمادى الاولى سنة ٥٩١ هـ وعبر البحر من قصر المجاز فوصل
الجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة ٢٠ رجب من السنة المذكورة فاقام بها يوماً واحداً
ثم نهض قاصداً سرعة الجهاد في الافرنج خوفاً من ان تفسد نيات المسلمين او يقل عزيمتهم
اذا طال عليهم الامل فصار حتى بقي بينه وبين حصن الارك (اليه تنسب هذه الغزوة)
الذي كان قاعدة الاعمال الحربية للافرنج نحو مرحلتين فجمع عساكره ورتبهم واستحثهم
على الثبات وحسن النية في الجهاد . فلما رأى الفونس وهو بحصن الارك تقدم جيوش
المسلمين اليه امر فرقة من عسكره بمهاجمتهم وصدّهم عن التقدم فهجمت هذه الفرقة على
المسلمين بقلوب لا تنهاب الموت ودارت رحى الحرب بين الفريقين وحمي وطيسها وكاد
ينتصر الافرنج انتصاراً عظيماً لولا شجاعة الشيخ ابي يحيى بن ابي حفص الذي مات شهيداً
حماسته وبسالته فخلد له ذكره كثيراً فانه بحسن تدبيره وجهاده تمكن من حصر فرقة
الافرنج المهاجمة وملاشاتها حتى لم ينج منها الا طويل العمر فلما انهزمت هذه الفرقة هجم
الفونس في جموعه وتكاثر عليه عساكر المسلمين واختلط الحابل بالنابل ونحو ابن
ادم الى وحش ضار يقتل اخاه وبعد قتال فلما يحدث اشد منه انتصر المسلمون
انتصاراً باهراً وفر الفونس فيمن نجا من اصحابه وغنم المسلمون شيئاً كثيراً . ثم عاد امير
المؤمنين يعقوب بن يوسف الى اشبيلية ظافراً منصوراً . ولم يلبث بها طويلاً حتى
اضطر الى معاودة قتال الافرنج لان الفونس لما ولى منهزماً سار الى طليطلة عاصمة ملكه
وجمع جيشاً آخر وعاود الهجوم على بلاد المسلمين فقاتله يعقوب مرة اخرى وانتصر عليه

بانية فطلب الفونس من امير المؤمنين هدية خمس سنوات فاجابه الى ذلك ثم عاد الى مراكش سنة ٥٩٤ هـ

وفي سنة ٥٩٥ هـ توفي امير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف وكان ذا حزم ودين وسياسة ومدحه كثير من الشعراء فما مدح به قول بعض شعراء عصره حين طلب منه الفونس الصالح فاجابه اليه

اهل بان يسعى اليه ويرتجى ويزار من اقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالكرامات مثلاً وموشحاً ونخسماً ومتوجاً
عمرت مقامات الملوك بذكره وتعطرت منه الرياح تأرجاً

٤٢٦ - الناصر لدين الله محمد بن يعقوب

من سنة ٥٩٥ هـ - ٦١٠ هـ او من سنة ١١٩٨ - ١١٣ م

لما توفي يعقوب بن يوسف بويق بالخلافة على المغرب وافريقية والاندلس بعده ابنه محمد بن يعقوب ولقب الناصر لدين الله وثار عليه لاول ولايته علودان الغاري بجبال غماره فسار امير المؤمنين محمد بن يعقوب اليه وفتح جبال غماره واخذها من يد هذا المعتصب ثم رجع الى مراكش

قد ذكرنا في خلافة يعقوب بن يوسف خبر نزوع يحيى بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية واستيلائه على افريقية ثم استرجاعها منه وهروبه الى الصحراء امام يعقوب بن يوسف . فلما توفي يعقوب بن يوسف طمع ابن غانية في البلاد فرجع من الصحراء واستولى على طرابلس والمهدية وبلاد الجريد ثم نازل تونس سنة ٥٩٩ هـ وافتتحها عنوة ثم دخل في دعواته اهل القيروان وقوى امره وانتظمت مملكته وخطب فيها للخليفة العباسي ببغداد . فانصل بامير المؤمنين الناصر لدين الله هذا كله فاستشار اصحابه فيما يفعله فاشار عليه الشيخ ابو محمد عبيد الواحد بن ابي حفص بالنهوض اليه والمدافعة عنها فعمل على رايه ونهض

اليها سنة ٦٠٠ هـ وبعث اسطولا في البحر بقيادة يحيى بن ابي ذكريا المزرجي .
واصل ذلك بان غانية فبعث ذخائره وحرمه الى المهديّة وخرج هو من تونس
الى القيروان ثم الى قفصة ثم الى جبل بني دمر فتحصن به ووصل الناصر الى
تونس ثم سار في اتباع ابن غانية الى قفصة ثم الى قابس ثم عاد الى المهديّة فمسكر
عليها واستعد لحصارها وسرح الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص لقتال ابن
غانية في اربعة آلاف من الموحدبن سنة ٦٠٢ هـ فلقية بجبل تاجورة من نواحي
قابس واوقع به ويث براسه الى الناصر . اما الناصر فانه استمر محاصرا المهديّة
وبها يومئذ علي بن الغاني وكان يدعى بالحاج وكان بطالا شجاعا اظهر من مكايده
الحرب ما يقصر عنه الوصف واشجى الموحدبن وبالف في نكايتهم فكانوا يسمونه
بالحاج الكافر ثم نزل على الامان واحسن اليه الناصر احسانا تاما وسماه الحاج
الكافي بالياء بدل الراء لما راي من مراعاته لصاحبه وحن عهده معه واستشهد
الحاج الكافي هذا في وقعة العقاب الآتي ذكرها . وكان فتح المهديّة في ٢٧
جمادي الاولى سنة ٦٠٢ هـ وولى الناصر عليها محمد بن يغمور الهرغي وارحل عنها
فدخل تونس غرة رجب من السنة واقام بها بقية السنة واكثر التي بعدها
وفي رمضان سنة ٦٠٣ هـ عاد الناصر من تونس الى المغرب الاقصى بعد ان
استخاف على تونس الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص الهنتاتي جد الدولة
الحفصية بتونس وهذا بداية امرها وسيأتي ذكرها في غير هذا المجلد ان شاء الله
والا قتل يحيى بن اسحق المسوفي ارسل المنصور اسطولا بقيادة السيد ابي
العلاء والشيخ ابي سعيد بن ابي حفص لفتح جزيرة ميورقة من يد بني غانية
المسوفيين فاقتحموها عنوة وقتلوا صاحبها عبد الله بن اسحق المسوفي وانصرف
السيد ابو العلاء الى مراکش بعد ان ولى عليها عبد الله بن طاع الله النكومي
وفي ايام الناصر لدين الله هذا ظهر عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن فرس
وكان من العلماء ببلاد جزولة وانتحل الامامة وادعى أنه القحطاني المراد بقوله
(لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه يملأها عدلا)

كما ملئت جوراً) - الحديث - وكان مما ينسب اليه من الشعر قوله
 قولاً لابناء عبد المؤمن بن علي تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
 قد جاء سيد قحطان وعالمها ومنتهى القول والغلاب للدول
 والناس طوغ عصاه وهو سائقهم بالامر والنهي بجر العلم والعمل
 وبادروا امره فالله ناصره والله خادع اهل الزيغ والخيل
 فبعث اليه الناصر الجيوش فزموه وقتل وسبق رأسه الى مراكش فنصب بها
 وسكنت الفتنة

(غزوة العقاب) ثم علم الناصر ابن الافرنج بالاندلس قد
 استطالوا على بلاد المسلمين نهياً وسبياً فقلقه ذلك وأمر بتجهيز العساكر للجواز الى
 الاندلس لجهاد الافرنج . فجمع جيشاً يحل عن الحصر واجاز بهم البحر من قصر
 المجاز في ذي القعدة سنة ٦٠٧ هـ وسار الى اشبيلية وعساكره في زيادة مستمرة
 لما ينضاف اليهم من اهل الاندلس حتى بلغ عددهم على ما قيل ٦٠٠ الف مة قل
 فلما علم الافرنج بقدومه بهذا الجيش العرمرم خافوه جداً وسألوه الصلح مراراً فلم
 يجبههم اليه بل خرج من اشبيلية في اواخر صفر سنة ٦٠٨ هـ غازياً بلاد قشتالة
 فسار حتى وصل الى حصن سبطرة (وهو حصن منيع على قنة جبل ليس له مسالك
 الا من طريق واحد في مضائق واورار) فنزل عليه الناصر وادار به الجيوش
 ونصب عليه اربعين منجنيقاً فلم يقدر ان يفتحه واستمر محاصراً له ثمانية اشهر بلا
 فائدة حتى فليت ازواد عساكره وقتل علوفاتهم ووهنت عزائمهم ونقطعت
 الامداد عن الخلة فملت بها الاسمار ودخل فصل الشتاء فاشتد البرد واصاب
 المسلمين كل ضرر .

وعلم الفونس ما آل اليه امر المسلمين من الضجر والضعف فجمع جيشاً عظيماً
 وخالف الناصر الى قلعة رباح فنازلها وبها يومئذ ابو الحجاج يوسف بن قادس
 فدافع عن الحصن دفاعاً اوجب له الفخر وكتب للناصر مراراً يستمده فكان وزير
 الناصر يخفي كتب ابى الحجاج لئلا يترك حصن سبطرة ويذهب لامداده . فلما

طل الحصار على ابن قادس و شمس من امداد الناصر سلم الحصن لالفونس وسار هو الى الناصر ليعلمه الحال بنفسه وذهب معه صهر له . فلما دخل الى الناصر واعلمه ابن قادس بما كان امر بقتله وقتل صهره فقتلا وذلك بسماية ابن جامع وزير الناصر فحققت جيوش الاندلس على ابن جامع وفسدت نياباتهم على الناصر . واحس ابن جامع بذلك فابعد من المساكر كل من خشي منه

ولما استولى الفونس على قلعة رباح وهي احصن قلعة للمسلمين بالاندلس زحف الى الناصر فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان وهجم الافرنج على المسلمين ودارت رحى حرب يشيد لها ولها الولدان فانهم المسلمون هزيمة لم يسبق لها نظير وقتل منهم ١٥٠ ألفاً فذهبت هذه الهزيمة بقوة المسلمين بالمغرب والاندلس ولم تنصر لهم بعدها راية مع الافرنج الا فيما ندر . وكانت هذه المعركة الكبرى يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ٦٠٩ هـ . ولحق الناصر باشبيلية وقتل كل من اساء فيه النخل ثم عاد الى مراكش وقد اثرت الهزيمة فيه تأثيراً سيئاً فلما وصل رباط الفتح من سلا توفي به ليلة الثلاثاء ١٣ شعبان سنة ٦١٠ هـ .

٤٢٧ - المنتصر بالله يوسف بن محمد

من سنة ٦١٠ - ٦٢٠ هـ أو من سنة ١٢١٣ - ١٢٢٣ م

ولما توفي الناصر محمد بن يعقوب بويع بعده ابنه يوسف بن محمد وهو ابن ست عشرة سنة واقب بالمنتصر بالله وغلب عليه الوزير أبو سعيد بن جامع ومشيعته الموحدين فقاموا بأمره واستبدوا عليه . واشتغل المنتصر عن تدبير امر المملكة وانعكف على الشرب واللهو وعشرة النساء فاستبد ولاية الاطراف على ما بايديهم وطمع الافرنج بالاندلس في المسلمين واستولوا على كثير من المدن التي يبدعهم وظهر الهرم على دولة الموحدين

وفي سنة ٦١٣ هـ ظهر بنو مرين بجهة فاس وكانوا موطنين بصحراء فيجيج

وما والاها فاقنحوا المغرب في هذه السنين لخلائه من الحامية واكتسحوا
بساتنه بالغارات وانحازت رعاياه الى المعاقل والحصون وكثرت الشكايات بهم
الى المنتصر وهو مقيم بمراكش فكتب الى السيد ابي ابراهيم صاحب فاس يامره
بغزوهم فخرج اليهم وهم ببلاد الريف فاوقعوا به وقعة شنعاء كانت باكورة فتحهم
وعاد السيد مفلولاً الى فاس (وبنو مر بن هؤلاء هم الذين الفوا الدولة المرينية
التي استولت على المغرب الاقصى بعد انقراض دولة الموحدين وسبأني ذكرها)
وفي سنة ٦١٤ هـ هزم المسلمون بقصر ابي دانس بالاندلس امام الافرنج
هزيمة تقرب من هزيمة المقاب واستولى الافرنج على قصر ابي دانس

اما يوسف المنتصر فاستمر مقياً بمراكش على لذاته الى ان توفي وكان من
خبر وفاته أنه كان مولعاً باتخاذ الحيوان واستنتاجه فكان يوتي اليه باصناف
البقر من الاندلس فيرساها في بساتنه الكبير من حضرة مراكش ويحمل بعضها
على بعض للناسل فخرج ذات يوم للتطوف على تلك البقر والظر اليها فتوسط
قطيعاً منها فانكرته بقرة شرود فطمته في صدره طمعة كانت القاضية على حياته .
وكانت وفاته يوم السبت ١٢ ذي الحجة سنة ٦٢٠ هـ ولم يكن في بني عبدالمؤمن
احسن منه وجهاً ولا ابغ في الخاطبة

٤٢٨ - عبد الواحد بن يوسف

من سنة ٦٢٠ - ٦٢١ هـ او من سنة ١٢٢٣ - ١٢٢٤ م

لما توفي المنتصر يوسف بن محمد اجتمع الوزراء بن جامع والموحدون وبايعوا
للسيد ابي محمد عبد الواحد بن يوسف وهو اخو المنصور فاستقام له الامر نحو شهرين
وخطب له جميع اعمال الموحدين ما عدا مرسية فان ابن اخيه السيد ابا محمد عبد
الله بن المنصور الملقب بالعدل كان والياً عليها وكان وزيره بها الشيخ ابا زيد

ابن يرجان المعروف بالاصغر وكان من دهاة الموحدين فاغراه بالتوئب على الامر وشهد له انه سمع من المنصور العهد له بالخلافة من بعد الناصر وقال له فيما قال « انك احق بالخلافة من عبد الواحد انت ولد المنصور واخو الناصر وعم المنتصر ولك الراي وحسن السياسة والحزم ولو دعوت الموحدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان » فسمع السيد ابو محمد عبد الله بن المنصور كلام وزيره وطلب من اهل مرسية البيعة لنفسه فبايعوه وتسمى بالعدل وكان اخوته ابو العلا الاصغر صاحب قرطبة وابو الحسن صاحب غرناطة وابو موسى صاحب مالقة فبايعوه سرّاً . وكان ابو محمد بن ابي عبد الله بن ابي حفص بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي صاحب جيان وقد عزله عبد الواحد بن يوسف بعنه ابي الربيع بن ابي حفص فالتقض وبايع للعدل وزحف مع ابي العلا صاحب قرطبة وهو اخو العدل الى اشبيلية وبها عبد العزيز اخو عبد الواحد فدخل في دعوتهم . وامتنع السيد ابو زيد بن ابي عبد الله اخو البياسي عن بيعة العدل وتمسك بطاعة عبد الواحد . ثم خرج العدل من مرسية الى اشبيلية ومنها كتب الى اشياخ الموحدين الذين بحضرة مراكش يدعوه الى بيعته وخلع عبد الواحد ووعدهم على ذلك الاموال الجزيلة والولايات الجاليلة فسارعوا الى ذلك ودخلوا الى عبد الواحد وتموا دونه بالقتل الا ان يخلع نفسه ويبايع للعدل فاجابهم الى ذلك فخرجوا عنه ووكوا بالتصريح من يحفظ . وكان ذلك يوم السبت ٢١ شعبان سنة ٦٢١ هـ .

وفي يوم الاحد بعده دخلوا على عبد الواحد واحضروا القاضي والفقيه والاشياخ فاشهد على نفسه بالخلع وبايع للعدل . ثم دخلوا عليه بعد مضي ١٣ ليلة من خالعه فخنقوه حتى مات وانتهبوا قصره واستولوا على امواله وحرّموه فكان عبد الواحد هذا اول من خلع وقتل من بني عبد المؤمن .

٤٢٩ - العادل عبد الله بن المنصور

من سنة ٦٢١ - ٦٢٤ هـ او من سنة ١٢٢٤ - ١٢٢٦ م

بويع له البيعة الاولى برسمية منتصف صفر سنة ٦٢١ هـ وتلقب بالعادل في احكام الله ثم خالص له الامر وبايعه كافة الموحدين وخطب له بمراكش اواخر شعبان من السنة المذكورة وتوقف عن بيعته السيد ابو زيد بن ابي عبد الله اخو البياسي كما ذكرنا وكان والياً على بالنسية وشاطبة ودانية . ولما رأى السيد ابو محمد البياسي امتناع اخيه عن بيعته العادل ثر هو ببياسة وما انضاف اليها من قرطبة وجيان وقيجاطة وحصون الثغر الاوسط وتلقب بالظافر (انما دعي البياسي لقيامه من بياسة) فبعث العادل اخاه السيد ابا العلا الاصغر في جيش كثيف الى البياسي فحاصره ببياسة ولما اشتد عليه الحصار اظهر الطاعة والاقية وبايع للعادل حتى اذا افرج عنه ابو العلا عاد الى النكث وبعث الى الفونس يستنصرة على العادل على ان ينزل له عن بياسة وقيجاطة فانجده الفونس بعشرين الفا من اشداء الافرنج . ولما توفت اليه جموع الفرنج نهض من قرطبة يريد اشبيلية حتى اذا دنا منها خرج اليه السيد ابو العلا الاصغر والتقاوا وقتلوا فانهمزم السيد ابو العلا واستولى البياسي والافرنج على مملكته . ولما رأى العادل ما وقع باخيه وجنده خشي ان يتفاقم داء البياسي ويمتد عاباً فننه الى مراكش فترك اخاه ابا العلا قبائله وعبر البحر الى سلا وسار منها الى مراكش فوصلها بعد ان قاسى في طريقه اليها من العرب شدائد . ولما دخلها استوزر ابا زيد بن عبد الواحد بن ابي حفص وتغير لاهن ير جان ففسد باطنه وسعي في افساد الدولة . وغلب ابو زكريا بن الشهيد شيخ هنتاة ويوسف بن علي شيوخ تينمال على امر العادل

ثم خافت عليه عرب الخلط وهسكورة وعاثوا في نواحي مراكش وخربوا بلاد دكالة فخرج اليهم ابن يرحان فلم يبق شيئاً فخذ اليهم العادل عسكرياً من الموحدين بقيادة ابراهيم بن اسماعيل فانهمزم وقتل واضطربت الاحوال على العادل .

وخرج ابن الشهيد ويوسف بن علي الى قبائلهما للحشد ومدافعة هسكورة والعرب فاتفقا ايضاً على خلع العادل واضطربت الامور ولما انتهى الى ابي العلاء صاحب الاندلس خبر اخيه العادل بمراكش وما هو فيه من الضعف دعا لنفسه باشبيلية فبوع له بها واطاعه اغلب اهل الاندلس وتلقب بالمامون . وباع له السيد ابو زيد صاحب بلنسية وهو اخو البياسي وذلك في اوائل سنة ٦٢٤ هـ

ثم كتب المامون ابو العلاء الى الموحدين الذين بمراكش يدعوهم الى بيعته ويعلمهم باجتماع اهل الاندلس والموحدين الذين بها عليه ووعدهم في ذلك ومنامهم . فتوقف بعضهم عن اجابته اولاً ثم اتفقوا على مبايعته وخلع اخيه العادل فدخلوا عليه قصره وسالوه ان يخلع نفسه فامتنع فوثبوا عليه ووضعوا راسه في خصة ماء كانت هناك وقالوا له « لا تترك او تشهد على نفسك بالخلع » فقال لهم « اصنعوا ما بدا لكم والله لا اموت الا امير المؤمنين » فخنقوه حتي مات وكانت وفاته يوم ٢١ شوال سنة ٦٢٤ هـ وكان خيراً فاضلاً

٤٣٠ - المأمون به المنصور

سنة ٦٢٤ هـ - ٦٢٩ هـ او من سنة ١٢٢٦ - ١٢٣١ م

هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور لما بلغه انتفاض المملكة على اخيه العادل دعا لنفسه باشبيلية وباعه اهل الاندلس والموحدون بالحضرة كما قلنا وتلقب المامون

وكان المامون يتخلق باخلاق الحجاج بن يوسف الثقفي في الشدة والصرامة فندم الموحدون بمراكش وتخوفوا ان ياخذهم بدم عمه عبد الواحد المتخولع ثم اخيه العادل فاتفق رايعهم على مبايعة يحيى بن الناصر وكان شاباً في السادسة عشرة من عمره فبايعوه بجامع المنصور بمراكش وامتنع عرب الخلط وقبائل هسكورة

من بيعته وقالوا قد بايعنا المامون فلا ننكث بيعته . وتأخر قدوم المامون الى مراكش
وبقي بالاندلس لاسباب ياتي شرحها واقام يحيى بمراكش واستتب امره بعض الشيء
وجهر جيشاً من الموحدين لقتال الخياط وهسكورة فانهزم جيش يحيى وعاد مغلولاً
الى مراكش . ثم اضطربت الاحوال على يحيى وانتقضت البلاد وغارت الاسعار
وعم الخراب والفساد بلاد المغرب واستحوذ بنو مرين على ضواحيه وضائقوا
الموحدين في كثير من امصاره واقتضوا جبايته وكثرت الثوار في الاقطار على ما
سندكره ان شاء الله

في سنة ٦٢٥ هـ ثار بجبال غمارة محمد بن ابي الطواحين الكتامي المتبي وكان
ينتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة وشرع الشرائع واظهر انواعاً من الشعبة
فكثرت تابعوه ثم اطلعوا على كذبه فنبذوا اليه عهده وزحف اليه العساكر من سبنة
ففر عنهم ثم قتله بعض البرابرة غيلة

وانتقض امراء الاندلس على المامون واستولى كل منهم على ما بيده واستظهر
كل منهم على امره بملوك الافرنج ونزلوا لهم عن كثير من الحصون ففسدت ضماير
اهل الاندلس على الموحدين وتصدى للثورة عليهم محمد بن يوسف بن هود من
اعقاب الجذاميين ملوك الطوائف بسرقسطة ومر ذكرهم . فانتقض في سنة ٦٢٥ هـ
فسار اليه السيد ابو العباس صاحب مرسية في عسكر كثيف فهزمهم ابن هود
وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها وخطب للخليفة المستنصر العباسي ثم
زحف اليه السيد ابو زيد بن محمد اخو البيهاسي من شاطبة وكان والياً بها فهزمه
ابن هود فرجع الى شاطبة واستجاش بالمامون وهو يومئذ باشبيلية فخرج في العساكر
ولقيه ابن هود فانهزم واتبعه المامون الى مرسية فحاصره مدة وامتنعت عليه فاقلع
عنه ورجع الى اشبيلية ثم اجاز الى المغرب كما سيأتي ذكره فقوي امر ابن هود
وبايعه اهل شاطبة ثم اهل قرطبة واشبيلية ولم يبق للموحدين بالاندلس سلطان .
وفي سنة ٦٢٩ هـ ثار محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر بحصن
ارجونة من اعمال قرطبة ودعا لابن ذكرى الحفصي صاحب افريقية ثم دخل في

طاعته اهل قرظبة . وتنازع ابن الاحمر وابن هود رئاسة الاندلس وتجاذبا حبل الملك بها وكانت خطوب استولى الاسبانيوليون فيها على كثير من حصون الاندلس ثم استقر قدم ابن الاحمر في الملك واورثه بنوه وسياتي ذكر دولتهم فيما بعد ان شاء الله وقد تقدم ان الموحدين بمراكش خنفوا العادل وبايعوا اخاه المأمون ثم زعموا وبايعوا ابن اخيه يحيى بن الناصر . فوصلت بيعة الموحدين الى المأمون وهو بشبيلية فسر بها وامر باقراءها على منابر الاندلس وعزم على الجواز الى مراكش فلما وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبر ان الموحدين قد نكثوا بيعته وبايعوا ابن اخيه يحيى فوجم لذلك واطرق ملياً ثم انشد متمثلاً بقول حسان

لنشمعن وشيكاً في ديارهم الله اكبر يا ثارات عثمان

ثم كتب من حينه الى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ويساله ان يبعث اليه جيشاً من الفرنج يجوز بهم الى العدو لقتال يحيى ومن معه من الموحدين فشرط عليه صاحب قشتالة (كستيلة) ان يعطيه عشرة حصون مما يلي بلاده يختارها هو وان يبني بمراكش اذا دخلها لجيش النصاري الذين معه كنيسة لانعام واجباتهم الدينية فيها وان لا يقبل اسلام من يسلم من النصاري بل يرده الى اخوانه فيحكمون عليه بمقتضى شريعتهم الى غير ذلك من الشروط المجحفة بالحقوق والتي لا يقبلها احد الا من كان على حالة المأمون من الضعف والاضمحلال . فاجابه المأمون الى جميع ما طاب منه . وكان يحيى بن الناصر صاحب مراكش لما رأى اختلال احواله كما ذكرنا فر بنفسه الى تيفل في سنة ٦٢٦ هـ فقدم اشياخ الموحدين الذين بها رالياً يضبطها للمأمون ريثما يقدم عليهم وجددوا له البيعة وكتبوا اليه يخبرونه بذلك . واستمر يحيى معتصماً بالجبل اربعة أشهر ثم بدا له فعاد الى مراكش وقتل عامل المأمون الذي قدمه الموحدون بها واقام بها سبعة ايام ثم خرج الى جبل جليز وعسكر به واقام منتظراً لقدم المأمون ودفاعه عن مراكش . ثم بعث صاحب قشتالة جيشاً يبلغ اثني عشر الفا على الشروط المتقدمة الى المأمون وكان وصولهم اليه في رمضان سنة ٦٢٦ هـ فمهر بهم من الجزيرة الخضراء الى سبتة في ذي القعدة

من السنة (وهو اول من ادخل عسكر الفرنج ارض المغرب واستخدمهم) فاراح بسببة اياماً ثم نهض الى مراكش حتى اذا دنا منها لقيه يحيى بجيوش الموحدين وبعد قتال شديد انهزم يحيى وفر الى الجبل . ودخل المأمون مراكش وبايعه الموحدون والمأمون هذا هو اول من غير شرائع الموحدين التي سنّها لهم محمد بن تومرت المهدي وهو اول من اذن المهدي وبغا اسمه من السكة والخطبة وكان لا يعتبر مهدياً الا عيسى

وبعد ان استتب الامر للمأمون في مراكش امر باشياخ الموحدين الذين نكثوا ببعته فقتلوا عن آخرهم وقيل كان عدد القتل اربعة آلاف فعلق رؤوسهم بدائر سور المدينة حتى انثنت . ثم أمر المأمون للنصارى الذين معه ببناء الكنيسة بمراكش حسب شرطهم فبنيت في الموضع المعروف بالسجينة

وبعد أن مكث المأمون بمراكش خمسة اشهر نهض الى الجبل لقتال يحيى ابن الناصر ومن معه من الموحدين وذلك في رمضان سنة ٦٢٧ هـ فالتقى معه في الموضع المعروف بالكاعة فانهزم يحيى وقتل من عسكره اربعة الاف وفي هذه السنة (٦٢٧) استبد الامير زكريا بن الشيخ ابي محمد بن ابي حفص بافريقية وخلص طاعة الموحدين

وفي سنة ٦٢٨ هـ خرجت بلاد الاندلس كلها من ملك الموحدين ونفاهم عنها ابن هود الدائر بها .

وفي سنة ٦٢٩ هـ خرج على المأمون اخوه السيد ابو موسى عمران بن المنصور بمدينة سبتة وتسمى المويدي فالتصل الخبر بالمأمون فخرج اليه وبلغه في طريقه ان قبائل بني فزاز ومكلاثة قد حاصروا مكناسة وعاثوا في نواحيها فسار اليهم وحسم مادة فسادهم وعاد الى سبتة فحاصر بها اخاه السيد ابا موسى فامتنعت عليه . ولما طال غيبة المأمون عن مراكش اغتم يحيى بن الناصر الفرصة فنزل من الجبل واقامها عنوة مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى ومعه ابو سعيد بن وانودين شيخ هتاتة وعاثوا فيها وهدموا كنيسة النصارى التي بنيت بها . واتصل

الخبير بالمأمون وهو على حصار سبتة فارتحل عنها مسرعاً الى مراكش وذلك في ذي الحجة من السنة ولما ابعد عن سبتة عبر ابو موسى صاحبها الى الاندلس وبايع لابن هود واعطاه سبتة فموضه ابن هود عنها بالمرية فكان السيد ابو موسى بها الى ان مات

وتوات هذه الاخبار على المأمون وهو في طريقه فمرض اسفا ومات بوادي العبيد وهو قافل من حصار سبتة وكانت وفاته في اخر يوم من سنة ٦٢٩ هـ وكانت أيامه ايام شقاء وعناء ومنازعة وكان مع ذلك شهماً حازماً مقداماً على عظام الامور . وكان اذا فكر في حال الثوار وما آل اليه حال الدولة معهم وما دهاها من كثرتهم ينشد متملاً

تكاثرت الظباء على خدش فما يدري خدش ما يصيد
يشير الى حاله معهم وأنه لا يدري ما يتلافى من ذلك

٤٣١ - الرشيد به المأمون

من سنة ٦٣٠ - ٦٤٠ هـ أو من سنة ١٢٣٢ - ١٢٤٢ م

لما توفي المأمون بن المنصور بويع لابنه عبد الواحد بن المأمون بوادي العبيد ثاني يوم وفاة ابيه اعني اول يوم من سنة ٦٣٠ هـ ولقب الرشيد فوضع والده في تابوت وسار الى مراكش فخرج اليه يحيى بن الناصر فقاتله الرشيد وهزمه واستولى على مراكش ومكث بها الى سنة ٦٣١ هـ وفيها نهض الى الجبل حيثما كان يحيى واصحابه فاوقع بهم وعاد منصوراً

وفي سنة ٦٣٢ هـ اوقع الرشيد ببعض رؤساء الخلط لخوفه منهم فاجتمع الخلط وقدموا عليهم يحيى بن هلال بن حميدان واجلبوا على سائر النواحي واعلنوا بدعوة يحيى بن الناصر واستقدموه من مكانه وزحفوا لحصار مراكش . وخرجت عساكر الرشيد لقتالهم فانهمزوا امامهم وحاصر يحيى بن الناصر ومن معه من الخلط

وهسكورة مدينة مراكش وشدوا عليها الحصار فخرج منها الرشيد الى سجلماسة واقام بها يحبي واصحابه ونهبوها وساء اثرهم فيها واضطربت احوال الخلافة بها وفي هذه السنة (٦٣٢ هـ) قدم الفرنج الجنويون ونازلوا سبتة وحاصروها حصاراً شديداً ونصبوا عليها المنجنيقات واستمروا على ذلك الى سنة ٦٣٣ هـ فلما طال الحصار على اهل سبتة صالحوا الافرنج في الافراج عنها بأربعمائة الف دينار فقبِلوا واقاموا عنها

وفي سنة ٦٣٣ هـ خرج الرشيد من سجلماسة قاصداً مراكش وخرج يحبي ابن الناصر لقتاله فانهمزم يحبي ودخل الرشيد مراكش ظافراً ولحق يحبي بعرب معقل فغدر به بعضهم وقتله وبعث برأسه الى الرشيد فاستراحت البلاد من غاراته وكفى الله الرشيد شره

وفي سنة ٦٣٥ هـ بايع أهل اشبيلية للرشيد ونقضوا طاعة ابن هود الثائر بها . وفي سنة ٦٣٦ هـ وصات بيمة محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر الثائر بالاندلس على ابن هود وكان قد بايع اولاً ابا زكريا الحفصي صاحب افر يقية ثم بدا له فرد البيعة للرشيد

وفي هذه السنة ٦٣٦ هـ استولى الفرنج بالاندلس على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الاندلس ودار مملكتها وذلك يوم الاحد ٢٣ شوال من السنة

وفي سنة ٦٣٧ هـ انتشر بنو مرين ببلاد المغرب واشتدت شوكتهم به وانهمزم الرشيد امامهم مراراً

وفي سنة ٦٤٠ هـ توفي الرشيد غريفاً في بعض صهاريج بستانه وذلك يوم الخميس ٩ جمادى الآخرة من السنة . وقيل اخرج من الماء حياً فخم لوقته ومات



٤٣٢ - السعيد علي بن المأمون

من سنة ٦٤٠ - ٦٤٦ هـ او من سنة ١٢٤٢ - ١٢٤٨ م

لما توفي الرشيد بن المأمون بويغ بعده اخوه ابو الحسن السعيد علي بن المأمون وتلقب المعتضد بالله . وكان ضرر بني مرين قد تفاقم بالمغرب وداؤهم قد اعضل فخرج السعيد سنة ٦٤٢ هـ لتهديد بلاد المغرب فاتتهى الى سجلماسة وكان صاحبها عبدالله بن زكريا الهزرجي قد انتقض عليه وقتله فاستولى عليها ثم رجع حتى نزل المقرمدة من ارض فاس وعقد المهادنة مع بني مرين وقفل الى مراكش . فكانت هدنة على دخن فلم يلبث الا يسيراً حتى عاود النهوض اليهم سنة ٦٤٣ هـ فجمع له اميرهم ابو بكر بن عبد الحق جموع زناتة وعمد نحوه حتى اذا تراءى الجمعان وتهايا القوم للقاء خالف كانون بن جرمون الى ازموار واستولى عليها وغلب الموحدين عليها فرجع السعيد ادراجه في اتباعه ففر كانون عنها فاعترضه السعيد فاوقع به واستاحم كثيراً من قومه سفيان واستولى على ما كان لهم من مال وماشية ولحق كانون ببني مرين ورجع السعيد الى الحضرة . ثم تقدم الامير ابو بكر بن عبد الحق المريني الى مكناسة فضايقها وخطب طاعة اهلها فثارت العامة بمكناسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه وخطبوا لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وكان قد استبد على بني عبد المؤمن ورام التغلب حتى على كرسيمهم بمراكش فبايعه اهل مكناسة بمواطنة الامير ابي بكر بن عبد الحق المريني (فانه كان يدعو اليه في اول امره وكذا اخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ثم استقل بنفسه واستبد بامرهم عند ما تم له ملك المغرب كما سنبينه ان شاء الله في الدولة المرينية)

وفي هذه السنة بعث اهل اشبيلية واهل شبة بطاعتهم للامير ابي زكريا الحفصي . وكان ابو زكريا قد تغلب على تلمسان وبايعه صاحبها يغمراسن بن زيان العبد وادي فعظم قدر ابي زكريا وحدثته نفسه بالتوثب على كرسى الخلافة بمراكش

فنظر أمير المؤمنين السعيد علي بن المأمون كيف انقسمت الدولة على نفسها واستبد كل واحد على عمله وتأكد أن ذلك يذهب بحياة الدولة فجمع الموحدين وخطب فيهم وحشهم على لم شمت هذه الدولة قبل تمكن أصحاب الاطراف كل في عمله فاجابوه الى ذلك . فحشد السعيد الجنود ونهض من مراكش آخر سنة ٦٤٥ هـ يريد مكناسة و بني مرين اولاً ثم تلمسان و يغمراسن ثانياً ثم افريقية وابن ابي حفص ثالثاً

فتقدم السعيد الى مكناسة فرأى ابو بكر بن عبد الحق المريني ما لا يقبل له به فافرج عن البلاد وتركها للسعيد وخرج اهل مكناسة يطلبون العفو فعفا عنهم ثم سار الى تازا متعقباً ابا بكر ومن معه من بني مرين فخاف ابو بكر وارسل بيعته للسعيد وطلب العفو عن نفسه ومن معه فقبل السعيد منه ذلك ثم تقدم السعيد الى تلمسان فارسل اليه يغمراسن بطاعته فلم يقبل منه ان لم يحضر بنفسه فمناقل يغمراسن عن القدوم خشية على نفسه فحاصر السعيد تلمسان ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ركب ميراً وقت القيلولة على حين غفلة من الناس ليطوف بالقلعة ويتقرب مكائنها فبصر به فارس من بني عبد الواد يعرف بيوسف الشيطان فانقض عليه وطمنه طعنة كانت القاضية عليه وذلك منساخ صفر سنة ٦٤٦ هـ ولما علم عسكر السعيد بموته انهزموا بغير قتال واسنولى بنو عبد الواد على معسكرهم

٤٣٣ - عمر المرتضى بن ابي ابراهيم

من سنة ٦٤٦ - ٦٦٥ هـ او من سنة ١٢٤٨ - ١٢٦٦ م

لما توفي السعيد علي بن المأمون كان عمر بن المرتضى بن ابي ابراهيم ابن يوسف بن عبد المؤمن والياً من قبله بقصة رباط الفتح من سلا فاجتمع الموحدون بجامع المنصور من قصبة مراكش وعقدوا له البيعة وبعثوا بها اليه ونهض متوجها الى مراكش فلقبه وفدحهم اثناء طريقته بتامسنا واجتمع عليه اشياخ

العرب وبايعوه ايضاً واستقام امره وتلقب بالمرتضي وعقد يعقوب بن كانون على بني جابر ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان . ثم دخل الحضرة واستوزر أبا محمد بن يونس من قرابته

ولما توفي السعيد استولى ابو بكر بن عبد الحق المريني على رباط تازا ومكناسة ثم استولى سنة ٦٤٧ هـ على فاس واعمالها فاقتطع عن المرتضي بلاد المغرب كلها ولم يبق له الا بلاد الحوز من سلا الى السوس

ولاول دولة المرتضي هذا استولت دولة الاسبانيين على اشبيلية بالاندلس وهي احدى عواصمه وذلك يوم الاثنين ٥ شعبان سنة ٦٤٦ هـ وانحصر ملك المسلمين في الاندلس في مقاطعة غرناطة وملوكها بنو الاحمر

وفي سنة ٦٥٣ هـ خرج المرتضي من مراکش لاسترجاع فاس واعمالها من يد بني مرين المتغلبين عليها وكان جيشه ٨٠ الف فارس فسار حتى نزل جبل بني بهلول قبلة فاس وكانت هيبة بني مرين وناموسهم قد تمسكن من قلوب جيش المرتضي فكانوا مذقروا من احواز فاس لا ينامون الا غراراً . فانطلق ذات ليلة فرس لبعض الجنديين وجرى بين الاخبية وجرى الناس خلفه ليسكوه فظن اهل المحلة ان بني مرين قد اغاروا عليهم فركبوا خيولهم وماج بعضهم في بعض وانقلبوا منهزمين لا يلوون على شيء وانصل الخبر بابي بكر بن عبد الحق المريني وهو بفاس فخرج للوقت واستولى على جميع ما في محلة الموحدين . وعاد المرتضي الى مراکش واعرض عن بني مرين سائر ايامه فتقوي امرهم واستفحل سلطانهم .

وفي سنة ٦٥٥ هـ استولى ابو بكر بن عبد الحق المريني على سجلماسة ثم توفي ابو بكر بعد ذلك بقليل وقام بعده يعقوب بن عبد الحق فضايق الموحدين كثيراً وحاصر مراکش مدة ثم افرج عنها . ومن سوء حظ المرتضي انه فضلاً عن مضايقة المرينيين له ثار عليه عمه ابو العلاء ادريس الملقب بابي دبوس ولحق يعقوب ابن عبد الحق المريني افاكرم الامير يعقوب وفادته وامده على قتال المرتضي بخمسة الاف من شجعان بني مرين . فسار ابو دبوس حتى وصل الى سلا فكتب منها

الى العرب واشياخ الموحدين والمصامدة الذين في طاعة المرتضى يدعوهم الى بيعته ويهدمهم ويمنعهم فنلقته وفود العرب والمساكرة وصنهاجة آزموور ببعض الطريق فبايعوه وساروا معه حتى نزل بلاد هسكورة . ثم كتب الى خاصته من وزراء المرتضى ان يعلموه بحال البلد والدولة فراجعوه « ان اسرع السير واقبل ولا تحش شيئاً فاننا قد فرقنا الجند في اطراف البلاد وهذا وقت انتهاز الفرصة » فزحف ابو دبوس الى مراكش ومعه عرب سفيان وبني جابر وكبيرهم يومئذ علوش بن كانون السفباني فلما دنوا من مراكش اغار علوش على باب الشريعة منها والناس في صلاة الجمعة حتى ركز رمحه بمصراع الباب

ودخلت سنة ٦٦٥ هـ والمرتضى بمراكش غافل عن شان ابي دبوس والاسوار خالية من الحامية والحراس . فقصده ابو دبوس باب اغيات وتصور البلد من هناك ودخل المدينة على حين غالة من اهلها فهرب المرتضى تاجياً بنفسه من باب الفاتحة ولحق بازمور ونزل على صهر له من بني عطوش كان والياً عليها من قبله . وكان ابن عطوش هذا قد اسره العدو فاقتداه المرتضى بمال جسيم وزوجه ابنته وولاه آزموور . فلما وقعت عليه الكائنة بمراكش ذهب اليه مستجيراً به ومطمئناً اليه فكان من جزائه له ان قبض عليه وقيده وكتب الى ابي دبوس يعلمه فارسل اليه من اخذه وقتله في الطريق وكان قتل المرتضى في شهر ربيع الآخر من سنة ٦٦٥ هـ



٤٣٤ - ابو العلاء ادريس الوائلي بالله المعروف بابي دبوس

من سنة ٦٦٥ - ٦٦٨ هـ او من سنة ١٢٦٦ - ١٢٦٩ م

لما دخل ابو دبوس مراكش وفر منها المرتضى على ما تقدم بايمه كافة الموحدين واهل العقدة والحل من الوزراء . واستقل ابو دبوس بمملكة مراكش . ولما علم يعقوب بن عبد الحق المريني بانتصار ابي دبوس ارسل اليه يهنئه ويطلب

منه ما شرطه على نفسه عند ما امدّه بعساكره . فلما وصل كتاب يعقوب الى ابي
دبوس ادركته النخوة وغلب عليه الكبر وقال للرسول « قل ليعقوب بن عبد الحق
يقبض سلاطته ويبيعت الي بيئته حتى اقره على ما ييسره والا غزوته بمجنود لا
قبل له بها »

فعاد الرسول الى الامير يعقوب وابانه الخبر ودفع اليه كتاب ابي دبوس
فاذا هو يخاطبه مخاطبة الخلفاء لعالمهم والروساء لخدمهم فتحقق الامير يعقوب نكته
وغدرة فنقض اليه في جموع بني مرين وحاصره بمراكش مدة وضيق عليه . فلما
راى ابو دبوس عدم امكانه مدافعه يعقوب كتب الى يغمراسن بن زيان صاحب
تلمسان يطالب اليه الاغارة على بلاد المغرب التي بيد بني مرين ففعل والزم يعقوب
ان يفرج عن مراكش ليقاتل يغمراسن وبعد ان حسم مادة فساد عاده قاصداً
مراكش مرة اخرى فخرج اليه ابو دبوس في جموع الموحدين فالتقوا بوادي
ودغفوا والتحم القتال وقامت الحرب على قدم وساق فلم تمض الا ساعة حتى انهزم
الموحدون واطلق ابو دبوس عنانه للفرار يريد مراكش فادركته خيل بني مرين
وقتلوه واتوا به الى الامير يعقوب فسجد شكراً لله ثم بعث به الى فاس وتقدم
هو الى مراكش فاستولى عليها في اوائل المحرم سنة ٦٦٨ هـ وفر الموحدون الذين
كانوا بمراكش الى جبل تينمال فبايعوا اسحق بن ابراهيم اخا المرتضي فبقي
ذباله هناك الى سنة ٦٧٤ هـ فقبض عليه وجيء به الى السلطان يعقوب بن عبد الحق
فقتله وانقرضت دولة بني عبد المؤمن من الارض والبقاء لله وحده لا رب غيره
ولا معبود سواه

٤٣٥ - الدولة الزنكية بالجزيرة والشام

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية مؤسسها الاتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر وكان من موالى السلطان ملك شاه السلجوقي وعظم امره بين الوزراء حتى ولاة السلطان محمود شحنة العراق سنة ٥٢١ هـ وكان البرسقي والياً على حلب فقتله الباطنية بالموصل وكان مملوكاً تركياً شجاعاً فاقام ابنه مسعوداً والياً بحلب فلما قتل ابوه سار الى الموصل وملك بها مكان ابيه واستخلف على حلب اميراً اسمه قياز ثم استخلف بعده رجلاً اسمه قتلغ فاساء السيرة فخلعه اهل حلب وولوا عليهم سليمان بن عبد الجبار

ثم توفي مسعود بن البرسقي امير الموصل هذه السنة (٥٢١ هـ) فولى السلطان محمود السلجوقي عماد الدين زنكي على الموصل وما يليها فسار اليها واستولى عليها وهذا بداية ملكه الى ان كان ما سذكروه ان شاء الله

٤٣٦ - عماد الدين زنكى بن اقسنقر

من سنة ٥٢١ - ٥٤١ هـ او من سنة ١١٢٧ - ١١٤٦ م

لما استولى عماد الدين زنكى على الموصل سنة ٥٢١ هـ ارسل عسكراً الى حلب ومعه توقيع السلطان محمود بالشام فاجاب اهل حلب اليه وسيروا قائد المسكر سليمان ابن عبد الجبار وقتلغ الى زنكى فاصالح بينهما ولم يرد احدهما الى حلب . ثم سار عماد الدين زنكى بنفسه الى حلب وملك منبج في طريقه واستبشر اهل حلب بقدومه فرتب امور حلب وسمل عيني قتلغ فمات

وفي سنة ٥٢٣ هـ عبر عماد الدين زنكى الفرات الى الشام واظهر انه يريد جهاد الفرنج وارسل الى تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق يستنجد به ويطلب منه الممونة على جهادهم فارسل بوري الى ابنه سونج الذى كان نائباً عن

اليه بجمة يامره بالمسير الى عماد الدين زنكي فسار اليه فغدر زنكي به وقبض عليه ونهب خيامه واعتقله وجماعة من مقدمي عسكره بحلب وسار زنكي الى حماة فلما كملوا من الجند ثم رحل عنها الى حمص وحاصرها مدة وكان قد غدر بصاحبها ايضاً الذي يسمى قيرجان بن قراجا وقبض عليه واحضره معه الى حمص وامره ان يامر ابنه وعسكره بتسليم حمص اليه فامرهم فلم يلتفتوا اليه فلما يئس وازنكى منهار رحل عنها عائداً الى الموصل واستصحب سونج وامراء دمشق معه وبذل له بوري مالا في ابنه فلم يجبه الى طلبه

وفي سنة ٥٢٤ هـ عاد زنكى من الموصل الى الشام وقصد حصن الاثارب القريب من حلب وكان اهله الافرنج يضايقون اهل حلب وجمع الافرنج فارسهم وراجاهم وقصدوا زنكي فرحل عن الاثارب وسار الى ملتقاهم وبعد قتال شديد انهزم الفرنج وقتل منهم كثيرون واسر بعض فرسانهم . ثم عاد زنكى الى الاثارب واخذ عنة وقتل واسر كل من فيه وخربه فبقى خرابا الان

وفي سنة ٥٢٦ هـ كاتب السلطان سنجر عماد الدين زنكى وديس بن صدقة وامرهما بقصد العراق فسارا ونزلا بالمنارية من دجيل وعبر الخليفة المسترشد الى الجانب الغربي فزل بالعباسية والتقى العسكران بحصن البرامكة فابتداء زنكى فعمل على مينة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزموا منه . وحمل نصر الخادم من ميسرة الخليفة على مينة عماد الدين وديس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم ديس وعماد الدين وقتل من عسكرهما جماعة فلحق الاتابك بالموصل .

وفي سنة ٥٢٧ هـ ارسل الخليفة المسترشد الشيخ بهاء الدين ابا الفتوح الاسفرايني الواعظ الى عماد الدين زنكى برسالة فيها عتاب اغلظ فيه وزادها ابو الفتوح غلظة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة . فقبض عليه زنكى واهانه واقبه بما يكره . فسمع الخليفة فسار عن بغداد في ٣٠ الف مقاتل فلما قارب الموصل فارقه اتابك زنكى في بعض عسكره وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين ونازلها الخليفة في رمضان وقتلها وضيق عليها . فتواطأ جماعة من الجصاصين بالموصل على

تسليم البلد فسمي بهم فصلبوا . وبقي الحصار على الموصل نحو ٣ اشهر ولم يظفر
 منها بشيء . ولا بلغه عن بها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائداً الى
 بغداد . وفي هذه السنة سار شمس الملوك اسماعيل بن بوري صاحب دمشق الى
 حماة وهي لعماد الدين زنكي وحصرها فلما عتوة وطلب اهلها منه الامان فامنهم
 ثم انحل امر اسماعيل بن بوري وضعفت دولته واستطال عليه الافرنج وخشي
 عاقبة امرهم فاستدعي الاتابك زنكي سرّاً ليملكه دمشق ويريح نفسه . وشمر
 بذلك اهل دولته فشكوا الى امه فوعدهم خيراً ثم اغتالته وقتلته وجاء الاتابك
 زنكي الى دمشق وحصرها وضيق على اهلها فقام برفع الحصار مملوك لطغديكين
 اسمه معين الدين انز واستولى على الامر بسبب ذلك (وقد تقدم ذكر ذلك في
 الدولة البورية) ولما لم ير زنكي مظهراً في اخذ دمشق اصطلمح مع اهلها
 ورحل عنها

وفي سنة ٥٣٠ هـ اجتمع الملوك واصحاب الاطراف ببغداد وخرجوا عن
 طاعة السلطان مسعود الساجوق وسار الملك داود بن السلطان محمود في عسكر
 اذربيجان الى بغداد ثم سار اليها عماد الدين زنكي بعده من الموصل وخطب
 للملك داود ببغداد . ولما بلغ السلطان مسعوداً الخبر جمع العساكر وسار الى بغداد
 وحصرها نيفاً وخمسين يوماً فلم يظفر بهم فعزم على العود الى همدان فوصله
 طرظاي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها فاختلفت كلمة الامراء
 المجتمعين ببغداد فعاد الملك داود الى بلاده وتفرق الامراء وكان عماد الدين زنكي
 بالجانب الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد وسار معه الى الموصل في نفر يسير من
 اصحابه . ودخل السلطان مسعود بغداد واستقر بها وجمع القضاة والشهود والفقهاء
 وعرض عليهم اليمين التي حلف بها الراشد له وفيها بخطه « انه متى جمع او خرج
 لحرب السلطان فقد خلع نفسه » فافتوا بخلعه ونصب للخلافة المقتفي بن المستظهر
 فارسل الاتابك زنكي رسوله الى بغداد وهو القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله
 الشهرزوري وبايع المقتفي بعد ان ثبت عنده الخلع وانصرف الى الاتابك باقطاع

من خاصة الخليفة ولم يكن ذلك لاحد قبله . وانصرف الراشد من الموصل الى اذربيجان سنة ٥٣١ هـ

وكان قد نسل شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة حمص وقلاعها سنة ٥٣٠ هـ فان اصحابها اولاد قيرجان بن قراجا ضجروا من كثرة تعرض عماد الدين زنكي لهم فراسلوا شهاب الدين في ان يسلموها اليه ويعطيهم عوضها تدمر فاجابهم الى ذلك فتسلها واقطعها لمملوك جده معين الدين انز . فلما راي عسكر زنكي بحجة وحلب خروج حمص الى صاحب دمشق تابوا الغارات على بلدها فارسل شهاب الدين الى زنكي في الصلح فاستقر بينهما وكف عسكر زنكي عن حمص ولم يكن ذلك الا لمدة وجيزة فان زنكي نازل حمص سنة ٥٣١ هـ فلم يتمكن معين الدين انز من فتحها فرحل عنها الى بعرين وهي للفرنج وضيق عليها فاجتمع الفرنج ليدفعوه عن بعرين وجري بينهم قتال شديد اجلى عن انهزام الفرنج ودخول بعضهم الى حصن بعرين فحصر زنكي الحصن وضيق عليه فطالب الفرنج الامان فقرر عليهم تسليم حصن بعرين وخمسين الف دينار فاجابوه الى ذلك فاطلقهم ونسل الحصن . ثم فتح المعرة وكفر طاب واخذها من الفرنج

وفي سنة ٥٣٢ هـ سار زنكي الى حماة وسار منها الى بقاع بعايك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس واطاعه ثم سار زنكي الى حمص فحصرها ثانية ثم رحل عنها الى سلمية بسبب نزول الروم على حلب كما سياقي . ثم عاد الى منازل حمص فسلمت اليه المدينة والقلعة وارسل فخطب ام شهاب الدين محمود صاحب دمشق وهي التي قتلت ابنها شمس الملوک اسماعيل وانما حملة على التزوج بها ما رآه من تحكها في دمشق فظن انه يملك البلد بالاتصال اليها فلما تزوجها خاب امه ولم يحصل على شيء فاعرض عنها

وكان ملك الروم المدعو يوحنا كنانس قد خرج سنة ٥٣١ هـ متجهزا من بلاده فاشتغل بقتال الارمن وصاحب انطاكية وغيره من الفرنج فلما دخلت سنة ٥٣٢ هـ سار الى بزاغة وهي على ستة فراسخ من حلب وحاصرها وملكها بالامان

ثم غدر باهلها وقتل فيها واسر وسبي فتنصر قاضيها واربع مائة نفس من اهلها
واقام فيها عشرة ايام ثم رحل عنها بن معه الى حلب ونزل على قويق (نهرها)
وزحف اليها وجرى بينه وبين اهلها قتال كثير فانهزم الروم ورحلوا الى الاثارب
وملكوها وتركوا فيها سبايا بزاغة وتركوا عندهم من الروم من يحفظهم وساروا نحو
شيزر فخرج الامير اسوار نائب عماد الدين زنكي بحلب واوقع بن في الاثارب
من الروم واستغك اسرى بزاغة وسباياها . وسار ملك الروم الى شيزر وحصرها
وانصب عليها ثمانية عشر منجنيقا وارسل صاحب شيزر ابو العساكر بن منفذ
الكناني الى زنكي يستنجد فصار زنكي ونزل على العاصي بين حماة وشيزر بحيث
يراهم الروم . واقام ملك الروم محاصرا شيزر ٢٤ يوما ثم رحل عنها من غير ان
ينال منها غرضاً . وسار زنكي في اثر الروم فظفر بكثير ممن تخاف منهم . ومدح
الشعراء زنكي بسبب ذلك ومن هذا ما قاله مسلم بن خضر الجموي من ابيات اولها
بعزمك ايها الملك العظيم تذلل لك الصعاب وتستقيم

ومنها

الم تر ان كلب الروم لما	تبين انه الملك الرحيم
فجاء فطبق الفلوات خيلاً	كأن الجحفل الليل البهيم
فحين رميته بك في خميس	تيقن فوت ما امسى يروم
كانك في العجاج شهاب نور	توقد وهو شيطان رجيم

وفي سنة ٥٣٣ هـ ملك اتابك زنكي بن اقسنقر بعلبك . وفي سنة ٥٣٤ هـ
ملك شهر زور واعمالها . وفي سنة ٥٣٧ هـ فتح اتابك زنكي مدينة الرها من الفرنج
وحاصر قلعة البيرة (وهي للفرنج) وضيق عليها وقارب ان يفتحها فجاء خبر قتل
نصير الدين نائبه بالموصل فسار عنها . فخاف من البيرة من الفرنج ان يعود اليهم
فارسلوا الى نجم الدين صاحب ماردين وسلموها اليه فملكها المسلمون

وفي سنة ٥٤١ هـ لخمس مضي من ربيع الآخر قتل اتابك عماد الدين زنكي
ابن اقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جعبر قتله جماعة من معاليكه

ليلاً غيلة وهربوا الى قلعة جعبر . فصاح من بها من اهلها الى المسكر يعلمونهم -
 بقتله فاطهروا الفرع . فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق وفاضت روحه لوقته
 وكان قد زاد عمره على ستين سنة وقد وخظه الشيب وكان شديد الهيبة على عساكره
 ورعيته عظيم السياسة وكانت الموصل قبل ان يملكها اكثرها خراب بحيث يقف
 الانسان قرب محلة الطباين ويرى الجامع العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين
 ذلك عمارة . وكان الانسان لا يقدر على المشي في الجامع العتيق الا ومعه من يحميه
 وهو الان في وسط العمارة . وكانت الموصل من اقل بلاد الله فاكهة فصارت في
 ايامه وما بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين

٤٣٧ - نور الدين محمود بن زنكي

من سنة ٥٤١ - ٥٦٩ هـ او من سنة ١١٤٦ - ١١٧٣ م

لما توفي الاتابك عماد الدين زنكي أخذ ولده نور الدين محمود خاتمة من يده
 وكان حاضراً معه وسار الى حلب وملكها . وكان أخوه سيف الدين غازي بمدينة
 شهر زور وهي اقطاعه فارسل اليه زين الدين علي كوجك نائب ابيه عماد الدين زنكي
 بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر واستقر ملك سيف الدين غازي على البلاد وبقي
 اخوه نور الدين محمود بحلب وهي له

قد تقدم معنا ان عماد زنكي استولى على مدينة الرها سنة ٥٣٧ هـ من الفرنج
 وكان صاحبها اسمه جوسلين فلما قتل زنكي عند حصاره حصن جعبر اغرى جوسلين
 سكان الرها النصاري ان يسلموها اليه فدخل اليها وملكها وحاصر قلعتها فدهمه نور
 الدين بن زنكي في عسكر جرار من حلب وارغمه على ترك الرها ونهب المدينة وأسر
 اهلها وانهمزم بعضهم الى اماكن أخرى اما جوسلين فقبض عليه نور الدين بحيلة
 وسجنه بحلب حيث توفي سنة ١١٤٩ م (٥٤٤ هـ) واستولى نور الدين على الرها
 ولم يقدر الا فرنج على منعها

وفي سنة ٥٤٤ هـ توفي سيف الدين غازي بن اتابك زنكي صاحب الموصل بهام

مرض حاد . فلما اشتد مرضه ارسل الى بغداد واستدعى اوجد الزمان ابا البركات فحضر عنده ورأى شدة مرضه فمالجه فلم ينجح الدواء وتوفي آخر جمادي الآخرة وكانت ولايته ٣ سنين وولى امر الموصل والجزيرة بعده اخوه قطب الدين مودود . وكان اخوه نور الدين بحلب فسار الى سنجار وملكها ولم يحافقه أخوه قطب الدين وتسلم هو مدينة حمص والرحبة فبقي نور الدين بالشام واخوه قطب الدين بالجزيرة وفي هذه السنة (٥٤٤ هـ) هاجم ريموند دي بواتيا امير انطاكية نور الدين بن زنكي على غير روية لانه كان شجاعاً وكانت تتصل به الشجاعة الى التهور فهزمه نور الدين وتقدم قاصداً حصن حارم فدافعه عنه ريموند المكور ولكن نور الدين انتصر عليه مرة اخرى وقتل ريموند في هذه الواقعة

وفي سنة ٥٤٦ هـ جمع نور الدين محمود عسكريه وسار الى بلاد جوسلين وهي تل بامر وعتاب وعزاز وغيرها من حصون شمالي حلب . وكان جوسلين شجاعاً حسن الرأي فسار في عسكريه نحو نور الدين فالتقوا واقتلوا وانهرم المسلمون وأسر منهم وقتل جمع كثير وكان في جملتهم سلاحدار نور الدين فاخذ جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره الى الملك مسعود بن قلاج ارسلان صاحب قونية واقصره وقال له « هذا سلاحدار زوج ابنتك وسيانك بعده ما هو اعظم منه » . فلما علم نور الدين الحال عظم ذلك عليه واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ناره واحضر جماعة من الامراء التركان وبذل لهم الرغائب ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه لانه علم عجزه عنه في القتال . فجعل التركان عليه العيون . فخرج متصيداً فظفر به طائفة منهم وحملوه الى نور الدين أسيراً فسار نور الدين الى قلاع جوسلين وملكها

وفي سنة ٥٤٩ هـ استولى نور الدين محمود بن زنكي على مدينة دمشق وأخذها من صاحبها مجير الدين انزبن محمد بن بوري وكان سبب حرصه على ملكها ان الافرنج كانوا استولوا على عسقلان في السنة السالفة وقويت شوكتهم حتى استعرضوا كل مملوك وجارية من النصارى بدمشق فمن أراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى وطنه اخذوه قهراً شاء صاحبه او ابى وكان لهم على اهلها كل سنة قطعة يأخذونها منهم فكان رسلهم يدخلون البلد ويأخذونها منهم . فلما رأى نور الدين ذلك خاف ان يملك الفرنج دمشق فلا يبقى للمسلمين بالشام مقام فراسل نور الدين مجير الدين وواصله باهدايا واطهر له المودة حتى وثق اليه . وسار نور الدين الى دمشق فعلم مجير الدين

بغدره فارسل الى الفرنج يبذل لهم الاموال وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه • فشرعوا في جمع قارسهم وراجلهم ليزيحوا نور الدين عن دمشق فقبل ان يجتمع لهم ما يريدون تسلم نور الدين البلد فعادوا بخفي حنين • ودخل نور الدين دمشق من الباب الشرقي وخصر مجير الدين في القلعة وراسله في تسليمها وبذل له اقطاعاً في جلته مدينة حمص فقبل وسلمه القلعة وسار الى حمص فاعطاه نور الدين عوض حمص بالس فلم يرزها مجير الدين وسارعها الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها داراً • وبعد ان استولى نور الدين على دمشق طمع في كثير من البلاد وكان منصوراً في اكثر حركاته فاستولى في مدة قصيرة على تل بامر وشيزر وبعابك

وفي سنة ٥٥٤ هـ مرض نور الدين بحلب مرضاً شديداً خيف منه على حياته وكان معه اخوه الاصغر امير اميران فجمع اخوه هذا وحاصر قلعة حلب • وكان شيركوه بن شادى اكبر امرائه بحمص فلما بلغه الارجاف سار الى دمشق ليملكها وعليها اخوه نجم الدين ايوب فكر عليه وامره بالمسير الى حلب حتى يتيين حياة نور الدين من موته فسار الى حلب وصعد القلعة واطهر نور الدين للناس من سطح مشرف فافترقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حران فملكها • فلما شفي نور الدين سلمها الى زين الدين علي بكك نائب اخيه قطب الدين بالموصل

وفي سنة ٥٥٩ هـ هرب شاور وزير العاضد الفاطمي من مصر من ضرغام الذي نازعه الوزارة الى الشام مانتهجاً الى نور الدين ومستجيراً به وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه على ان يكون لنور الدين ثلث دخل البلاد فتقدم نور الدين بتجهيز الجيوش وقدم عليها اسد الدين شيركوه فتجهزوا وساروا جعباً وشاور في صحبتهم • ووصل اسد الدين والعساكر الى بلبيس • فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهم • وخرج ضرغام من القاهرة فقتل وقتل اخوه ايضاً • وخلع العاضد على شاور واعيد الى الوزارة • واقام اسد الدين خارج القاهرة فغدر به شاور وعاد عما كان قرره لنور الدين وارسل الى الفرنج يستمددهم فسارعوا الى تلبية دعوته وتجهزوا وساروا • فلما قارب الفرنج مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس وجعلها ظهراً يتحصن به فحصره بها العساكر المصرية والفرنج ثلاثة اشهر وهو يغادهم القتال ويراوحهم فلم يبالغوا منه غرضاً • فراسل الفرنج اسد

الدين من الصالح والمواد الى الشام فاجابهم الى ذلك والسبب الذي حمل الفرنج على مصالحة اسد الدين هجوم نور الدين على قلعة حارم وانتصاره على الفرنج بالشام واسره كونت انطاكية وكونت طرابلس

ولما وصل اسد الدين الى الشام اتحدت عساكره مع عساكر مولاة نور الدين وساروا الى بانياس وفتحوها وكانت بيد الفرنج من سنة ١١٤٩ م وفي سنة ١١٦٦ م فتح نور الدين حصن المنيطرة

وفي سنة ٥٦٣ هـ فارق زين الدين علي بن سيكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل . وكان هو الحاكم في الدولة واكثر البلاد في يده فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته بربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وكان شجاعاً عادلاً حسن السيرة سليم القلب كثير العطاء للجند وغيرهم . مدحه الحيص بيص بقصيدة فلما اراد ان ينشده قال « انا اعرف ما تقول ولكني اعلم انك تريد شيئاً » وامر له بنحسابة دينار وفرس وخاتمة سنبة وثياب مجموع ذلك الف دينار . ولم يزل بربل الى ان مات

وفي سنة ٥٦٤ هـ ملك نور الدين قلعة جعبر . وفيها سار شيركوه بعسكر الى مصر وسبب ذلك تمكن الفرنج من البلاد المصرية وتحكمهم على المسلمين بها حتى ملكوا بلبس قهراً ونهبوها وقتلوا اهلها واسروهم ونزلوا على القاهرة وحصروها فاحرق شاور مدينة مصر القديمة وامر اهلها بالانتقال الى القاهرة فبقيت النار تحرقها ٥٤ يوماً فارسل العاضد الخليفة الفاطمي بمصر الى نور الدين يستغيث به وصانع شاور الفرنج على الف الف دينار يحملها لهم وحمل اليهم مائة الف دينار وسألهم ان يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال فرحلوا . وجهز نور الدين العسكر مع شيركوه وارسل معه عدة امراء منهم ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب . ولما قرب شيركوه من مصر رحل الفرنج الى بلادهم واجتمع شيركوه بالعاضد الخليفة فخلع عليه . وطالب شيركوه شاور بما فرض على نفسه لنور الدين وافراز ثلث البلاد له فماطله شاور وعزم على الغدر باسد الدين شيركوه على ان يعمل دعوة لشيركوه وامراء عسكره ويقبض عليهم فمنعه ابنه الكامل وفي الوقت نفسه كان عسكر شيركوه ساعياً في الفتك بشاور . واتفق على ذلك صلاح الدين وغيره من الامراء فنهزم عن ذلك شيركوه . واتفق ان شاور قصد شيركوه

ليزوره على عادته فلم يجده بل وجد صلاح الدين فعند وصوله وثب عليه صلاح الدين ومن معه وقتلوه وارسلوا راسه الى العاضد . ودخل شيركوه بعد ذلك القصر فخلع عليه العاضد خلعة الوزراء ولقبه الملك المنصور امير الجيوش . علي ان شيركوه لم يل الوزارة الا شهرين وخمسة ايام واتاه اجله فاحضر العاضد صلاح الدين يوسف بن ايوب وولاه الوزارة وسماه الملك الناصر وثبت قدم صلاح الدين علي انه نائب لنور الدين محمود بن زنكي . وارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين اياه ايوب واهله فارسلهم نور الدين اليه وشرط عليهم طاعته

وفي سنة ٥٦٥ هـ في شوال مات قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل وكان لما اشتد مرضه اوصى بالملك بعده لابنه الاكبر عماد الدين زنكي ثم عدل عنه لابنه الاخر وهو سيف الدين غازي وانما فعل ذلك لان القيم بامور دولته كان خادماً يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان بكره عماد الدين لانه طوع عمه نور الدين وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتفق عبد المسيح وخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش ابن ابلغازي وهي والدة سيف الدين علي صرف الملك عن عماد الدين . ورحل عماد الدين الى عمه نور الدين مستنصراً به ليعينه على اخذ الملك لنفسه . ولما بلغ نور الدين محمود بن زنكي وفاة اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وملك ولده سيف الدين غازي الموصل وتحكم فخر الدين عبد المسيح عليه انف لذلك وسار بجريدة في قلة من العسكر وعبر الفرات عند قلعة جعبر وملك الرقة والخابور ونصيبين وحاصر سنجار وملكها وسلمها الى عماد الدين ابن اخيه واتى مدينة بلد وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقي ونزل الى حصن نينوي

ومن غريب الاتفاق انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة فارسل فخر الدين عبد المسيح الى نور الدين في تسليم البلد اليه علي ان بقره بيد سيف الدين ويطلب لنفسه الامان وماله واهله فاجيب الى ذلك وشرط ان فخر الدين يأخذه معه الى الشام ويعطيه عنده اقطاعاً مرضية فتسلم البلد ودخل القلعة وامر بعمارة الجامع البوري وسلم الموصل الى سيف الدين وسنجار لعماد الدين وعاد الى الشام واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وكان مقلعه بالموصل ٢٤ يوماً

قد ذكرنا وزارة صلاح الدين يوسف بن ايوب بمصر للعاضد وانه لم يكن الا نائباً عن نور الدين محمود بن زنكي فلما قوي امر صلاح الدين قطع خطبة العاضد سنة ٥٦٧ هـ

وخطب للمستضيء العباسي وأظهر الامتثال لنور الدين وأنه يلي مصر من قبله . ولكن وقعت بينهما وحشة باطنة والسبب في ذلك ان صلاح الدين نازل الشوبك وهي للفرنج ثم رحل عنه خوفاً من انه ياخذها فلا يبق . ما يعوق نور الدين عن قصد مصر متى اراد . وبلغ ذلك نور الدين وكنتمه وتوحش باطنه لصلاح الدين . وجمع صلاح الدين اقاربه وكبراء دولته وقال « بلغني ان نور الدين يقصدنا فما الرأي » فقال عمر ابن اخيه « نقاتله ونقصده » فانكر ايوب ابوه ذلك وقال « انا ابوك لو رأيت نور الدين نزلت وقبلت الارض بين يديه بل اكتب الي نور الدين لو جاءني من عندك انسان واحد وربط المندبل في عنقي وجرفني اليك سارعت الى ذلك » ثم اخذ صلاح الدين في خلوة وقال له « لو قصدنا نور الدين انا كنت اول من يمنعه ولكن اذا اظهرنا نحن ذلك يترك نور الدين جميع ما فيه ويقصدنا ولا ندري ما تكون العاقبة واذا اظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل ما به الكفاية عند الله » فكان كما قال ايوب

وفي سنة ٥٦٨ هـ سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمع عليها وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من القلعة فخاف صلاح الدين من الاجتماع بنور الدين فرحل عن الكرك وارسل تحفياً الى نور الدين واعتذر ان اباه مريض ويخشى ان يموت فتذهب مصر . فعلم نور الدين مقصده وقبل عذره في الظاهر ورجع صلاح الدين الى مصر ونور الدين الى دمشق

وفي سنة ٥٦٩ هـ توفي نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء ١١ شوال . ولم يكن في سير الملوك احسن من سيرته ولا اكثر تحرياً للعدل منه وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف في الذي يخصه الا من ملك خاص كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة . ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فاعطاها ثلاثة دكاكين في حمص كانت له يحصل منها في السنة نحو العشرين ديناراً . فلما استنقاتها قال لها « ليس لي الا هذا وجميع ما في يدي انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك »

٤٣٨ - الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين

من سنة ٥٦٩ - ٥٧٧ هـ او من سنة ١١٧٣ - ١١٨١ م

لما توفي نور الدين محمود بن زنكي تولى بعده ابنه اسماعيل بن نور الدين وتلقب
الملك الصالح وكان عمره ١١ سنة واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بصر وخطب له
فيها وضرب السكة باسمه . وقام بكفالاته وتدبير دولته الامير شمس الدين محمد بن
عبد الملك بن المقدم . وكان نور الدين قبلما يتوفي قد كاتب ابن اخيه سيف الدين غازي
عامله على الموصل وكمشتكين امير قلعتها بالحضور لديه فصار اليه سيف الدين غازي
وكمشتكين في العساكر وبلغهم في طريقهم خبر وفاته وكان كمشتكين في المقدمة
فهرب الى حلب . واستولى سيف الدين غازي على مخلفه وسواده وعاد الى نصيبين
فملكها وبعث العساكر الى الخابور فاستولى عليها وعلى اقطاعها ثم ثار الى حران وبها قايمز
الحراني مولى نور الدين فحاصره اياماً ثم استنزله على ان يقطعه حران فلما نزل قبض عليه
وملكها ثم سار الى الرها وبها خادم لنور الدين فتسلمها وعوضه عنها قلعة الزعفراني من
جزيرة ابن عمر وانتزعها منه بعد قليل ثم سار الى الرقة وسروج وملكها واستوعب بلاد
الجزيرة ما عدا قلعة جعبر لا متناها

وفي سنة ٥٧٠ هـ لما ملك سيف الدين غازي الديار الجزرية خاف الامراء الذين
في دمشق وحلب لئلا يعبر اليهم سيف الدين فسيروا الملك الصالح ومعه العساكر الى
حلب ليصد سيف الدين عن العبور الى الشام . فلما خلت دمشق من الساطان والعساكر
سار اليها صلاح الدين فملكها وملك بعدها حمص وبعليك وحماة وسار الى حلب فحصرها
فركب الملك الصالح وهو صبي عمره اثنتا عشرة سنة وجمع اهل حلب وقال لهم قد
عرفتم احسان ابي اليكم ومحبتهم لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد
احسان والذي اليه ياخذ بلدي ولا يراقب الله ولا الخلق . وقال من هذا كثيراً وبكى
فابكى الناس واتفقوا على القتال دونه فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل
جوشن ولا بقدر على القرب من البلد فرحل عنه

وفي سنة ٥٧١ هـ ملك صلاح الدين قلعة عراز ونازل حلب ثانياً وبها الملك الصالح
وقد قام العامة في حفظ البلد المقام المرضي وترددت الرسل بينهم في الصالح فوفقت
الاجابة اليه من الجانبين ورحل صلاح الدين عن حلب بعد ان أعاد قلعة عراز الى الملك

الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين اختا له صغيرة طفلة فاکرمها صلاح الدين وقال لها ماتريدین قالت « اريد قلعة عزاز » وكانوا قد علموها ذلك . فسلمها اليهم ورحل

وفي هذه السنة (٥٧١ هـ) كانت وقعة بين صلاح الدين وسيف الدين غازي بتل السلطان وكان مع سيف الدين صاحب حصن كيفا وصاحب ماردین وغيرها فانهمز سيف الدين ومن معه واستولى صلاح الدين على ائصال عسكرهم واستولى على كثير من بلاد سيف الدين ثم اصطلح صلاح الدين وسيف الدين والملك الصالح وتجالفوا على ان يكونوا كلهم عوناً على الناكث الفاسد

وفي سنة ٥٧٦ هـ توفي سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وولى اخوه عز الدين الموصل واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده معز الدين سنجر شاه واعطى قلعة شوش وبلد الحميدية لابنه الصغير ناصر الدين كبك وكان المدير لدولة عز الدين مجاهد الدين قياز واشتقرت الامور ولم يختلف اثنان

وفي سنة ٥٧٧ هـ في رجب توفي الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو ١٩ سنة . فلما بش من نفسه احضر الامراء واوصاهم بتسليم البلد لابن عمه عز الدين صاحب الموصل

٤٣٩ — عز الدين مسعود بن مودود

من سنة ٥٧٧ — ٥٨٩ هـ او من سنة ١١٨١ — ١١٩٣ م

لما توفي الملك الصالح عهد بالملك بعده لابن عمه عز الدين فسار الى حلب واقام بها شهرين ثم سلمها لاختيه عماد الدين واخذ عوضاً عنها مدينة سنجر وفي سنة ٥٧٨ هـ عبر صلاح الدين الفرات الى الديار الجزيرة وملك الرها وحران والرقه وقرقيسيا وماكسين وعربان ونصيبين وسار الى الموصل وبها عز الدين مسعود صاحبها ونائبه مجاهد الدين قياز وقد جمعها بها المساكر الكثيرة من فارس وراجل واظهرها من السلاح وآلات الحصار ما حارت له الابصار . فلما قرب صلاح الدين من البلد رأى ما هاله وملاً صدره وصدور اصحابه ومع هذا نزل عليها وانشب القتال وخرج اليه يوماً بعض العامة فقال منه واخذ لالكة من رجله فيها المسامير الكثيرة ورمى

بها اميراً يقال له جاولي الاسدي وهو مقدم الاسدية وكبيرهم فاصاب صدره فوجد لذلك ألماً شديداً وأخذ اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال « قد قابلنا اهل الموصل بمقامات ما راينا مثلاً بعد » والقي اللالكة وحلف انه لا يعود الي القتال انفة حيث ضرب بها • فلما رأى صلاح الدين انه لا ينال من الموصل غرضاً ولا يحصل على غير العناء وانتعب سار عنها الى سنجار وملكها

وفي سنة ٥٧٩ هـ ملك صلاح الدين آمد وسامه النور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن ثم سار الى حلب فنزل بجبل جوشن واطهر انه يريد ان يبني مساكن له ولاصحابه وعساكره • قال عماد الدين زنكي الي تسليم حلب الي صلاح الدين واخذ الدواض عنها فتقرر الصلح على ان يسلم حلب الي صلاح الدين ويأخذ عوضاً عنها سنجار وصيديين والخابور والرقه وسروج • وجرت البيعة على ذلك فباعها بالبخس الاثمان اعطى حصناً مثل حلب وأخذ عوضها قري ومزارع فقبح الناس كلهم ما اتي

وفي سنة ٥٨١ هـ سار صلاح الدين الى الموصل وحصرها مرة ثانية فسير اتاك عز الدين صاحبها والدته اليه ومعها ابنة عمه نور الدين محمود وغيرها من النساء وجماعة من اعيان الدولة يطلبون المصالحة وكل من عنده ظنوا انهن اذا طلبن منه الشام اجابهن الى ذلك لا سيما ومعهم ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين • فلما وصلن اليه انزلهن واعتذر باعذار غير مقبولة واعادهن خائبات • فبذل العامة نفوسهم غيظاً وحنقاً لرده النساء • فندم صلاح الدين على رده النساء وجاءته كتب القاضي الفاضل وغيره يقبحون فعله وينكرونه

وكان عامة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من الجانب الشرقي من العسكر ويعودون فمزم صلاح الدين على قطع دجلة عن الموصل الى ناحية نينوى ليعطش اهل الموصل فيملكها بغير قتال • ثم علم انه لا يمكنه قطعه بالكلية وان المدة تطول والتعب يكثر فاعرض عنه ورحل الى ميافارقين لانه بلغه ان صاحبها مات وتولى عليها مولا بهكتمر فلما ملك ميافارقين عاد الي الموصل سنة ٥٨٢ هـ وترددت الرسل بين صلاح الدين وعز الدين في الصلح على ان يتنازل عز الدين لصلاح الدين عن شهر زور واعمالها وولاية الفراتني وما وراء الزاب ويخطب له على منابرها وينقش اسمه على سكتته فاجابه عز الدين على ما طلب

وكان سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود ملكاً على جزيرة ابن عمر

كما تقدم وكان يكره عمه عز الدين حتى صار عيناً عليه يكتب صلاح الدين باخباره ويغريه به فلما حاصر صلاح الدين قلعة عكا سنة ٥٨٦ هـ واستنفر لها اصحاب الاطراف المتشبهين بدعوته مثل عز الدين صاحب الموصل واخيه عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين وسنجر شاه هذا ابن عمه وصاحب كيفا وغيرهم • واجتمعوا عنده على عكا • وجاء جماعة من جزيرة ابن عمر يتظلمون من سنجر شاه فيخاف واستأذن في الانطلاق فاعتذر صلاح الدين بان في ذلك افتراق هذه العساكر • فالح عليه في ذلك وغدا عليه يوم الفطر مسلماً فوعده وانصرف

وكان تقي الدين عمر بن شاه اخي صلاح الدين مقبلاً من حماة في عسكره فارسل اليه صلاح الدين باعتراضه ورده طوعاً او كرهاً وكتب صلاح الدين الى عز الدين صاحب الموصل بحصار جزيرة ابن عمر فظنها هذا مكيدة وراجعته وطلب اقطاع الجزيرة فاسعفه وسار اليها وحاصرها اربعة اشهر فامتعت عليه ثم صالحه سنجر شاه سيف الدين على نصف اعمالها ورجع عز الدين الى الموصل

وفي سنة ٥٨٩ هـ توفي صلاح الدين يوسف بن ايوب فطمع عز الدين مسعود في الاستيلاء على بلاد الجزيرة التي كان انتزعها منه صلاح الدين مثل حران والرها وسميساط وميافارقين وكان المستولي عليها العادل ابو بكر بن ايوب • واستشار عز الدين اصحابه في التقدم عليها فاشاروا اليه بذلك وان يستنجد اصحاب الاطراف مثل صاحب اربل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب سنجار ونصيبين ومن امتنع يعاجله حرباً ويعاجل البلد قبل ان يستمد اهله للمداومة

فسار عز الدين في عساكره من الموصل الى نصيبين واجتمع باخيه عماد الدين وساروا الى الرها وقد عسكر العادل قريباً منهم بمرج الریحان وخافهم فأقاموا اياماً كذلك ثم طرق عز الدين المرض فترك العساكر مع اخيه عماد الدين ورجع الى الموصل • ولما رجع عز الدين الى الموصل أقام بها شهرين واشتد مرضه فتوفي آخر شعبان سنة ٥٨٩ هـ وكان خيراً محسناً حليماً قليل المعاقبة حياً كثير الحياء لم يكلم جليساً الا وهو مطرق وما قال في شيء سئله الا حباً وكرم طبع

٤٤٠ - نور الدين ارسلان شاه به عز الدين

من سنة ٥٨٩ هـ - ٦٠٧ هـ او من سنة ١١٩٣ - ١٢١٠ م

لما توفي عز الدين مسعود بن مودود تولى بعده ابنه نور الدين ارسلان شاه
وقام بتدبير دولته مجاهد الدين قايمار مدير دولة ابيه

وفي سنة ٥٩٤ هـ توفي عماد الدين بن مودود صاحب سنجار والخابور
ونصيبين والركة وسروج وهي التي عوضه صلاح الدين عن حلب لما اخذها منه .
ومالك بعده ابنه قطب الدين وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برنقش مولى ابيه
ولما توفي عماد الدين طمع نور الدين في الاستيلاء على بلاده وتجهز في جمادي
سنة ٥٩٤ هـ وسار الى نصيبين ولما بلغ قطب الدين الخبر سار في عسكره لينعته
فسبقه نور الدين الى نصيبين فلما وصل اقيه فهزمه نور الدين ودخل الى قلعة
نصيبين مهزوما ثم سار منها الى حران ومعه نائبه مجاهد الدين برنقش وكاتبوا
العادل ابا بكر بن ايوب يستحثونه من دمشق . واقام نور الدين بنصيبين حتى
وصل العادل الى الجزيرة ففارقها الى الموصل في رمضان من السنة وعاد قطب
الدين اليها

ولما عاد قطب الدين الى الموصل سار العادل الى ماردين فحاصرها اياما
وضيق عليها ثم انصرف ثم اعاد العساكر مع ابنه الكامل لحصارها ثانية فعظم ذلك
على ملوك الجزيرة وديار بكر وخافوا ان ملكها يغلبهم على امرهم . وهم لم يساعدوا
العادل عند تقدمه لقتال نور الدين الا خوفاً منه ولكثرة عساكره فلما رجع الى
دمشق وبقي ابنه الكامل على ماردين استهانوا بامرهم وطمعوا في مدافعتهم واغراهم
بذلك الظاهر والافضل ابنا صلاح الدين افقتنهم مع عهدهم العادل . فتجهز نور الدين
ارسلان شاه صاحب الموصل وسار اول شعبان سنة ٥٩٥ هـ وانتهى الى ديس
واقام بها ثم لحق به ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وابن عمه
الآخر سنجر شاه بن غازي صاحب جزيرة ابن عمر حتى اذا انقضى عيد الفطر

ارتحلوا وتقدموا الى مزاحمة الكامل على ماردين وكان اهل ماردين خلال ذلك قد ضاق مخنةهم وجهدهم الحصار وبعث النظام المستولي على دولة صاحبها الى الكامل يرأوده في الصلح وتسليم القلعة له الى اجل مسمى على ان يبيع لهم ما يقوتهم من الميرة فاسمعهم بذلك وبينما هم في ذلك جاءهم خبر العساكر فامتنعوا وزحف الكامل مهزوماً الى معسكره بالربض فخرج اهل القلعة اليهم وقتلهم الى المساء ثم اجفل الكامل من ليلة منتصف شوال وعاد الى بلاده ونهب اهل القلعة مغلته ثم عاد المجتمعون كل الى بلده ونور الدين الى الموصل

وفي سنة ٦٠٥ هـ قتل سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر وتولى بعده ابنه محمود

وفي سنة ٦٠٦ هـ ملك العادل ابو بكر بن ايوب بلاد الخابور ونصيبين وحاصر مدينة سنجار والجميع من اعمال الجزيرة وهي بيد قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود وسبب ذلك ان قطب الدين المذكور كان بينه وبين عمه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة فلما كانت سنة ٦٠٥ هـ اصهر العادل بن ايوب صاحب مصر والشام الى نور الدين في ابنته فزوجها نور الدين من ابنه واستكثر به وطمع الى الاستيلاء على جزيرة ابن عمر فاغرى العادل بان يظاھره على ولاية ابن عمه قطب الدين فأجاب الى ذلك العادل واطمع نور الدين في انه يقطع ولاية قطب الدين اذا ملكها لابنه الذي هو صهره على ابنته وتحالفا على ذلك

وسار العادل سنة ٦٠٦ هـ من دمشق لملك الخابور . وراجع نور الدين رأيه فاذا هو قد تورط وانه يملك البلاد كما يحب دونه ان وفى له وان سار نور الدين الى الجزيرة فربما حال بنو العادل بينه وبين الموصل وان انتقض نور الدين عليه سار اليه فاضطرب في امره وملك العادل الخابور ونصيبين واعتزم قطب الدين على ان يعتاض منه عن سنجار ببعض البلاد فمنه من ذلك احمد بن برنقش مولى ابيه وجيز نور الدين عسكرياً مع ابنه القاهر مدداً للعادل كما اتفقا عليه . وفي خلال

ذلك بعث قطب الدين ابنه الى مظفر الدين صاحب اربل يستنجده فأرسل الى العادل شافعاً في امره فلم يشفعه لمظاهرة نور الدين اياه . فغضب مظفر الدين وأرسل الى نور الدين في المساعدة على دفاع العدو فاجاب نور الدين الى ذلك ورجع عن مظاهرة العادل وأرسل هو ومظفر الدين الى الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب والى صاحب الروم يستجدانها فاجاباها وتداعوا الى قصد بلاد العادل ان لم يرحل عن سنجار وبعث الخليفة الناصر استاذ الدار بانصره به الله بن المبارك ابن الضحاك والامير اقداش من خواص مواليه في الافراج عن سنجار وتخاذل اصحابه عن مضايقة سنجار معه وسياً اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانه جاهر بخلافه في ذلك فاجاب العادل في الصالح على ان تكون نصيبين والخابور اللذان ملكهما له وتبقى سنجار لقطب الدين وتجاهلوا على ذلك ورجع العادل الى حران

وفي سنة ٦٠٧ هـ او آخر رجب توفي نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل وكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة وكان شهياً شجاعاً ذا سياسة للرعية شديداً على اصحابه اعاد ناموس البيت الاتابكي وجاهه وحرمنه بعد ان كانت قد ذهبت . ولما حضره الموت رتب في الملك ولده القاهر عز الدين مسعوداً وأمر ان يتولى تدبير مملكته ويقوم بحفظها وينظر في مصالحها مملوكه بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداد رأيه وحسن سياسته وكمال السيادة فيه

٤٤١ - الملك القاهر بن نور الدين

من سنة ٦٠٧ - ٦١٥ هـ او من سنة ١٢١٠ - ١٢١٨ م

ولما توفي نور الدين ارسلان شاه تولى بعده ابنه الملك القاهر وقام بتدبير دولته مولى ابيه لؤلؤ كوصية ابيه نفسه . فقام لؤلؤ بتدبير الدولة احسن قيام واستمر

الحال كذلك الى ان توفي الملك القاهر سنة ٦١٥ هـ وكانت ولايته سبع سنين
وتسعة اشهر

٤٤٢ - نور الدين ارسلان شاه به الملك القاهر

من سنة ٦١٥ - ٦١٥ هـ او من سنة ١٢١٨ - ١٢١٨ م

لما توفي الملك القاهر تولى بعده ابنه نور الدين ارسلان شاه وعمره حينئذ عشر
سنين وصار الوصي عليه والمدر لدولته بدر الدين لؤلؤ . وكان عمه عماد الدين
زنكي بن ارسلان شاه صاحب العقرب يحدث نفسه بالملك فرقع بدر الدين لؤلؤ ذلك
الحرق ورتق ذلك الفتق واحسن السيرة مع الخاص والعام وخلع على كافة الناس
وغير ثياب الحداد عنهم فلم يخص بذلك شريفاً دون وضع ولا كبيراً دون
صغير . وبعد ايام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين ارسلان شاه بالولاية
ولبدر الدين لؤلؤ بالنظر في امور دولته

وكان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب اربل قام في نصر
عماد الدين زنكي فملكه قلعة العمادية وباقي قلاع الهكارية والزوزان . فراسله بدر
الدين يذكره الايمان والعهود ويطلبه بالوفاء بها . ثم نزل عن هذا ورضي عنه
بالسكوت لا لهم ولا عليهم . فلم يكف مظفر الدين كوكبري عن معاضدة عماد
الدين فارسل بدر الدين الى الملك الاشرف موسى بن الملك العادل وهو صاحب
ديار الجزيرة وخلاط وانتمى اليه وصار في طاعته وطلب منه المعاضدة فاجابه بالقبول
وبذل له المساعدة وارسل الى مظفر الدين يقبح هذه الحالة ويقول له ان يرجع
الى الحق والا قصده هو بنفسه وعسكره . فلم يجب مظفر الدين بشيء من ذلك
الى ان حضرت الرسل من الخليفة الناصر ومن الملك الاشرف في الصالح فاطاعوا .
ولم تطل ايام نور الدين ارسلان شاه لانه توفي في ذات السنة التي تولى فيها
وهي سنة ٦١٥ هـ

٤٤٣ - ناصر الدين بهاء الملك الفاهر

من سنة ٦١٥ - ٦٣١ هـ أو من سنة ١٢١٨ - ١٢٣٣ م

والا توفي نور الدين اقام لؤلؤ بعده اخاه ناصر الدين محموداً اوله من العمر نحو ثلاث سنين وركبه بدر الدين قطابت نفوس الناس اذ علموا ان لهم سلطاناً من البيت الاتابكي

ولما مات نور الدين تجدد لعاد الدين ومظفر الدين الطمع لصغر سن ناصر الدين فجمعوا الرجال وتجهزوا للحركة . فلما بلغ ذلك بدر الدين لؤلؤاً ارسل الى عز الدين ايبك مقدم عساكر الاشرف بنصيبين يستدعيهم ليعتصم بهم فساروا الى الموصل رابع رجب سنة ٦١٥ هـ واستراحوا اياماً ثم عبروا دجلة ونزلوا شرقها على فرسخ من الموصل . وجمع مظفر الدين عسكره وسار اليهم ومعه عماد الدين زنكي فعبر الزاب وسبق خبره وعند انتصاف الليل سار ايبك بعسكره ولم يصبر الى الصبح فتقطعوا في الليل والظلمة والتفوا هم والخصم على ثلاثة فراسخ من الموصل . فاما عز الدين فحمل على ميسرة مظفر الدين وبها زنكي فجزمها . وميمنة مظفر الدين حملت على ميسرة بدر الدين وهزمتها وبقي بدر الدين في النفر الذي معه في القاب وتقدم اليه مظفر الدين في من معه في القلب اذ لم يفترقوا فلم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل هارباً وعبر دجلة الى القلعة وتبعه مظفر الدين واقام وراء تل حصن نينوى ثلاثة ايام ورحل ليلاً من غير ان يضربوا كوساً ولا يوقوا . ثم ملك عماد الدين قلعة الكواشي وملك بدر الدين تل اعفر وملك الاشرف سنجان وسار يريد الموصل ليجتاز منها الى اربل فاتاه رسل الخليفة ومظفر الدين في الصلح وبذل تسليم القلاع المأخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العمادية وطال الحديث في ذلك نحو شهرين . ثم اصطالحوا على ترك الموصل لبدر الدين لؤلؤ فاستبد بها لنفسه دون مولاة ناصر الدين الذي استمر ملكاً بالاسم الى ان توفي سنة ٦٣١ هـ

٤٤٤ — بدر الدين لؤلؤ

من سنة ٦٣١ - ٦٥٧ هـ أو من سنة ١٢٣٣ - ١٢٥٨ م

لما توفي ناصر الدين بن الملك الفاهر استولى على ملكه بعده مولى ابيه بدر الدين لؤلؤ واتاه تقليد الخليفة بذلك فخطب له بالسلطنة على منابر الموصل واعمالها وتلقب الملك الرحيم فاستمر على هذا الحال الى ان توفي سنة ٦٥٧ هـ وتولى بعده ولده الملك الصالح الموصل وولده علاء الدين سنجار وولده سيف الدين الجزيرة فابقاهم التتر الذين كانوا قد تغلبوا على البلاد في هذه الايام قليلاً ثم خلعوهم وشردوهم وانقرض ملك الدولة الزنكية ومواليها كأنها لم تكن والبقاء لله وحده

٤٤٥ — لدولة الخوارزمية بإيران

(تمهيد) كان لاحد امراء السلجوقية المدعو بلكبك مملوك اسمه انوشتكين وكان قد اشتراه من رجل من غرستان فظهرت عليه نجابة وفطنة جعلتا مولاه يركن اليه ويسلم له اموره فعلا قدر انوشتكين هذا لدى مولاه بلكبك وخدمه بامانة طول حياته وولد له عنده ولد سماه محمداً واعتني بتربيته اعتناءً خصوصياً فشب عالماً حتى جذب انظار الجميع اليه . فلما ولي الامير حبشي (احد امراء السلجوقية) على خراسان نظر في من يوليه خوارزم فوقع اختياره على محمد بن انوشتكين هذا لما رأى من نجابته ونشاطه وعلمه فولاه خوارزم واقبه خوارزم شاه فقام بما عهد اليه خير قيام حتى احبته قلوب الرعية . ولما ولي الملك سنجر السلجوقي على خراسان اقر محمد بن انوشتكين على خوارزم كما كان فاستمر كذلك الى ان توفي فولى بعده ابنه اتسر (يقال اتسر والصواب اقسس) فمد ظلال الامن وافاض العدل وكان قد قاد الجيوش ايام ابيه فتدرب على الفنون الحربية فقر به السلطان سنجر السلجوقي وعظمه واعتضده واستصحبه في حروبه واسفاره

وظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدماً وعلوً . واقسس هذا هو اول من حدثته نفسه بالملك بل هو راس الدولة الخوارزمية التي نحن بصددھا لانه لما رأى في نفسه الكفاية نبى الا ان يكون متبوعاً لا تابعاً واطهر هذا المبل للمقربين اليه فمضدوه عليه فاشهر راية العصيان على السلطان سنجر سنة ٥٣٣ هـ

٤٤٦ - اقسس به محمد بهم انوشكين

من سنة ٥٣٣ هـ - ٥٥١ هـ او من سنة ١١٣٨ - ١١٥٦ م

ولما علم السلطان سنجر بعصيان اقسس بن محمد بن انوشكين خوارزم شاه سار اليه بجياله ورجاله وتجهز اقسس خوارزم شاه لدفاعه لكنه لم يكن لذلك الحين قادراً على مدافعة السلطان سنجر فانهمزم امامه وقتل كثير من عسكره وقتل ابنه ايضاً فحزن عليه حزناً شديداً . واستولى السلطان سنجر على خوارزم واقطعها ابن اخيه سليمان شاه بن محمد وعاد الى مرو . فلما عاد السلطان سنجر الى مرو رجع اقسس الى خوارزم وكان اهلها يودون عودته اليهم لاحسانه فيهم فقبلوه بفرح ففارقها سليمان شاه واستقر الامر لاقسس فيها

ولم يكن اقسس خوارزم شاه يأن جانب السلطان سنجر ويعلم عدم مقدرته عن مقاومته فراسل قوم الخطا (الخطا ويقال الخطاى قوم من التتر الشرقيين تملكوا بلاد الصين الشمالية وجزءاً من بلاد التتر) ليقصدوا بلاد السلطان سنجر واطمئنتهم في ذلك وسهل عليهم امر امتلاكها فقصدوه سنة ٥٣٦ هـ وانهمزم السلطان سنجر امامهم هزيمة شنعاء فطمع خوارزم شاه في بلاد خراسان فقصد سرخس في ربيع الاول من سنة ٥٣٦ هـ المذكورة فطلب اهلها الامان فامتنعهم ثم قصد مرو فامتنع اهلها واستعدوا لدفاعه فقاتلهم وافتتح مرو عنوة يوم ١٧ ربيع الاول من السنة وملكها ثم عاد الى خوارزم وامر الخطيب بقطع الخطبة للسلطان سنجر (وكان لا يزال يخطب له بها) فقطع خطبة السلطان سنجر في ذي القعدة من السنة وخطب لاقسس خوارزم شاه فثار العامة لذلك حتى التزم اقسس ان يامر باعادة الخطبة

للسلطان سنجر

ولما علم سنجر بما كان من خوارزم شاه قصده سنة ٥٣٨ هـ وحاصر المدينة وضيق عليها وكاد يفتحها لولا عدم تدبير قواده فرجم . فظن خوارزم شاه انه سيجتمع له جيشاً اعظم ويقصده مرة اخرى فارسل اليه رسلاً يبذل الطاعة والمال ويعود الى ما كان عليه من الانقياد فاجابه الى ذلك واصطلحوا وعاد سنجر الى مرو واستمر الحال كذلك الى ان توفي اقسس بن محمد بن انوشتهكين خوارزم شاه سنة ٥٥١ هـ من فالج كان قد اصابه فاستعمل له ادوية شديدة الحرارة بغير امر الاطباء فاشتد مرضه وضعفت قوته فتوفي وكان يقول عند الموت « ما اغني عني ماله هلك عني سلطانيه »

٤٤٧ - ايل ارسلان بن اقسس

من سنة ٥٥١ - ٥٦٨ هـ او من سنة ١١٥٦ - ١١٧٢ م

لما توفي اقسس بن محمد تولى بعده ابنه ايل ارسلان واول عمل باشره انه قام على نفر من عمومته وقتلهم وسمل اخاه له فتوفي بعد ثلاثة ايام وارسل الى السلطان سنجر (وكان قد هرب من اسر الغز) يبذل له الطاعة والانقياد فكتب له منشوراً بولاية خوارزم وارسل له الخلع في رمضان من السنة . وساد الامن والسلام في نواحي خوارزم في مدة ايل ارسلان هذا وتجنب هو والتدخل في الفتن التي كثرت حوله في مدته الى ان كانت سنة ٥٦٨ هـ وفيها عبر الخطا من جيحون يريدون خوارزم . فسار خوارزم شاه في عسكره الى اموية (مدينة مشهورة غربي جيحون) ليقاومهم ويصدهم فرض فاقام بها وسير جيشه بقيادة احد امرائه اليهم فلقبهم وانهم الخوارزميون واسر قائدهم ورحم به الخطا الى ما وراء النهر . وعاد خوارزم شاه الى خوارزم مريضاً وتوفي بها في ذات السنة

٤٤٨ - سلطان شاه محمود بن ايل ارسلان

من سنة ٥٦٨ - ٥٦٨ هـ او من سنة ١١٧٢ - ١١٧٢ م

لما توفي ايل ارسلان بن اقسس تولى بعده ابنه سلطان شاه محمود قنار عليه
اخوه الأكبر علاء الدين تكش وقصد ملك الخطا واستمده على اخيه . فسير معه
جيشاً كثيفاً فلما قاربوا خوارزم خرج سلطان شاه منها ومعه امه وقصد خراسان
وملك تكش خوارزم

٤٤٩ - علاء الدين تكش بن ايل ارسلان

من سنة ٥٦٨ - ٥٩٦ هـ او من سنة ١١٧٢ - ١١٩٩ م

واستتب الامر في خوارزم لعلاء الدين تكش واتبع سيرة ابيه من الخلود
الى السكينة حتى اذا مكنته الفرص من الاستيلاء على البلاد هب من نومه لانتهام
ما حوله . ولكن هذه الحركة جاءت بعد جمود طويل فجاءت متأخرة لانه لم
يلبث طويلاً حتى توفي فتم ابنه مقاصده كما ستراه ان شاء الله
والسبب في طمع علاء الدين في الاستيلاء على البلاد هو اختلاف الامراء
السلجوقيين المستولين عليها لذلك الحين ففي سنة ٥٩٠ هـ خرج السلطان طغرل
ابن الب ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي من
الحبس وملك همدان وغيرها بعد حروب طويلة جرت بينه وبين قنغ اينانج
ابن الباهوان صاحبها فانهمزم قنغ ولحق بالري ومن هناك ارسل الى علاء الدين
تكش خوارزم شاه يستنجد فصار اليه فلما قرب منه ندم قنغ اينانج على استدعائه
خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه وتحصن في قلعة له فوصل
خوارزم شاه الى الري وملكها وحصر قلعة طبرك وفتحها بعد يومين وراسله طغرل
واصطلحا وبقيت الري في يد خوارزم شاه فرتب فيها عسكرياً يحفظها وعاد
الى خوارزم

وحدث اثناء غياب خوارزم ان اخاه سلطان شاه الذي ذكرنا خبر مسيره الى خراسان انتهمز فرصة غياب اخيه وسار الى خوارزم ليأخذها فمنعه اهلها عن ذلك فعاد الى مرو بالخفية . فلما حضر خوارزم شاه علاء الدين وعلم ما كان من اخيه اسرع اليه في عساكره الى مرو وترددت بينهما الرسل في الصلح . وبينما هم في تقرير الصلح اذ ورد على خوارزم شاه مستحفظ قلعة سرخس لـ اخيه سلطان شاه يدعوه ليعلم اليه القاعة لانه استوحش من صاحبه سلطان شاه فاسرع خوارزم شاه اليها وتسلمها . وعلم سلطان شاه الخبر فاسقط في يده ومات كمدًا

فلما سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو وتسلمها واستولى على ما كان لـ اخيه سلطان شاه ثم عاد خوارزم شاه الى خوارزم بعد ان استخلف على مرو ابنه علاء الدين محمد (وكان يلقب قطب الدين)

وفي هذه الاثناء اغار السلطان طغرل على الري واخرج منها اصحاب خوارزم شاه ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من طغرل ويطلب منه ان يقصد بلاده واعطاه منشورًا باقطاعه البلاد . فسار الى الري فتلقاه اهلها بالطاعة

ولما علم السلطان طغرل بتقدمه نحوه وكانت عساكره في ذلك الوقت متفرقة فلم يقف لاجتماعها وسار في من معه للقضاء خوارزم شاه فقتل في المعركة وارسل خوارزم شاه رأسه الى بغداد فنصب بها ياب النوبي عدة ايام . وسار خوارزم شاه الى همدان وملك تلك البلاد جميعها فارسل له الخليفة الناصر لدين الله الخلع السنية

وكان الخليفة الناصر لدين الله قد ارسل عسكريًا مددًا لخوارزم شاه على الملك طغرل فوصل هذا المدد بعد رجوع خوارزم شاه من همدان اليها فاخرجوا منها الخوارزميين واستولى عسكري الخليفة عليها وعلى ما حولها ولما علم خوارزم شاه بما كان من عسكري الخليفة ارسل الى قائد جيوشه

بهمذان (قائد جيوش الخليفة) وهو الوزير مؤيد الدين بن القصاب يطلب اليه ان ينزل عن البلاد التي اغتصبها من اصحابه ويسلمها اليهم فلم يجبه مؤيد الدين الى ما طلب فسار خوارزم شاه مجدداً الى همذان وكان مؤيد الدين قد توفي قبل وصوله بقبائل فقاتل عسكر الخليفة وهزمهم واستولى على همذان . ثم حدث ما اضطره الى تركها وعاد الى خراسان

وكان الخطا قد قوي امرهم في تلك النواحي حتى دخل خوارزم شاه وغيره تحت طاعتهم ثم قامت الدولة الغورية وقاتلت الخطا سنة ٥٩٤ هـ وهزمهم هزيمة شنعاء فطمع خوارزم شاه في الامتناع عن اداء ما كان مقرراً عليه فملك الخطا . فسار ملك الخطا الى خوارزم سنة ٥٩٤ هـ المذكورة وحصرها واقام عليها مدة ولا لم يجد الى فتحها سبيلاً افرج عنها . فرحل خوارزم شاه في اثارهم وقصد بخارى فنازلها وحاصرها وامتنع اهلها منه وقاتلوه مع الخطا حتى انهم اخذوا كلباً اعور والبسوه قباء وقلنسوة وقالوا « هذا خوارزم شاه » لانه كان اعور . وطافوا به على السور ثم القوه في منجنيق الى العسكر وقالوا « هذا سلطانكم » ولم يزل هذا داهم حتى ملك خوارزم شاه البلد بعد ايام يسيرة عنوة وعفا عن اهلها واحسن اليهم وفرق فيهم مالا كثيراً واقام عندهم مدة ثم عاد الى خوارزم وفي سنة ٥٩٦ هـ في رمضان منها توفي خوارزم شاه علاء الدين تكش بن ايل ارسلان وكان حسن السيرة مرضي الطريقة

٤٥٠ — علاء الدين محمد بهر تكش

من سنة ٥٩٦ — ٦١٧ هـ أو من سنة ١١٩٩ — ١٢٢٠ م

لما توفي علاء الدين تكش بن ايل ارسلان تولى بعده ابنه علاء الدين محمد وتلقب لقب ابيه وكان قبلاً يلقب قطب الدين وكان اخوه علي شاه بن تكش باصفهان فارسل اليه يستدعيه فسار اليه فنهب اهل اصفهان خزائنه ورحله . فلما وصل الي اخيه ولاه حرب خراسان والتقدم الى جندها وسلم اليه نيسابور

وكان هندوخان بن ملك شاه بن تكش يخاف عمه محمداً فهرب منه ونهب كثيراً من خزائن جده تكش لما مات وكان معه ولحق بغياث الدين ملك الغور واستجار به على عمه علاء الدين محمد بن تكش . وكان غياث الدين الغوري في ابان قوته وفي عنفوان سطوته فاجابه الى ذلك واقام حرباً عواناً على خوارزم شاه محمد بن تكش واستولى على جميع بلاده التي بخراسان و اضافها الى مملكته الواسعة وذلك سنة ٥٩٧ هـ

وكان غياث الدين قد استولى على ما استولى بشجاعة اخيه شهاب الدين الذي لم يكن يهدأ الا بشن الغارات واقتحام المخاطر فبعد ان استولى على خراسان سار قاصداً بلاد الهند لاختضاعها فانتهز خوارزم شاه الفرصة في غيبته وارسل الى غياث الدين ان ينزل له عن البلاد التي استولى عليها في خراسان وكانت له قبلاً وهدده في جوابه بانه سيستعين عليه بالخطا الاستيلاء على تلك البلاد قوة واقتداراً ان لم يكن بالرضا والتسليم فغاطه غياث الدين في الجواب انتظاراً لعودة اخيه فقبض خوارزم شاه على رسوله واعتقله وسار في عسكر واستولى على بلاده التي كان اغتصبها منه غياث الدين حتى انتهى الى هرات وحاصرها فلم يقدر عليها فرجع عنها . ثم رجع شهاب الدين بن الهند وعلم بما كان من خوارزم شاه فعزم على قصد بلاده ثم انشغل عنه قليلاً لوفاة اخيه غياث الدين . ثم سار الى خوارزم سنة ٦٠٠ هـ وحاصرها وضيق عليها فاستنجد خوارزم شاه بالخطا فساروا الى بلاد الغورية فلما بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم وقاتل الخطا وانهمز امامهم وسيد كر ذلك في ذكر الدولة الغورية ان شاء الله

ثم قتل شهاب الدين الغوري سنة ٦٠٢ هـ فطمع خوارزم شاه في الاستيلاء على بلادهم بخراسان فلك مدينة هرات و بلخ وغيرها ثم تقدم الى مدينة ترمذ وحاصرها هو من جهة والخطا من جهة فانتهجوها عنوة واعطى خوارزم شاه مدينة ترمذ للخطا سياسة ومكرأ منه حتى يساعده على اتمام مقاصده وليظهر لهم انه على ولاء ووفاء معهم مع انه على غير ذلك كما ستره ان شاء الله . ثم تقدم خوارزم

شاه الى بلد الجبل فقاتله اهله وهزموه فعاد مقهوراً

وفي سنة ٦٠٣ هـ ارسل خوارزم شاه عساكره بقيادة ابن خرميل الى اسفرار فحصرها هذا وارسل الى اهلها يقسم بالله ان سلموها ان يؤمنهم وان امتنعوا اقام عليها الى ان يأخذها فاذا اخذها قهر الا يبقى على كبير ولا صغير . فحافوا وسلموها له في ربيع الاول من السنة فلم يتعرض لهم بسوء ثم ارسل الى صاحب سجستان يدعوه الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له يلاذه فاجابه الى ذلك . فاقطع خوارزم شاه ابن خرميل مدينة هرات تنشيطاً له

وفي سنة ٦٠٤ هـ عبر علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه نهر جيحون لقتال الخطا وسبب ذلك ان الخطا كانوا قد طالت ايامهم ببلاد تركستان وما وراء النهر وثقلت وطأنهم على اهلها ولهم في كل مدينة نائب يجبي اليهم الاموال . فاتفق ان سلطان سمرقند وبخارى الذي يلقب بساطان السلاطين وهو من اولاد الخانية عريق النسب في الاسلام والملك انف وضع من تحكم الخطا الكفار على المسلمين فارسل الى خوارزم شاه يقول له :

« ان الله عز وجل قد اوجب عليك بما اعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الاموال والابشار ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحملة اليهم ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة » فاجابه الى ذلك وقال له « اخاف انكم لا توفون لي »

فسير اليه صاحب سمرقند وجوه اهل بخارى وسمرقند بعد ان حلفوا لصاحبهم على الوفاء بما تضمنه . فلما وصلوا الى خوارزم شاه وعلم صدقهم سار معهم واستولى على ما وراء النهر بعد ان قاتل الخطا قتالاً شديداً ثم تكاثر الخطا على اصحاب خوارزم شاه وقتلوه وهو معهم فانهمزم المسلمون واسر خوارزم شاه وعاد الخوارزميون الى خوارزم وليس معه السلطان فظنوه قتل فاستولى احد اصحابه المدعو كزلك خان على نيسابور واعمالها واخوه علي شاه على طبرستان . ثم خلاص خوارزم شاه من اسر الخطا وعاد الى

خوارزم فدخلها في احتفال عظيم وعلم ما كان من كزلك خان بنيسابور ومن اخيه على شاه بطبرستان فسار الى خراسان في عساكره فاصلح فسادها وعاد ظافراً وكانت واقعة الاخيرة مع الخطا قد جعلته يهتم بامرهم اهتماماً زائداً فجهز العساكر الكشيقة وعبر جيحون لقصد الخطا سنة ٦٠٦ هـ واجتمع الخطا لقتاله فحصلت بين الفريقين وقائع تشيب لولها الولدان واخيراً انهزم الخطا هزيمة شنعاء واستولى خوارزم شاه على ما وراء النهر مدينة مدينة وناحية ناحية حتى بلغ مدينة اوزكند وجعل نوابه فيها وعاد الى خوارزم مستصحباً معه صاحب سمرقند وكان جميل الصورة بهذا المقدار حتى كان اهل خوارزم يتجمعون حتى ينظروا اليه فزوجه خوارزم شاه ابنته ورده الى سمرقند وبثت معه شحنة يكون بسمرقند وارسل معه حامية لاحتلال المدينة وعاد صاحب سمرقند ومعه من معه من اهل خوارزم فاقاموا معه سنة فراى صاحب سمرقند من سوء سيرة الخوارزميين ما حجب اليه الفتنك بهم ومراجعة طاعة الخطا ففعل وعزم على قتل زوجته ابنة خوارزم شاه فامتنعت منه في القلعة وقفلت على نفسها الابواب

ولما علم خوارزم شاه بما كان من صاحب سمرقند استشاط غيظاً وحنقاً وجمع عساكره واسرع الى سمرقند وحصرها وضيق عليها وفتحها عنوة وقتل صاحب سمرقند صبراً ولم يقبل توبته ولا عفا عنه وكان يقول له قبيل قتله « قد فعلت ما لم يفعلهُ مسلم واستحلّت من دماء المسلمين ما لا يفعلهُ عاقل لا مسلم ولا كافر » .

وبعد ان افنتخ خوارزم شاه مدينة سمرقند قدم اليه الخطا في جموع لا تحصى بقيادة ملكهم فكانت بين الفريقين معركة لم يسبق لها نظير فكانت القاضية على الخطا فلم ينج منهم احد

واستولى خوارزم شاه على بلادهم بلا منازع ولا مدافع وعظم شان خوارزم شاه وعلا صيته وخدمه السعد اياماً فاستولى في مدة قريبه غير ما ذكرنا على بلاد كرمان ومكران والسند وباميان وغزة واعمالها سنة ٦١٢ هـ وعلى بلد الجبل

ولما استولى خوارزم شاه على ما استولى عليه وانتزع البقية الباقية من السلجوقيين طمع في الخطبة له على منابر بغداد فارسل الى الخليفة في ذلك فلم يقبل الخليفة طلبه . فعزم على قصد بغداد فسار حتى انتهى الى عقبة سراباد فاصابه هناك ثلج كثير اهلك الحيوانات وعن ايدي الرجال وارجلهم حتى قطعوها فرجع عن قصده ودخل خوارزم سنة ٦١٥ هـ

و بعد ان بلغت دولة خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش الى اعلى درجات المجد والعظمة سقطت بغته الى الخضيض لظهور دولة التاتار بقيادة الغاتج العظيم جنكزخان

والسبب الذي حمل جنكزخان على قصد بلاد خوارزم شاه ان بعض تجار التاتار ساروا الى مدينة اترار وكان العامل عليها من قبل خوارزم شاه شخصاً يقال له غاير خان فطمع في اخذ مامع هؤلاء التجار التتر وطالع السلطان محمداً في امرهم وحسن له ابادتهم واغنائهم فاذن له في ذلك فقتلهم واستولى على ما معهم وهرب واحد من هؤلاء التجار وسار الى ملكهم جنكزخان واعلمه بما كان من غاير خان وخوارزم شاه فاغتاظ جنكزخان جداً وهجر النوم وجهاز العساكر وسار الى تركستان وحصر مدينة اترار واخذها عنوة وقتل غاير خان في هذه المعركة ثم تقدم جنكزخان الى مدينة بخارا سنة ٦١٧ هـ وحصرها من جميع نواحيها . وكان بها من عسكر السلطان محمد خوارزم شاه عشرون الفا بقيادة كوك خان وسونج وكشلي خان فلما تحققوا عجزهم عن مقاتلة المغول خرجوا من الحصار بعد غروب الشمس فادرهم المحافظون من عسكر المغول على نهر جيحون فارقعوا فيهم وقتلهم كافة ولم يبق منهم اثر . فلما فارق المقاتلون المدينة لم يبق لاهلها حيلة الا التسليم والخروج وطالب الامان فخرج الائمة والاعيان الى خدمة جنكزخان يتضرعون اليه ويطلبون حقن دمائهم . فتقدم باخراج كل من بالمدينة الى ظاهرها فخرجوا ودخل هو وولده طولي الى المدينة فوقف على باب مسجد الجامع وقال « هذا دار السلطان » فقالوا « لا بل خانة يزدان » أي بيت الله . فنزل ودخل الجامع

وصعد الى المنبر وقال لا كابر بخارا « ان الصحراء خالية عن العلف فانتهم اشبعوا الخيل مما عندكم في الانبار » ففتحوها وصاروا ينقلون ما فيها من الغلات . ورمى الناس النار ما في الصناديق من الكتب وجعلوها اوارى للخيول واحضروا الطعام والشراب في الجامع واكلوا وشربوا وطربوا . ثم خرج جنكزخان الى منزله وجمع الائمة والمشايخ والسادات والعلماء وقال لهم :

« ان الله ملك الكل ارسلني لاطهر الارض من بني الملوك الجائرة الفسقة الفجرة » وذكر لهم ما فعله غازي خان امير اترار باذن سلاطنه بالتجار الى غير ذلك ثم امرهم ان يمتثلوا الاغنياء واصحاب الثروة بمعزل عن الفقراء فعزلوهم فبلغوا ٢٨٠ الفاً فقال لهم « ان الاموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استعمالها منكم وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي تحت الارض » فقبلوا بالسمع والطاعة . ووكلوا مع كل قوم باسقاطها يستخرج الاموال واثار سرّاً الى المستخرجين ان لا يكافوهم ما لا يطيقونه ويرفقوا بهم لما رأى من حسن اجابتهم الى ما امروا به . ولان جماعة من عسكر السلطان كانوا مخفنين بالمدينة امر فرموا في محالها النار فاحترقت المدينة باسرها لان جل عمائرها من خشب نبتت عرصة بخارا قاعاً صفضاً وتفرق اهلها منتزحين الى خراسان

وفي ربيع الاول من السنة (٦١٧ هـ) نزل جنكزخان على مدينة سمرقند واستولى عليها بعد قتال شديد ثم تقدم الى ضواحي خوارزم وانفذ الرسل الى اهلها يدعوهم الى الائمة (القسم) والدخول في طاعته وشغلهم اياماً بالوعود والوعيد والتأويل والتهديد الى ان اجتمعت العساكر ورتب آلات الحرب من منجنيق وما يرمى بها . ولان صنع خوارزم لم يكن فيه حجر كان المغول يقطعون من اشجار البوت قطعاً كاللحجارة ويرمون بها وملاءوا الخندق بالتراب والخشب والحشيم وانشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فملكوا سورها واضرموا النار فيها فالت على اكثر دورها وما فيها فيئس المغول من الانتفاع بشيء منها فاعرضوا عن الحريق وصاروا يملكون محلة محلة لان اهلها كانوا

يبتنعون فيها اشد الامتناع . ولم يزالوا كذلك الى ان ملك المغول كل الحال
واخرجوا الخلائق كافة الى الصحراء وبعد ان فرزوا الصناع والمخترفين والنساء
اللاواقى ينتفع بهن قتلوا كل الباقي
ولما نزلت هذه النازلة على خوارزم شاه وبلاده هرب تائهاً في البلاد يستغيث
ولا منغيث وينادي ولا مجيب

ثم ارسل جنكزخان بعض اصحابه لاقتفاء اثار خوارزم شاه وقال لهم :
« اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلق بالسما حتى تدركوه وتأخذوه » فطارده
وهو هارب امامهم حتى توفى في بعض قلاع وهو هارب منهم وكانت وفاته سنة
٦١٧ هـ المذكورة . وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهوراً تقريباً وكان
قد اتسع ملكه وعظم محله ولم يملك بعد الساجوقية احد مثل ملكه فانه
ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان
وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وخرسان وفارس واذاق الخطا
الامرين . وكان فاضلاً عالماً مكرماً للعلماء محباً لهم محسناً اليهم يكثر مجالستهم
ومناظرتهم بين يديه . وكان صبوراً على التعب فسبحان من يغير ولا يتغير هو
مالك الملك وحده

٤٥١ - جلال الدين محمد

من سنة ٦١٧ - ٦٢٩ هـ او من سنة ١٢٢٠ - ١٢٣٠ م

لما توفى خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش واستولى التاتار على بلاده
هرب ابنه جلال الدين الى مدينة غزنة واستقر بها قليلاً واجتمع اليه من سلم من
عسكر ابيه وبايعوه على الموت . ولم يكن التار بغالين عنه لكنهم انشغلوا عنه قليلاً
بفتح البلدان حتى استولوا على كل ايران ثم قصدوا غزنة اخيراً وبها جلال الدين
ابن محمد خوارزم شاه . فرحل جلال الدين عنها وعزم على قصد بلاد الهند

ليتخلص من هذه النازلة . ولما وصل جنكزخان الى غزنة وعلم بمسير جلال الدين عنها لم يستقر ورحل في الحال وحمل على نفسه بالمسير حتي لحقه في اطراف السند فطاف به العسكر من قدامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهر السند كالوتر وهو في وسط . وتقدم جنكزخان ان يمك حياً . فلما رأى جلال الدين خطارة الموقف وعلم انه ماخوذ على اي حال لم يرض باقل من ان يقاتل حتى يقتل فحمل على المغول حملات منكرة وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الامر بمثل ذلك لامتناع المغول عن رميه بالنشاب ليحضره حياً الى جنكزخان كطلبه فكانوا يتقدمون اليه قليلاً قليلاً . فلما عابن تضيق الحلقة عليه نزل فودع اولاده وخواصه باكياً كثيلاً ثم رمى عنه الجوشن وركب جنبيه وهو كالاسد الغيور وهم بالعبور . واقتحم فرسه النهر فانقحم وعام وخلص الى الساحل وجنكزخان واصحابه ينظرون اليه ويتاملونه حيارى

ولما شاهد ذلك جنكزخان وضع يده على فمه متعجباً والثفت الى ولديه وقال لهما « من اب مثل هذا الابن ينبغي ان يولد . اذا نجا من هذه الوقعة فو قائع كثيرة تجري على يديه . ومن خطبه لا يغفل من يعقل »

واراد جماعة من البهادورية ان يتبعوه في الماء فمذمهم جنكزخان قائلاً « انتم لستم من رجاله لانه كان يرامي المغول وهو في وسط الشط » فلما فاتهم اخذوا امر الخان باحضار حرمه واولاده وتقدم بقتل جميع الذكور حتي الرضع . ولان جلال الدين عند ما اراد الخوض في النهر اتى جميع ما كان صعبته من آنية الذهب والفضة فيه امر الغواصين فاخرجوا منها ما امكن اخراجه . وكان هذا الامر الذي هو من عجائب الانام ودواهي الايام في رجب فقبل في المثل « عش رجلاً ترعجياً » وتعذر على جلال الدين المقام ببلاد الهند فسار عنها الى كرمان ووصل الى اصفهان فوجد اخاه غياث الدين قد استولى عليها لنفسه فاخذها جلال الدين منه وتقدم الى فارس . وكان اخوه قد اغتصب من صاحبها بلاداً فاعادها جلال الدين اليه وصالحه ووصل الى تستر وحصرها شهرين ولم يقدر عليها فتركها وسار الى

يعقوبا ومنها الى دقوقا فامتنع اهلها منه فحاصروهم وافتتحها عنوة وامر عساكره بنهبها
فقتلوا بها تمثيلاً شنيعاً . ثم تقدم جلال الدين الى اذربيجان واستولى عليها جميعها
وقاتل الكرج وانتصر عليهم . فعاشت نفسه بعد الموت واسس في تلك النواحي
مملكة غير التي اغتصبها منه القاتار الا انها لم تدم طويلاً كما ستراه ان شاء الله

وفي سنة ٦٢٣ هـ تقدم جلال الدين الى مدينة تفليس وكان الكرج قد استعدوا
لدفاعه استعداداً كبيراً فقاتلهم وانتصر عليهم واستولى على تفليس ثم بلغه ان اهل
كرمان قد عصوا عليه فسار الى هناك واخضع الثائر بن ثم عاد مسرعاً الى تفليس
لوصول رسول من وزيره بتفليس يعرفه ان عسكر الملك الاشرف الذي بجلاط قد
هزموا بعض عسكره ووقعوا بهم ويحشيه على العود الى تفليس ففعل

ولما وصل جلال الدين الى تفليس جمع عسكره وسار الى خلاط وحصرها
مدة ولم يقدر على فتحها ثم رجع عنها انزول الثلج بكثرة في بقاءها

وفي سنة ٦٢٤ هـ وصل الكرج مدينة تفليس ولم يكن جلال الدين بها فقاتلوا
من بها من عسكره واحرقوا المدينة فلما بلغ جلال الدين الخبر سار في من عنده
من المساكن ليذكرهم فلم ير منهم احداً لانهم كانوا قد فارقوا تفليس لما احرقوها
وفي سنة ٦٢٦ هـ حصر جلال الدين مدينة خلاط واستولى عليها فخرّب

اصحابه خلاط واكثروا فيها القتل والنهب ما لم يسمع بمثله . فلما سمع الملك الاشرف
انزعج وارسل جريدة الى ابلستين . فثقلاه صاحب الروم علاء الدين كيقباز من
فراسخ واجتمعوا ولحقت الملك الاشرف عساكره وخرج علاء الدين بعساكره الى

اق شهر هو والمالك الاشرف وخرج جلال الدين الخوارزمي من خلاط للقائهم
وكان في ٤٠ الفاً والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً في يوم الجمعة وكانت الغلبة فيه للملك
الاشرف وعلاء الدين وباتوا ليلة السبت على تعبيتهم الى الفجر من يوم السبت
فالتقوا واقتتلوا فانهمز جلال الدين هزيمة عظيمة وقتل من اصحابه خلق لا يحصى
عددهم الا الله وانهمز مثلهم واسر مثلهم وبلغت هزيمتهم الي جبال طرايزون فوق
منهم في شقيف هناك ١٥٠٠ رجل . ولحق خوارزم شاه بخربرت فوصلها في يوم

ولاية ونجا بنفسه ومضى الى بلاد المعجم فاقام في خوى
ولم يقم بها طويلاً حتى علم بقصد التمز اياه فتوجه الى تبريز وارسل رسولا
الى الخليفة وآخر الى الملك الاشرف وآخر الى السلطان علاء الدين صاحب الروم
يستجيشهم ويعلمهم كثرة عساكر التاتار وحدة شوكتهم وشدة نكايتهم وانه اذا
ارتفع هو من البين يمجزون عن مقاومتهم وانه كسد الاسكندر بمنعهم عنهم فالراي
ان يساعده كل منهم بفوج من عسكره ليرتبط بذلك جاش اصحابه ويحجم بهم
العدو عن البلاد فينحجم . قال من هذا النوع واكثر واستصرخهم فلم يصرخوه
واستغاثهم فلم يغيثوه فشقي بارمية واشتوا . وفي الربيع توجه الى نواحي ديار
بكر وصار يصرف اوقاته بالتمتع واللهو والشراب والطرب كانه يودع الدنيا
وملكها الغاني

وبينما هو في ذلك يسر لابل يغرف فجئه هجوم التاتار ايلاً فتكلف للانتباه
وعاين نيران المغول بالقرب من مكانه فتقدم الى الامير اورخان ان يلم به الجماعة
ويشغل المغول عند الصبح بالاقدام نارة والاحجام اخرى . وفر هو مع ثلاثة
نفر من مماليكه تائهاً في جبال ديار بكر . فلما اصبحت اذن المغول ان جلال الدين
خوارزم شاه فيهم فجدوا في طلبهم طاردين في اعقابهم وهم منهزمون بين ايديهم
ولما تحققوا انه ليس معهم رجعوا عنهم

اما جلال الدين خوارزم شاه فوقع به قوم من الاكراد ببعض جبال آمد ولم يعرفوه
وقدروه من بعض جند الخوارزميين فقتلوه والمملوكين الذين معه طمعا في ثيابهم
وخياهم وسلاحهم . استنبط ذلك من جهة ان بعد مدة يسيرة دخل بعض اولئك
الاکراد الى آمد وعليه من سلاح جلال الدين فعرفه مملوك له كان قد لجأ الى
صاحب آمد فقبض الكردي وقرر فقر بما افعله هو واصحابه فاحضرهم صاحب
آمد وقتلهم حنقا عليهم . وكان قتل جلال الدين خوارزم شاه سنة ٦٢٨ هـ وبموته
انقرضت الدولة الخوارزمية والملك لله يوتي من يشاء . والبقاء لله وحده

٤٥٢ - الدولة الغورية بافغانستان والهند

(تمهيد) كما ان الدولة الخوارزمية قامت من موالي الدولة السلاجوقية هكذا قامت الدولة الغورية هذه من موالي الدولة الغزنوية من آل سبكتكين وهي تنسب الى محمد بن حسين الغوري الذي كان من موالي بهرام شاه الغزنوي فمعظم امره حتي اقطعه بلاد الغور ثم كانت الفتنة بين بهرام شاه واخيه ارسلان فمال محمد بن حسين الغوري الى ارسلان وارتاب به بهرام لذلك ثم انقضى امر ارسلان وسار محمد بن حسين في جموعه الى غزنة سنة ٥٤٣ هـ مظهراً للزيارة وهو يريد الغدر به فشعر بهرام شاه بذلك فحبسه ثم قتله واستوحش الغورية لذلك

٤٥٣ - سام بن حسين

من سنة ٥٤٣ - ٥٤٣ هـ او من سنة ١١٤٨ - ١١٤٨ م

لما قتل محمد بن حسين الغوري تولى بعده اخوه سام بن حسين ولكنه لم تطل مدته اذ اصابه جذري فمات منه اشهر من ولايته

٤٥٤ - سوري بن حسين

من سنة ٥٤٣ - ٥٤٤ هـ او من سنة ١١٤٨ - ١١٤٩ م

لما توفي سام بن حسين تولى بعده اخوه سوري بن حسين وقوى امره وتمكن ملكه وجمع عسكره وسار الى غزنة طالباً بثار اخيه المقتول وقاصداً ملك غزنة فلما وصل اليها ملكها في جمادي الاولى سنة ٥٤٣ هـ وفارقها بهرام شاه الى بلاد الهند وجمع جموعاً كثيرة وعاد الى غزنة وقتل سوري فيها وانضم عسكر غزنة الى بهرام شاه وقبضوا على سوري وسلموه اليه فصاح بهرام شاه في المعرم من سنة ٥٤٤ هـ واستولى على غزنة

٤٥٥ - عمراء الدين الحسين بن حسين

من سنة ٥٤٤ - ٥٥٦ هـ او من سنة ١١٤٩ - ١١٦٠ م

وإلى قتل سوزي بن حسين تولى بعده اخوه الحسين وتلقب علاء الدين وملك جبال الغور ومدينة فيروزكوه بالقرب من غزنة ثم طمع في الاستيلاء على ما جاوره من البلاد فسار إلى بلخ واستولى عليها وكانت من أعمال السلطان سنجر الساجقي فلما علم هذا بما فعله علاء الدين سار إليه وقاتله وهزم الغورية وأسر علاء الدين واحضره بين يديه وقال له « يا حسين لو ظفرت بي ما كنت تفعل » فاخرج له قيداً من الفضة وقال « كنت أريدك بهذا واحملك إلى فيروزكوه » فخلع عليه سنجر واطلقه وورده إلى فيروزكوه فبقي بها مدة . ثم قصد غزنة وبها بهرام شاه فلم يثبت بها بين يدي علاء الدين بل فارقها إلى مدينة كرماني فاستولى علاء الدين على غزنة واحسن السيرة في أهلها واستعمل عليهم أخاه سيف الدين ثم رجع إلى بلاد الغور . فاقام سيف الدين بغزنة محسناً السيرة في أهلها إلا أن أهل غزنة لم يحفظوا له معروفه عليهم واحسانه اليهم بل عاملوه بدل الخير شراً وبيان ذلك انه لما دخل الشتاء ووقع الثلج وعلم أهل غزنة ان الطريق انقطع اليهم كاتبوا بهرام شاه واستدعوه اليهم . فسار اليهم في عسكر فلما قرب من المدينة ثار أهلها على سيف الدين فاخذوه بغير قتال . وكان الملويون هم الذين تولوا أسر سيف الدين . وانهمز اصحاب سيف الدين فمنهم من نجوا ومنهم من اخذ . ثم انهم سودوا وجه سيف الدين واركبوه بقرة وطاقوا به البلد ثم صلبوه وعلم علاء الدين بما جرى على اخيه سيف الدين فاقسم ان لا يترك غزنة حتى يخرجها ويأخذ بثأر اخيه .

وفي هذه الاثناء توفي بهرام شاه وتولى بعده خسرو شاه وتجهز علاء الدين وساروا إلى غزنة سنة ٥٥٠ هـ ففارقها خسرو شاه إلى هاور وملكها علاء الدين ونهبها ثلاثة ايام وقتل بالملويين الذين اسروا أخاه وقتل كل من ساعد في ذلك

او كان على الاقل راضياً عنه . و اقام بغزنة حتى اصلح حالها ثم عاد الى فيروز كوه
وقد قوي امره بهذا الانتصار وعظم صيته وخافته الملوك . ثم التفت علاء الدين
لتنظيم داخلية البلاد التي استولى عليها واصلاحها فرتب العمال والجباة والسماعة .
وكان بين عماله ونوابه على البلاد ابنا اخيه سام وها غياث الدين ابوالفتح محمد وشهاب
الدين ابو المظفر محمد فلما استعملهما احسنا السيرة في عملهما وعدلا وبذلا الاموال
فمال الناس اليهما وانتشر ذكركهما فسمى بهما من يحسدهما الى عمهما علاء الدين
وقال له « انهما يريدان الوثوب بك وقتلك والاستيلاء على الملك » فارسل عمهما
يستدعيهما اليه فامتنعا فارسل اليهما عسكرياً فهزما عسكرياً فصار اليهما بنفسه
وقاتلهم فانتصرا عليه واسراه

فلما اسر غياث الدين وشهاب الدين عمهما احضرهما واجلساه على التخت
ووقفنا في خدمته . فبكي علاء الدين من الفرح لما رآه من معاملة ابني اخيه له وزوج
غياث الدين بنتاً له وجعله ولي عهده وبقي الحال كذلك الى ان توفي علاء الدين
سنة ٥٥٦ هـ . وكان عادلاً من احسن الملوك سيرة في رعيته

٤٥٦ - غياث الدين محمد بن سام

من سنة ٥٥٦ - ٥٩٩ هـ او من سنة ١١٦٠ - ١٢٠٢ م

لما توفي علاء الدين الحسين بن حسين تولى بعده ابن اخيه غياث الدين محمد
ابن سام وهذا اشرك اخاه شهاب الدين معه في الملك لشجاعته وحسن سياسته
وتضافر الاخوان واغاروا على البلاد اما شهاب الدين فحول عنان فتوحاته الى
بلاد الهند فصار الى لهاور وبها خسرو شاه الغزنوي فاستولى عليها وقتل خسرو
شاه وبقتله انقضت الدولة الغزنوية

ثم سار الى مدينة آجر واستولى عليها وقتل الهنود مراراً وهزمهم وشنت
شماهم واستولى على كل ما كان للدولة الغزنوية بالهند . اما غياث الدين فوجه

عنان فتوحاته الى بلاد خراسان فاستولى على هرات وغيرها من مدن تلك النواحي
 في مدة يسيرة استوليا على جزء عظيم من المعمورة والفا دولة قوية
 وكان املاء الدين الحسين بن حسين الملك السابق ابن يدعي محمد افانتهز
 فرصة اشتغال غياث الدين وشهاب الدين بفتوحاتهما واستولى على بلاد الغور بعد
 ابيه فقام عليه بعض الغزاة سنة ٥٥٨ هـ وقتله فكفى الله بذلك غياث الدين واخاه
 مؤونة مقاومته

ثم استتب امر غياث الدين وشهاب الدين في البلاد التي استوليا عليها ولم
 ينازعا احداً ولا احد نازعهما الى ان كانت سنة ٥٨٦ هـ وفيها اغار سلطان شاه
 ابن خوارزم شاه على بلاد غياث الدين فجمع غياث الدين عساكره وسار اليه
 وقاتله وانتصر عليه وملك عدة مدن من بلاده وعاد الى غزنة

وكان شهاب الدين قد غزا الهند سنة ٥٨٣ هـ فانهمزم امامهم فتأثر جداً وعزم
 على الانتقام الشديد فجهز عسكرياً وسار سنة ٥٨٧ هـ الى بلاد الهند وقاتل الهندود
 وانتصر عليهم ومثل بهم تمثيلاً شديداً واستولى على مدينة اجير من بلادهم
 وفي سنة ٥٩٢ هـ استولى شهاب الدين على قلعتي بهنكر وكوالير من
 بلاد الهند

وفي سنة ٥٩٤ هـ ارسل غياث الدين عسكرياً الى مدينة بلخ واستولوا عليها
 وكانت بيد الخطا في ذلك الحين فهاج الخطا لذلك وعبروا جميعون الى ناحية
 خراسان وعاثوا فيها فساداً فقاتلهم الغورية وهزموهم وارجعوهم على اعقابهم خاسرين
 وفي هذه الاثناء كانت الدولة الخوارزمية قد عظم شأنها ايام علاء الدين
 خوارزم شاه فضايقوا ملك الغورية في خراسان فاهتم غياث الدين وشهاب الدين
 لذلك وسارا في عساكرهما الى خراسان واستولوا على كل ما كان لخوارزم شاه
 من البلاد فيها ورجعا

ولما عاد غياث الدين وشهاب الدين من خراسان سار شهاب الدين الى بلاد
 الهند وقصد مدينة نهرولة فوصلها سنة ٥٩٨ هـ وقاتل الهندود عليها وانتصر عليهم

واستولى عليها فانتهز خوارزم شاه فرصة غياب شهاب الدين بالهند وارسل الى غياث الدين برد البلاد التي اخذها منه ويهدده ان لم يفعل فغالطه غياث ولكن مغالطته لم تنجح لدى خوارزم شاه فقصد بلاد خراسان واستولى على البلاد التي انتزعها منه الغورية وتقدم الى هرات وحصرها ولم يقدر عليها فرجع عنها ثم توفي غياث الدين محمد بن سام سنة ٥٩٩ هـ وكان مظفرًا منصورًا وكان قليل المباشرة للحروب بنفسه انما كان له دهاء ومكر. وكان كثير الصدقات والوقوف بني المساجد والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعي وبني الخانكاهات في الطرق واسقط المكوس

٤٥٧ - شهاب الدين به سام

من سنة ٥٩٩ هـ - ٦٠٢ هـ او من سنة ١٢٠٢ - ١٢٠٥ م

كان شهاب الدين شريكاً لاخيه في الملك كما تقدم فلما توفي غياث الدين استقل شهاب الدين بملك غزنة وخراسان والهند وكان قد عاد من الهند قريباً وتجهز لقصد خوارزم شاه واقام بطوس يستعد للحركة فتوفي اخوه كما تقدم فجلس في العزاء فيه وبعد انتهاء مدة الجناز سار الى خوارزم وحصرها وضيق عليها وكاد يفتحها فاستنجد خوارزم شاه بالخطا فارسلوا عسكرياً لقصد بلاد شهاب الدين فلما علم شهاب الدين بذلك افرج عن خوارزم وسار لرد الخطا عن بلاده وبعد قتل شديد انهزم شهاب امام الخطا ثم صالحهم واستقر ببلاده ولما انهزم شهاب الدين امام الخطا طمع فيه الهنود الساكنون في الجبال بين هاور والمئان ورفعوا زاية العصيان فسار اليهم وقطع مادة فسادهم وعاد ظافراً وكان ذلك سنة ٦٠٢ هـ

وفي سنة ٦٠٢ هـ قتل شهاب الدين ملك الغور قتله بعض الاشقياء داخل خيمته في شعبان من السنة

٤٥٨ - محمود بن غياث الدين

من سنة ٦٠٢ - ٦٠٥ هـ او من سنة ١٢٠٥ - ١٢٠٨ م

لما توفي شهاب الدين بن سام وقع الاضطراب في المملكة وقام الامراء يتنازعون الولاية فبعضهم طلب تولية محمود بن غياث الدين وبعضهم طلب تولية بهاء الدين سام ابن اخ شهاب الدين وكان بين اولئك المختلفين شخص يقال له تاج الدين الذر وهو من موالي شهاب الدين واخصهم به فطمع في ملك غزنة وظهر القيام بدعوة غياث الدين محمود بن غياث الدين واقام بغزنة بالنيابة عن غياث الدين المذكور

اما بهاء الدين فكان مقيماً باميان وهي اقطاع من ايام خاله شهاب الدين فلما علم ان بعض الامراء يعضده طمع بالملك وارسل اليهم يامرهم بحفظ الاموال واقامة الخطبة له بغزنة حتى يحضر اليهم . ثم سار الى غزنة فتوفي في طريقه اليها فقطعت جهاز قول كل خطيب . وكان له ابن يدعى علاء الدين فاستولى على باميان بعده

واما غياث الدين محمود بن غياث الدين فكان في هذه الاثناء في اقطاعه في بست ولما علم بمقتل عمه دعا لنفسه واثته طاعة تاج الدين الذر من غزنة ثم سار الى فيروزكوه وقبض على جماعة من اصحاب علاء الدين وسار الى دار ابيه فسكنها واعاد الرسوم وقدم اليه عبد الجبار محمد بن العشير الى وزير ابيه فاستوزره واقتفى خطوات ابيه في العدل والاحسان

ولما استقر علاء الدين باميان على ما تقدم كثرت جموعه فطمع في ملك غزنة وكان بها الذر نائباً عن غياث الدين فقاتله عليها فانهمزم الذر وهرب الى بلد كرمان واستولى علاء الدين على غزنة فاقام بها شهرين جمع في اثنائها الذر كل ما قدر على جمعه من المساكر وعاد الى غزنة لاستخلاصها من يد علاء الدين فحصرها وضيق عليها حتى استسلم اليه علاء الدين وسلمه المدينة فقبض الذر عليه واعتقله

وكتب الى غياث الدين بالفتح

ولتوالي هذه الفتن الداخلية التي نشأت في الدولة الغورية ضعفت هذه الدولة طبعاً وطمع الملوك بها . وخصوصاً خوارزم شاه الذي كان ينتظر سقوطها بفروغ صبر فلما رأى ما بلغت اليه من الضعف لم يعد يهاب سطوتها كما كان واغار على املاكها بخراسان واستولى عليها . ثم على ترمذ والطالقان ولم يقدر الغورية على استرجاعها لما تولاهم من الوهن

وكان لخوارزم شاه اخ يدعى علي شاه خالف عليه ولحق بغياث الدين فاجاره غياث الدين وابى ان يسلمه لخوارزم شاه فغضب خوارزم شاه لذلك وسار الى هرات واستولى عليها ثم ارسل الى فيروزكوه ومنكها واسر غياث الدين واخاه علي شاه وقتلها سنة ٦٠٥ هـ

٤٥٩ - تاج الدين الذرصولى غياث الدين

من سنة ٦٠٥ - ٦١٣ هـ او من سنة ١٢٠٨ - ١٢١٦ م

وكان الذر بغزنة كما تقدم فاستقل بها . اما خوارزم شاه فانه بعدما استولى علي فيروزكوه وعامة خراسان سار الى باميان وملكها ثم ارسل الى تاج الدين الذر صاحب غزنة في الخطبة والسكة وان يقرر الصالح على غزنة بذلك . فاستشار الذر اصحابه فاشاروا عليه بالامتناع من ذلك فامتنع فسار خوارزم شاه الى غزنة واستولى عليها وهرب الذر الى هاور وكان صاحبها ناصر الدين قباچه من موالي شهاب الدين وله معها ملتان وأجر والديبل الي ساحل البحر وله من العسكر ١٥ ألفاً وجاء الذر في ١٥٠٠ مقاتل فقاتله على التعبية ومعه القبلة فانهمزم الذر اولاً ثم صدق الحملة فانهمزم قباچه وعسكره وملك الذر مدينة هاور ثم سار الى الهند ليملك مدينة دهلي وغيرها من بلاد المسلمين بالهند وكان صاحبها قطب الدين ايبك قد توفي ووليها بعده مولا شمس الدين فسار اليه والتقيا عند مدينة سمابا واقتتلا فانهمزم

الذر وعسكره واسر ثم قتل وذلك سنة ٦١٣ هـ
وكان محمود السيرة في ولايته كثير العدل وبموته انقرضت الدولة الغورية
والبقاء لله وحده

٤٦٠ - الدولة الايوبية بمصر والشام

(تمهيد) راس هذه الدولة صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي كان ابوه
ايوب وعمه شيركوه من قواد السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام .
وكانت الدولة الفاطمية بمصر قد ذهبت سطوتها وضاعت هيبتها وتحكم الوزراء فيها
على الخلفاء

فلما كانت سنة ٥٥٨ هـ ايام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بمصر قام وزيره
شاور السعدي وقتل الصالح بن رزيك الوزير قبله واستبد على الخليفة العاضد ثم
خاف عليه الضرغام احد القواد لتسعة اشهر من ولايته وغلبه واخرجه من القاهرة فلحق
بالشام وسار الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي واستنجد به على الضرغام وطالب
ان يعيد اليه وزارة مصر على ان يكون نائبه عليها ويدفع له ثلث خراجها
فاجاب نور الدين دعوته وارسل معه شيركوه (عم صلاح الدين) واعاده الى
منصبه ولكنه لم يلبث طويلاً حتى غدر ونكث عهده ولم يدفع لشيركوه شيئاً مما
قرره لنور الدين واستعان بالافرنج على اخراج شيركوه من مصر فعاد الى الشام
وفي نفسه من شاور غصة

ثم استطال الفرنج في مصر على شاور وملكوا بلبليس وقتلوا اهله وقصدوا
القاهرة فاحرق شاور مدينة القسطاط وارسل يستنجد نور الدين مرة اخرى فارسل
اليه شيركوه المذكور وارسل معه جماعة من الامراء منهم صلاح الدين يوسف بن
ايوب ابن اخي شيركوه وغيره

فلما قربوا من القاهرة صالح شاور الفرنج على الف الف دينار على ان يرحلوا

عن المدينة ودفع لهم منها مائة الف دينار مقدماً وطلب اليهم ان يرحلوا لكي يتمكن من جمع اقي مطلوبهم فرحلوا
اما شيركوه فمسكر خارج القاهرة وعزم شاوور على الفتك به بان يدعوه الى وايمة هو وقواد جيشه ويقتلهم لكن الفرص لم تمكنه من اتمام قصده
وفي لوقت نفسه كان صلاح الدين وجماعة من الامراء يتشاورون في الفتك بشاوور وشيركوه يمنهم عن قصدهم . فاتفق ان شاوور جاء الى معسكر شيركوه ليزوره كالمتاد فلم يجده بل وجد صلاح الدين وبعض الامراء فقام عليه صلاح الدين وقتله وارسل راسه الى العاضد فظهر البشر والسرور واستوزر مكانه شيركوه سنة ٥٦٤ هـ

ولم تطل مدة وزارة شيركوه فعاجلته المنية في ٢٢ جمادي الثانية من تلك السنة لشهرين وخمسة ايام من وزارته . فتولى الوزارة مكانه ابن اخيه يوسف صلاح الدين واقب الملك الصالح وكاد امره لا يتم لهياج العساكر السورية وعدم قبولها به لصغر سنه ولكنه تمكن بحسن سياسته من استرضائهم فارضخوا الى السكينة بعد ذلك الهياج

ثم قام عدو آخر لصلاح الدين هو مؤتمن الخلافة الخصي فخذثه نفسه بالقيام على صلاح الدين وخلعه وشاور بعض الامراء المصريين في ذلك فاستحسنوا رايه على ان يستعين بالفرنجة فمضى جاءوا وانشغل صلاح الدين بقتالهم ثروا هم بالقاهرة واتحدوا مع الفرنج على قتاله واخراجه من الديار المصرية

فقر رايهم على هذا الراي وارسل مؤتمن الخلافة كتاباً للفرنجة يستنجدهم ووضع الكتاب في نعل جديد وسلمه للرسول فسار مجتاً حتى اذا بلغ بلييس وجده احد اصحاب صلاح الدين فانكر حاله وقبض عليه واخذ النعل منه وشقه فوجد فيه الكتب فارسله والكتب الى صلاح الدين فعلم الحقيقة وامر اصحابه بقتل مؤتمن الخلافة اينما وجد فلم يخرج مؤتمن الخلافة من منزله مدة حتى اذا طال المدى ظن ان امره نسي فخرج الى منطرة له في بستان بناحية الخرقانية فقام عليه جماعة

من اصحاب صلاح الدين وقتلوه وهاج العسكر المصري على صلاح الدين لقتل مؤتمن الخلافة واقاموا على صلاح الدين حرباً عواناً كاد ينزيم فيها الا انه انتصر اخيراً وقتل من السودان مقللة عظيمة فعادت السكينة الى ما كانت عليه وهاب الاهلي صلاح الدين واستناب له الامر في مصر بلا منازع ولا معارض وصار صاحب الامر والنهي حتى لم يبق للخليفة العاضد الفاطمي الا الاسم فقط . فلاح لنور الدين صاحب الشام بقطع الخطبة العاضدية واقامة الخطبة العباسية بمصر وارسل اصالح الدين في المعنى فاحجم عن ذلك مدة خوفاً من المصريين حتي اذا كانت الجمعة الاولى من محرم سنة ٥٦٧ هـ قام فارسي يدعى امير عالم واخذ على عاتقه ان يباشر قطع الخطبة الفاطمية ويعيد الخطبة العباسية في مصر فسار الى اكبر جوامع القاهرة وصعد المنبر وخطب في الناس وصلى باسم الخليفة المستنصر بالله العباسي فلم يخلف عليه اثنان

فلما علم صلاح الدين بذلك امر ان يعاد ذلك في الجمعة القادمة في جميع جوامع القاهرة فكان كما امر ولم يعارض احد . اما الخليفة العاضد الفاطمي فكان في ذلك الوقت مريضاً فلم يخبره احد بما كان من قطع الخطبة له وعاجلته المنية بعد ذلك بايام قليلة فتوفي يوم ١١ محرم سنة ٥٦٧ هـ وقد تقدم ذكر ذلك اكثر وضوحاً في فصل (١٦٢)

٤٦١ - صلاح الدين يوسف بن ايوب

من سنة ٥٦٧ - ٥٨٩ هـ او من سنة ١١٧١ - ١١٩٣ م

ولما توفي الخليفة العاضد وضع صلاح الدين يده على القصر واستولى على كل ما وجد فيه من الجواهرات وكان شيئاً كثيراً يفوق الوصف وقبض على باقي العائلة الفاطمية واعثقلهم . وارسل الى نور الدين صاحب الشام يعلمه باتباع امره وقطع الخطبة العاضدية بمصر واقامة الخطبة العباسية ويعلمه ايضاً بموت

الماضد . فارسل نور الدين بشارة بهذين الخبـرين المسـرين الى الخليفة المستنضي بنور الله العباسي ببغداد فارسل هذا الى نور الدين سيفين علامة الملك على الشام ومصر وارسل الى صلاح الدين خلعاً والشعار العباسي الاسود . فصارت مصر من ذلك الوقت تحت سلطنة نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين نائب عنه فيها

وكان للفاطميين في مصر احزاب لم يرضوا بما كان الا ان صوتهم كان ضعيفاً جداً لم ينعقد سور المجتمعات التي كانوا يجتمعون فيها وذهب حشـم سـدى وطمع صلاح الدين منذ تولى وزارة مصر بالاستيلاء عليها واستخلاصها لنفسه فاجتهد في جذب الاحزاب اليه بكل وسيلة ممكنة حتى صارت ارض مصر في قبضة يده يديرها كيف شاء

واحس نور الدين بذلك فلرسل الى صلاح الدين يامره بالقدوم اليه في عساكره الى الكرك نجدة له على الفرنج (وذلك ليمتحنه) فظهر صلاح الدين الامتثال وسار نحوه ثم رجع نفثة بداعي حدوث ما يوجب الرجوع الى مصر فتحقق نور الدين ما سمعه عن صلاح الدين وعزم على قصد مصر لاجراخ صلاح الدين منها وعلم صلاح الدين ذلك فجمع عائلته وكبراء دولته وقال لهم « بلغنا ان نور الدين يقصدنا فما الراي » فقال عمر ابن اخيه « نقاتله ونقصده » فانكر ايوب ابوه ذلك وقال « انا ابوكم لورايت نور الدين لنزات وقبلت الارض بين يديه والراي عندي ان تكتب الى نور الدين كتاباً تقول فيه . بلغني انك تريد الحركة الى هذه البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل المولى نجاباً يضع في رقبي منديلاً وياخذني اليك وما ههنا من يمنة » ثم اخذ صلاح الدين في خلوة وقال له « لو قصدنا نور الدين انا كنت اول من يمنة ولكن اذا اظهرنا ذلك يترك نور الدين جميع ما هو فيه ويقصدنا ولا ندرى ما تكون الماقبة واذا اظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية عند الله » فاتبع صلاح الدين وصية ابيه وفعل كما قال

فلما وصات كتب صلاح الدين الى نور الدين سكن روعه وترك ما عزم عليه من قصد مصر وعاد الاهتمام بامر الصليبيين .
اما صلاح الدين فكان لا يزال خائفاً من نور الدين واتفق هو واهله وكبراء دولته على اخذ مملكة غير مصر حتى اذا هزمهم نور الدين عن مصر اتجأوا الى تلك المملكة فجهز صلاح الدين اخاه توران شاه الى اليمن فاستولى عليها واستقرت في ملك صلاح الدين

وعاد النفور والجفاء يتفاقم بين نور الدين وصلاح الدين حتى عزم نور الدين نهائياً على قصد مصر واخذها من صلاح الدين . وبينما هو يتجهز لذلك اتاه امر الله الذي لا مرد له فتوفي في دمشق في ٨ رمضان سنة ٥٦٩ هـ وقام بعده ابنه الملك الصالح وعمره احدي عشرة سنة وظهر صلاح الدين الطاعة له . واهضر سن الملك الصالح بن نور الدين اختلف عليه الامراء بالشام وقام كل منهم يطلب الرئاسة لنفسه . واتفق ان شمس الدين بن الداية المقيم بحلب ارسل يستدعي الملك الصالح بن نور الدين الى حلب ليكون مقامه بها فسار اليها واخذ معه سعد الدين كشتكين مديراً للملكة فلما تمكن كشتكين قبض على شمس الدين بن الداية وعلى غيره من اعيان حلب واستبد بتدبير الملك فخافه ابن المقدم الذي كان يدبر الملك في دمشق واتفق مع غيره من الامراء بدمشق وكتبوا صلاح الدين واستدعوه لملك عليهم فسار من مصر ولما بلغ دمشق التفاه عساكرها ونزل بدار والده ابوب المعروفة بدار العقيقي وعصت عليه القلعة وكل من فيها من العساكر فاستسلم صلاح الدين بالمال حتى سلموا اليه القلعة فصعد اليها صلاح الدين واخذ ما فيها من الاموال وبعد ان قرر امر دمشق استخلف فيها اخاه سيف الاسلام طغتكين وسار الى حمص فملكها وعصت عليه القلعة فترك حولها من يضيق عليها ورحل الى حماة فملكها وكان بقلعتها الامير عز الدين جرديك فامتنع في القلعة فارسل صلاح الدين يقول له « ان لا غرض له سوى حفظ البلاد للملك الصالح ابن نور الدين وانما هو نائبه ويريد ارسال جرديك في رسالة له الى حلب » وسار

جرديك بتلك الرسالة الى حلب واستخلف اخاه في قلعة حماة . فلما وصل جرديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه وعلم اخوه بذلك فسلم القلعة لصالح الدين . ثم سار صلاح الدين الى حلب سنة ٥٧٠ هـ وحصرها وبها الملك الصالح . فجمع الملك الصالح اهل حلب وقال لهم « قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبتكم لكم وسيرته فيكم وانا يتيكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه ياخذ بلدي ولا يراقب الله ولا الخلق » وقال من هذا كثيراً وبكى فابكى الناس واتفقوا على القتال دونه . فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن ولا يقدر على القرب من البلد فرحل عنه لنزول الفرنج على حصص فصار اليهم فرحل الفرنج عن حصص ودخلها صلاح الدين واستولى على قلعتها التي كانت عصت عليه اولاً . وسار الى بعلبك فملكها . وارسل الملك الصالح بن حلب الى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجد به على صلاح الدين فجهز جيشاً وارسله بقيادة اخيه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فوصل هذا الجيش الى حلب وانضم اليهم عسكر حلب وقصدوا صلاح الدين . فارسل هو يبذل حصص وحماة وان تقر بيده دمشق وان يكن فيها نائباً للملك الصالح فلم يجيبوه الى ذلك وساروا الى قتاله واقتلوا عند قرون حماة فانهزم عسكر الموصل وحلب وغنم عسكر صلاح الدين اموالهم وتبعوهم حتى حصروهم في حلب

وقطع حينئذ صلاح الدين خطبة الملك الصالح بن نور الدين وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة فراسلوه في الصلح على ان يكون له ما بيده من الشام وللملك الصالح ما بقي بيده منه فصالحهم على ذلك ورحل عن حلب في العشر الاول من شوال سنة ٥٧٠ هـ المذكورة ووصل الى حماة ووصلت اليه بها خلع الخليفة مع رسوله

وفي شهر شوال المذكور حاصر صلاح الدين قلعة بعين ونصب عليها المنجنيقات وادام قتالها فسلمها اليه واليها بالامان فلما ملكها عاد الى حماة فاقطعها خاله شهاب الدين واقطع حصص ناصر الدين ابن عمه شيركوه وسار منها الى دمشق

فدخلها او اخر شوال من السنة المذكورة

وفي سنة ٥٧١ هـ كانت وقعة بين صلاح الدين وسيف الدين غازي وكان مع سيف الدين صاحب حصن كيفا وصاحب ماردن وغيرها فانهم سيف الدين ومن معه مرعوبين واستولى صلاح الدين على اثقال عسكرهم وسار الى بزاغة فحصرها وتسلمها والى منبج فحصرها وملكها عنوة ثم سار الى قلعة عزاز وملكها ثم سار الى حلب وحصرها وبها الملك الصالح . فطلب اهل حلب الصلح فاجابهم صلاح الدين الى ذلك . ورحل عن حلب بعد ان اعاد قلعة عزاز الى الملك الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين اختاً له صغيرة طفلة فاکرمها صلاح الدين وقال لها « ما تريدین » قالت « اريد قلعه عزاز » وكانوا قد علموها ذلك فسلمها اليهم ورحل ثم عاد الى مصر بعد ان استقر له ملك الشام واستخلف عليه اخاه توران شاه فوصل مصر في ٢٠ المحرم سنة ٥٧٢ هـ

وكان صلاح الدين قد استخلف على مصر عندما سار الى الشام وزيره الامير بهاء الدين الاسدي الملقب بقراقوش وهو خصي فارسي فعهد اليه تدير الاحكام وامره ان يقيم البنايات اللازمة لرونق البلاد ومنعتها فانفذ بهاء الدين ما عهد اليه بغيره ونشاط . وكانت الجسور المفامة لتنظيم مجرى النيل عند الفيضان قد اهل شأنها من مدة فالتف النيل بسبب ذلك كثيراً من البلاد والاراضي لانه اذا زاد اغرق واذا نقص اشرق فوجه بهاء الدين التفاته الى هذا الامر الذي يعد حياة مصر وحفر الترع واقام الجسور والسدود فانتظمت الزراعة

فلما رجع صلاح الدين امر بهاء الدين ببناء قلعة الجبل وترميم سور القاهرة ففعل بهاء الدين ما امر به وشاد عند الطرف الشمالي من جبل المقطم قلعة منيعة لارهاب الاهالي اذا حاولوا العصيان وجعل فيها قصرًا لبلاط صلاح الدين . وكان في ذلك المكان بناء قديم من عمل الدولة الطولونية يعرف بقصر الهوى فهدمه واقام القلعة على انقاضه واتى بجدارتها من خرائب منف والاهرام وغيرها فجاءت قلعة منيعة الجانب تشرف على كل المدينة ولا تزال باقية لهذا العهد وتعرف

بقلمة القاهرة

وجعل بهاء الدين في القلمة بئراً نقرأ في الصغر عميقاً جداً ولا يزال البئر والقصر الآن يعرفان باسمه يدعى البئر بئر يوسف ويظن بعض العامة انها سميت هكذا نسبة الى يوسف الصديق بن يعقوب والصحيح انها نسبة الى يوسف صلاح الدين واتهم الاهالي بهاء الدين بالظلم والاستبداد واقتبوه (بقراقوش) اي الطير الاسود وهو العقاب . ونسبوا اليه احكاماً يبعد صدورها منه لان صلاح الدين كان معتمداً في احوال المملكة عليه ولولا وثوقه بمعرفته وكفاءته لم يفوضها اليه . وكان بهاء الدين رجلاً مسعوداً وصاحب همة عالية

ولما عاد صلاح الدين من الشام الى مصر غزا الفرنج بعض الاعمال في ناحية انطاكية . وعلم صلاح الدين بتوجيه عساكرهم الى تلك الناحية فاغتنم الفرصة ليستطو عليهم في فلسطين فخرج من مصر سنة ٥٧٣ هـ وسار الى ساحل الشام ووصل الى عسقلان فنهب وتفرق عسكره في الاغارة والغنيمة في السهول فاحرقوا الرملة وخرّبوا عمل الدنانير وانهزم الاهلون امامهم وعظم رعبهم

فلما علم بذلك ملك اورشليم قصده في عسكر الافرنج وقاتله فانهزم صلاح الدين ومن معه وغنم الافرنج ما كان في معسكرهم وعاد المصريون مدحورين وفي سنة ٥٧٥ هـ سار صلاح الدين الى الشام وفتح حصناً كان الفرنج قد بنوه عند مخاضة الاحران بالقرب من بانياس ودكه الى الارض وعاد ظافراً

وفي سنة ٥٧٨ هـ سار صلاح الدين من مصر الى الشام ومن عجيب الاتفاق انه لما برز من القاهرة وخرج الاعيان لوداعه وكان كل منهم يقول شيئاً في الوداع وفراقه انشده معلم بعض اولاده قول الشاعر

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

فتطير صلاح الدين وانقبض بعد انبساطه لان ذلك شعر بانه لا يعود الي

مصر وكان كذلك مع طول مدة حياته

والسبب في هذه الحملة على سورية ان الملك الصالح بن نور الدين كان قد

توفي واستخلف عز الدين ملك الموصل فنقض هذا الماهدة التي كانت بين صلاح الدين والملك الصالح واستنجد الافرنج على الاستيلاء على بلاد صلاح الدين بالشام . فاسرع صلاح الدين الى سورية فجاء حلب وحصرها فسلمت اليه ثم استولى على الرها وربة ونصيبين وسروج والخابور وسنجار وحران وحاصر الموصل ولما رأى حصارها يطول سار عنها الى آمد واستولى عليها بعد حصار وقتال شديدين ثم عاد الى دمشق ظافراً منصوراً . وقوي امر صلاح الدين وذاع صيته وصار الملك المطلق في مصر والشام والجزيرة واليمن ولا يوجد من يخالفه الا الصليبيين وهم محصورون في وسط املاكه

وكانت شوكة الافرنج قد ضعفت وهيبتهم قد زالت لتوالي الفتن وحب الرئاسة بينهم حتى تمكن صلاح الدين من الانتصار عليهم والاستيلاء على بيت المقدس وغيره من المدن التي بأيديهم كما سترأه ان شاء الله

وكافي بالفرنج قد علموا بضعفهم فهادنوا صلاح الدين الى اجل مسمى ولكن لعدم انقياد بعضهم لاوامر البعض الآخر لم يراع المدعو رانود دي شاتيليون والى الكرك شروط الهدنة وهجم في سنة ٥٨٣ هـ على قافلة المسلمين وغنمها واسر رجالها

وعلم صلاح الدين بذلك فارسل اليه ان يرد امرى المسلمين ويعطيهم ما اخذه منهم احتراماً لشروط الهدنة فابى وتكبر . فاغتاز صلاح الدين جدّاً واقسم ان يبيد النصارى واعلن انتقاض الهدنة واستنفر المسلمين للجهاد . ولما جمع السلطان صلاح الدين العسكر اغار على الكرك وضايقها وارسل فرقة اخرى مع ولده الملك الافضل فاغاروا على عكا ونواحيها وغنموا شيئاً كثيراً

ثم تقدم السلطان صلاح الدين ونزل على طبرية وحصرها وفتحها عنوة وتاخرت القلعة وكانت اريموند كونت طرابلس وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته فارسل اليه الفرنج ينهونه عن موافقة السلطان ويونحنونه فصار معهم . واجتمع الفرنج المنفى السلطان فركب صلاح الدين من طبرية والتقى الجمعان في

حطين (اليها تنسب هذه الوقعة) ودارت بينهم رحى الحرب وحمي وطيسها واشتد الامر على الافرنج من الحر والعطش واحرق المسلمون بهم احداق السوار بالمعصم فقاتلوا مستميتين الى ان تمت الهزيمة عليهم بمد ان قتل اكثر فرسانهم واسر الملك جعفري ملك اورشليم ورانود صاحب الكرك وغيرها من الامراء فلما انقضى المصاف جالس السلطان في خيمته واجلس جعفري ملك الفرنج الى جانبه وكان الحر شديدا فسقاء ماء مثلوجا فشرب ثم اعطى رانود صاحب الكرك فشرب . فقال السلطان للترجمان قل للملك « انت الذي سقيت هذا الملعون اما انا فما سقيته » لان العرب من عاداتهم اذا اكل الاسير عندهم أو شرب صار امنا فقصده السلطان بقوله هذا ان الملك جعفري امن اما رانود فلا

وكان السلطان في غاية الخلق على رانود لاسره المسلمين اثناء الهدنة كما تقدم فقام وضرب عنقه بنفسه . فارتعدت فرائص الملك جعفري عند ذلك فسكن السلطان جاشه . ثم عاد الى طبرية وفتح قلعتها بالامان ثم سار السلطان الى عكا فآظروا اهل الامتناع اولاً ثم طلبوا الامان فخيرهم صلاح الدين بين الإقامة او الخروج فخرجوا منها واخذوا كل ما قدروا على اخذه من اموالهم وتركوا الباقي فغنمه المسلمون وكان شيئاً يفوق الاحصاء . وفي مدة اقامة السلطان بمكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والغولة وغيرها من البلاد المجاورة لمكا فملكوها ونهبوها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها

ثم ارسل السلطان عسكراً الى نابلس فآتي سبسطية (السامرة) وبها قبر زكريا فاخذه من ايدي النصارى وسلمه للمسلمين ووصل الى نابلس فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من بها بالامان وتسلم القلعة

ثم سار صلاح الدين بنفسه الى تبين لان اهلها امتنعوا على عسكره فحاصرها وضايقها فاطلق اهلها الاسرى المسلمين الذين عندهم فلم يرض السلطان ان يتركهم

على ذلك بل ضايقهم حتى ارغموا الى طلب الامان فامنهم ووفى لهم . وسار الى صيدا واجتاز في طريقه الى صر فند فاخذها بلا قتال
ولما سمع صاحب صيدا بمسيره نحوه رحل عنها وتركها خاوية فتسلمها صلاح الدين ساعة وصوله اليها وسار عنها من يومه الى بيروت فامتنع اهلها وقتلوا صلاح الدين قتلاً شديداً وما زالوا يقتلون حتى سمعوا من البلد جلبة عظيمة وهياج زائد واتاهم من اخبرهم ان المسلمين دخلوا المدينة من جهة اخرى فارسلوا ينظرون ما الخبر فلم يجدوا صحة لهذا الخبر لكنهم لم يتمكنوا من تسكين هياج الناس وخوفهم فخافوا على انفسهم من عاقبة هذا الاختلاف الواقع فارسلوا الى صلاح الدين يطلبون الامان فامنهم على نفوسهم واموالهم وتسلم المدينة بعد حصار ثمانية ايام ثم ارسل سرية من رجاله الى جبيل من اعمال لبنان فاستلمتها

وكان صلاح الدين لما هزم الافرنج بطبرية ارسل يبشر اخاه العادل بمصر ويأمره بالمسير الى بلاد الفرنج من جهة مصر فتسارع الى ذلك ونازل حصن مجدل وحصره وغنم ما فيه وسار منه الى مدينة يافا فحصرها وملكها عنوة ونهبها وقتل رجالها واسر نساءها ومثل باهلها تمثيلاً شنيعاً لم يسمع بمثله

وكان صلاح الدين يهتم كثيراً جداً لفتح عسقلان وبيت المقدس لانه اذا اخذها لم يبق للافرنج ملجأ . فسار قاصداً عسقلان وفتح في طريقه عدة اماكن كالرملة والدارون ولما وصل الى عسقلان حصرها ونصب عليها المنجنيقات وقتلها قتلاً شديداً حتى تسلمها . ثم بعث سرية من عسكره الى غزة وبيت جبريل والبترون فاخذوها بغير قتال

ولما استولى صلاح الدين على كل ما تقدم ذكره من البلاد لم يعديهم بشيء سوى فتح بيت المقدس فجمع جنده وسار قاصداً بيت المقدس فوصله في ١٥ رجب سنة ٥٨٣ هـ . وكان الافرنج قد علموا بقصد صلاح الدين فجمعوا فرسانهم وكل من نجح منهم في الوقائع السابقة وحصنوا بيت المقدس على قدر ما في امكانهم . ولكنهم كانوا عبيكاً يحاولون رد القضاء النازل عليهم . اما صلاح الدين فلما وصل الى بيت

المقدس نزل في الجانب الغربي منه ثم رأى ذلك المكان حصيناً ومشحوناً من الحياطة فانتقل الى الجانب الشمالي في ٢٠ رجب سنة ٥٨٣ هـ المذكورة وهناك نصب المنجنيقات وضيق على المدينة تضيقاً شديداً

فلما رأى الفرنج ان المدينة لا بد ماخوذة ارسلوا الى صلاح الدين يطلبون الامان . فامتنع صلاح الدين من اجابتهم وقال « لا افعل بكم الا كما فعلتم باهل هذا البلد حين ملكتموه »

ولما رجع الرسول بالحياة خرج الى صلاح الدين باليسان بن بيرزان وقابل صلاح الدين ورغبه في الامان فلم يجبه واستعطفه فلم يعطف واسترحمه فلم يرحمه . فلما يئس من كل ذلك قال له « ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة خلق كثير وانما يفرون عن القتال رجاء انك تجيبهم الى الامان وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا راينا الموت لا بد منه فوالله لنقتلن اولادنا ونساءنا ونحرق اموالنا وامتنعنا ولا نترككم تغتمون منا ديناراً واحداً ولا تسبون وتأسرون رجلاً ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخرجنا النصفرة والمسجد الاقصى وغيرها من المواضع ثم نقفل من عندنا من اسرى المسلمين وهم خمسة آلاف اسير ولا نترك لنا دابة ولا حيواناً الا قتلناه ثم نخرج اليكم مقاتلين قتال من يحمي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله ونموت اعزاء او نظفر كراماً »

ففكر صلاح الدين ملياً واستشار اصحابه فقرر رايهم على بذل الامان لاهل بيت المقدس فامنوهم وتسلموه . فعاد بيت المقدس الى المسلمين كما كان قبل قدوم الصليبيين

ومدح الشعراء صلاح الدين بعد هذا الفتح المبين فمن ذلك ما قاله عبدالرحمن ابن بدر في قصيدته التي يقول في مطلعها :

هذا الذي كانت الايام تنتظر فليوف الله اقوام بما نذروا
وهي طويلة تزيد على مائة بيت

وبعد فتح بيت المقدس سار صلاح الدين لفتح صور فجاء عكا ونزل فيها

ونظر في امورها ثم سار عنها الى صور في يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٥٨٣ هـ فنزل قريباً منها وحصرها براً واستقدم اسطوله من مصر لحصارها بجراً . ثم ارسل من حاصر هونين فسلمت . اما الصوريون فارسلوا اسطولهم الى اسطول المسلمين فاسروا منه خمس قطع وقتلوا كثيرين من المسلمين فعظم ذلك على صلاح الدين وضاق صدره . وكان الشتاء قد هجم وتراكت الامطار فاستشار اصحابه ففضلوا الرجوع عن صور وابقاء امرها لما بعد الشتاء فافرجوا عنها وساروا الى عكا

وفي سنة ٥٨٤ هـ سار صلاح الدين من عكا الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها وكان يظن انه يسهل عليه الاستيلاء عليها فلما رآها منيعة ينعذر الوصول اليها سار الى دمشق وترك اخاه العادل ليستدب حصارها وحصار قلعة صفد والكرك . فنازل العادل الكرك وضيق عليها حتى عدم اهلها القوت واكلوا دوابهم فطلبوا الامان فامنهم وتسلم القلعة وما يجاورها كالثوبك وغيرها

وفي جمادي الاولى من السنة ففتح صلاح الدين ومن انضم اليه من امراء المسلمين مدن ترسون وجبله . وفتح صهيون في جمادي الاخرة ثم سير عدة من رجاله استولوا على عدة قرى كبلاطس وغيرها ثم اتي بكاس وهي قلعة حصينة على نهر العاصي ففتحها عنوة وهدم قلعتها ومنها سار الى قلعة برزنة الشهيرة ففتحها وفتح غيرها من القلاع

وفي شعبان من السنة ارسل اهل انطاكية يطلبون الصالح فصالحهم وفي اوائل رمضان سار يريد صفد فخارها واستولى عليها بالامان . وفيه سلمت الكرك ايضاً

ولما ضعف امر الصليبيين بالشام الى هذا الحد ذهب المخرضون الى اوربا منادين بحروب صليبية ومستحثين الافرنج لاسترجاع ما اخذ من اخواتهم بالشام . فلبت اوربا دعوتهم وسارت هذه التجريدة الثالثة الى الشام بقيادة ريشارد الملقب بقلب الاسد ملك انكلترا وفيليب ملك فرانسا وفردريك ملك المانيا وسار بعضهم

بحراً وبعضهم برّاً الى الاراضي المقدسة فنزلوا على عكا سنة ٥٨٥ هـ وحاصروها برّاً وبحراً ولم يبق للمسلمين اليها طريق فصار اليهم صلاح الدين وقاتلهم وحمل تقي الدين عمر صاحب حماة من مينة السلطان عليهم فازالهم عن موقعهم والنزق بالسور وانفتح الطريق الى المدينة فادخل صلاح الدين عسكرياً اليها نجدة . وبقيت الحرب سجّالاً ثم صافوا السلطان وحملوا على قلب جيش المسلمين فازالوه واخذوا يقتلون في المسلمين الى ان بلغوا خيمة السلطان فقاتلهم السلطان حتى قتل منهم نحو العشرة الاف وانهزم بعض المسلمين ووصل بعضهم الى طبرية وبعضهم الى دمشق

وحصل للسلطان قولنج فاشار عليه الاطباء بالانتقال من ذلك المخل فرحل عن عكا الى الخروبة فتمكن الافرنج من حصر المدينة ثانية وانبسطوا في تلك الارض وحصنوا مواقعهم واصطنعوا ثلاثة ابراج من خشب . ولما انقضى الشتاء عاد صلاح الدين من الخروبة وعادت نار الحرب تتاجج فاحرق المسلمون الابراج المذكورة وبعد مغالبات كثيرة بين المسلمين والفرنج ارتاع المسلمون وضايقهم الافرنج واصاب صلاح الدين مرض اعجزه عن ان يشهد الحرب مع جنوده فطلب المسلمون الامان فاجابهم الافرنج اليه . وتسلم الفرنج عكا في ١٣ يوليو سنة ١١٩١ م بعد حصارها نحو سنتين .

وبعد ان استقر الافرنج بعكا ساروا قاصدين يافا فبعد ان عبروا غابة ارسوف وجدوا في الصحراء هناك ٢٠٠ الف مقاتل من المسلمين فدارت رحى الحرب وحمي وطيسها وكان ريشارد ملك انكلترا وبطل الصليبيين يتسارع الى حيث يجد حاجة اليه فانهمزم المسلمون هزيمة شنعاء وتقدم الفرنج الى يافا واستولوا عليها . وبعد ان جددوا اسوارها عزموا على قصد بيت المقدس فردهم صلاح الدين على اعقابهم . فشرعوا في تحصين القلاع التي في ايديهم مثل عسقلان ويافا وغيرها على عزم قصد بيت المقدس بعد الفراغ من ذلك وفي هذه الاثناء وصلت الاخبار الى ريشارد ملك انكلترا بان

اخاه يوحنا يغدر به ويريد اخذ ملكه فعزم على الرجوع الى بلاده . ولكنه صعب عليه ان يترك الشام على هذه الحال فعقد مع صلاح الدين هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر تكون في خلالها ابواب بيت المقدس مفتوحة للزائرين من النصارى يدخلونه بلا صلاح

وبعد ان قرر ريشارد الهدنة اقام على فتوحاته في فلسطين ابن اخيه هنري كونت شمبانيا ملكاً ثم عاد الى بلاده

اما صلاح الدين فبعد ان عقد الهدنة مع الفرنج عزم ان يغزو اسيا الصغرى وياخذ ما فيها للمسلمين ولملك الروم ويفتح القسطنطينية ويتطرق الى الفرنج في بلادهم الا انه ليس كل ما يفتنى المرء يدركه . فانه خرج الى شرقي دمشق متصيداً وغاب خمسة عشر يوماً وعاد ثم خرج للمتنى الحجاج ورجع بين البساتين الى القلعة فكانت هذه آخر ركباته فقد اصابته حمى واخذ المرض في التزايد وقصده الاطباء فلم تنجع به ادواؤهم وغشي الناس من الحزن والبكاء عليه بما لم يسمع بمثله وتوفي ليلة ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ ودفن في قلعة دمشق وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وبنتاً واحدة ولم يخلف صلاح الدين سيف خزانة غير سبعة واربعين درهماً وهذا دليل قاطع على فرط كرمه . وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وكان طاهر المجلس لا يذكر احد في مجلسه الا بالخير

ولما توفي صلاح الدين كان معه بدمشق ابنه الافضل نور الدين فملك دمشق والساحل وبلبك وصرخد وبهرى وبانياس وشوش وجميع الاعمال الى الداروم وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولى عليها . وكان يجلب ابنه الظاهر غازي فاستولى عليها وعلى اعمالها مثل حازم وتل باشر وعزاز وبرزية وغيرها واطاعه صاحب حماة ناصر الدين محمد بن نقي الدين عمر بن شيركوه وله مع حماة سلمية والمعة ومنبج . وكان بمحمص شيركوه بن محمد قاطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بن أيوب بالكرك فامتنع فيه ولم يبايع لاحد من ولد اخيه فارسل

اليه الملك الافضل وهدده ان لم يحضر لدمشق ويباع له ففعل . وبهذه الكيفية انقسمت الدولة الايوبية الى ثلاث دول مصر وهي للعزیز . ودمشق وهي للافضل . وحلب وهي للظاهر .

ولأن صاحب مصر في اغلب الاحيان كانت له السيادة على باقي الملوك . فسادكر ما يلي من الفصول تحت اسم الملوك الذين تولوا على مصر مع اهم حوادث باقي الممالك الايوبية في غير مصر حسب تاريخ وقوعها وبالله التوفيق



ش (١) نقود صلاح الدين

٤٦٢ - العزيز بن يوسف

من سنة ٥٨٩ - ٥٩٥ هـ او من سنة ١١٩٣ - ١١٩٨ م

وعلى ما تقدم اسنقر العزيز بن يوسف بمصر والافضل بدمشق والظاهر بحلب . وكان للدولة الايوبية اعداء الداء لم يظهروا ايام صلاح الدين لخوفهم منه وعجزهم عن مقاومته . فلما توفي انفتح باب للساجلة . ومن هؤلاء الاعداء عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فانه لما سمع بوفاة صلاح الدين عزم على قصد ديار الجزيرة مثل حران والرها وغيرها ليسترجعها لكنه لم يتم له ماتمني لان المرض اصابه في طريقه ورجع الى الموصل فمات في رجب من السنة

وكان مع العزيز بمصر موالى ابيه وهم منحرفون عن طاعة الافضل فخوفوا العزيز منه واغروه بانتزاع دمشق من يده فسار لذلك سنة ٥٩٠ هـ وحصر اخاه الافضل بدمشق . فارسل الافضل يستنجد عمه العادل واخاه الظاهر صاحب حلب وابن عمه المنصور صاحب حماة فساروا الى دمشق واصلحوا بين الاخوين ورجع العزيز الى مصر ورجع كل ملك الى بلده

وفي سنة ٥٩١ هـ عاود الملك العزيز قصد الشام ومنازلة اخيه الملك الافضل فسار نحو دمشق فاضطرب عليه بعض عسكره وفارقوه فعاد الى مصر بمن بقي معه . وكان الملك الافضل قد استنجد عمه الملك العادل . فلما رحل اخوه العزيز الى مصر تبعه الملك الافضل والملك العادل ومن انضم اليهما طالبين مصر فساروا حتى نزلوا على بليس وقد ترك العزيز فيها جماعة من الصلاحية فقصد الملك الافضل مناجرتهم بالقتال فمنعه عمه الملك العادل وقصد الافضل المسير الى مصر والاستيلاء عليها فمنعه عمه العادل ايضاً وقال «مصر لك متى شئت» وكاتب العزيز بالباطن وامره بارسال القاضي الفاضل ليصلح بين الاخوين فاصلح بينها واقام الملك العادل عند العزيز بمصر وعاد الافضل الى دمشق

وفي سنة ٥٩٢ هـ اتفق العزيز والعادل على قصد دمشق واخذها من الافضل وتسايحها للعادل فثم لها ذلك وسار الافضل الى قلعة صرخد .

وفي سنة ٥٩٣ هـ ملك العادل يافا من الافرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين وفي سنة ٥٩٥ هـ توفي الملك العزيز صاحب مصر بعد ان ملك ست سنين الاشهر

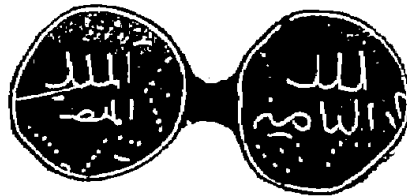


ش (٢) نقود العزيز بن صلاح الدين

٤٦٣ - المنصور به العزيز

من سنة ٥٩٥ - ٥٩٦ هـ او من سنة ١١٩٨ - ١٢٠٠ م

ولما توفي العزيز بن يوسف تولى بعده ابنه ناصر الدين محمد ولقب الملك المنصور ولانه كان صغيراً لم يتجاوز الثامنة من عمره استدعى ارباب الدولة بمصر عمه الملك الافضل ليكن وصياً عليه . فارسلوا اليه بصرخد فجاء الى مصر مخفياً خوفاً من عمه العادل فلما وصلها نودي به اتابكاً على ابن اخيه الملك المنصور . فلما استقر قدمه بمصر ارسل اليه اخوه الظاهر صاحب حلب و اشار عليه ان يقصد دمشق وباخذها من عمه الملك العادل فسار الملك الافضل الى دمشق وبلغ الملك العادل مسيره وهو محاصر ماردين فسار الى دمشق ووصل اليها قبل الملك الافضل ثم وصل الافضل الى دمشق وزحف اليها وجرى بينهما قتال وانجد الملك الظاهر اخاه الافضل فضاقت الامر على العادل حتى كاد يسلم المدينة فحصل بين الاخوين الافضل والظاهر خلاف ادى الى ترك حصار دمشق وعاد الملك الافضل الى مصر والظاهر الى حلب وفي سنة ٥٩٦ هـ خرج الملك العادل من دمشق وسار في اثر الافضل الى مصر ولما وصل الافضل اليها تفرقت عساكره فادركه عمه العادل فخرج الافضل بن بقي عنده من العسكر وضرب معه مصافاً بالسائح فانكسر عسكر الافضل وانهمزم هو الى القاهرة . ونازل العادل القاهرة فاجاب الافضل الى تسليمها على ان يعوض عنها ميفارقين وحاني وسميساط فاجابه العادل الى ذلك ولم يف له به ودخل العادل القاهرة في ٢١ ربيع الآخر من السنة . وسافر الافضل الى صرخد



ش (٢) تقود المنصور بن العزيز

٤٦٤ - العادل بهه ايوب

من سنة ٥٩٦ هـ - ٦١٥ هـ او من سنة ١٢٠٠ - ١٢١٨ م

دخل العادل القاهرة على انه اتايك الملك المنصور محمد بن العزيز ولكنه خلعه بعد مدة يسيرة واستقل بالملك . ولما علم الملك الافضل والملك الظاهر باستقلال عمهما الملك العادل بمصر وقطع خطبة ابن اخيهما خافا من عمهما واتحدا معاً على اخذ بلاده على ان تكون دمشق للملك الظاهر ومصر للملك الافضل . وعلى هذا الاتفاق سارا بجيوشهما الى دمشق وبها المعظم بن العادل فحاصرها وضيقا عليها . وسار العادل بعساكره من مصر لهنهما فلم يجسر على التقدم اليهما . ولم يكن الا قليلاً على فتح دمشق حتي اختلف الاخوان وطمع كل منهما في الملك دون الآخر ففترقت جموعهما وعاد الظاهر الى حلب . فتقدم حينئذ العادل ودخل دمشق ثم سار منها الى حماة قاصداً اخذ حلب فعلم الظاهر بقدمه فارسل الى عمه العادل يطلب الامان على ان يخطب له في حلب ويكون نائبه فيها . فاجابه الى ذلك وبذلك توحدت الدولة الايوبية مرة اخرى وصارت مملكة واحدة تحت تصرف الملك العادل

وفي سنة ٥٩٩ هـ سار الملك المنصور صاحب حماة الي بعين مرابطاً للافرنج وكتب الملك العادل الى صاحب بعلبك وصاحب حمص ان يجداه واجتمع الافرنج من حصن الاكراد وطرابلس وغيرهما وقصدرا الملك المنصور ببعين وبعد قتال شديد انهزم الافرنج هزيمة شنيعة واسر المسلمون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً

وفي سنة ٦٠٠ هـ وصل كثير من الفرنج يجرأ وارسوا بعكا قاصدين بيت المقدس ثم ساروا ونهبوا كثيراً من بلاد المسلمين بنواحي الاردن وسبوا وقتلوا المسلمين فخرج الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور بالقرب من عكا في قبالة الفرنج ودام ذلك الى آخر السنة

وفي سنة ٦٠١ هـ كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج وسلم اليهم بافا والناصره وغيرها ونصف اللد والرملة . ولما استقرت الهدنة سار الملك العادل الى مصر فاغار الفرنج على حماة فامتلأت ايديهم من المكاسب ثم هادن صاحب حماة الفرنج وفي سنة ٦٠٣ هـ سار الملك العادل من مصر الى الشام فنزل في طريقه عكا

فصالحه اهلها على اطلاق جمع من الاسرى ثم وصل الى دمشق وكان الافرنج الذين بطرابلس وحصن الاكراد قد اكثروا الاغارة على حمص ولم يقدر صاحبها أسد الدين شيركوه على دفعهم فاستنجد الظاهر صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده الا الظاهر فانه سير له عسكرياً اقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته الى ان سار الملك العادل من دمشق ونزل على بحيرة قدس وجاءته الامداد من الشرق وديار الجزيرة ودخل بلاد طرابلس وحاصر موضعاً اسمه القليعات واخذه صلحاً واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخبره وتقدم الى طرابلس فنهب وأحرق وسبي وغنم وعاث عسكرياً في بلادها وقطع قنايتها وعاد الى بحيرة قدس وترددت الرسل بينه وبين الفرنج فلم تستقر قاعدة ودخل الشتاء وطلبت العساكر الشرقية العود الى بلادها فنزلت طائفة من العسكر بحمص وعاد الملك العادل الى دمشق فشتى بها

وفي سنة ٦٠٦ هـ سار الملك العادل من دمشق وقطع الفرات وجمع العساكر والملوك ونزل حران وسار منها فنازل سنجار وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود وحاصرها وطال الحصار ثم خامرت العساكر التي صحبت الملك العادل ونقض الملك الظاهر صاحب حلب الصلح مع عمه العادل فرحل الملك العادل عن سنجار وعاد الى حران واستولى على نصيبين وكانت لقطب الدين وعاد الى دمشق ثم الى مصر

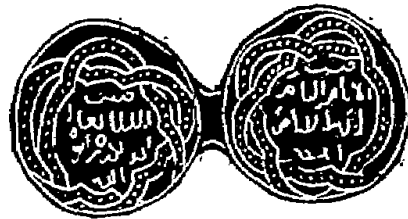
وفي سنة ٦١٣ هـ توفي الملك الظاهر صاحب حلب بعد ان عهد بالولاية من بعده لابنه الاصغر الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور محمد بن عبد العزيز وحالف الامراء والاكابر على ذلك وكانت مدة ملكه بحلب من حين وهبها ابوه له ٣١ سنة

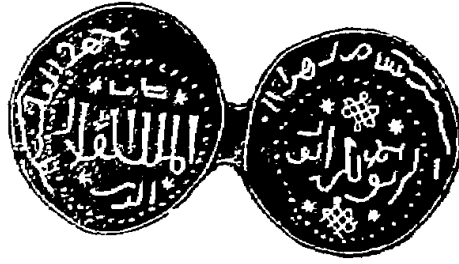
وفي سنة ٦١٤ هـ وصل امداد الافرنج الى عكا وكان العادل بمصر فسار الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى لد وقصده الافرنج من عكا فسار هو الى نابلس فسبقه الافرنج اليها فنزل على بيسان فتقدم الفرنج اليه وكان عسكره قليلاً فلم ير ان يلقاهم فيمن معه خوفاً من هزيمة تكون عليه ففارق بيسان وسار الى دمشق ليجمع العساكر وتقدم الفرنج الى بيسان فاخذوا كل ما فيها ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس ثم رجعوا الى عكا بعد ان غنموا شيئاً كثيراً ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الى عكا ثم نازلوا قلعة الطور (على رأس جبل بالقرب

من عكا) وكادوا يملكونها فقتل بعض امراءهم فتركوا القلعة وعادوا الى عكا .
فتوجه الملك المعظم بن العادل ودك قلعة الطور الى الارض لانها بالقرب من عكا
ويتمندر حفظها

اما الافرنج فاقاموا بمكا الى سنة ٦١٥ هـ وساروا في البحر الى دمياط وارسوا
بسواحلها في صفر والنيل بينهم وبينها وكان على النيل برج حصين تمر منه الى سور
دمياط سلاسل من الحديد محكمة تمنع السفن من البحر المسالخ ان تصعد الى النيل
فلما نزل الفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سوراً بينهم وبين الخندق
وشرعوا في حصار دمياط . وبعث العادل الى ابنه الكامل بمصر ان يخرج في
العساكر ويقف قبالتهم ففعل وخرج من مصر في عساكر المسلمين فنزل قريباً
من دمياط بالعادلية . والح الافرنج على قتال ذلك البرج اربعة اشهر حتى ملكوه
ووجدوا السبيل الى دخول النيل ليتمكنوا من النزول على دمياط . فبنى
الكامل عوض السلاسل جسراً عظيماً يمانع الداخلين الى النيل فقاتلوا عليه
قتالاً شديداً حتى قطعوه فامر الكامل بمراكب مملوءة حجارة وخرقوها وغرقوها
وراء الجسر تمنع المراكب من الدخول الى النيل فحول الافرنج مجرى النيل واصعدوا
مراكبهم اليه

واشتد خوف العادل من نزول الفرنج على دمياط فرحل من مرج الصفر
الى طالقين فنزل به المرض ومات في جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هـ . وكان قد قسم
البلاد في حياته بين بنيه فمصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما اليها
للمعظم عيسى . وخلاط وما اليها وبلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين
للاشرف موسى والرها وميافارقين لشهاب الدين غازي وقلعة جعبر للخضر ارسلان
شاه . فلما توفي استقل كل منهم بعماله ونجزأت الدولة مرة ثانية





ش (٤) نقود العادل بن ايوب

٤٦٥ - الطامل بهر العادل

من سنة ٦١٥ - ٦٣٥ هـ او من سنة ١٢١٨ - ١٢٣٨ م

توفي العادل والفرنج محاصرون دمياط وعلم الناس بذلك فازداد الفرنج قوة والمسلمون وهنا وقام الامير عماد الدين بن المشطوب الكردي وهيج الامراء والعسكر بعدم قبول الكامل سلطاناً عليهم مكان ابيه وتمايك اخيه الملك الفائز وبلغ الخبر الملك الكامل ففارق موقفه مقابل الفرنج ليلاً وسار مسرعاً الى قرية اشمون طناح واصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فتركوا خيامهم وذخائرهم واموالهم ولحقوا بالكامل . فعبر الفرنج حينئذ الى النيل آمنين بغير منازع الى بر دمياط فغتموا ما في معسكر المسلمين واحاطوا بدمياط وضيقوا عليها برّاً وبحراً واشتد القتال على الدمياطيين وتعدت عليهم الاقوات فسلموا البلد الى الافرنج

وفي هذه الاثناء وصل الملك المعظم عيسى بن العادل الديار المصرية نجدة لاختيه الكامل فاشتد قلب الكامل وقوي ظهره واتحد هو واخوه واخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتصل بالملك الاشرف صاحب ديار الجزيرة وصار من جنده

اما الفرنج فلما ملكوا دمياط اقاموا بها وبشوا سراياهم في ما جاورها من البلاد

وشرعوا في تحصينها . وسمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط فاقبلوا من كل فج
اليها يهرعون

وعاد الملك المعظم الى الشام فحرب اسوار البيت المقدس خوفاً من ان ياخذه
الفرنج فلا ينفعهم اخذه

اما الملك الكامل فلما علم بفتح دمياط رحل حتى نزل قبالة طلخا على رأس
بحر اشموم ورأس بحر دمياط لينع الفرنج من التقدم الى داخلية البلاد واقام
معسكراً في محلة المنزلة وامر بتحصين المعسكر فامر ببناء الدور والفنادق والحمامات
والاسواق . وصارت هذه المدينة تدعى بعد ذلك الحين بالمنصورة اشارة الى
انتصاره على الصليبيين هناك . وكتب الى اخويه المعظم في دمشق والاشرف في
الجزيرة يستنجدهما ويحثهما على الحضور بأنفسهما . وكان الملك الاشرف مشغولاً
عن نجدة بما دهمه من اختلاف الكلمة عليه ولما استقامت له الامور سار هو
واخوه صاحب دمشق سنة ٦١٨ هـ الى مصر . وكان الفرنج قد تركوا دمياط
وقصدوا الملك الكامل ونزلوا قبالاته وبينهما بحر اشمون ووقدوا الحرب عليه .
وسمع الملك الكامل بدنو اخيه الملك الاشرف فلقية واستبشر هو والمسلمون
بقدومه . واما الملك المعظم فقصد دمياط لينع الفرنج من الرجوع اليها . وزحف
الكامل والاشرف الى الفرنج واشتد القتال وغنم المسلمون ثلاث قطع من مراكبهم
من فيها من الرجال فقويت نفوس المسلمين . ثم ترددت الرسل بين الفريقين
بتقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون للفرنج تسليم بيت المقدس وعسقلان وطبرية
وجبله وصيدا واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين الاكرك على ان يسلمهم
الفرنج دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضاً عن تخريب اسوار البيت
المقدس ليعمره بها فلم يتم بينهم امر وعادوا الى القتال وقطع المسلمون النيل فركب
الماء اكثر الارض التي عليها الفرنج ولم يبق لهم جهة يسلكون منها غير جهة واحدة
ضيقة . ونصب الكامل على النيل جسوراً عبر المسلمون عليها فملكوا الطريق الذي
يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط . فانحصر الفرنج في تلك البقعة وضائق

بهم المذاهب وندموا لانهم لم يقبلوا شروط الصلح التي قدمها المسلمون . ولما
 يسوا من النجاة احرقوا خيامهم واثقلهم وزحفوا الى المسلمين فحالت الاحوال
 دون ما يرغبون وقلت الاقوات بينهم وكشرت المنايا لهم عن انيابها فراسلوا
 الملك الكامل يطلبون الامان ليسلموا دمياط بغير عوض وبينما المراسلات مترددة
 اقبل جيش الملك المعظم صاحب دمشق الذي كان قد جعل طريقه على دمياط
 فاشتدت ظهور المسلمين وزادوا الفرنج خذلاناً وتمموا الصلح على اخذ دمياط ولما
 دخل المسلمون دمياط وجدوها محصنة تحصيناً عظيماً فكان هذا ظفراً لهم لم يكن
 في حسابهم . وكان دخول المسلمين اليها في ١٩ رجب سنة ٦١٨ هـ

وفي سنة ٦١٩ هـ قصد الملك المعظم عيسى صاحب دمشق حماة ليلامها لان
 الملك الناصر صاحب حماة كان قد التزم له بمال يحمله اليه اذا ملك حماة فملكها
 ولم يف . فنزل الملك المعظم بيمر بن وجري بينه وبين الملك الناصر قتال قليل ثم
 ارتحل الملك المعظم الى سلمية فاستولى على حواصلها ثم توجه الى المعرة فاستولى
 عليها واقام فيها والياً من جهته وقرر امورها ثم عاد الى سلمية فاقام بها على قصد
 منازلة حماة

وفي سنة ٦٢٠ هـ بلغ الملك الاشرف ما فعله اخوه المعظم بصاحب حماة فغضب
 عليه ذلك واتفق مع اخيه الملك الكامل على انكار ما فعله المعظم وازاحته عن حماة
 فارسل اليه الملك الكامل ناصح الدين الفارسي . فقال له « السلطان يأمرك
 بالرحيل » فقال السمع والطاعة ورحل مغضباً على اخويه الكامل والاشرف ورجعت
 سلمية والمعرة الى الملك الناصر

وفي سنة ٦٢٢ هـ توفي الملك الافضل بن صلاح الدين بسميساط وكان له علم
 وفطنة لكنه كان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب للدول وتدير
 الممالك . وكان لما اخذت منه البلاد كتب الى الخليفة الناصر كتاباً ضمنه شكاية
 عمه العادل واخيه العزيز حيث اخذا منه البلاد ونكثا عهد ابيه له بها . وكتب في
 اول الكتاب يتنين من الشعر عملها واحسن فيها وهما

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد اخذا بالسيف حق علي
فانظر الى حرف هذا الاسم كيف لقي من الاواخر ما لاقى من الاول
يريد بابي بكر عمه العادل وبعثان اخاه العزيز وبلي نفسه . فاجابه الناصر
عن كتابه بكتاب كتب فيه

وافي كتابك يا ابن يوسف معلنا بالصدق يخبر ان اصلك طاهر
غصبوا علياً حقه اذ لم يكن بعد النبي له يثرب ناصر
فاصر فان غداً عليه حسابهم وابشر فتاصرك الامام الناصر
وفي سنة ٦٢٤ هـ توفي الملك المعظم بن الملك العادل صاحب دمشق بقلعة
دمشق بالدمسقطاريا وعمره تسع واربعون سنة . وكان شجاعاً وكان يحامل اخاه
الكامل صاحب مصر ويخطب له ببلاده ولا يذكر اسمه معه . وكان قليل التكلف
جداً لا يركب بالسناجق السلطانية كمادة الملوك . وكان عالماً فاضلاً بالفقه والتحو
واللغة وكان حنفياً منعباً لمذهبه مع ان جميع اهل بيته كانوا شافعية . وولي بعده
ابنه داود ويلقب الملك الناصر

وفي سنة ٦٢٥ هـ ارسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن اخيه
الناصر داود حصن الشوبك فلم يجبه الى طلبه فسار الملك الكامل من مصر ونزل
علي تل العجول بظاهر غزة . وكان مع الملك الكامل المظفر صاحب حماة وقد
وعده الكامل ان ينتزع حماة من الناصر ويسلمها اليه

ولما علم الملك الناصر بقصد عمه الكامل استنجد بعمه الملك الاشرف فقدم الى
دمشق ووجد الناصر يستعد ويتجهز للحصار فمنعه عما هو فيه وخالف له على المساعدة
والحفظ له ولبلاده وراسل الملك الكامل واصطالحا . وظن الناصر انه معها في
الصالح ثم سار الاشرف الى اخيه الكامل الى غزة واتفقا في الباطن على اخذ
دمشق من ابن اخيهما الناصر وتعويضه عنها بجزان والرها والركة من بلاد الاشرف
وان تكون دمشق للملك الاشرف ويكون له الي عتبة افيق وما عدا ذلك من
بلاد دمشق يكون للملك الكامل صاحب مصر . وعلم الناصر وهو بتابلس

باتحاد الاشرف والكمال عليه فصار الى دمشق وسار الاشرف في اثره وحصره في دمشق

وفي سنة ٦٢٦ هـ وصل الشام فردريك الثاني ملك المانيا ونزل عكا واستولى على كثير من مدن المسلمين المجاورة لبيت المقدس ولم يقدر الكامل على دفعه فراسله وهو بغزة في الصلح واستقرت القاعدة بينهم على ان يسلموا اليه (الى فردريك) بيت المقدس ومواضع اخرى على ان تستمر اسواره خراباً فاستمظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن والتالم ما لا يمكن وصفه

ولما عقد الكامل الهدنة مع فردريك ملك المانيا على ما تقدم من الشروط سار لمعاونة اخيه الاشرف في حصار دمشق واشتد الحصار فاستولى الملك الكامل على دمشق وعوض الناصر صاحبها بالكرك والبلقاء والصلات والاغوار والشوبك . وتسلم الملك الاشرف دمشق واخذ الكامل لنفسه البلاد الشرقية التي كانت قد عينت للناصر وهي حران والرها وغيرها

وفي سنة ٦٢٧ هـ استولى الملك الاشرف صاحب دمشق على بعلبك واخذها من الملك الامجد بهرام من الايوبيين ايضاً وعوضه عنها الزبداني وقصير دمشق الذي شماليها ومواضع اخرى . وتوجه الملك الامجد واقام بداره التي داخل باب النصر بدمشق المعروفة بدار السفارة (وهي التي ينزلها النواب) وكان الاشرف قد حبس بعض مماليكه في داره وجلس قدام الباب يلعب بالترد ففتح المملوك الباب واخذ سيفاً ضرب به الامجد ثم طلع الى سطح الدار والقي نفسه الى وسطها فمات . وكان الامجد اشعر بني ايوب وشعره مشهور

وفي سنة ٦٣٠ هـ استولى الملك العزيز صاحب حلب على شيزر وكانت بيد شهاب الدين يوسف من وادعثمان بن الداية من امراء نور الدين بن زنكي . وفيها اخذ المظفر صاحب حماة بعين من اخيه قلع ارسلان لانه خشي ان يسلمها الى الفرنج لضعفه وجرى ذلك باذن الكامل

وفي سنة ٦٣٤ هـ توفي الملك العزيز صاحب حلب وتولى بعده ولده الملك الناصر يوسف وعمره سبع سنين فصار مرجع امور المملكة الى جدته والدة الملك العزيز واسمها ضيفة خاتون بنت الملك العادل

وفي هذه السنة قويت الوحشة بين الملك الكامل وبين اخيه الملك الاشرف صاحب دمشق وسبب ذلك ان الملك الكامل قصد بلاد الروم فاتفق الملك الاشرف مع شيركوه صاحب حمص ومع صاحبة حلب ضيفة خاتون ومع باقي الملوك (الا الملك المظفر صاحب حماة) على مخالفة الملك الكامل وتهديد الاشرف الملك المظفر باخذ بلاده منه ان لم يتحد معهم فخاف وقدم الى دمشق ووافقهم على قتال الكامل . ولم يتم الاشرف ما اراد من انتزاع البلاد من يد اخيه الكامل لان المنية عاجته فتوفي في دمشق سنة ٦٣٥ هـ وتولى بعده علي دمشق اخوه الملك الصالح اسماعيل بعهد له بذلك

ولما استقر الملك الصالح اسماعيل في دمشق كتب الى الملوك يجدد عهودهم لقتال الكامل فانقادوا اليه ووافقوه ما عدا الملك المظفر صاحب حماة فانه كتب الى الكامل يعتذر عن انقياده اولاً للاشرف خوفاً منه فقبل الكامل عذره ووعده بانتزاع سمية من صاحب حمص وتسليمها اليه

ولما علم الكامل بموت اخيه الاشرف سار الى دمشق وحصرها وبها اخوه الملك الصالح اسماعيل المتولي بعد الاشرف فقاتل عنها بما في امكانه ولما لم يجد فائدة من الدفاع سلم دمشق للكامل واخذ عوضاً عنها بعلبك والبقاع وبصرى . وبعد ايام مرض الكامل واشتد مرضه وسببه انه لما دخل قلعة دمشق اصابه زكام فدخل الحمام وسكب على نفسه ماء شديد الحرارة فاندفعت البرزلة الى معدته وتورمت منها وحصلت له حمى فمات سنة ٦٣٥ هـ المذكورة . وكان عاقلاً فاضلاً حسن السياسة كثير الاصابة شديد الرأي شديد الهيبة عظيم الهمة محباً للفضائل واهلها .

٤٦٦ - العادل بن الظاهر

من سنة ٦٢٥ - ٦٣٧ هـ أو من سنة ١٢٣٨ - ١٢٤٠ م

ولما علم الامراء بمصر بموت الكامل بايعوا ابنه سيف الدين ابا بكر المنقب بالملك العادل وهو حينئذ نائب ابيه بمصر فخافوا له واقاموا في دمشق نائباً له الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل . ولما علم اهل حلب بموت الملك الكامل طمعوا في الاستيلاء على ما للملك المظفر صاحب حماة لموافقته الكامل فسار عسكرهم الى المعرة فانتزعها من يد المظفر وحاصر قلعتها فاخذها ايضاً ثم ساروا وفي مقدمتهم المعظم توران شاه بن صلاح الدين الى حماة ونازلوها وبها الملك المظفر واستمر الحصار حتي انقضت سنة ٦٣٥ هـ فضجرت نفوسهم من هذا الحصار ولم يجدوا بحماة مطعماً فامرت ضيفة خاتون صاحبة حلب بالرحيل عنها فرحلوا واستمرت المعرة في يد الحلبيين ولم يبق للمظفر الا حماة وبعرين وخاف ان يخرج بعرين بسبب قلعتها فهدم هذه القلعة الى الارض

وفي سنة ٦٣٦ هـ ارسل العادل الى الجواد نائبه بدمشق لكي ينزل عن دمشق على ان يعوضه عنها اقطاعاً بمصر فلم يرد الجواد ذلك بل اتفق مع الملك الصالح ايوب بن الكامل صاحب سنجار والرقعة على ان يتبادلا الامارات فاستولى الملك الصالح على دمشق وسار الجواد الى سنجار . وخاف العادل بمصر من هذا التبادل لئلا يطعم الصالح في مصر وقد صارت قريبة منه . وكان خوفه في محله لان الصالح لما استقر بدمشق كاتب المصريين وكاتبوه واتفقوا سرّاً معه على تسليمه مصر فتقدم الصالح الى مصر وسار العادل الي بلبيس لينع دخوله

وفي يوم الجمعة ٨ ذي الحجة سنة ٦٣٨ هـ احاط جماعة من المماليك الاشرفية ومقدمهم ابيك الاسمر بالملك العادل وقبضوا عليه وجملوه في خيمة صغيرة وعليه من يحفظه وارسلوا الى الصالح ايوب يستعجلونه فسار هو والناصر داود الى مصر وزينت له البلاد وفرح الناس بقدمه وكانت مدة ملك العادل نحو سنتين

٤٦٧ - الصالح ايوب به الحمل

من سنة ٦٣٧ - ٦٤٧ هـ او من سنة ١٢٤٠ - ١٢٤٩ م

وبما استقر الملك الصالح ايوب بمصر قبض في سنة ٦٣٨ هـ على ابيك الاسمر وعلى غيره من الامراء والنبالين الذين قبضوا على اخيه العادل وادعهم السجون وشرع في بناء قلعة الجزيرة بمصر واتخذها مسكناً لنفسه

وفي سنة ٦٣٨ هـ المذكورة توفي الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل الذي كان قد تولى دمشق ثم عوض عنها بسنجار وعانة فباع عانة للخليفة المستنصر وسار لؤلؤ صاحب الموصل وحاصر سنجان ويونس غائب واستولى عليها فلم يبق بيد يونس شيء من البلاد فسار الى غزة وارسل الى الملك الصالح ايوب صاحب مصر يساله في المسير اليه فلم يجبه الى ذلك فسار يونس الى عكا واقام مع الفرنج فارسل الصالح اسماعيل صاحب دمشق حينئذ وبذل مالا للفرنج وتسلم يونس المذكور واعتقله ثم خنقه هذه السنة

وفي هذه الاثناء قدم الخوارزميون هاردين امام جنكزخان ملك التتر الى سورية الشرقية ونزلوا على حدودها فارسل اليهم الملك الصالح ايوب ملك مصر رسلاً عقدوا معهم صلحاً وعاهدوهم على محاربة الافرنج وامراء سورية الذين على دعوتهم . فتجند الخوارزميون واخترقوا سورية الى ان بلغوا غزة فخاربوا الفرنج عند اسوارها وانجدهم الملك الصالح من جهة مصر فانهمزم الفرنج فقتلهم حتى استولوا على غزة والبيت المقدس باسم الملك الصالح ووصلت الاسرى والروثوس الى مصر ودقت بها البشائر عدة ايام وذلك سنة ٦٤٢ هـ . ثم سار عسكر مصر والخوارزمية الى دمشق وحاصروها فتسلموها سنة ٦٤٣ هـ وعوضوا صاحبها الصالح اسماعيل بملك وبصرى والسواد . ولم يف الملك الصالح ايوب للخوارزمية ما وعدهم به فانقلبوا ضده وساعدوا الصالح اسماعيل الذي اخذ بملك وانضم اليهم صاحب الكرك وعادوا فحاصروا دمشق حتى غلت فيها الاقوات وقاسى اهلها شدة عظيمة

وفي سنة ٦٤٣ هـ اتفق اهل حلب والملك المنصور صاحب حمص مع الملك الصالح صاحب مصر وقصدوا الخوارزمية وهم محاصرون دمشق فرحل الخوارزميون عن دمشق وساروا الى حلب فالتقوا بالجليين سنة ٦٤٤ هـ وحصل بين الفريقين قتال شديد في محل يقال له القصب فانهمزم الخوارزمية هزيمة قبيحة تشتت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين وحمل رأسه الى حلب
وفي سنة ٦٤٤ هـ توفي الملك المنصور صاحب حمص وتولى بعده ابنه الملك الاشرف موسى

وفي سنة ٦٤٥ هـ استرد الملك الصالح صاحب مصر عسقلان وطبرية من يد الافرنج بعد محاصرتها مدة

وفي سنة ٦٤٦ هـ ارسل الملك الناصر صاحب حلب عسكرياً مع شمس الدين لؤلؤ الارمني فحاصر لملك الاشرف موسى بجمص مدة شهرين فسلم اليهم حمص وتعرض عنها تل باشر مضافاً الى ما في يده من تدمير والرحبة

ولم باع ذلك الملك الصالح صاحب مصر عظم عليه الامر وسار الى الشام لاسترجاع حمص من الجليين ففرض في الطريق ووصل الى دمشق فارسل عسكرياً الى حمص وانصبوا منجنيقاً مغريباً يرمي بجبر زنته ١٤٠ رطلاً شامياً واستمر الحصار الى ان وصل الخبر الى الملك الصالح بدمشق بوصول الفرنج الى ديباط وكان مرضه قد اشتد ووصل رسول من قبل الخليفة وسعى بالصلح بين الملك الصالح والجليين وان تستقر حمص بيد الجليين فاجاب صاحب مصر الى ذلك وامر عسكره فرحلوا عن حلب وعاد هو الى مصر محمولاً في محفة لشدة مرضه

وفي سنة ٦٤٧ هـ وصل الملك لويس التاسع ملك فرنسا الى ديباط في جيش عظيم بقصد الاستيلاء عليها والدخول منها الى الديار المصرية . وكان الملك الصالح قد شغلها بالآلات عظيمة وذخائر وافرة وجعل فيها بني كنانة وهم مشهورون بالشجاعة فلما وصل الفرنسيون امد الصالح بني كنانة بجيش عظيم بقيادة فخر الدين بن الشيخ ليكونوا قبالة الافرنج بظاهر ديباط . ولما وصل الافرنج عبر

فخر الدين من البر الغربي الى البر الشرقي ووصل الفرنج الى البر الغربي وقتلوا بني كنانة وهزموهم . فهرب بنو كنانة واهل دمياط منها وتركوا ابوابها مفتوحة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا على ما بها . وعظم ذلك على الملك الصالح وامر بشنق بني كنانة فشنقوا عن آخرهم . ووصل الملك الصالح الى المنصورة ونزل بها وقد اشتد مرضه فتوفي في سنة ٦٤٧ هـ المذكورة

وكان عالي الهمة طاهر اللسان وقوراً كثير الصمت وجمع من المماليك الترك ما لم يجتمع اغبره من اهل بيته حتى كان اكثر عسكره مماليكه وجمع منهم جماعة حول دهليزه سماهم البحرية

٤٦٨ - المعظم توران بنه الصالح

من سنة ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ او من سنة ١٢٤٩ - ١٢٥٠ م

كان للملك الصالح ثلاثة اولاد توفي منهم اثنان وبقي واحد فقط هو المعظم توران شاه صاحب حصن كيفا . فلما توفي الصالح لم يوص بالملك من بعده لاحد وكان للملك الصالح جارية تدعى شجرة الدر عاقلة ذات رأي وحسن سياسة فكتمت وفاته ووقفت في جمهور الامراء والاعيان وقالت « ان السلطان يأمركم ان تبايعوا بعده ابنه الملك المعظم غياث الدين توران شاه وقد عين الامير فخر الدين اتابكاً لادارة الاحكام » فبايع جميع الامراء ثم ارسلت هذه الاوامر الى القاهرة فبايع جميع من فيها وكانت تبث الرسائل مختومة بختم السلطان الملك الصالح فكان الجميع يظنون انها خطه ثم ارسل فخر الدين قاصداً لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا فشاع بين الناس موت السلطان ولكن لم يجسر احد ان يفوه بذلك

وتقدم الفرنج من دمياط الى المنصورة وكان الامير فخر الدين المذكور في الحمام في المنصورة فركب مسرعاً وصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه . ثم حمل المسلمون والترك البحرية على الافرنج فردوهم على اعقابهم . ووصل الملك المعظم

توران شاه الى المنصورة في آخر سنة ٦٤٧ هـ واشتد القتال بين المسلمين والفرنج برّاً وبحراً وغنم المسلمون اثنين وثلاثين مركباً من الفرنج فضعمت نفوسهم وارسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل على ان يرحلوا عن دمياط فلم يجب طلبهم وضاق بهم الامر وفيت ازوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط اليهم فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا ليلة الاربعاء ٣ محرم سنة ٦٤٨ هـ متوجهين الى دمياط فركب المسلمون اكنافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى منهم ٣٠ الفاً على ما قيل وانحاز لويس التاسع ملك فرنسا في جماعة من خواصه الى بلد هناك وطلبوا الامان فامنهم الطواشي محسن الصالح ثم احيط عليهم واحضروا الى المنصورة وقيد لويس التاسع وجعل في الدار التي كان ينزلها فخر الدين ووكّل به الطواشي صبيح المظامي ولم يزل سجيناً حتى فداه الفرنسيون بتسليم دمياط المسلمين وذلك بعد ان توفي الملك المعظم وتولت شجرة الدر انما ذكرناه هنا اتماماً للحديث ولئلا تضعيف الفائدة المقصودة

فلما تم الصلح بين المسلمين والفرنساويين تسلم المسلمون دمياط وسار الفرنسيون بحراً الى عكا . وانشرح المسلمون لهذا الفتح وقلوا فيه الاشعار فمن ذلك قول جمال الدين بن مطروح نائب دمشق

قل للفرنسيس اذا جثته	مقال صدق عن قوئل فصيح
آجرك الله على ما جرى	من قتل عباد يسوع المسيح
اتيت مصرأ تبغي ملكها	تحسب ان الزمر بالطبل ريح
فساقك الحين الى ادم	ضاق بهم في ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم	بسوء تدبيرك بطن الضريح
خسون الفأ لا يرى منهم	الا قتيل او اسير جريح
وفتك الله لا مثالهـا	لعلنا من شركم نستريح
ان كان بابكم بذاً راضياً	فرب غش قد اتى من نصيح

اوصيكم خيرا به انه لطف من الله اليكم اتيح
لو كان ذا رشد على زعمكم ما كان يستحسن هذا القبيح
فقل لهم ان اضمروا عودة لاخذ ثار او اقصد قبيح
دار بن لقمان على حالها والقيد باقى والطواشي صبيح

وكان الملك المعظم قد احضر معه من كيفا بعض مماليكه فنسلطوا على موالى
ايه واغروا الملك المعظم بقتلهم لاستبدادهم عليه فسمع المعظم وشايتهم وعزم على
الفتك بماليك ايه فنفرت قلوبهم منه واجتمعت البحرية على قتاله وهجموا عليه
بالسيوف وكان اول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي صار ساطناً فيما بعد فهرب
الملك المعظم منهم وصعد الى برج من خشب كان هناك فاضرموا فيه النار فلما
وصلت اليه وشاطة رمى نفسه الى الخليج النيلي فجاؤا اليه ورموه بالنشاب وهوفي
الماء فمات غريقاً جريحاً وكان ذلك في اواخر المحرم سنة ٦٤٨ هـ

٤٦٩ - شجرة الدر

سنة ٤٦٨ هـ او سنة ١٢٥٠ م

ولما قتل الملك المعظم وقعت الفتنة بين الامراء وتنازعوا الملك فاستدركت
شجرة الدر الامر وطلبت الامر لنفسها فبايعها الجميع على ان يكون عز الدين ايبك
الصالحى اتاك العساكر وحافوا على ذلك وخطب لشجرة الدر على المنابر وضربت
السكة باسمها وسميت والدة الخليل (نسبة الى ابن كان لها اسمه خليل توفي صغيراً)
وأول عمل باشرته عقد الصلح مع الفرنسيين على اطلاق سراح ملكهم
مقابل نزولهم لها عند دمياط فتسلمت دمياط ورفعت عليها العلم السلطاني في ٣
صفر سنة ٦٤٨ هـ

ولما استقر الامر لشجرة الدر بمصر ارسل الامراء المصريون الى الامراء الذين

بدمشق في الخطبة لها فلم يجيبوا اليه بل كاتبوا الملك الناصر يوسف صاحب حلب فسار اليهم وملك دمشق ودخلها في ٨ ربيع الآخر من السنة وطاقمة سورية كلها فلما رأى المصريون ان سورية خرجت من ملكهم عظم عليهم الامر وتحققوا انه اذا استمر امر المملوك في يد امرأة على ما هو عليه يتمليك شجرة الدر تفسد الامور فاقاموا عز الدين ايبك الذي كان اتابك العساكر ملكاً عليهم ولقبوه بالملك المعز وابطالت السكة والخطبة التي كانت باسم شجرة الدر وتزوج ايبك بشجرة الدر فانضم حزبا الى حزبه ولكن ذلك لم يقد شيئاً لان الامراء اجتمعوا واتفقوا على ان لا بد من اقامة شخص من بني ايبك في السلطنة واختاروا لذلك الملك الاشرف موسى ابن يوسف صاحب اليمن وقرروا ان يكون ايبك المذكور اتابك العساكر له

٤٧٠ - الاشرف بن يوسف

من سنة ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ او من سنة ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م

تم الى سنة ٦٥٩ هـ او ١٢٦١ م

ولما استقر الامر للاشرف بن يوسف بمصر وجس الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب من ذلك فسار من دمشق قاصداً مصر وصحبته كثيرون من الامراء الايوبيين . ولما بلغ المصر بين ذلك اهتموا لقتاله ودفعه وبرزوا الى السائح وتركوا السلطان الاشرف بقلعة الجبل بمصر والنقي العسكران المصري والشامي بالقرب من العباسية فانهمزم المصريون اولاً فخامر جماعة من المماليك للترك العزيزية على الملك الناصر وانحازوا الى الممزا ايبك اتابك صاحب مصر فانهمزم الشاميون وحمل المعز ايبك على الملك الناصر فولى منهزماً الى جهة الشام . واسر ايبك جماعة من امراء الايوبيين وعاد بهم الى مصر معتزاً منصوراً وهناك اعتقل بعضهم وقتل بعضهم وسار بعد ذلك فارس الدين اقطاي بثلاثة آلاف فارس الى غزة فاستولى

عليها وعاد الي مصر وبقي الامر على ذلك الى سنة ٦٥١ هـ حين ارسل الخليفة العباسي فاصلح بينهم علي ان يكون المصر بين نهر الاردن والملك الناصر صاحب دمشق وحلب ما وراء ذلك

وكان المعز ايبك طموحاً الى الاستبداد والى خلع الاشرف وتبوء منصبه وكان اقطاي الجامدار من امراء البحرية يدافعه عن ذلك فارصد له ايبك ثلاثة من المماليك اغتالوه سنة ٦٥٢ هـ . وكان لاقطاي هذا حزب قوي من المماليك البحرية فثاروا لما علموا باغتيالهم ولحقوا بصاحب دمشق

واستبد ايبك بمصر وخلع الاشرف وقطع الخطبة له فكان آخر امراء بني ايوب بمصر وخطب ايبك لنفسه . ولما وصل البحرية الى دمشق اطعموا صاحبها في ملك مصر واستحوه فجهز وسار الى غزة وبرز ايبك بعساكره الى العباسية . ودخلت سنة ٦٥٣ هـ واستناب المعز بالمعززية المقيمين معه فابعدهم عنه فلحقوا بصاحب دمشق . وترددت الرسل بين صاحب دمشق وايبك صاحب مصر فاصطلحوا على ان يكون التخم بينهم العريش

وفي سنة ٦٥٤ هـ قتل المعز ايبك قتله شجرة الدر غيلة في الحمام غيرة من خطبته بنت لؤلؤ صاحب الموصل فتولى بدمه ابنه علي ولقب بالمنصور فاخذ بثار ابيه وقتل شجرة الدر

وفي سنة ٦٥٥ هـ المذكورة اتصل بالملك الصالح صاحب دمشق ان المماليك البحرية الذين كانوا مقيمين عنده بعد مقتل اقطاي يريدون ان يفتكوا به فاستوحش خاطره منهم وطلب انتزاعهم عن دمشق فساروا الى غزة وانتموا الى الملك المغيب صاحب الكرك وارسل صاحب دمشق عسكرياً في اثرهم فكبسهم فانهمزوا الى البلقاء ملتجئين الى صاحب الكرك فانفق فيهم أموالاً جزيلة واطعموه في ملك مصر فجهزهم وساروا الى جهة مصر وخرجت عساكر مصر لقتالهم والتقى الفريقان بالعباسية فانهمز البحرية وعسكر صاحب الكرك وكان في جملة البحرية بيبرس البندقداري الذي صار بعد ذلك ملكاً . وبعد ان انهزم البحرية عن مصر عادوا الى الكرك وما زال صاحب الشام واجساً منهم ومن صاحب الكرك فبعث اليهم عسكريه من دمشق

فظفروا به واستفحل امرهم بالكرك . فسار الناصر صاحب دمشق اليهم بنفسه سنة ٦٥٧ هـ ومعه صاحب حماة فنزلوا على الكرك وحاصروها فارسل صاحبها الى الناصر في الصلح فشرط عليه ان يحبس البحرية فاجاب الى شرطه واتصل الخبر الى بيبرس اميرهم فهرب في جماعة منهم ولحق بالناصر صاحب الشام وفي هذه الاثناء قدمت عساكر التتر الى الشام وتلكوها وهرب الناصر الى مصر اولاً ثم الى بلاد العرب ثم حسن له اصحابه ان يقصد هولاء ملك التتر فاقبل عليه ووعدوه برده الى ملكه وابقاه عنده

ثم اجتمعت عساكر المسلمين وساروا الى الشام مع صاحب مصر وهو حينئذ الملك المظفر قطز فانهمز التتر وقتل اميرهم النائب عن هولاء . فاحضر هولاء الى الناصر ولاه على ما كان منه من تسهيله عليه امر الشام فاعتذر الناصر له فلم يقبل عذره ورماه بسهم فقتله ثم قتل الظاهر والصالح بن الاشرف صاحب حمص فانقرض بذلك ملك بني ايوب من الشام كما انقرض ملكهم من مصر وذلك سنة ٦٥٩ هـ

وقبل ان انتقل من ذكر الدولة الايوبية الى غيرها اذكر للقارئ الكريم احوال الصليبيين في هذه المدة اعني من بدء ظهور الدولة الايوبية الى انقراضها كما وعدت بذلك وبالله التوفيق

٤٧١ - احوال الصليبيين مدة الدولة الايوبية

من سنة ٥٦٦ - ٦٥٩ هـ او من سنة ١١٧٠ - ١٢٦١ م

انتهينا في كلامنا عن الصليبيين في فصل (٦٢) برحيلهم عن القاهرة ورجوعهم الى الشام وبقي الحال كذلك الى ان توفي نور الدين محمود سنة ٥٦٨ هـ فقلق اصحاب الاقطاعات بسورية وهم كل منهم ان يستبد بعمله ويزيده ما امكن فراسلوا الفرنج وعقدوا معهم عهديات على ان يفهم جزية ان حاربوا صلاح الدين . فطمع الملك

اموري ملك اورشليم في المسلمين وحاصر بانياس التي كان نور الدين قد اخذها
فاسترضاه الامراء المتولون دمشق بالمال وباطلاق بعض الاسرى النصارى فعاد الى
اورشليم وبعد ايام توفي بها في ١١ يولييه سنة ١١٧٣ م

وبعد وفاة اموري (الاول) تولى بعده ابنه وشيخ بودوين الرابع ولم يكن
عمره وقتئذ الا ثلاث عشرة سنة وقام بتدبير دولته ريموند دي سان جيل كونت
طرابلس . وبعد مدة قليلة اصيب بودوين الرابع بالبرص ثم بالعمى فتغلب ريموند
على امور المملكة ولم يكن لبودوين الا مجرد الاسم فقط . واهم الاحداث في ايام
بودوين الرابع ظهور صلاح الدين وغزوه الشام تارة يقاتل المسلمين ليستولي على ما
للدولة الزنكية هناك واخرى يقاتل الفرنج ليستولي على ما بأيديهم . فضعف امر
الصليبيين في هذه المدة الى درجة لم يسبق لها مثيل

ولما رأى بودوين الرابع بعد اصابته بالبرص والعمى انه لم يعد في امكانه القيام
بهمام الملك اختار بحضرة امراء مملكته والمملكة امه وهرقل بطريرك اورشليم كوى
لوستيان كنت يافا وعسقلان مديراً للمملكة . وكان متزوجاً بسيبيل بنت اخي
الملك اموري . وابقى الملك لنفسه السلطة المطلقة ولم يمض كثير زمن حتى رأى
اموري ان كوى ليس اهلاً لما اسند اليه فخلعه وتنازل اموري الرابع عن الملك
لابن اخته سيبيل المذكورة وسماه بودوين الخامس وتوجه باحتفال (وكانت اخته
قد تزوجت أولاً بالمركبز دي مونتي فراتا فرزقت منه هذا الولد وتزوجت
ثانية بكوى دي لوستيان) وذلك في ٢٠ اكتوبر سنة ١١٨١ م ولم يكن عمر
هذا الملك الحديث حينئذ الا خمس سنين فلم يثبت العقلاء خلع كوى لبقاء الملك
دون مالك لهجز بودوين الرابع وصغر بودوين الخامس فانزوى كوى دي لوستيان
في عسقلان وابى طاعة الملك الجديد جهاراً . وسمي الملك ريموند كونت
طرابلس مديراً للملك ابن اخته

ولما رأى الفرنج سوء حالهم وازدياد سطوة صلاح الدين وقوته ارسلوا الى
اوربا هرقل بطريرك اورشليم وارنورد رئيس الفرسان الهيكلين وروجه رئيس

فرسان الاسبيتال (الاسبيتال جمعية اسست للعناية بالحجاج والمرضى منهم) فمضوا اولاً الى فارونا (بايطاليا) حيث كان البابا لوشيوس وفردريك ملك المانيا افشروا لهما حالة النصارى الغربيين بسورية ودموعهم تنساقط من عيونهم وطلبوا امدادهم وانجادهم فدفع اليهم البابا رسائل توصية الى ملكي فرنسا وانكلترا . وقبل ان يارحوا فارونا مات رئيس الهيكلين فسار البطريك هرقل ورئيس الاسبتاليين الى فرنسا وبلغا باريس في ١٥ يناير سنة ١١٨٥ م فقابلهم فيليب اوغسطس ملك فرنسا بكل ترحاب ووعدهم بالمساعدة وحث الاساقفة ان يعظوا في الكنائس معرضين رعاياهم على السفر الى اورشليم

ثم سار البطريك ورفيقه الى انكلترا فقابلهما الملك انريكس الثاني ملك انكلترا بالاكرام ووعدهما بالمساعدة بالمال والرجال على ان لا يذهب بنفسه الى سورية . فلم يقبل هرقل ذلك وعاد الى اورشليم حزينا

وتوفي الملك بودوين الرابع الابرس سنة ١١٨٥ م وكان خليفته ابن اخته بدوين الخامس ولكن هذا لم تطل مدته بعد وفاة خاله لانه توفي سنة ١١٨٦ م فتوجت سيبيللا (التي سمح لها ان تختار من نشاء ملكاً على اورشليم مكان ابنها) زوجها كوى دى لوستيان فاستاء الامراء لهذا الامر جداً ولم يوافقوا عليه وخصوصاً ريموند كنت طرابلس الذي لشدة غيظه كاتب صلاح الدين بانه مستعد ان ينجده اذا قدم لقصد الصليبيين . فانتهم صلاح الدين هذه الفرصة وسار الى الشام وحصل بينه وبين الافرنج واقعة حطين الشهيرة وبعدها استولى على عدة مدن من ايدي الافرنج واخيراً انتزع منهم اورشليم وقد تقدم ذكر ذلك مفصلاً في تاريخ صلاح الدين (راجع فصل ٤٦١)

ولما استولى صلاح الدين على اورشليم سار الافرنج وفوداً الى المغرب يستنجدون ملوكهم ولما بلغت هذه الاخبار اوربا عم الحزن والكآبة سكانها وكان البابا اوريانس الثالث في فرارا (بايطاليا) وكان شيخاً فاخذ الحزن به كل ماخذ حتى مرض ومات في ١٩ اكتوبر سنة ١١٨٧ م فانتخب مكانه البابا غريغوريوس الثامن

فاهتم الامر جداً و باهتمامه قامت التجريدة الصليبية الثالثة سنة ١١٩٠م تحت راية
فيليب ملك فرنسا والامبراطور فردريكوس ملك جرمانيا وريكاردوس (ريشارد)
الاول ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وغيرهم من الامراء فنهضوا جميعاً وقصدوا
بلاد فلسطين بمئتي سفينة مشحونة بالعتاك والمهمات وعند وصولهم الى صور وهي
المدينة الوحيدة الباقية يومئذ في ايدي الصليبيين تقدموا منها الى مدينة عكا
وحاصروها واستمر القتال بين الفريقين نحو سنتين حتى اشتد الامر على المسلمين
وانقطع عنهم المدد ونفذت ذخائرهم فسلموا عكا في ١٢ يولييه سنة ١١٩١م
وبعد افتتاح عكا عزم ريكاردوس على حصار عسقلان فزحف اليها ولما
اشرف عليها وافاه صلاح الدين بثلاث مئة الف مقاتل وانتشبت بينهما حروب
هائلة فاز فيها ريكاردوس بالنصر واستولى على عسقلان وباقي مدن
اليهودية اما صلاح الدين فالتجأ الى بيت المقدس وحصن قلاعها وابراجها
وملاها بالعتاك والجنود وكان فصل الشتاء قد دخل وبسبب شدة البرد توقفت
الحروب بين الفريقين

وفي بداية فصل الربيع زحف ريكاردوس بجيشه على القدس وهي جل
قصده وغاية اربه فهاج الاهالي واعتراهم الخوف والرعب عند قدوم هذا الجبار
فاقام الحصار على المدينة وضيق عليها ولكنه وجد صعوبة في فتحها وكانت عساكره
قد ضجرت القتال فانسحب عن البيت المقدس وامر باصلاح القلاع التي استولى عليها
وتحصينها على عزم العود الى اورشليم بعد الانتهاء من ذلك

وفي هذه الاثناء اتصل بالملك ريكاردوس (ريشارد) قلب الاسد ان
اخاه يوحنا غدر به وعزم على اخذ ملكه فاضطر ريكاردوس على ترك الشام والعود
الى بلاده فعقد مع صلاح الدين هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر تكون في
خلالها ابواب اورشليم مفتوحة للزائرين من النصارى يدخلونها بلا سلاح

وحزن الصليبيون جداً لاضطرار ريكاردوس ان يبرح عنهم وهم في هذه
الحال وسالوه ان يختار قبل سفره ملكاً لا اورشليم فقال لهم « من ترون اهلًا لذلك »

فاجمع رايهم على المركيس كنراد والي صور ولم يكن ريكاردوس يحبه ولكن كان يقدر شجاعته ودرايته حق قدرهما . فرضيه وارسل ابن اخيه كنت شيمانيا يبشره بذلك . وكان كنراد عتد سراً مع صلاح الدين معاهدة واتفقا معاً فدهش من اختيار ريكاردوس اياه ملكاً ولم يقدر ان يخفي سروره . ولكي يبري نفسه ويظهر ورعه رفع عينيه الى السماء وقال «الهي ملك الملوك مرتبونيحي ملكاً ان رايتني اهلاً والا فابعد عن راسي هذا الاكيل»

وبعد ان توج كنراد ملكاً على اورشليم بايام قليلة قتل فوقعت انظار اهل صور على هنري كنت شيمانيا . وكان هنري نسيباً لريكاردوس ملك انكازرا فسالوه ان يملك عليهم وان يتزوج ارملة كنراد ايزابلا بنت الملك اموري فتزوجها واعترف به الفرنج ملكاً عليهم واثبتوه ريكاردوس وتخلي له عن كل ما اخذه من فلسطين ثم رجع ريكاردوس الى بلاده واستتب الامر بفلسطين لهنري كنت شيمانيا

وفي سنة ١١٩٧ م سقط هنري كنت شيمانيا وملك اورشليم من شباك فانشح راسه ومات فتزوجت امراته ايزبال بنت الملك اموري زيجة ثالثة باموري دي لوسينيان اخي كوي دي لوسينيان ملك قبرس وتزوج ملكاً على اورشليم باسم اموري الثاني

وفي سنة ١٢٠٢ م جهز البابا اينوشنسيوس تجريدة صليبية رابعة بقيادة فولك خوري نوبلي بفرنسا وبودوين التاسع كونت فلاندر وبونيفاشيوس مركيس مونتا فراثا بايطاليا وهنري دندولودوق (حاكم) البندقية ولما اجتمع هؤلاء مع عساكرهم في البندقية عزموا ان يسافروا الى مصر لكنهم ساروا اولاً سنة ١٢٠٢ م فحاصروا زارا (مدينة بتلماسيا) اجابة الى طلب البنادقة لان اهل هذه المدينة كانوا قد ثاروا عليهم . وبعد ان نهبوا ساروا الى قسطنطينية ووصلوا اليها سنة ١٢٠٣ م وكان الكسيس الرابع ملك الروم استنجدهم فنجدهم على منازعيه واقروه في تحت الملك ولكن نهض عليه دوكلس مرسوفل واخذ ملكه سنة ١٢٠٤ م وسمي

الكسيس الخامس فطرده الصليبيون وملكوا القسطنطينية فاقاموا بودوين التاسع ملكاً . واستمر ملك الصليبيين في قسطنطينية من سنة ١٢٠٤ م الى سنة ١٢٦١ م حين استردها الملك ميخائيل الثامن باليولوغوس

على ان فريقاً من رجال الحملة الرابعة سافروا من مرسيليا وروج توجا الى عكا ولان الهدنة التي كانت عقدت بين ريكاردوس وصالح الدين لم تنته بعد مدتها فاقاموا بعكا حتى شمت نفوسهم من الاقامة بعكا بدون حرب فزابل كثيرون منهم فلسطين وساروا الى امير انطاكية الذي كان يحارب ملك الارمن ولكنهم لم ياخذوا من يديهم الطريق فوقعوا بيد المسلمين الذين ارسلهم عليهم امير حلب فشتوا شملهم وقتلوا واسروا كثيرين منهم وهذه هي وقعة بعين

وفي سنة ١٢٠٥ هـ توفي اموري الثاني ملك اورشليم ثم توفيت بعده امراته ايزبال فاجتمعت الافرنج بسورية ليختاروا لهم ملكاً فلم يتفقوا على احد فارسلوا الى فيليب اغسطس ملك فرنسا ليختار لهم ملكاً فاختار يوحنا دي بريانا ليتزوج بريم وريثة ملك اورشليم (ابنة ايزبال التي ولدت لها من زوجها كنراد دي مونتافراتا) ويملك على اورشليم . فسار يوحنا المذكور الى سورية وتزوج بريم المذكورة في ١٤ سبتمبر سنة ١٢٠٩ م في عكا . ثم توج ملكاً على اورشليم في ٢٠ من الشهر المذكور

وفي هذه الاثناء شاع في الشام ان ملوك المغرب يجهزون حملة كبرى لانقاذ الفرنج في سورية فخاف الملك العادل من هذه الاخبار وكادت مدة الهدنة تنقضي فعرض على الفرنج ان يسلم اليهم عشرين قلاع حباً في استمرار السلم فاشار بعض الفرنج بقبول هذا الاقتراح ورفضه البعض الآخر ولما رأى العادل ترددهم سار في عسكره الى فلسطين وحاصر طرابلس وهدد عكا فقاتل الملك يوحنا مع النزر اليسير الذين معه جيوش العادل وابدى من آيات الشجاعة والبسالة ما خلد له ذكراً حميداً لكنه لم يقو على انقاذ بلاد النصارى من عدو قدير كالعادل ولما رأى الفرنج قلة عددهم وعدم مقدرتهم مقاومة العادل ندموا لانهم لم

يقبلوا شروطاً في غاية الموافقة قدمت لهم عنوا . وارسل الملك يوحنا الى البابا اينو شنسيوس الثالث والى ملوك اوربا ليمدوه . فنادى البابا المذكور في اوربا بوجوب انقاذ نصارى فلسطين مما هم فيه فتالت جموع كثيرة سنة ١٢١٧ م بقيادة اندراوس ملك المجر فكانت هذه الحملة الخامسة وعند مرورهم بقبرس صحبهم لوسينيان ملكها واجتمعوا في عكا وخرجوا منها بامرة ملك المجر وملك اورشليم وملك قبرس وساروا نحو مرج ابن عامر وصلوا الى الاردن ولم يمارضهم احد . ووقع الرعب في قلوب المسلمين فسكن الملك العادل روعهم قائلاً « عما قليل سيقع الخلاف بين الفرنج وجيشهم الكثيف اشبه بسحابة تمقشع باقل ريح »

وعزم النصارى ان يحملوا على جبل طابور حيث تحصن المسلمون ولما بلغوا الى سفح الجبل اخذ المسلمون يقلبون عليهم الصخور الضخمة ويمطرون عليهم النبال ولم يثن هذا عزيمة الفرنج بل هجموا ببسالة غريبة فانهمزم المسلمون وتبعهم الفرنج الى باب القلعة

وبينا المسلمون يرتجفون خوفاً من الفرنج توهم هولاء ان ملك دمشق سيكسبهم فانصرفوا عن القلعة والجبل يملو وجوههم . وساروا بجيشهم نحو فونيقى وكان البرد قارساً فاضرب كثيرين من الجيش وبينا كانوا مخيمين بين صور وصيدا ثار عليهم عاصف وبروق ورعود ومطر غزير فاقرب خيامهم رشقت متاعهم وقتل بعض خيلهم حتى ظنوا ان الله ابى الا اذلالهم . وراوا ان اقامة جيشهم في محل واحد قد تضر بهم فانقسموا اربعة اقسام توجهوا الى اربع جهات على وعد الاجتماع بعد مضي الشتاء . ولكنه لم يمض الشتاء حتى كانت جموعهم قد تفرقت شذر مذر لان ملك قبرص اعتراه مرض فمات وملك المجر يئس من الفوز وبعد ان اقام ثلاثة اشهر في فلسطين عاد الى مملكته

وبعد سفر ملك المجر الى بلاده قدم الى عكا جمع غفير من فرنسا وايطاليا ولما كانت انفس الفرنج تتوق على الابتلاء على الديار المضربة وكان البابا قد حرضهم على ذلك ساروا من عكا بجزراً سنة ٦١٥ هـ وتوجهوا الى الديار

المصرية فاستولوا على دمياط وحصنوا اسوارها وكانت الاهالي تخافهم ونهابهم حتى انهم طلبوا اليهم ان يعقدوا معهم صلحاً تحت شروط مرضية للصليبيين ولكنهم رفضوا طلبهم . واستمروا منتشرين على شواطئ النيل حتى اضعفهم الزمان وقلة الوسائط فاضطروا ان يتنازلوا للمصريين عن تملكاتهم في مصر لئلا يسمحو لهم بالرجوع الى فلسطين . وقد تقدم ذكر ذلك اكثر تفصيلاً في فصل (٤٦٥)

وبعد ان استرد المسلمون دمياط سار يوحنا دي بريان ملك اورشليم الى اوربا مستنجداً ووصل اولاً رومه فشكا الى البابا انوريوس الثالث باكيّاً سوء حالة النصارى في سورية ومصر فعرض البابا انوريوس الثالث على فردريك الثاني ملك المانيا ان يتزوج ببولاند ابنة ملك اورشليم وورثة ملكه وبسمى ملك اورشليم على ان يتعهد بالذهاب الى المشرق واستنقاذه من ايدي المسلمين فتعهد فردريك الثاني بذلك وتزوج ببولاند وورثة ملك اورشليم في رومية باحتفال عظيم . وسر ملك اورشليم يوحنا دي بريان المذكور لان ملك المانيا صار صهره ونصيره ولكن لم يدم هذا الفرح لان ملك المانيا تغير على زوجته واهملها ونزع اباها ملك اورشليم وسعى نفسه ملك اورشليم . ولم يبد ملك اورشليم اقل اعتراض متوقفاً سنوح الفرص لياخذ بثاره

ثم توفي البابا انوريوس الثالث سنة ١٢٢٧ م فخلفه البابا غريغور يوس التاسع فطالب ملك المانيا فردريك المذكور بعروده فتقاعد هذا عن اجابة طلبه فاغتاظ البابا لذلك واعان حرمه . فاستاء فردريك لذلك واستعد لمقاومة البابا المذكور فذهب الى رومية واهانه واذله ثم الزمه ان يخرج من رومية قهراً

وفي هذه الاثناء انقسم الامراء الايوبيون على انفسهم وخالف بعضهم بعضاً فخاف الكامل على نفسه من قبل اخوته وكان قد اشهر بتجهيز ملك المانيا العساكر ليغزو المشرق وحصول النفرة بينه وبين البابا فافكر الكامل ان يرسل ملك المانيا ويحالفه . فارسل يستدعيه اليه واعد اياه باعطاء اورشليم

فنهض فريدريك سنة ١٢٢٨ م بالتجريدة الصليبية السادسة الى عكا ومنها

الى القدس بدون ان يعارضه معارض ولا ينازعه منازع . ثم عقد مع الكامل هدية لمدة عشر سنين ونصف وبموجب شروط الهدنة هذه تنازل الكامل لفردريك الثاني ملك المانيا عن القدس ويافا وبيت لحم والناصرية وتوابها اما عامة الصليبيين فلم يسروا باعمال فردريك ولم يقبلوا شروطه ومعااهداته السلمية لانهم كانوا يعتبرونه محروماً ومرفوضاً من قبل الكرسي الروماني ولذلك رفضوا طاعته حتى ان بطريك اللاتين لم يرض ان يحضر احتفال تنويجه فحينئذ مد فردريك يده وأخذ التاج عن قبر المسيح ووضعه على رأسه

وبعد مدة يسيرة عاد راجعاً الى بلاده في ٢٩ مايو سنة ١٢٢٩ م . ولما برح فردريك سورية لم يقيم من يدافع عن الفرنج فيها فسار بطريك انطاكية وبطريك اورشليم الى المغرب يستصرخان الجبر الروماني وامراء اوربا لنجدة نصارى المشرق المنكودي الحظ فعقد البابا غريغوريوس التاسع مجمعاً في سبولاتو بايطاليا سنة ١٢٣٤ م وقرروا انه لا لزوم لرعاية الهدنة التي عقدت مع الملك الكامل بل يلزم امداد نصارى المشرق لان المسلمين دخلوا اورشليم بعد الهدنة فتجهزت في سنة ١٢٣٩ م تجريدة سابعة مؤلفة من انكليز وفرنساويين تحت قيادة بعض الاشراف . فسبق الفرنساويون الى سورية وحاربوا فيها جملة حروب كان الاستظهار فيها للمسلمين

وفي السنة التالية حضرت العساكر الانكليزية وكان قائدها الاميرال كورنوال وعند ما وجد هذا الامير ان تملكات الصليبيين وحقوقهم الممنوحة بموجب عهد وشروط من المسلمين عن يد ملك المانيا قد نقضت ورفضت وان خصومهم قد شلوكوا معهم مسلك الجور والعدوان اسرع في قيام الحرب على المسلمين واذ كان السلطان يومئذ مشغولاً في محاربة اخيه في دمشق عقد صلحاً مع الامير المشار اليه وتنازل له عن القدس وبيروت والناصرية وبيت لحم وجبل طابور وقسم كبير من الاراضي المجاورة . وبعد ذلك عاد الاميرال كورنوال الى بلاده

وفي هذه الاوقات بعينها ظهر جنكزخان الطاغية التتري واقام الحرب على ساق

وقدم بين طوائف العرب والعجم فازعج تلك البلاد وفاق بغاراته العباد فترا كضت الشعوب والقبائل مهزومة من امام وجهه ومن جملتهم شعوب خوارزم الذين احاطوا بسورية وتغلبوا عليها وفتكوا باهاليها واتخذهم الملك الصالح ايوب بن الكامل سلطان مصر سلاحاً يقاتل به الفرنج ففتكوا بهم ولم يرحموا شيخاً ولا امرأة ونهبوا بيت المقدس واستولوا عليه بدعوة الملك الصالح

ثم باغ اهل المغرب ماصنعه الخوارزمية باورشليم واستيلاء ساطان مصر عليها . وكان فردريك الثاني ملك المانيا قد عاد الى السطو على الكرسي الرسولي حتى فر البابا اينوشنسيوس الرابع من رومية الى ليون بفرنسا . فلما باغته هذه الاخبار هناك عقد مجلساً عاماً سنة ١٢٤٥ م وكان بين الحضور فالريان اسقف بيروت فابان حالة الياس التي كان عليها الفرنج بسورية فقر المجمع المذكور بارسال نجدة للنصارى بالمشرق . وكان لويس التاسع ملك فرنسا قد مرض مرضاً شديداً فنذر ان يتجند للدفاع عن الاراضي المقدسة فابتداء يتجهز لوفاء نذره

وفي ٢٥ اغسطس سنة ١٢٤٨ م سافر الملك لويس من فرنسا في ٥٠ الف مقاتل ووصل مصر في ٤ يونيه سنة ١٢٤٩ م (وهذه هي التجربة الثامنة) فوصل الى دمياط وامتلكها وتقدم منها الى داخلية البلاد ولكن قبل بلوغ آماله انقرضت عساكره بالمرض والجوع فوقع هو مع من بقي من جيوشه اسيراً في ايدي المسلمين وبقي في اسرهم الى ان فدى نفسه وسار بباقي رجاله الى فلسطين ومن هناك توجه الى اوربا سنة ١٢٥٤ م . ومن هذا الوقت الى سنة ١٢٦١ م التي فيها انقرضت الدولة الايوبية لم يحدث شيء يستحق الذكر سوى قدوم التتر بقيادة الغاتح هولاكوخان الى سورية فاشتغل المسلمون عن الفرنج بهم وقد تقدم ذكر ذلك وما كان من هولاء التتر وكيف انقرضت الدولة الايوبية على يدهم . اما بقية اخبار الصليبيين لحين تركهم فلسطين فسنذكرها ان شاء الله في دولة المماليك بمصر والشام والله ولي التوفيق

٤٧٢ - دولة المغول او التتر بايران

(تمهيد) ذكرنا في فصل ٦٥ كيف ابتدأت دولة التتر التي نحن بصددھا الآن ولكن لا بأس من اعادة ما ذكرناه فنقول :

المغول او المغل قبيلة من التتر كانت تقيم حوالي بحيرة بيكال في جنوبي سيبيريا وتاريخهم القديم مظلم لانهم لم يظهروا الا بظهور جنكيزخان الذي لم يكن والده الا أميراً على ١٣ قبيلة من المغول تحت رعاية الخان الاكبر المدعو اونك خان يهود متبادلة بينهما

ولد جنكيزخان سنة ٥٤٨ هـ فسموه تموجين وهو اسمه الذي كان يعرف به في نشأته الاولى . وبعد اربع عشرة سنة توفي ابوه فاستخف رؤساء القبائل بتموجين وتمردوا عليه واصبح كل منهم يطلب السيادة لنفسه . وكان تموجين شديد البطش من حدائته فجمع رجاله وحارب الثائرين وتغلب عليهم فهابه الناس . الا انه لم يستغن عن استجداد الخان الاكبر فانجده فآكرمه وثبته في اماره ابيه وأزوجه ابنته

وكان تموجين قد شب على ظهور الخيل وتعلم رمي الشباب وضرب السيف واتقن الفروسية بسائر فروعها . وكان قوي البدن شديداً صبوراً على التعب والجوع والبرد والالم وعود رجاله على ذلك فاجتمعت كلمتهم على نصرته وانقادوا لامره . ولما علت منزلة تموجين عند الخان الاكبر هاجت عوامل الحسد في أعضاء أسرته وغيرهم من رجال الدولة وكان تموجين قد اغرى الخان الاكبر بهؤلاء الامراء فضيق الخان عليهم فاوغرت صدورهم قناروا عليه (على الخان الاكبر) وشقوا عصا الطاعة وحاربوه وغلبوه فاستنجد تموجين فانجده واعاده الى كرسيه ومثل باعدائه حتى بقي ٧٠ رجلاً منهم في الماء الغالي وهم احياء

فلما ظهر تموجين واطهر القسوة والشدة خافه حموه وخسده فادرك تموجين ذلك فسعى في اصلاح ما بينهم بالحسنى فلم ينجح . وعزم الخان الاكبر اونك خان على اغتيال تموجين والقبض عليه . فانضم الى تموجين غلامان من غلامان اونك خان واعلماه القضية وعيّناه له الديلة التي فيها يريد اونك خان كبسه . وفي الحال امر تموجين اهله باخلاء البيوت وتركها على حالها منصوبة . وكن هو مع الرجال بالقرب من البيوت وفي وقت السحر هجم اونك خان واصحابه على بيوت تموجين فلقوها خالية . وكرّ عليه

تموجين واصحابه من الكمين واوقعوا بهم وناوشوهم القتال واثنوا فيهم وهزمهم .
 وحاربهم مرتين حتى قتل الخان الاكبر اونك خان وابطاله وسبوا ذراريه
 وبعد قتل الخان الاكبر تولى تموجين عرش المغول . وحارب تموجين بعد ذلك
 حروباً فاز فيها فازداد امراؤه تعلقاً به . فاحتفلوا بتميته احتفالاً عظيماً في سهل على
 ضفاف سلكنا فاجتمع الامراء والخانات فخطب فيهم وكان قوى العارضة فابدى ثم جلس
 على لبادة سوداء فرشوها له هناك (واصبحت تلك اللبادة اثرأ مقدساً عندهم من ذلك
 الحين) ثم وقف بعض الحضور وكان من اهل التقوى والنفوذ وقال « مهما بلغ من
 قوتك فانها من الله وهو شياخذ بيدك ويشد ازرك فاذا افروقت في سلطانك صرت
 اسود مثل هذه اللبادة ونبتك رجالك نبذ النواة » وفي هذا القول من حرية البداوة
 والجرأة مثلاً كان يحصل من جرأة العرب على خلفائهم وامرائهم في صدر الاسلام .
 ثم تقدم سبعة امراء انهمضوه باحترام وساروا بين يديه حتى اجلسوه على عرشه
 ونادوا باسمه ملكاً على المغول . وكان في جملة الحضور شيخ يعتقدون فيه الكرامة
 والقداسة فتقدم وليس عليه كساء وقال « يا اخوتي قد رأيت في منامي كأن رب السماء
 على عرشه الناري تجدد به الارواح وقد اخذ بمخامة اهل الارض فحكم ان يكون العالم
 كله لمولانا تموجين وان يسمى جنكزخان (اي الملك العام) ثم التفت الى الملك تموجين
 وقال ليكن ايها الملك فانك تدعي منذ الآن جنكزخان بأمر الله »
 ولم يعد يعرف بعد ذلك الا بهذا الاسم

٤٧٣ - جنكزخان

من سنة ٥٩٩ هـ - ٦٢٤ هـ او من سنة ١٢٠٣ - ١٢٢٧ م

واستتب الامر لجنكزخان بالكيفية المتقدم ذكرها وذلك سنة ٥٩٩ هـ ثم ارسل
 الى جميع شعوب الترك فكان من اطاعه وتبعه سعد ومن خالفه خزل وبعد ان خضعت
 له جميع امم التت والترك اخترق سور الصين وانتصر على الصينيين في وقائع كثيرة
 واحتل باكين عاصمة مملكتهم ثم عاد الى بلاده وسن القوانين وشرع الشرائع لحفظ
 نظام المملكة

وكان لجنكزخان اربعة اولاد ولام الامور العظام في مملكته . الاول نوشي ولي
 امر الصيد والطرود وهو احب الامور اليهم . والثاني جقتاي ولي امر الحكومات

والسياسة اي الناموس والقضاء . والثالث اوكتاي ولي تدبير الممالك لغزارة عقله واصابة رأيه . والرابع تولى ولي امر الجيوش وتجهيز الجنود والنظر في مصالح العسكر وكان جنكزخان اخ يقال له اوتكين فعين له ولكل واحد من الاولاد بلاداً بقيوم بها . اما اوتكين فاقام بمحدود الخطا . وتوشي اقام بمحدود قباليغ وخوارزم الى اقصى سقسين وبلغار . وجققاتاي اقام بمحدود بلاد الايغور بالقرب من المالبغ الى سمرقند وبخارى . واقام اوكتاي بمحدود ايميل وفوتاق وجاوره تولى ايضاً في تلك النواحي

وبعد ان قسم جنكزخان مملكته بالكيفية المتقدمة سمي نفسه خاقاناً . وقام اولاده واخوه بما عهد اليهم خير قيام فكانوا ساعده اليمين

وفي سنة ٦٠٩ هـ قصد ثلاثة نفر من تجار بخارى بلاد التتر فاشترى منهم جنكزخان ما معهم وردهم بغاية الاكرام واصحبهم ببعض تجار التتر ليشترى له من نفائس البلاد وظرائفها ما يصلح له وارسل معهم رسولا الى السلطان محمد خوارزم شاه يقول له « ان التجار وصلوا الينا وقد اعدناهم الى مامنهم سالمين غانمين وقد سيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من ظرائف تلك الاطراف فينبغي ان يعودوا الينا آمنين ليتمكنوا من الوفاق بين الجانبين وتنحسم مواد النفاق من ذات البين »

فلما وصل التجار الى مدينة اترار طمع اميرها غازي خان فيما معهم من الاموال فطالع خوارزم شاه في امرهم وحسن له ابادتهم واغتنام ما لهم فاذن له في ذلك فقتلهم الا واحداً منهم هرب من السجن . ولما رأى ما جرى على اصحابه لحق ببلاد التاتار واعلمهم بالمصيبة . فعظم ذلك عند جنكزخان وتاثر منه الى الغاية وهجر النوم وصار يحدث نفسه وبفتكر فيما يفعله . وقيل انه صعد الى رأس تل عال وكشف رأسه وتضرع الى الباري تعالى طالباً اليه نصره على من باداه بالظلم وبقي هناك ثلاثة ايام بلياليها هائماً . وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهباً عليه السواد ويده عكازه وهو قائم على بابه يقول له « لا تجف افعل ما شئت فانك مؤثد » . فانتبه مذعوراً ذعراً مشوباً بالفرح وعاد الى منزله وحكى حلمه لزوجته وهي ابنة اونك خان (وكانت مسيحية على ما يقال) فقالت له هذا زي اسقف كان يردد الى ابي ويدعو له ومجيئه اليك دليل انتقال السعادة اليك . فسال جنكزخان من في خدمته من نصارى الايغور هل ههنا احد من الاساقفة فقبل له عن الاسقف دنخا . فلما ظلمه ودخل عليه بالبيروت

الاسود قال « هذا زي من رأيت في منامي لكن شخصه ليس ذاك » فقال الاسقف « يكون الخان قد رأى بعض قدسيينا »

ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصرى ويحسن الظن بهم ويكرمهم . وابتدأ جنكزخان يتجهز لاختار التجار الذين قتلهم غاير خان بمصادقة خوارزم شاه ظلماً وعدواناً . وفي سنة ٦١٦ هـ قصد جنكزخان بلاد السلطان محمد خوارزم شاه ولما وصل الى مدينة اترار سير جنكزخان ابنه الكبير في تومازين عسكر الى جانب جنخند وتوجه هو بنفسه الى بخارى ورتب على محاصرة اترار ولديه جقاناى واوكتاي فدام القتال عليها خمسة اشهر لان السلطان محمد آ كان قد سير اليها غاير خان في خمسة آلاف فارس وقراجا خاص حاجب في عشرة آلاف وكانوا كلهم بها

ولما ضاقت الحيلة بمن في المدينة وعجزوا عن المقاومة شاور قراجا لغاير خان في الصلح وتسليم البلد . فابى غاير خان الا المجاهدة حتى الموت لعله ان المغول لا يبقون عليهم . فتوقف قراجا الى هجوم الليل وخرج في اكثر عسكره الى خارج باب دروازه الصوفي فعوقوه الى الصبح ثم حمل الى ابني جنكزخان فاستنطقاه واستعلما منه كنه احوال البلد وامرا بقتله وقتل كل من كان معه فائلين « اذا كنت ما ابقيت على نخدومك وولي نعمتك فلا تبقي ولا علينا »

وزحف العسكر الى المدينة ودخلوها واخرجوا اهلها جميعهم الى ظاهرها واغاروا على ما فيها وبقي غاير خان في ٢٠ الفا من اصحابه متفرقين في دروب المدينة لم يتمكن منهم المغول وكانوا يخرجون خمسين خمسين يكادون ويطعنون في عسكر المغول ويقتلون ثم يقتلون . وكان هذا دأبهم شهراً الى ان بقي غاير خان ومعه نفران يجالدون في سطح دار السلطنة وكانت جنكزخان قد امر بعدم قتل غاير خان بل احضاره اليه خياً . فلذلك كثر التعب معه وقتل حاحبائه وبقي وحده يقاتل بالاجر الذي كان الجوارى بناوانه من الجدار . فلما عجز عن المناولة احاط به المغول وقبضوه وحملوه الى جنكزخان بعد عوده من بخارى الى سمرقند وقتل هناك في كوك سراي

وفي سنة ٦١٧ هـ في اوائل المحرم نزل جنكزخان في غساكره على مدينة بخارى واحاط بها العسكر من جميع جوانبها . وكان بها من عسكر السلطان محمد خوارزم شاه عشرون الفا بقيادة كوك خان وسونج وكشلي خان . ولما تحققوا عجزهم عن مقاومة المغول خرجوا من الحصار بعد غروب الشمس فادركهم المحافظون من عسكر المغول على نهر

جيحون فاقفوا فيهم وقتلهم كافة ولم يبقوا منهم مخبراً . فلما فارق المقاتلون المدينة لم يبق لاهلها حيلة الا التسليم والخروج وطلب الامان . فخرج الائمة والاعيان الى خدمة جنكزخان يتضرعون اليه يطلبون حقن دمائهم حسب . فتقدم باخراج كل من في المدينة الى ظاهرها فخرجوا ودخل هو وولده تولى الى المدينة فوقف على باب مسجد الجامع وقال « هذا دار السلطان » فقالوا « بل خانة يزدان » اي بيت الله . فنزل ودخل الجامع وصعد الى المنبر وقال لا كابر بخارى « ان الصحراء خالية من العلف فانتم اشبعوا الخيل مما عندكم في الانبار » ففتحوها وساروا ينقلون ما فيها من الغلات . اما الترففتحوا الصناديق التي في الجامع ورموا ما فيها من الكتب وجعلوها اوارى للخيول واحضرو الطعام والشراب هناك واكلوا وشربوا وطربوا . ثم خرج جنكزخان الى منزله وجمع الائمة والمشايخ والسادات والعلماء وقال لهم « ان الله ملك الكل ارساني لاطهر الارض من بغي الملوك الجائرة الفسقة الفجرة » وذكر لهم ما فعله امير اترار باذن سلطانه بالتجار الى غير ذلك . ثم امرهم ان يعتزلوا الاغنياء واصحاب الثروة بم عزل عن الفقراء فعزلهم وكانوا ٢٨٠ الفاً وقال لهم « ان الاموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استعمالها منكم وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي تحت الارض . فقبلوا بالسمع والطاعة . ووكلوا مع كل قوم شخصاً يستخرج المال واثار سرّاً الى المستخرجين ان لا يكفهم مالا يطيقونه ويرفقوا بهم وذلك لما رأى من حسن اجابتهم الى ما امر وابه . ولان جماعة من عسكر السلطان كانوا مختلفين بالمدينة امر فرموا في محالها النار فاحترقت المدينة باسرها لان جل عمائرها من خشب فبقيت عرصة بخارى قاعاً صفصفاً وتفرق اهلها منتزحين الى خراسان

وفي ربيع الاول من السنة نزل جنكزخان على مدينة ممرقند وكان السلطان محمد خوارزم شاه قد رتب فيها ١٠٠ الف وعشرة الاف فارس يقومون بجراستها فلما نازها منع اصحابه عن المقاتلة وانفذ جيشاً مؤلفاً من ٣٠ الف محارب بقيادة سنتاي نوين في اثر السلطان محمد خوارزم شاه وقال لهم « اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلق بالسقاء حتي تدركوه وتحضروه » فطاردوه وهو هارب امامهم من قلعة الى قلعة ومن حصن الى حصن الي ان توفي في بعض قلاعه غماً على ما لحق به . وانفذ جيشاً آخر بقيادة غلاق نوين وبسور نوين الى جانب الطالقان . وامر باقي العسكر بمحاصرة ممرقند فحاطوا بها وقت سحر فبرز اليهم مبارزو الخوارزمية وناوشوهم القتال وجرحوا جماعة كثيرة من التاتار

واسروا جماعة وادخلوهم المدينة

فلما كان الغد ركب جنكزخان بنفسه ودار على العسكر وحثهم على القتال فاشتد القتال ذلك اليوم بينهم ودام النهار كله ووقف الابطال من المغول على ابواب المدينة ولم يمكنوا احداً من المجاهدين من الخروج فحصل عند الخوارزمية فتور كثير ووقع الخلف بين اكابر المدينة وتلونت الآراء فبعض مال الى المصالحة والتسليم وبعض لم يامن على نفسه وان اومن خوفاً من غدر التاتار . فقوي عزم القاضي وشيخ الاسلام على الخروج فخرجوا الى خدمة جنكزخان وطلبوا الامان لهما ولاهل المدينة فلم يجيبهما الا الى امان انفسهما ومن يلوذ بهما . فدخلوا الى المدينة وفتحوا ابوابها فدخل المغول واشتغلوا ذلك اليوم بتخريب مواضع من السور وهدم بعض الابرجة ولم يتعرضوا الى احد الى ان هجم الليل فدخلوا الى المدينة وصاروا يخرجون من الرجال والنساء مائة مائة بالعدد الى الصحراء ولم يتكفوا الا عن القاضي وشيخ الاسلام وعمن التجأ اليهما فاحتجى بهما نيف وخمسون الفا من الخلق ولما اصبح الصباح شرع المغول في نهب المدينة وقتل كل من وجدوه مخبئاً في المغائر وتوارى بالستائر وقتلوا تلك الليلة نحو ثلثين الف تركي وقتلوا وقسموا بالنهار ٣٠ الفا من الاولاد والامراء واطلقوا الباقي ليرجعوا الى المدينة ويجمعوا من بينهم ٢٠٠ الف دينار ثمن ارواحهم وكان المحصل لهذا المال ثقة الملك والامير عميدوهما من اكابر سمرقند والشحنة طايفور . ومن هناك توجه جنكزخان بعساكره الى نواحي خوارزم وانفذ الرسل اليهم يدعومهم الى مبايعته والدخول في طاعته وشغلهم اياماً بالوعد والوعيد والتاميل والتهديد الى ان اجتمعت العساكر ورتب آلات الحرب من منجنيق وما يرمي بها . ولان صقع خوارزم لم يكن فيه حجر كان المغول يقطعون من اشجار التوت قطعاً كالخجارة ويرمون بها وملأوا الخندق بالتراب والخشب والحشيم وانشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فملكوا سورها واضرموا النار في محالها فانتهى على اكثر دورها وما فيها فيئس المغول من الانتفاع بشيء منها فاعرضوا عن الحريق وصاروا يملكون محلة محلة لان اهلها كانوا يمتنعون فيها اشد امتناع . ولم يزالوا كذلك الى ان ملك المغول كل المحال واخرجوا الخلائق كافة الى الصحراء وفرزوا الصنائع والمخترفين الى ناحية واسروا البنين والبنات والنساء اللواتي ينتفع بهن وقسموا الباقي من الرجال والنساء المجائز على العسكر ليقتلوهم فقتل كل واحد منهم اربعاً وعشرين شخصاً

وفي اوائل سنة ٦١٨ هـ عبر جنكزخان نهر جيحون وقصد مدينة بلخ فخرج اليه

اعيانها وبذلوا الطاعة وحملوا الهدايا وانواعاً من الترفو (اي الما كل والمشرى) فلم يؤمنهم بسبب ان السلطان جلال الدين بن محمد خوارزم شاه كان في تلك النواحي يهي اسباب الحرب ويستعد للقتال فامر جنكزخان بخروج اهل بلخ الى الصحراء ليعدهم كالعادة فلما خرجوا باسره رمى فيهم السيف . ومن هناك توجه نحو الطالقان وقتل اكثر اهلها واسر من صلح للاسروا بقى البعض . ثم سار الى الباميان فعصى اهلها وقتلوا قتلاً شديداً واتفق ان أصيب بعض اولاد جقاتاي بن جنكزخان بسهم فففى نجه وكان من احب احفاد جنكزخان اليه فعظمت المصيبة بذلك واضطربت النيران في قلوب المغول وجدوا في القتال الى ان فتحوها وقتلوا كل من فيها حتى الدواب والبقرة والاجنة التي في بطون الحبالى ايضاً ولم ياسروا منها احداً قط وتركوها ففراً

ولم يزل جنكزخان ينتقل في بلاد خراسان من مدينة الى مدينة ومن قلعة الى قلعة يقتل ويأسر وينهب الي ان دوح تلك النواحي وأزال معالم المدينة منها . ولما فرغ جنكزخان من تخريب بلاد خراسان سمع ان السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه قد استظهر بالعراق فسار نحوه ليلاً ونهاراً بحيث ان المغول لم يتمكنوا من طبع لحلم اذا نزلوا . فحين وصلوا الى غزنة اخبروا ان جلال الدين من خمسة عشر يوماً رحل عنها وهو عازم ان يعبر نهر السند . فلم يستقر جنكزخان ورحل في الحال وحمل على نفسه بالسير حتى لحقه في اطراف السند فطاف به العسكر من قدامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهر السند كالوتر وهو في وسط . وبالغ المغول في المكاوحة وتقدم جنكزخان ان يقبض حياً ووصل جقاتاي واوكتاي ايضاً من جانب خوارزم

فلما رأى جلال الدين انه ماخوذ على اي حال عزم ان يقاتل حتى يقتل فحمل عليهم حملات وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الامر بمثل ذلك لامتساع المغول عن رميه بالنشاب ليحضره حياً امام جنكزخان امثالاً لمرسومه فكانوا يتقدمون اليه قليلاً قليلاً . فلما عين تضيق الحلقة عليه نزل فودع اولاده وخواصه باكياً كئيباً ثم رمى عنه الجوشن وركب جنيبه وهو كالاسد الغيور وهم بالعبور واتهم فرسه النهر فانقحم وعام وخلص الي الساحل وجنكزخان واصحابه ينظرون اليه ويتأملون حيارى . ولما شاهد ذلك جنكزخان وضع يده على فمه متعجباً والتفت الى ولديه وقال لهما « من اب مثل هذا الابن ينبغي ان يولد اذا نجا من هذه الوقعة

فوقائع كثيرة تجري على يديه • ومن خطبه لا يغفل من يعقل «
وأراد جماعة من البهادورية ان يتبعوه في الماء فتمهم جنكزخان قائلاً « انكم لستم
من رجاله لانه كان يرامي المغول بالسهم وهو في وسط الشط • فلما فاتهم اخذوا
امر الخان باحضار حرمة واولاده وتقدم بقتل جميع الذكور حتى الرضع
ولان جلال الدين عند ما اراد الخوض في النهر الفى جميع ما كان صحبته من
آنية الذهب والفضة والنقرة فيه امر القواصين فاخرجوا منها ما امكن اخراجه •
وكان هذا الامر الذي هو من عجائب الانام ودواهي الايام في رجب فقيل في المثل :
عش رجباً تر عجباً »

وفي سنة ٦٢٤ هـ رجع جنكزخان من الممالك الغربية الى منازل القديعة الشرقية
ثم رحل من هناك الى بلاد تنكوت وهناك عرض له مرض من عفونة ذلك الهواء
الوخيم • ولما قوي مرضه استدعى اولاده وقال لهم « اني قد ايقنت مفارقة الدنيا
ليعجز قوتي عن حمل ما بي من الآلام ولا بد من شخص يقوم بحفظ المملكة على
حاملها والذب عنها وقد اعلمتكم غير مرة ان ابني اوقتاى يصلح لهذا الشأن لما رأيت
من مزية رايه المتين وعقله المبين • والآن فقد جعلته ولي عهدي وقلدته ما يليق
من جميع الممالك فما قولكم »

فجئنا اولاده على ركبهم وقالوا « جنكزخان هو الملك للرقاب ونحن العبيد
السامعون المطيعون في جميع ما يتقدم به على وفق مراده ومرسومه »
وعند فراغه من الوضبة اشتد مرضه وتوفي لاربع مضي من شهر رمضان سنة
٦٢٤ هـ وكان مدة ملكه نحو خمس وعشرين سنة دمر فيها الارض تدميراً وجاء
ضربة من الله وسخطاً على بني آدم وقتك بالالوف والملايين
وكان جنكزخان مع قدرته الهائلة في الحروب رجلاً مدبراً حكيماً

٤٧٤ — فاته به جنكيزخان

من سنة ٦٢٤ — ٦٤٣ هـ او من سنة ١٢٢٧ — ١٢٤٥ م

لما توفي جنكزخان اجتمع اولاده وامراء مملكته ليعتقلوا بتتويج اوقتاى
كوصية جنكزخان التي تقدم ذكرها • فاستقالهم اوقتاى الولاية قائلاً « ان امر

الوالد وان كان لا اعتراض عليه لكن هنا اخ اكبر مني واعمام هم اولي مني بها» فلم يقلوه اياها واحصوا على انه لا بد من امثال مرسوم الوالد وداموا على اصرارهم ٤٠ يوماً وما زالوا يتضرعون اليه ويلحون عليه حتى اجابهم الى ذلك فكشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم على اكتافهم واخذ جقاتا اخوه الكبير بيده اليمنى واوتكين عمه بيده اليسرى واجلساه على سرير المملكة واقباه قائما

ولما فرغوا من حفلة تنويجه وجلوسه على كرسي المملكة اعطى كل واحد من اخوته ما قسمه لهم والدم في حياته والتفت هو الى توسيع دائرة مملكته انما لمقاصد ابيه فجهز جيشاً مؤلفاً من ثلاثين الف مقاتل وسيره بقيادة جورماغون الى ناحية خراسان وجيشاً آخر بقيادة سنماي بهادر الى بلاد قفقاق وسقسين وبلغار وآخر الى بلاد التبت وقصد هو بنفسه بلاد الخطا

فسار جورماغون ومهد الامور في بلاد خراسان ثم علم برجوع جلال الدين ابن خوارزم شاه من الهند وتغلبه على اذربيجان وغيرها من تلك النواحي فتقدم اليه ولحق به في ديار بكر فارسل له بعض قواده المدعو بايلاس نوين . وكان جلال الدين في ذلك الوقت يزجي اوقاته بالتمتع باللهو والشراب والطرب كأنه يودع الدنيا وملكها الفاني . وبينما هو في ذلك فجأه هجوم بايلاس نوين في عسكره ليلاً فتكاف للانتباه وعابن نيران المغول بالقرب من مكانه فتقدم الى الامير اورخان ان يلم به الجماعة ويشغل المغول عند الصبح بالاقدام تارة والاحجام اخرى وفر هو مع ثلاثة من مماليكه تائها في جبال ديار بكر . فلما اصبحوا ظن المغول ان جلال الدين خوارزم شاه فيهم فجدوا في طلبهم طاردين في اعقابهم وهم منزعجون بين ايديهم ولما تحققوا انه ليس معهم رجعوا عنهم . اما جلال الدين خوارزم شاه غاوم به قوم من الاكراد ببعض جبال آمد ولم يعرفوه وقدروه من يدهم چند الخوارزمية فقتلوه والمملوكين طمعاً في ثيابهم وخيلهم وسلاحهم

اما قا ان نفسه فسار الى بلاد الخطا وسير في مقدمته اخويه جقاتاي والغ نوين وباقي الاولاد في عساكر عظيمة . فساروا ونازلوا اولاً مدينة يقال لها حرجا بنو

يقسين (ويقال خوجا بنو يقسين) وهي على شط قراموران (معناه النهر الاسود) فاحاطوا بها وحاصروها مدة اربعين يوماً وكان فيها عشرة الاف من فرسان الخطا فلما راوا العجز عن مقاومة المغول ركبوا السفن التي كانوا اعدوها هاربين . وطلب اهل البلد الامان فامنوا ورتب المغول عندهم الشحاني وقصدوا باقى المواضع

وجهرز قا ان اخاه الغ نوين وولده كيوك وسيرهم في عشرة الاف فارس في المقدمة وسار هو في عقبهم فتمهل ومعه العسكر الكبير . فجيش التون خان ملك الخطا مائة الف من شجعانه وانفذهم للقاء المغول فلما وصلوا اليهم استحقروهم اقلتهم بالنسبة اليهم وتهاونوا في امرهم وارادوا ان يسوقوهم كما هم الى ملكهم التون خان ليفرجوا بهم عنه غمه . فشغلهم المغول بفنور المكافحة واطعموهم الى ان وصلت الافواج التي مع قا ان فاوقعوا بعسكر الخطا ولم يفلت منهم الا النزر . وكان التون خان بمدينة ناميك . فلما بلغه الخبر بما جرى على اصحابه الابطال ارتاع ويش من الحياة وجمع اولاده ونساءه وكل من يعز عليه ودخلوا بيتاً من بيوت الخشب وامر بضرب النار فيه فاحترق هو ومن معه انفة من الوقوع في اسر المغول . ودخلت عساكر المغول الى المدينة ونهبوا واسروا البنين والبنات وامنوا الباقي . وفتحوا غيرها من المدن المشهورة ورتب بها قا ان الشحاني وقفل الى مواضعه القديمة وبنى بها مدينة سماها اردوباليق (وهي مدينة قراقوم) وجعلها عاصمة ملكه واسكنها خلقاً من اهل الخطا وتركستان والفرس والمسنعربين

وبيناهم مسرورون بفتح بلاد الخطا توفي تولى خان بن جنكزخان وكان احب الاخوة الى قاان فاغتم لذلك كثيراً وامر ان زوجته المسماة سرقتي بيكي وهي ابنة اخي اونك خان تتولى تدبير عساكره وكان لها من الاولاد اربعة بنين مونككا وقوبلاي وهولاكو وارينغ بوكا . فاحسنت تربية الاولاد وضبط الاصحاب وكانت ليبيبة عاقلة تدين بالنصرانية . وفي مثلها قال الشاعر

فلو كان النساء كمثل هذه افضلت النساء على الرجال

وبعد قليل مات ايضاً الاخ الكبير المسمى توشي فولى قاان ابنه باتو على البلاد

التي كانت بيد ابيه وهو الذي غزا بلاد الروس واللان والبلغار واخضعهم تحت سيطرته بعد ان مثل بهم تمثيلاً شنيعاً ثم عزم على غزو القسطنطينية فاستنجد ملكها باهل اوروبا فانجدوه خوفاً من تقدم التاتار في بلادهم وجرت بينهم حروب كثيرة انجأت عن كسرة المغول وهزيمتهم فقتلوا من غزائهم هذه ولم يعوذوا يتعرضون الى تلك النواحي مرة اخرى

وفي سنة ٦٣٣ هـ غزا التاتار نينوي ونزلوا الى قرية ترجلة وكرمليس فهرب اهل كرمليس ودخلوا كنيسة وكان لها بابان فدخلها المغول وقعد اميران منهم كل واحد على باب واذنوا للناس في الخروج عن الكنيسة فن خرج من احد بابيها قتلوه ومن خرج من الباب الآخر اطلقوه ولم يعلم سبب ذلك

وفي سنة ٦٣٤ هـ غزا التاتار بلداريل وهرب اهل المدينة الى قلعتها فحاصروها ٤٠ يوماً ثم اعطوا مالاً فرحلوا عنها وقصدوا العراق ووصلوا الى تخوم بغداد الى موضع يسمى زنكباد والى سامرا (سرمن راي) فخرج اليهم مجاهد الدين الدويدار وشرف الدين اقبال الشرايبي في عساكرهما فلقوا المغول وهزموهم. ثم عاد التاتار الى بغداد ووصلوا الى خانقين فلقبهم جيوش بغداد فانكسروا وعادوا منهزمين الى بغداد بعد ان قتل منهم خاق كثير وغنم المغول غنيمة عظيمة وعادوا وذاع خبر تقدم التاتار الى العراق وانتصارهم على المسلمين فخاف غياث الدين كينسرو السلجوقي سلطان اسيا الصغرى وجهز العساكر من جميع البلاد وسار سنة ٦٤٠ هـ لمحاربة التاتار فالتقى العسكران بنواحي ارزنكان ببلاد ارمينية وانهزم المسلمون بدون قتال فانهزم السلطان مبهوتاً فاخذ نساءه واولاده من قيسارية وسار الى مدينة انقورا وتحصن بها. واقام المغول يومهم ذلك مكانهم ولم يجسروا على التقدم لانهم ظنوا ان هناك كميناً اذ لم يروا قتالاً يوجب هزيمة جيوش السلطان مع كثرة عددهم. فلما تحققت الامرا انتشارهم في بلاد الروم فنازلوا اولاً مدينة سواس فلكوها بالامان واخذوا اموال اهلها عوضاً عن ارواحهم واحرقوا ما وجدوا بها من آلات الحرب وهدموا سورها. ثم قصدوا مدينة قيسارية فقاتل اهلها اياماً

ثم عجزوا ففتحوها عنوة ورموا فيها السيف وابدوا اكبرها واغنياءها وسبوا النساء والاولاد وخربوا الاسوار ثم عادوا وساروا الى مدينة ارزنكان وملكوها عنوة وقتلوا رجالها وسبوا الذراري ونهبوها وخربوا سورها ومضوا . ولما رأى السلطان غياث الدين كيخسرو عجزه عن مقاومة التاتار ارسل اليهم يطلب الصلح فصالحوه على مال وخيل واثواب وغيرها بمظيهم كل سنة مبلغاً معيناً . وفي سنة ٦٤٣ هـ توفي قان بن جنكزخان وكان قد ارسل رسولا في طلب ابنه كيوك ليراه قبل مفارقتها الحياة وابوليه عهده من بعده فلم يمهله القضاء ليجمع به

٤٧٥ - كيوك خان بن قان

من سنة ٦٤٣ هـ الى سنة ٦٤٧ هـ او من سنة ١٢٤٥ - ١٢٤٩ م

لما توفي قان بن جنكزخان اجتمع امراء المغول وبايعوا ابنه كيوك خان واستخدم كثيرين من المسيحيين حتى ان انا بكه كان مسيحياً فارتفع شان الطوائف المسيحية في ايامه حتى خيل للناس ان المملكة صارت مسيحية

ولم تطل مدة ملك كيوك خان لانه في سنة ٦٤٧ هـ توفيت والدته تورا كينا خاتون . فنشاء من المقام بقراقوم ورحل عنها متوجهاً الى البلاد الغربية ولما وصل الى ناحية كستكي ادركه اجله في تاسع ربيع الآخر من السنة

ولما توفي كيوك خان اجتمع امراء المغول وبايعوا مونككا بن تولي بن جنكزخان فاستولى على كرسي السلطنة بقراقوم وقسم المملكة على اخوته واقاربه من آل جنكزخان فكانت بلاد ايران من حصة اخيه هولاكو بن تولي بن جنكزخان وان يكن قد تولاهما تحت نظر اخيه مونككا المذكور الا انه اورثها بنيه حتى صارت دولة مستقلة بذاتها . واذا لا يهمننا من اخبار الدولة التتارية (المغولية) الا ما كان متعلقاً منها ببلاد المسلمين فسنترك مونككا واخباره والملك التتارية الاخرى

وما حدث فيها وتقدم الى ذكر هولاء بن تولى واخباره وبنيه من بعده لانهم هم الذين تولوا بلاد ايران فنقول وعلى الله الاتكال

٤٧٦ - هولاء بن تولى

من سنة ٦٥٠ - ٦٦٤ هـ او من سنة ١٢٥٢ - ١٢٦٦ م

اقطع مونككا بن تولى اخاه هولاء بن تولى بلاد ايران سنة ٦٥٠ هـ فصار اليها من قراقوم في جيش عظيم سنة ٦٥١ هـ فوصل الى مروج سمرقند في شهر شعبان سنة ٦٥٣ هـ واقام بها اربعين يوماً . وكان الوقت شتاء شديد البرد لا يقشع الغيم ولا ينقطع وقوع الثلج من تلك البقاع . فامر هولاء بن تولى ان يقصدوا في عساكرهم قلاع الملاحدة (١)

وكان مقدم الاسماعيليه يومئذ ركن الدين خورشاه بن علاء الدين فاخرب خمس قلاع من قلاعه التي لم يكن فيها ذخائر للحصار

فلما وصل هولاء بن تولى الى عباسا باذسير ركن الدين الى العبودية صبياً عمره نحو سبع او ثمان سنين وذكر انه ولده . فلم يخف صنيعه على هولاء بن تولى ولم يكشفه بذلك بل اعز الصبي واكرمه ثم اعاده اليه . وبعد وصول هذا الابن المزور الى ركن الدين سير اخاه شيرانشاه في ثلاثمائة رجل على سبيل الخدمة . فسير هولاء بن تولى الى جمالا باذ من بلد قزوين واعاد اخاه محملاً رسالة اليه وهي :

(١) الملاحدة ويقال لهم الاسماعيليه والباطنية ايضاً هم من بقايا القرامطة الخوارج واصحاب حسن بن صباح قويت شوكتهم بعد موت ملك شاه السلاجوقي وتغلبوا على عدة حصون وخصوصاً حصن الاموت بالقرب من مدينة قزوين . وبث حسن اصحابه الى الجهات فسار قوم منهم الى سورية وتحصنوا في الجبال المجاورة لطرسوس وعليهم امير اسمه ابو طاهر ويعرف بشيخ الجبل يطيع للامير الكبير الذي في بلاد فارس .

ودامت سلطة الاسماعيليه من سنة ٤٨٣ - ٦٥٣ هـ او من سنة ١٠٩٠ - ١٢٥٥ م

« انه الى خمسة ايام ان لم يصل بنفسه الى الخدمة يحكم قلعته ويستعد للحرب »
 فارسل اليه ركن الدين رسولا يقول « انه لا يتجاسر على الخروج خوفاً من
 حشمة الذين معه داخل القلعة لئلا يشبوا عليه فاذا وجد فرصة جاء »

فعرف هولاء انه مماطل مدافع من وقت الى آخر فرحل رابع شوال سنة
 ٦٥٤ هـ من بيشكام ونزل على القلعة المخازية ليمون دره وتقدم بقتل الثلاثمائة رجل
 من الملاحدة الذين كانوا بجبال اباد قزوين سرّاً . ولما عاين ركن الدين نزول
 هولاء كوا بالتقرب سير رسولا يقول « ان سبب تماطلي لم يكن الا خوفاً من اهل
 القلعة والان انا نازل اليوم او غداً » فلما عزم على الخروج ثاوره الغلاة من الملاحدة
 وواثبه الغدائيون ولم يمكنوه من الخروج . فسير الى هولاء كوا وعلمه ما هم عليه من
 التمرد . فامرهم ان يداري الوقت معهم محافظاً بنفسه منهم وكيف ما كان يجتال للنزول
 ولو متكرراً . ثم امر هولاء كوا عساكره بالتقدم الى القلعة وقتال الملاحدة . فلما اشتغل
 الملاحدة بقتال المغول نزل ركن الدين ومعه ولده وخواصه الى عبودية هولاء كوا
 فاكرم هولاء كوا مشواه وطمئن خاطره . فلما تحقق من بالقلعة ما نال صاحبهم من
 الطمانينة والكرامة سلموا القلعة ونزلوا عنها فحاول المغول هدمها وفتحوا ايضاً جميع القلاع
 التي في ذلك الوادي . ثم عادوا الى القلعة وافتتحوها عنوة وخرّبوا جميع قلاع
 الاسماعيلية وهي تزيد على خمسين قلعة حصينة

ثم ارسل هولاء كوا ركن الدين الى الخاقان مونككا بقران قوم في تسعة انفار
 من اصحابه فلما وصلوا الى بخارا تخاصم ركن الدين مع اصحاب هولاء كوا المرسلين
 معه وتسافه عليهم فقتلوا عليه

فلما وصلوا الى قرا قوم قالوا لمونككا بما كان من نور الدين فامر بقتله وانفذ
 الى اخيه هولاء كوا بقتل جميع الاسماعيلية وازالتهم من وجه الارض ففعل . ثم رحل
 هولاء كوا عن همدان نحو مدينة بغداد . وكان في ايام محاصرته قلاع الملاحدة
 قد سير رسولا الى الخليفة المستعصم العباسي يطلب منه نجدة فاراد ان يسير ولم
 يقدر ولم يمكنه الوزراء والامراء وقالوا « ان هولاء كوا رجل صاحب احتيال وخديعة

وليس محتاجاً الى نجدتنا وانما غرضه اخلاء بغداد عن الرجال فيملكها بسهولة» فتقاعدوا بسبب هذا الخيال عن ارسال الرجال

ولما فتح هولاء كوت القلاع ارسل رسولا آخر الى الخليفة وعاتبه على اهماله تسيير النجدة . فشااوروا الوزير فيما يجب ان يفعلوه فقال « لا وجه غير ارضاء هذا الملك الجبار ببذل الاموال والهدايا والتحف له وخواصه » وعند ما اخذوا في تجهيز ما يرسلونه قال الدويدار الصغير واصحابه « ان الوزير انما يدبر شان نفسه مع التاتار وهو يروم تسليمنا اليهم فلا نمكنه من ذلك » فبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة واقتصر على شيء اندر لا قدر له . فغضب هولاء كوت وقال : « لا بد من محبته هو بنفسه او يسير احد ثلاثة نفر اما الوزير او الدويدار او سليمان شاه » فلم يجيبوه الى ما طلب . فامر هولاء كوت بالجنود نوين وسونجاف نوين لينوجهما في مقدمته على طريق اربل وتوجه هو على طريق حلوان

وفي منتصف شهر المحرم سنة ٦٥٦ هـ وصل هولاء كوت الى باب بغداد وفي يوم ويلة بنى المغول سوراً بالجانب الشرقي وآخر بالجانب الغربي وحفروا خندقاً عميقاً داخل السور ونصبوا المتجنيقات بازاء سور بغداد من جميع الجوانب ورتبوا العرادات والالت النفط

وكان بدء القتال ٢٢ محرم فلما عاين الخليفة العجز في نفسه والخذلان من اصحابه ارسل الى هولاء كوت في طلب الصلح فلم يجبه الى ذلك بل امر اصحابه المغول بالتشديد على المدينة وان يكتبوا على ساهمهم التي يرمون بها من في بغداد بالقرية هذه الجملة « كل من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه وامواله وحرمة » واشتد القتال على بغداد من جميع الجوانب الى اليوم السادس والعشرين من محرم . ثم ملك المغول الاسوار وكان الابتداء من برج المعجبي . فلما عاين الخليفة ان المغول سيدخلون المدينة لا محالة استاذن هولاء كوت بان يحضرون بين يديه فاذن له وخرج رابع صفر ومعه اولاده واهله . ثم شرع المغول في نهب بغداد ودخل هولاء كوت بنفسه الى بغداد ليشاهد دار الخليفة وامر باحضار الخليفة فاحضره ومثل بين يديه وقدم

جواهر نفيسة ولا آلي ودرراً معبأة في اطباق ففرق هولاء كو جميعها على الامراء .
ثم قبض هولاء كو على الخليفة المستعصم وقتله هو واولاده واهله وبقي النهب يعمل
في بغداد سبعة ايام قتل المغول في خلالها مليوناً وثلاث مئة الف مسلم على ما قيل
وان كان في هذا التقدير بعض المبالغة فلا اقل من ان يفيد ان الخسارة كانت
جسيمة جداً مما لم يسبق له نظير واستولوا على ما في قصور الخلافة والقوا كتب العلم
التي كانت في خزائنهم في دجلة معاملة برزخهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عند
فتح المدائن . وعزم هولاء كو على اضرار بيوتهم ناراً فلم يوافقهم اهل مملكته
وبعد فتح بغداد ارسل هولاء كو بالعساكر الى ميافارقين وبها الكامل محمد
ابن غازي بن العادل فحاصروها سنين حتى جهد الحصار اهلها ثم افنتحوها عنوة
واستلحموا حاميتها

وفي سنة ٦٥٨ هـ سار هولاء كو ومعه ٤٠٠ الف مقاتل الى الشام ونزل بنفسه
على حران وتسلمها بالامان وكذلك الزها ولم يذن لاحد فيهما بسوء واما اهل سروج
فانهم اهلوا امر المغول فقتلوا عن آخرهم . وتقدم هولاء كو فنصب جسراً على
الفرات قريباً من مدينة ملطية وآخر عند قلعة الروم وآخر عند قرقيسيا وعبرت
العساكر جملتها وقتلوا عند منبج مقتلة عظيمة . ثم تفرقت العساكر على القلاع
والمدن . وسار بعض العسكر الى حلب فخرج اليهم الملك المعظم من بني ايوب
فالتقاهم وانهم امام المغول ودخل المدينة منهزماً . وبعضهم وصل الى المعرة
وخربوها . وتسلموا حماة بالامان وكذلك حمص . فلما بلغ ذلك الملك الناصر اخذ
اولاده ونساءه وجميع ما يعز عليه وتوجه منهزماً الى بركة الكرك والشوبك . وعندما
وصل المغول الى دمشق خرج اعيانها اليهم وسلموها لهم بالامان ولم يلحق
باحد منهم اذى

اما هولاء كو فنزل بنفسه الى حلب وشدد عليها الحصار وملكها في ايام قلائل
ورمى المغول في اهلها السيف فقتلوا فيها اكثر مما قتلوا في بغداد . ثم سار هولاء كو
الى قلعة حارم وطلب تسليمها فامتنع اهلها ان يسلموها لغير فخر الدين والي قلعة

حلب فاحضره هولاء وسلموها اليه ولكن ذلك اغضب هولاء فامر بهم قتلوا
عن آخرهم . ثم عاد هولاء الى المشرق بعد ان استخاف على الشام قائده كتبغا
وهذا جعل همه البحث عن الملك الناصر المنهزم في البراري حتى عرف موضعه
وسير عليه بعض العسكر فلزموه وسيروه الى هولاء . فاكرم هولاء مثواه ووعده
برد ملكه اليه ولكنه لما علم ان ملك مصر استضعف المغول بعد مفارقته اياهم
وعزم على جمع العساكر وقصدهم فغضب هولاء لذلك وتقدم بقتل الملك الناصر
وقتل اخيه الملك الظاهر وجميع من معهم وبنتلهم انقضت الدولة الايوبية

ولما استولى التتار على اغلب بلاد الشام وهاجم المسلمون في العالم اجمع اهتم
الملك المظفر قطز ملك مصر بامرهم وجند الجنود واعد المعدات وسار من مصر
بالعساكر الاسلامية لقتال التتار وصحبته الملك المنصور صاحب حماة

ولما بلغ ذلك كتبغا نائب هولاء على الشام جمع من في الشام من التتار
وسار الى لقاء المسلمين وتقارب الجيشان في الغور واقتتلا فانهم التتار هزيمة قبيحة
واخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واسر ابنه وفر من بقي الى رؤوس
الجبال وتبعهم المسلمون وافنؤهم وهرب من سلم منهم الى المشرق . ولم يحدث بعد
هذه الحادثة في ايام هولاء حادث يستحق الذكر

وفي سنة ٦٦٤ هـ توفي هولاء بن تولى وكان حكيماً حليماً ذا فهم ومعرفة
يحب الحكماء والعلماء

ومما يجب ذكره انه كان في البلاد ايام هولاء حكيم عاقل اسمه نصير الدين
الطوسي صاحب الالهيات والفلسفة الشهيرة علم به هولاء خان فاكرمه ورفع مقامه
وكان يستشير في كل اموره حتى انه كان عازماً على اخضاع القسطنطينية فاشار
عليه نصير الدين بالتقدم على بغداد في اول الامر وانباء له بسقوط الدولة العباسية
فعمل هولاء برأيه ونجح في الامر على ما تقدم واتخذ هولاء مدينته مراغة عاصمة
لملكه وفيها توفي

٤٧٧ - اباقا بن هولاكو

من سنة ٦٦٤ - ٦٨١ هـ او من سنة ١٢٦٦ - ١٢٨٣ م

لما توفي هولاكو بن تولى تولى بعده ابنه اباقا وكان شجاعاً باسلاً وحكيماً عادلاً جعل همه اصلاح ما اختل في ايام والده والتعويض على الذين لحق بهم ضرر من عساكره فرمت البلاد في ايامه في ببحوحة الامن ولم يكدرها غير هجوم بعض التتر وذلك ان تكدار بن موجي بن جقاتاي بن جنكزخان طمع في الاستيلاء على بلاد اباقا فاستنجد اباقا الروم وسار لقتاله والتقى الجمعان ببلاد الكرج فانهمز تكدار ولجاء الي جبل هناك حتى استامن الى اباقا فامنه

وكان الظاهر ملك مصر قد ارسل الى ملك الارمن بان يخطب له ببلاده ويقطع خطبته السلطان اباقا فلم يقبل ملك الارمن ذلك خوفاً من اباقا واستمد اباقا فامده بقائدين من قواده هما تدوان وتغوا

وسار الظاهر من مصر ووصل الى بلاد الروم وهناك التقى بملك الارمن ومعه التاتار فحصلت بين الفريقين معركة شديدة انهزم فيها ملك الارمن ومن معه من التاتار واستولى الظاهر على قيسارية

وعلم اباقا بانهمزام جيشه امام المصر بين معظم عليه الامر جداً وسار بنفسه حتى وصل الرحبة ونازلها بنفسه مع بعض العساكر وبعث باقي الجيش بقيادة اخيه الاصغر مونكاتور فسار لقتال المصريين ومن عاضدهم من الشاميين . وكان هؤلاء قد استعدوا للاقاء التاتار استعداداً تاماً والتقى العسكران بين حماة وحصص ودارت بينهما رحى حرب شديدة فانهمز التاتار هزيمة شديدة وولوا الادبار .

ولما علم اباقا بهزيمتهم اجفل عن الرحبة وتوجه نحو بغداد ومنها الى همدان وفي سنة ٦٨١ هـ توفي اباقا بن هولاكو قيل مسموماً . وكانت وفاته في يوم

٢٠ من ذي القعدة من السنة

٤٧٨ - السلطان احمد بهر هولكو

من سنة ٦٨١ - ٦٨٣ هـ او من سنة ١٢٨٣ - ١٢٨٤ م

ولما توفي اباقا كان ابنه ارغون غائباً بخراسان فبايع المغل لاخيه تنكدار بن هولكو فاسلم وتسمى احمد وارسل بذلك للملك عصره واستنجدهم على قتال ارغون ابن اباقا الذي قام بخراسان طالباً ملك ابيه . ولما تم تجهيز العساكر ارسلهم السلطان احمد الى خراسان فلقبهم ارغون وكبسمهم وهزمهم واثخن فيهم . ولما علم المغول بانتصار ارغون وكانوا حاقدين على السلطان احمد لاسلامه انفقوا فيما بينهم على تولية السلطان ارغون بن اباقا وخام احمد وفعلاً تم ذلك يوم الاربعاء ١١ جمادي الاولى سنة ٦٨٣ هـ

٤٧٩ - ارغون بهر اباقا

من سنة ٦٨٣ - ٦٩٠ هـ او من سنة ١٢٨٤ - ١٢٩١ م

ولما جلس ارغون على كرسي المملكة اتفق الاكثرون من الامراء المغول واكابرهم ان ياتلوا احمد فلم يوافق ارغون على قتله ولكنهم اقنعوه بوجوب ذلك فقتله يوم الاربعاء ثاني جمادي الاخرى سنة ٦٨٣ هـ . ثم قبض ارغون على الوزير شمس الدين الجوني وكان متهماً بقتل ابيه فصادره وأخذ امواله ثم قتله وولى على وزارته سعد اليهودي الموصلية ولقبه سعد الدولة . وولى ابنه قازان وخداً ابناً على خراسان لنظر فيروز اتابكه

وكان ارغون قد عدل عن الاسلام واتبع الوثنية دين آباءه فكثرت في بلاطه سحرة الهند . فركب بغض هؤلاء السحرة لارغون دواء ليحفظ الصحة واستدامتها فلما تناولوه اصابه صرع توفي به سنة ٦٩٠ هـ

۴۸۰ - كيخسرو باقا

من سنة ۶۹۰ - ۶۹۳ هـ او من سنة ۱۲۹۱ - ۱۲۹۴ م

ولما توفي ارغون بن اباقا اجتمع المغول على عادتهم وانتخبوا اخاه كيخا خان ابن اباقا مملوكاً عليهم . وكان في ايام اخيه حاكماً على بلاد اناطول فاسرع في الحال الى تبريز وهي يومئذ عاصمة السلطنة فرحب به المغول واطمأنت نفوسهم بقدمه ولكنه لم يلبث طويلاً حتى اساء السيرة وعكف على ارتكاب المحرمات جهاراً . فلما علم المغول انهم اخطاوا في انتخابه اجتمعوا سرّاً وبايعوا بايدو خان بن طرغاي بن هولاكو وشعر بذلك كيخا خان ففر من معسكره الى جهة كرمان فاتبعوه وادركوه وقتلوه سنة ۶۹۳ هـ اثلاث سنين واشهر من ولايته

۴۸۱ - بايرو خاان به طرغاي بن هولاكو

من سنة ۶۹۳ - ۶۹۵ هـ او من سنة ۱۲۹۴ - ۱۲۹۶ م

لما قتل امراء المغول كيخا خان بن اباقا بايعوا بايدو خان بن طرغاي بن هولاكو وكان قازان بن ارغون والياً على خراسان من ايام ابيه كما تقدم قطع في الاستيلاء على كرشي المملكة فسار ومعه الاتابك فيروز وقاتل بايدو خان وانزع منه الملك فلحق بايدو خان بنواحي همذان فادرك هناك وقتل سنة ۶۹۵ هـ

۴۸۲ - قازان خاان بن ارغون

من سنة ۶۹۵ - ۷۰۴ هـ او من سنة ۱۲۹۶ - ۱۳۰۴ م

لما انهزم بايدو خان وقتل كما تقدم بايع المغول مكانه قازان خان بن ارغون فجعل اخاه خدا بندا والياً على خراسان واستوزر الاتابك فيروز . وقازان خان هذا اول من ابطال الاعتراف بسيادة خاقان التتر وعدل عن نقش اسمه على

السكة لانه كان يعتبره كافراً فادى ذلك الى هجوم التتر على خراسان ولكن تمكن قازان من ردهم وطردهم عن حدود بلادهم . ومع ان قازان كان قد اعتنق الاسلام وافضى ذلك الى اعتناق مائة الف جندي من جنوده دين سلطانهم الجديد لكنه كان كثير البغض للوك المسلمين واكثر حروبه كانت معهم حتى ابغضه المسلمون والنصارى معاً . واهم حروب قازان كانت مع سلاطين مصر المماليك . وبيان ذلك ان بعض امراء المغول كان قد استوحش من قازان خان فلحق بمصر ونزل على الملك الناصر فاكرم وفادته واحسن اليه والى من معه فاغتاظ قازان خان لذلك جداً وسار سنة ٦٩٩ هـ في جموع عظيمة من التتر وعبر الفرات ووصل الى حلب ثم سار الى حماة ثم نزل على وادي مجمع المروج بين حمص وحماة . وسارت العساكر الاسلامية صعبة الملك الناصر حتى وصلوا الى ظاهر حمص وساروا نحو مجمع المروج فالتقى العسكران عصر يوم الاربعاء ٢٧ ربيع الاول سنة ٦٩٩ هـ وبعد قتال شديد انهزم المسلمون وتأخر السلطان الى جهة حمص وهربت العساكر الاسلامية وتبعهم التاتار واستولوا على دمشق وساقوا في اثر الهاربين الى غزة والقدس وبلاد الكرك وكسبوا وغنموا من المسلمين شيئاً كثيراً وعصت قلعة دمشق على قازان فحاصرها وكان النائب بها الامير سيف الدين ارحواش المنصوري فقام في حفظها اتم قيام . واقام قازان بمرج دمشق المعروف بمرج الزنبقية الى ان دعاه داع فعاد الى بلاده بعد ان استخاف قتلوا شاه في عساكر لحماية البلد وحصار القلعة ويحيى بن جلال الدين لجباية الاموال وقرر قبجق على نيابة دمشق وبكتمر على نيابة حلب وحمص وحماة

ولما علم الملك الناصر بمسير التتر عن الشام وان الموجودين فيه لا يكفون لحمايته جمع عساكره وارسلهم الى الشام بقيادة سار نائب السلطنة وبيبرس استاذ الدار

فلما تقدمت العساكر المصرية الى الشام استامن اليها قبجق وبكتمر النائبان بدمشق وحلب وراجعا طاعة السلطان فحام التتر الذين بدمشق عن لقاء المسلمين

فعادوا الى العراق

ثم ارسل قازان الى الفرنج بفلسطين يستنجدهم على قتال المسلمين فاجابوه الى طلبه وارسل هو جيشا من التاتار بقيادة كوتولوسا ليتحد مع الفرنج ويهاجموا المسلمين وبعد ان اجتمعت الجنود من الفرنج واتحدت مع التاتار اصاب قازان مرض فاجل هذه الحملة وانصرف كل من مخالفه الى محله

وفي سنة ٧٠٣ هـ تجهز قازان لحملة ثالثة فجمع جيشا كبيرا وقبل ان يدخل من العراق سطا على بلاده اعداء يخافهم فاكره ان يعود على عقبه وابقى مع كوتولوسا ٤٠ الف رجل وامره ان يدخل سورية ويملك دمشق ويقهر المسلمين فدخل وقتل كثيرين واحرق البيوت والزرع وحاصر حصن املا ان يجد فيها العسكر المصري كما كان في الحملة الاولى فملك هذه المدينة عنوة وقتل من وجد فيها من المسلمين ثم سار وحاصر دمشق فحول سكانها ماء النهر ليلا الى معسكر التتر فاهلك كثير امن الرجال والحيل واثقال العسكر فانهمز التتر وعادوا الى الفرات فاحتلوا مشقة كبرى في عبوره من قبل اعدائهم . وبعد شق الانفس وصل الباقي منهم الى قازان خان وهم في حالة يرثى لها مات اسفا على حالتهم وكانت وفاته سنة ٧٠٤ هـ وقازان خاب هذا هو الذي بنى مدينة شنب قازان على مقربة من تبريز واشتهر بقصر قامته وكثرة علومه ومعارفه

٤٨٣ - خردابندا بن ارغون

من سنة ٧١٤ - ٧١٦ هـ او من سنة ١٣٠٤ - ١٣١٦ م

لما توفي قازان خان بن ارغون ولي بعده اخوه خردابندا بن ارغون وحال جلوسه على كرسي المملكة اشهر اسلامه وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين . ولم يحدث في ايامه حروب تذكر غير هجوم التتر على خراسان وردهم وقيام اهل كيلان على عامله وعدم تمكن عساكره من كبح جماحهم . وخدا بندا هذا هو اول من جاهر

يميله الى الشيعيين وامر بتخليد اسم الأئمة الاثني عشر ونقش اسماءهم على سكتته .
وهو الذي بنى مدينة السلطانية بين قزوین و همدان وجعلها عاصمة ملكه وجعل فيها
كل ما هو بهيج للعيون وشهي للنظر تشبيهاً بالجنة . ثم اساء السيرة والفحش في
التعرض لحرمان قومه فسمه بعض امرائه سنة ٧١٦ هـ

٤٨٤ - ابو سعيد بن خنبر

من سنة ٧١٦ - ٧٣٦ هـ او من سنة ١٣١٦ - ١٣٣٥ م

لما توفي خدا بندا بن ارغون تولى بعده ابنه ابو سعيد وكان صبياً في الثالثة
عشرة من عمره فتولى الامر في مدة قصوره الامير جوبان . وطمع السلطان اوزبك
سلطان مملكة التتر الشمالية في الاستيلاء على ايران لصغر سن ابي سعيد وارسل
عساكره الى خراسان بقيادة سيول فسار الامير جوبان اليهم بعساكر السلطان ابي
سعيد وهزمهم مراراً واجلاهم عن خراسان . ودامت هذه الفتنة الى سنة ٧٢٦ هـ
التي فيها انهزم جيش اوزبك هزيمة شنعاء واخلى خراسان
وبينما كان الامير جوبان عائداً من خراسان واعلام النصر تتخفق على راسه
اذبلغه الخبر ان السلطان ابا سعيد تقبض على ابنه نيمور طاش عامل دمشق فانتفض
على ابي سعيد ورفع راية العصيان . وزحف اليه ابو سعيد فافترق عنه اصحابه ولحق
بهرات فقتل بها في السنة المذكورة

وفي سنة ٧٣٦ هـ توفي ابو سعيد بن خدا بندا وهو آخر من ملك من بني
هولاكو لانه مات عقيماً وافتقرت مملكة ايران بعده فكان العراق وعاصمته بغداد
من نصيب الشيخ حسن بن حسين بن بيقا بن ايلكان بن اباقا وهو ابن عمه
السلطان ابي سعيد

٤٨٥ - الشيخ حسن بن محمد حسين

من سنة ٧٣٦ - ٧٥٧ هـ او من سنة ١٣٣٥ - ١٣٥٦ م

لما توفي ابو سعيد بن خدا بندا وافتقرت المملكة الى طوائف من بعده استقل
الشيخ حسن بن حسين بن بيقا بن ايلكان بن اباقا ابن عمه ابي سعيد المذكور
بملك العراق وجعل بغداد عاصمة لملكه

وكان حسن بن تيمور طاش بن جابان وزير السلطان ابي سعيد قد استولى
في اثناء هذه الفتن على بلاد الروم فطمع في الاستيلاء على ما بيد الشيخ حسن
الكبير صاحب بغداد وسار الى العراق ونزل على مدينة توريز واستولى عليها ولم
يتمكن الشيخ حسن الكبير من انتزاعها منه فلحق ببغداد واستقر ملكه بها الى ان
توفي سنة ٧٥٧ هـ

٤٨٦ - اويس بن الشيخ حسين

من سنة ٧٥٧ - ٧٧٦ هـ او من سنة ١٣٥٦ - ١٣٧٤ م

لما توفي الشيخ حسن بن حسين تولى بعده ابنه اويس وكان بتوريز الاشرف
ابن تيمور طاش فزحف اليه ملك الشمال جاني بك بن اوزبك سنة ٧٥٨ هـ
وملكها من يده ورجع الى خراسان بعد ان استخلف عليها ابنه برديك واعتقل في
طريقه فكتب اهل الدولة الى برديك يستحثونه للملك فاغذا السير اليهم وترك
بتوريز عاملها اخبجوخ فسار اليه اويس صاحب بغداد وغلبه عليها وملكها ثم ارجعها
منه اخبجوخ واقام بها فزحف اليه ابن المظفر صاحب اصفهان وملكها من يده
وقتلها وانتظم في ملكه عراق المعجم وتوريز وتستر وخوزستان
ثم سار اويس فانزعها من يد ابن المظفر واستقرت في ملكه ورجع الى بغداد
واستفحل امره

وفي سنة ٧٧٦ هـ توفي اويس بن الشيخ حسن

٤٨٧ - حسين بن اويس

من سنة ٧٧٦ - ٧٨١ هـ او من سنة ١٣٧٤ - ١٣٧٩ م

توفي اويس بن الشيخ حسن عن خمسة بنين وهم حسن وحسين وابو زيد وعلي واحمد ولم يوص بالملك بعده لاحد منهم فتنازعوا السلطنة واشتغلت بينهم الفتن مدة طويلة واكل منهم حزب يعضده حتى انتهاء الامر بانتصار حزب حسين بتوريز فبايعوه الملك ولكنه لم يهنأ طويلاً لان اخاه اسماعيل خالعه واغتصب منه توريز فالحق حسين ببغداد وكان اخوه علي نائبه بها فنزل عليه واستنجد به فاتحدا معاً على قتال اسماعيل وتم لهما النصر بقتل اسماعيل واسترجع حسين مدينة توريز بعد ان اخذت منه ومكث بها . واستعمل اخاه علياً على بغداد كما كان . ثم طعم علي في الاستقلال فارسل اليه حسين اخاه احمد فقتله واخذ بغداد منه . ولم يمض وقت طويل حتى انتفض احمد ببغداد ايضاً وعزم ليس فقط على الاستقلال ببغداد بل والاستيلاء على توريز ايضاً فنهض من بغداد في بجيش عظيم وقصد توريز وكان حسين في ذلك الوقت قد اهل امر المملكة وانعكف على لذاته وشهواته الجسدانية ولم يحفل بمقاومة احمد . فسار احمد الى توريز وطرقها على حين غفلة من اهلها وملكها واخفى حسين اياماً ثم قبض عليه اخوه احمد وقتله وذلك سنة ٧٨١ هـ

٤٨٨ - احمد بن اويس

من سنة ٧٨١ - ٧٩٥ هـ او من سنة ١٣٧٩ - ١٣٩٣ م

لما قتل احمد اخاه حسيناً استولى على الملك بعده ثم ابتداءً بوسع دائرة ملكه فنجح كثيراً واستولى على ما كان قد ضاع مدة الفتنة حتى هابته جميع ملوك الاطراف الا انه

ظهر في ابامه الفاتح العظيم تيمورلنك المغولي وتغلب على بلادخراسان وتقدم الى العراق واستولى على بغداد سنة ٧٩٥ هـ فهرب احمد بن اويس الى ملك مصر مستصرخاً به على طلب ملكه والانتقام من عدوه ولكن لم يتم له الله ما اراد وتمت السلطة لتيمورلنك

٤٨٩ - تيمورلنك

من سنة ٧٦٢ - ٨٠٧ هـ او من سنة ١٣٦١ - ١٤٠٥ م

ولد هذا القائد العظيم سنة ٧٣٧ هـ الموافقة سنة ١٣٣٦ م بمدينة القش (بلدة بالقرب من سمرقند) ويتصل نسبه بجنكزخان التتري من جهة النساء . ومعنى تيمور لنگ اي تيمور الاعرج . خلف عمه سيف الدين في اماره كاش (يقال كاش وقش) سنة ٧٦٢ هـ

فلما تبوأ كرسي الامارة الصغيرة حدثته نفسه بالغزو والفتح ولم ينبج كثيراً في بادىء امره لقوة اعدائه

وروي انه بينما كان فارساً من اعدائه يوماً وقد اختبأ في بعض الكهوف رأى نملة صغيرة تحاول جهدها في رفع ثقل اكبر منها فجعل يتأملها والحمل يتدحرج وتعود النملة اليه وهي لا تكمل ولا تمل حتى سقطته ٦٩ مرة وهي لا تنثني عن عزمها وفازت بايصال الحمل الى المحل المطلوب في المرة السبعين فتعلم تيمور من هذه النملة درساً جعله نبراس اعماله وخطة يتبعها وهو اشهر من انصف بهذه الصفة التي تلزم لكل عظيم

وابتداً تيمورلنك في غزواته بفتح الامارات التي حوله ففتح بلاد خوارزم وكاشغر وخراسان وجعل سمرقند عاصمة لملكه . ثم خضعت قندهار وكابل لصولته فصارت اواسط اسيا كلها من املاكه

وفي السنة التالية ضم مازندران وسبستان فعظم قدر هذا الرجل وسمى نفسه خاناً

سنة ٧٧٢ هـ

ثم عزم على فتح باقي بلاد ايران ولم يلق عناء كثيراً في اخضاعها لكثرة الفتن التي اضعفت ولائها الا مدينة اصفهان فانها قاومت عساكر تيمور زماناً حتى التزم ان ينزل عليها بنفسه فطلب اهلها منه الامان فامنهم لكنه ضرب عليهم ضريبة فاحشة حتى اوقع اهلها كلهم في الفقر المدقع حتى عزم الاصفهانيون على مقاومة التترواخراجهم من المدينة

بكل وسيلة ممكنة وقام بعض الخرضين من اهل اصفهان وفادى بوجوب قتال النسر واجتمع حوله بعض اوباش المدينة فجمعوا على عسكر تيمورلنك وقتلوا منهم ٣٠٠٠ نفس في ليلة واحدة

فلما اصبح الصباح وعلم عقلاء اصفهان بما حدث من هؤلاء المتشردين اسقط في يدهم وتيقنوا هلاك اهل المدينة اجمع لما يعلمونه من قساوة تيمورلنك . وكان خوفهم في محله لان تيمورلنك لما علم بما فعل الاصفهانيون بعسكره اسرع اليها في جيش كثيف وامر عسكره بحصار المدينة وارسل الى اهل اصفهان يعلمهم انه عزم على قتلهم جميعاً بلا استثناء فبالغوا في الترجي والترضي فلم يزد تيمورلنك الا عناداً . فلما تحقق الاصفهانيون منه هذا العزم دافعوا عن انفسهم وقتلوا النسر قتال من لا امل له في النجاة فلم تغر شجاعتهم فتية لان عساكر النسر اقتحمت المدينة واعملت فيها السيف بالرحمة ولا شفقة فقتلوا اهل اصفهان عن بكرة ابيهم وجمعوا الرؤوس امام تيمورلنك فزادت عن ٧٠ الفاً وفي سنة ٧٩٥ هـ تقدم تيمورلنك الى مدينة بغداد واستولى عليها وهرب سلطانها احمد بن اويس . ثم ارسل عساكره الى بلاد النهر فاخضعت جانباً كبيراً منها ووصلت الى حدود السور العظيم في بلاد الصين . وسار هو في باقي الجيش الى روسيا فتهب مدينة ازوف وهدمها وبعد ان ملك قسماً كبيراً من سيبيريا وروسيا تقدم الى مدينة موسكو وافتتحها بعد ان ذاق اهملها منه الامرين

ثم قصد الهند سنة ٨٠٠ هـ فاجتاز السند وحارب الملك محمد الرابع تحت اسوار مدينة دهلي وامتلك المدينة مع باقي الولايات التابعة لها بعد ان انزل بها الوبال وفي سنة ٨٠٣ هـ قصد تيمورلنك سورية وبلغت اخباره الملك زين الدين فرج بن يزقوق صاحب مصر فكتب الى نائب الشام وسائر النواب والحكام ان يتوجهوا الى حلب ويجهتدوا في دفعه . فتجهز نائب الشام سودون مع النواب والعساكر ورحلوا الى حلب . وبلغ تيمور الى عين تاب وارسل من هناك الى النواب بحلب مرسوماً بطاعته والخطابة باسمه فلم يردوا عليه جواباً . وقتل سودون نائب السلطنة بالشام رسول تيمور وحصلوا حلب ما استطاعوا . ورحل تيمور من عين تاب فوصل في اليوم السابع الى حلب وهناك التقى بعساكر المسلمين ودارت بين الفريقين رحى حرب ثشيب لهولها الولدان ولم يكن الا قليلاً حتى انهزم الحلبيون فاصدين المدينة فازدحموا في ابوابها وداس بعضهم بعضاً حتى قتل كثيرون منهم وثشت الباقون منهزمين شرهزيمة وبلغ بعضهم دمشق

وحاصرت عساكر تيمور حلب حتى استأمن أهلها اليه فأمّنهم وبعد ما فتحوا له ابواب المدينة فتك باهلها اخذاً بثأر رسوله وقبض على سودون واعنقله ثم قتله وبني برؤوسهم قبة ونهب كل ما كان في المدينة والقلعة وكان شيئاً كثيراً

ثم قصد تيمور دمشق بجيشه العرمرم فاجفل أهل دمشق وتشتتوا . وارسل تيمور ابنه مهران شاه وماردين شاه الى حماة فلقبهما أهلها مرحبين طائعين واخذوا الهدايا التي قدموها لها واقاما عليهم نائباً من قبل ايها وبعد ان رحلوا عن حماة وثب أهلها على النائب فقتلوه فرجع ابن تيمور الى حماة فقتلها ونهبها واحرقا اكثر البيوت ونجدها تيمور بعشرين الف مقاتل فملكوا القلعة واهلكوا من كان فيها

ولما بلغ تيمور الى حمص خرج اليه رجل يسمى عمرو بن الرواس فاستجلب خاطره وقدم له مقدمة فاخرة فعفا عن أهل حمص ووهبها لخالد بن الوليد المدفون بها وولى عمراً المذكور عليها

ثم نزل تيمور على بعلبك فخرج أهلها وتضرعوا اليه فلم يلتفت الى مقامهم ولم يرث لئذ لهم بل ارسل فيهم جوارح النهب والاستئصال . وورد الخبر الى الشام بخروج الملك الناصر بن برفوق من مصر وقدمه الى الشام فسكن جاش بعض الناس وزال استيحا شهم اما العقلاء فلم يثقوا بهذه الاخبار وعلموا ان لا قدرة للناصر على تيمور وبلغت عساكر السلطان الى دمشق وبلغ تيمور اليها بجيشه الجرار وحدث بين الفريقين مناوشات ليست ذات بال . ثم وقع الخلاف بين عساكر السلطان فعاد فريق منهم الى مصر ودخل على السلطان احد خواصه وخوفه من بطش تيمور فآثر فيه الكلام وخرج ليلاً من القلعة وعاد الى مصر

ولما علم تيمور بهرب السلطان امر عساكره يحصار دمشق فحاصرها وملكها وقتل اعيانها وسبي نساءها واحرقها مع الجامع الاموي وكان فيه جم غفير من النساء والاطفال فهلك جميعهم واخرب المساجد والمدارس والمعابد ودك القلعة وارتكب جنوده بها الفظائع وقيل انه كان يأمر بجمع الاولاد ورميهم بالخنادق فتدوسهم الخيل والبقر ويلقون بعضهم في الابار ويرمونها بالحجارة الضخمة . واسر كثيرين من اعيانها وعذبهم عذاباً مبرحاً . وبالجملة فانه لم يعد من الشام الا وجعله قاعاً صفصفاً

وكان احمد بن اويس صاحب بغداد مع سلطان مصر حين هجوم تيمور عليها فلما هرب سلطان مصر وكر راجعاً الى بلاده هرب احمد بن اويس المذكور الى اسيا

الصغرى ونزل على بايزيد السلطان الرابع من سلاطيننا العثمانيين مستنجداً به علي هؤلاء الوحوش الضارية . ولما علم تيمور بمكانه ارسل الي بايزيد يطلب احمد بن اويس المذكور فاجاب السلطان تسليمه اليه فاغار تيمور بجيوشه الجرارة على اسيا الصغرى واقتنح مدينة سيواس بارمينية واخذ ابن السلطان بايزيد المدعو ارطغرل اسيراً وقطع رأسه فجمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الاعرج فنقابل الجيشان في سهل انقره واستمر الحرب من قبل شروق الشمس الي بعد غروبها وظهر السلطان من الشجاعة ما خلد له ذكرًا حميداً ولكن خاتنه بعض جيوشه وانضمت الي جيوش تيمور خوفاً . فخارب السلطان بمن بقي معه الي ان وقع اسيراً في ايدي المغول هو وابنه موسى وذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤ هـ

وكان تيمور لنك معجباً بشجاعة السلطان بايزيد فلم يعامله كما سبق وعامل اسراء من قبله ولكنه اكرم مثواه . ولان بايزيد شرع في الهروب ثلاث مرات شدد تيمور المراقبة عليه حتى مات في ١٥ شعبان سنة ٨٠٥ هـ

وبعد هذه الفتوحات تأمل الامير تيمور في بلدان الارض فرأى ان جملها خضع لهيبته ماعدا بلاد الصين فشاور اعوانه في اخضاع الصين والتتار الصينية وهي التي كان يحكمها خلفاء جنكزخان ووافقوه على رأيه فجمع جيشاً جراراً وسار لمحاربة تلك البلاد الضخمة ولكنه مرض في الطريق ومات بعد ان اوصى بالملك بعده الي حفيده بير محمد جهانكير وكان تيمور صاحب قران (كان يعرف بهذا الاسم كل حياته) من اشهر قواد الارض ومن اعظم الرجال في عالمهمته وصبره على الشدائد ولم يقم في الارض فاتح اعظم منه وكان تيمور مسلماً شيعياً يعصد الاسلام خلافاً لجنكزخان ولكنه كان قاسي القلب لدرجة لم ترو عن انسان قبله لانه لم يفعل فاتح باعدائه مثلاً فعل تيمور في اصفهان ودهلي ودمشق وازمير وانقره وازوف وموسكو وغيرها

وبما يروى عن قسوته انه كان معه في اواخر غزوته في بلاد الهند مائة الف اسير من الهنود فلما قدم على دهلي يريد محاصرتها وامتلاكها رأى ان الاسرى يغفلون ايدي العسكر ويتعبونهم فامر باعدامهم كلهم في الحال واطاع رجاله الامر فقتلوا مائة الف اسير في ذلك اليوم ولم ينج واحد منهم لان تيمور اعلن ان الذي يمكن اسيراً من الفرار يقتل هو وآله . وليس في التاريخ كله حكاية مجزرة وقسوة تحكي هذه الحكاية المائلة

وكانت وفاة تيمور لنك سنة ٨٠٧ هـ

٤٩٠ - بقية اخبار آل تيمور لنك

ولما توفي تيمور لنك تولى السلطنة بعده حفيده بير محمد حسب وصيته وكان في ذلك الوقت في قندهار وقام عليه لاول ولايته عمه خليل ميرزا بن تيمور واغرى القواد على مبايعته الملك ونجح لان بير محمد مات بدسياسة أحد وزرائه

وكان السلطان خليل من اصحاب اللين والركة ولولا انه اخطأ خطأ كبيراً لكان حكمه سعيداً ولكنه علق بحب فتاة فنانة وصرف همه الى رضاها وحظها فانفق عليها جل ما جمعه والده فقام عليه الامراء وعزلوه وولوا مكانه اخاه السلطان شاه رخ بن تيمور فسجن خليلاً في اول الامر ثم صفح عنه وجعله والياً على خراسان وارجع اليه حبيبته التي اقيمت من الاهانة والعذاب مدة سبعة ما لا يوصف

ومات خليل في خراسان بعد عوده الى الامارة بزمان قصير . اما شاه رخ فلم يتمثل بابيه في الفتح والغزو سيما وان اباه ترك نصف الدنيا ملكاً له ولم يجارب الا بعض قبائل التركمان التي هاجمت بلاده . ثم جعل همه الاصلاح وتقرير الامن واستيفاء اسباب الرفاهية لبلاده وتوفي بعد ان حكم ٣٨ سنة رعت فيها البلاد في مجبوحة الامن بعد ما لاقوا من الاهوال في ايام ابيه

وخلفه في الملك ابن الغ بك العالم الرياضي الشهير واليه ينسب الزيج الغ بكى الان ولكنه لم يهنأ بالسلطنة لان ابنه عبد اللطيف قام عليه لاول ولايته وقتله وجلس مكانه على ان الدهر انتقم من هذا الابن الغادر واماته عقيب استلامه ازمة الملك

ولم يبق بعد تيمور وابنه رجل يذكر فسادت القوضى واستقلت الولايات واشهر من ولي الامر من آل تيمور بعد ذلك ابو سعيد ابن حفيد الفاتح العظيم .

وكان لابي سعيد هذا احد عشر ولداً اشهرهم بابر الشهير الذي وصل الهند فراراً من الاعداء وهناك فاز بتأليف سلطنة هندية لم يزل نسله يحكمها بالاسم الى هذا اليوم

وكثرت بعد ابي سعيد الثورات والقلاقل في بلاد ايران فانتهت دولة تيمور وآله في مدة ابي سعيد وظلت في ايدي بعض الولاة لا تستقر على حال من الغلق حتى صارت الى قبضت الدولة الصفوية وسياقي ذكرها فيما بعد ان شاء الله .
والملك لله وحده

٤٩١ - الدولة الحفصية بتونس

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع دولة الموحدين وتنسب الى الشيخ ابي حفص يحيى بن عمر والمذكور كان احد العشرة الذين قاموا بدعوة محمد ابن تومرت مهدي الموحدين وكان له الصوت الاعلى والامر النافذ في امدة خلافة عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف وبسطوته وشجاعته استتب لها الامر وقد تقدم كثير من اخباره في ذكر دولة الموحدين - (راجع فصل ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤)

ولما بلغ يوسف بن عبد المؤمن (فصل ٤٢٤) تكالب الاسبانيين على الاندلس وغدرهم بمدينة بطليوس سنة ٥٦٤ هـ واعتزم على الاجازة لحمايتها قدم عساكر الموحدين اليها . لنظر الشيخ ابي حفص ونزل قرطبة وامر من كان بالاندلس من السادة ان يرجعوا الى رايه فاستنفذ بطليوس من هذا الحصار وكانت له في الجهاد هنالك مقامات مشهورة . ولما انصرف من قرطبة الى الحضرة سنة ٥٧١ هـ توفي بطريقه قرب سلا . وكان ابناؤه من بعده يتداولون الامارة بالاندلس والمغرب وافريقية مع السادة من بني عبد المؤمن وفي ايام الناصر لدين الله محمد بن يعقوب (فصل ٤٢٦) استولى ابن غانية على تونس وانتزعها من الموحدين سنة ٦٠١ هـ واسر السيد ابا زيد عاملاً فنهض

الناصر من المغرب كما ذكرناه واسترجعها من يد ابن غانية واصحابه وشردهم عن نواحيها وخيم على المهديّة يحاصرها وقد انزل ابن غانية ذخيرته وولده بها واجلب في جموعه خلال ذلك على قابس فصرخ الناصر اليه الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص في عساكر الموحدين فهزمهم واستولى على معسكرهم وانقذ السيد ابا زيد من اسرهم ورجع الى الناصر بمعسكره من حصار المهديّة ظافراً فخافه اهل المهديّة وطلبوا الامان فامنهم وتم له الاسنيلاء على افريقية

ورجع الناصر الى تونس فاقام بها حولاً كاملاً الى منتصف سنة ٦٠٣ هـ ثم اعتزم على الرحلة الى المغرب ولكنه خاف من عود ابن غانية اليها بعد عوده عنها فاستحسن ان يستخلف فيها رجلاً يسد مسد الخلافة فيها ويقوم بها شؤون الملك فوقع اختياره على ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص وشافه الناصر بذلك فاعتذر فبعث اليه ابنه يوسف فاكرم موصله واجاب طلبه على شريطة اللحاق بالمغرب بعد استتاب الامن في افريقية فقبل الناصر شرطه ونودي في الناس بولايته

٤٩٢ - ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص

من سنة ٦٠٣ - ٦١٨ هـ او من سنة ١٢٠٧ - ١٢٢١ م

ثم ارتحل الناصر الى المغرب وودعه ابو محمد الى بجاية ثم عاد الى تونس وجلس على كرسي الامارة في يوم السبت ١٠ شوال سنة ٦٠٣ هـ

ورجع ابن غانية الى نواحي طرابلس فجمع اجزائه واتباعه واغار بهم على تلك النواحي فخرج اليهم ابو محمد سنة ٦٠٤ هـ فلقبهم بشير وبعد قتال شديد انهزم ابن غانية واتباعه وركب الموحدون اقفيتهم واغلبت ابن غانية جريحاً الى اقصى مبرة ورجع ابو محمد الى تونس ظافراً وكاتب الناصر بالحقاق الى المغرب كشرطه فاعتذر له واستأنف النظر في ذلك وبعث اليه بالمال والخيل والكساء للاتفاق والعطاء فاستمر ابو محمد على شأنه وتبرأفت الوقائع بينه وبين يحيى الميوري المعروف بابن غانية

واتنصر ابو محمد على ابن غانية في جميع المعارك حتى انصرف ابن غانية مهيب الجناح مغلول الحد عفواً باليأس من جميع جهاته واستفحل امر ابي محمد بافر يقية وحسم عامة الفساد واستوفي جبايتها

ثم توفي الناصر محمد بن يعقوب وولى بعده ابنه المستنصر يوسف واستبد عليه مشايخ الموحدين لصغر سنه واشتغلوا بفتنة بني مرين وظهورهم بالمغرب فلم يتداخل ابو محمد في هذه الفتن واستكنى بافر يقية وعزم على الاستقلال بها والقيام بملكها الا انه رأى من باب الحكمة ان يبائع للمستنصر ويطلب منه تثبيتته على ما بيده كفاً لشراءه ففعل وارسل اليه المستنصر بالخلع وابقاه على تونس واعمالها ولم يزل بها الى ان توفي سنة ٦١٨ هـ

٦١٣ - عبد الرحمن بن عبد الواهر

من سنة ٦١٨ - ٦١٨ هـ او من سنة ١٢٢١ - ١٢٢١ م

لما توفي ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص اجتمع رؤساء الموحدين وبايعوا ابنه عبد الرحمن واقعدوه بمجلس ابيه في الامارة . فسكن الثائرة وشمر للقيام بالامر عزائمه وافاض العطاء واجاز الشعراء وخرج في عساكره لتهديد النواجي وحماية الجوانب . فقمع الثوار ومهد الامور ثم وصل كتاب المستنصر بعزله لثلاثة اشهر من ولايته وتقدم عمه السيد ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن

٦١٤ - السيد ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن

من سنة ٦١٨ - ٦٢٠ هـ او من سنة ١٢٢١ - ١٢٢٣ م

ولما عزل المستنصر عبد الرحمن استعمل مكانه عمه ادريس وفي ايامه اذ ابن غانية بعد ان جمع جموعاً كثيرة واغار على بلاد افر يقية فوالى السيد ادريس

الزحف اليه حتى شرده عن بلاده . ثم توفي السيد ادريس سنة ٦٢٠ هـ وهو
الذي بنى البرجين على باب المهدية

٤٩٥ - ابو زيد بن السيد ادريس

من سنة ٦٢٠ - ٦٢٢ هـ او من سنة ١٢٢٣ - ١٢٢٥ م

لما توفي السيد ابو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن استولى على
افريقية بعده ابنه ابو زيد بن ادريس وساءت سيرته في الناس واقام على ذلك
الى دولة العادل عبدالله بن المنصور صاحب مراکش فعزله سنة ٦٢٢ هـ وولى
مكانه عبدالله بن عبد الواحد بن ابي حفص

٤٩٦ - عبد الله بن عبد الواحد بن ابي حفص

من سنة ٦٢٢ - ٦٢٥ هـ او من سنة ١٢٢٥ - ١٢٢٨ م

فسار عبد الله الى تونس وتسلم امارتها وعادت مملكة تونس الى الملوك
الحفصيين بعد ان انزعزت من ايديهم مدة اربع سنين تقريباً اعني مدة اماره
السيد ادريس وابنه

ولما وصل عبدالله الى تونس وجد ابن غانية قد استفحل امره فقاتله وشرده
عن بلاده ثم خالف عليه اخوه ابو ذكر يا وكاتب عسكر عبدالله بمبايعته ووعدهم على
ذلك وعود أجيلة فاجابوه ووعدوه بذلك سرّاً . فلما تحققت صدقهم اظهر عصيانهم
على اخيه عبدالله فسار اليه عبدالله لمحاربه فخالفه العساكر واستقدموا اخاه فجاءهم
واستلم قيادتهم واتي الى تونس سنة ٦٢٥ هـ

٤٩٧ - ابو زكريا يحيى بن عبد الواهر

من سنة ٦٢٥ - ٦٤٧ هـ او من سنة ١٢٢٨ - ١٢٤٩ م

دخل ابو زكريا تونس سنة ٦٢٥ هـ وفي هذا الوقت كان قد ضعف امر
الموحدين من بني عبد المؤمن بمراكش وظهر بنو مرين ونازعوهم السلطة في المغرب
الاقصى وبنو زيان نازعوهم السلطة في الجزائر فانتهز ابو زكريا الفرصة واعلن
استقلاله سنة ٦٢٦ هـ وقطع الخطبة لبني عبد المؤمن وخطب لنفسه . ولم يلق معارضا
فما عمل الا ان ابن غانية كان لا يزال يجمع الجوع ويدخل بهم افرقية ويفسد
فيها فطارده ابو زكريا حتى ظفر به وقتله سنة ٦٣١ هـ . ثم قمع الثوار من قبائل
البرزبر الهوارة وتمت له السلطة على تونس . واستولى على الجزائر وتلمسان واطاعته
مجلماسة وسبته وطنجة ومكناسة فقوى امره وعظم شأنه حتى ان بني مرين الذين
استولوا على مراكش بعد بني عبد المؤمن خطبوا له في اول امرهم واطاعه ابن
مردنيش الثائر بالاندلس وخطب له على البلاد التي تحت سلطته واثنه الوفود من
الاندلس بطلب نجده ووثق فردريك الثاني معه علائق الوداد وصالحه اعشر سنوات
وابو زكريا يحيى هذا هو الذي بني جامع القصبه واذن بنفسه في ليلته تمامه وشاد
غيره من المساجد والمدارس وانشاء دارا للكتب جمع فيها ٣٦ الف مجلد من
انفس المجلدات . وبالجملة فانه هو الذي اسس اركان الدولة الحفصية في تونس
وتوفي سنة ٦٤٧ هـ

٤٩٨ - محمد المستنصر بالله بن يحيى

من سنة ٦٤٧ - ٦٧٥ هـ او من سنة ١٢٤٩ - ١٢٧٧ م

لما توفي ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص اجتمع الموحدون
وباعوا ابنه ابا عبد الله محمداً ولقبوه المستنصر بالله . فاقتدى بآبيه في توسيع سلطته

ونجح كثيراً حتى ذاع صيته في الافاق وارسل له اهل مكة في السنة العاشرة من حكمه ببيعهم فاحتفل بثلاوتها في يوم مشهود لقب فيه بامير المؤمنين وهو اول من ضرب النقود النحاسية بافريقية تسهيلاً للمعاملة ولم تكن النقود تضرب الا من الفضة والذهب وقام عليه لاول ولايته ابن عمه محمد الاحباني طامعاً في الاستيلاء على المملكة فجمع المستنصر العساكر وقاتل ابن عمه وانتصر عليه وقتله وقتل عمه الاحباني ايضاً (اسم الاحباني محمد وانما كان يعرف بالاحباني لطول لحيته) . ثم سكنت الفتنة وهذات الثائرة وعطف السلطان على الجند والاولياء وافاض فيهم العطاء واستقامت الامور . ثم عكف السلطان على اظهار عظمة دولته فبنى البنايات الفخيمة وشاد القصور الشاهقة واشهر ما وقع في ايام هذا السلطان العظيم من الحوادث غزوة لويس ملك فرنسا لتونس . ويبان ذلك ان شارل دانجوشقيق هذا الملك وصاحب جزيرة صقلية اغراه على غزو تونس لتكون تابعة له فلم يتردد الملك في اجابة طلبه اذ سير اسطولاً الى سواحل تونس فلما وصل الى قرطاجنة انزل عساكره وتحصنوا باطلال القلعة البرنطية وحصلت بينهم وبين الجنود التونسية معارك انتصر فيها الفرنسيون فارسل الخليفة الى الملك لويس التاسع المذكور بطلب الصلح فاشترط عليه اعتناق الديانة المسيحية وقبل ان اجابه الى هذا الطلب ان يترك البلاد

وكان الطاعون الجارف متفشياً في تونس فمات به لويس التاسع المذكور ولم ترحل الجنود الفرنسية بعد موت ملكهم من تونس الا بعد ان صالحهم الخليفة المستنصر بدفع ما غرموه في حركتهم هذه وهو ٢١٠٠٠٠ قطعة من الذهب

وفي سنة ٦٦٩ هـ رفع اهل الجزائر راية العصيان على الخليفة المستنصر لانهم لما راوا تقلص الدولة على زناقة حدثوا انفسهم بالاستبداد والقيام على امرهم وخلع ريقة الطاعة من اعناقهم فجاهروا بالثورة وسرح اليهم الخليفة العساكر واوعز الي صاحب القفر وهو ابو هلال عياد بن سعيد الممتاقي فقدم اليها في عساكر الموحدون سنة ٦٧١ هـ ونازلها مدة سنة كاملة . وامتنعت عليه فاقطع عنها ورجع الى بجاية وتوفي بمسكرو بني ورا سنة ٦٧٣ هـ

ثم صرف الخليفة همه الى منازلهم سنة ٦٧٤ هـ وسرح اليهم العساكر في البر والبحر الى ان نازلتها واحاطت بها من كل جانب . واشتد حصارها ثم افتتحها عنوة واشتد في اهلها القتل وانتهب المنازل واقتضج الكرائم في ابيكارهن وقبض على مشايخ البلد ونقلهم الى تونس واعتقلهم بالقصبة فكشوا بها الى ان اعادهم الواصل بعد وفاة المستنصر

وفي سنة ٦٧٥ هـ توفي محمد المستنصر بالله وهو اعظم سلاطين (او خلفاء كما يلقبون انفسهم) الحفصيين بلا مراء وبلغت المدنية والمعارف في ايامه شأوا بعيداً

٤٩٩ - الواسق بالله يحيى بن المستنصر

من سنة ٦٧٥ - ٦٧٨ هـ او من سنة ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م

لما توفي الخليفة (او السلطان) المستنصر اجتمع الموحدون وبايعوا ابنه يحيى ليلة وفاة ابيه وفي غدها ولقبوه بالواصل بالله وافتتح امره برفع المظالم والافراج عن المساجين وافاضة العطاء في الجند واصلاح المساجد وامتدحه الشعراء فاسنى جوائزهم الا انه لم يهنأ بالملك طويلاً لقيام عمه السلطان ابي اسحق ابراهيم عليه وبيان ذلك كما ياتي -

كان المستنصر قد عقد على بجاية سنة ٦٦٠ هـ لابي هلال عياد بن سعيد الهنتاتي فاقام والياً عليها الى ان توفي سنة ٦٧٣ هـ بمسكرو يني ورا كما قدمنا وعقد عليها لابنه محمد من بعده فلما توفي المستنصر وولي ابنه الواسق بادر محمد بن ابي هلال الى الانتقاد لطاعته وبعث وفداً من بجاية يديعته . ولكن قلد ابو حسن (وزير الواسق) القائم بالدولة اخاه ادريس ولاية الاشغال ببجاية فاساء السيرة في اهلها وافنى الاموال وتجهك في المشيخة وانف محمد بن ابي هلال من استبداده عليه ودخل بعض بطانته في قبله فعدوا عليه لاول ذي القعدة سنة ٦٧٧ هـ بمقدمة من

باب السلطان فقتلوه ورموا براسه في قارعة الطريق . ووافق ذلك حلول السلطان ابي اسحق بتلمسان قادماً من الاندلس . وكان عند بلوغ الخبر اليه بمهلك اخيه المستنصر اجمع امره على الاجازة لطلب حقه وبعد ما تردد بهمة عزم وعاد الى تلمسان ونزل على يغمراسن بن زيان فاكرم وفادته . ولما علم اهل بجاية بقدوم السلطان ابي اسحق وكانوا خاشين بوادر السلطان بالحضرة خاطبوا السلطان ابا اسحق واتوه بليعتهم وبعثوا وفدهم يستحثونه للملك فاجابهم ودخل بجاية آخر ذي القعدة سنة ٦٧٧ هـ المذكورة فبايعة الموحدون والملاء من اهل بجاية وقام بامره محمد بن ابي هلال ثم زحف في عساكره الى قسنطينة فنازلها . ولما بلغ الخبر الى الواثق ووزيره المستبد عليه بدخول السلطان ابي اسحق بجاية شيع العساكر الى حربه بقيادة عمه ابي حفص فخرج من تونس وتقدم الى قسنطينة فرحل السلطان ابو اسحق عنها

ثم وقع الاختلاف في معسكر الواثق بين عمه ابي حفص واحد وكبراء القواد وعلم بذلك الوزير فحث الواثق على قتالهما منعاً لاضطراب المعسكر فعلم ابو حفص والقائد بما كان من نصيحة الوزير للواثق ضدهما فتفاوضا واتفقا على الدعاء للسلطان ابي اسحق وبعثوا اليه بذلك . واتصل الخبر بالواثق وهو بتونس وعسكره بعيد عنه فاستيقن ذهاب ملكه واشهد الملاء والنخاع عن الامر لعمه السلطان ابي اسحق غرة ربيع الاول سنة ٦٧٨ هـ

• • • - ابو اسحق ابراهيم بهرحمى

من سنة ٦٧٨ - ٦٨١ هـ او من سنة ١٢٧٩ - ١٢٨٣ م

لما بلغ السلطان ابا اسحق كتاب اخيه الامير ابي حفص والقائد الآخر من بجاية اسرع بالذهاب اليهم ثم وافاه خبر انخلاص الواثق ابن اخيه بتونس فارتحلوا جميعاً اليها والتقاء اهل تونس على سائر طبقاتهم واتوا طاعتهم ودخل الحضرة

منتصف الحجة سنة ٦٧٨ هـ

ولما استتب الامر للسلطان ابي اسحق واستوثق عرى خلافته قبض على محمد ابن ابي هلال وقتله لما كان يتوقع منه من المكروه في الدولة وما عرف به من المساخي في الفتنة

اما الواثق المخلوع فانه لما انخاع عن الامر تحول الى دار الاقوري فاقام بها اياماً وكان له ثلاثة من الولد اصغر الفضل والطاهر والطيب فكانوا معه . ثم نفي عنه للسلطان ابي اسحق انه يروم الثورة وانه داخل في ذلك بعض رؤساء النصاري من الجند فارسل اليه وقبض عليه وبنيه واعتقلهم بالقصبة ثم بعث اليهم ليلتهم فذبحوا جميعاً في صفر سنة ٦٧٩ هـ . وكان للسلطان ابي اسحق من الابناء خمسة ابو فارس عبد العزيز وكان اكبرهم وابو محمد عبد الواحد وابو زكريا يحيى وخالد وعمر . وكان السلطان المستنصر قد حبسهم واجرى عليهم رزقاً فنشوا في ظل كفالاته وجميعهم رزقه الي ان استولى ابوهم السلطان ابو اسحق على الملك فطلعوا بافاقه وطالت فروعهم في دوحه واشتملوا على العز وخصوصاً كبيرهم ابو فارس لما كان مرشحاً من ولاية العهد وكان له وزير يدعى احمد بن ابي بكر بن سيد الناس رأى منه السلطان ابو اسحق ما اوجب قتله فقتله وبلغ الخبر الى الامير ابي فارس فركب الى ابيه في ملابس الحزن فعزاه ابوه عن ذلك وبالغ في تأنيسه ومسح الضغينة عن صدره وارطاه لخطاؤه عقد له على بجاية واعمالها وانفذه اليها اميراً مستقلاً وانفذ معه في رسم الجباية محمد بن ابي بكر بن الحسن بن خلدون (وهو جد فيلسوف المؤرخين ابن خلدون) فخرج اليها سنة ٦٧٩ هـ وقام بامرها

وكان السلطان ابو اسحق يؤثر ابناؤه بمراتب ملكه ويوليهم مخططات سلطانه شغفا بهم وترشيحاً لهم فعقد في رجب سنة ٦٨١ هـ لابنه الامير ابي زكريا على عسكر الموحدين وبعثه الى قفصة للاشراف على جهاتها وضم جبايتها فخرج اليهم وقضى شأنه من حركته وعاد الى تونس في رمضان من سنته . ثم عقد لابنه الآخر ابي محمد عبد الواحد على عسكره وانفذه الى وطن هواره لانتقضاء مغارمهم وجباية

ضرائهم وفرائضهم فانتهى الى القيروان وبلغه شأن الدعي وظهوره في ذباب بنواحي طرابلس فطير بالخبر الى ابيه السلطان واقبل على شأنه ثم انتشر أمر الدعي فانكفأ راجعاً الى تونس

أما ما كان من أمر الدعي وظهوره في أيام هذا السلطان فإنه كان شخصاً يدعى أحمد بن مرزوق ابا عمارة من بجاية وكان محترفاً للخياطة وكان يحدث نفسه بالملك فادعى أنه من آل البيت وأنه الفاطمي المنتظر ولحق بصحراء سجلماسة واذاع دعوته هذه بين عرب المقل فلم يسمع احد نداه فلما رأى كساد بضاعته بينهم سار عنهم الى جهات طرابلس ونزل على ذباب والتقى هناك بالفتى نصير مولى المستنصر فاغراه هذا بأنه كثير الشبه بالفضل بن المستنصر وأنه اذا ادعى ذلك ساعده على أمره . فادعى أحمد ابو عمارة أنه الفضل بن المستنصر ووافقه نصير المذكور فصدق به اهل تلك النواحي وبايعوه الخلافة عليهم وكثر جمعه فنازل طرابلس واستولى عليها واتته بيعة البربر ثم زحف الى قابس سنة ٦٨١ هـ فبايع له عاملها عبد الملك بن مكي ثم زحف الى توزروبلاد قصطيلة فاطاعوه ثم رجع الى قفصة فبايع له اهلها وعظم أمره وعلا صيته

ولما تفاقم أمر الدعي بنواحي طرابلس ودخل الكثير من اهل الامصار في دعوته جهز السلطان عساكره وعقد لابنه الامير ابي زكريا على حربه . فخرج من تونس ونزل القيروان ثم ارتحل الى اقضاء الدعي وانتهى الى فردة وبلغه هناك ما كان من استيلاء الدعي على قفصة فارجم به العسكر وانفضوا من حوله ورجع الى تونس فدخلها آخر يوم رمضان سنة ٦٨١ هـ وارتحل الدعي على اثره من قفصة ونزل القيروان فبايع له اهلها واقتدى بهم اهل المهدية وصفاقس فبايعوا له وكثر الارجاف بتونس فاضطرب السلطان واخرج معسكره بظاهر البلد وارتحل الدعي من القيروان زاحفاً اليه فلما قرب من تونس لحق به معظم جيش السلطان ابي اسحق . فخاف السلطان على نفسه وفر الى بجاية . ودخل الدعي تونس وبايعه اهلها

اما السلطان ابو اسحق فانه لما فر الى بجاية وصلها في شهر ذي القعدة سنة ٦٨١ هـ المذكورة فانتضى عليه ابنه الامير ابو فارس ومنعه من الدخول الى قصره فنزل بروض الرفيع واراده على الخلع فانخلع له واشهد الملاء من الموحدين ومشيخة بجاية بذلك

٥٠١ - ابو فارس عبد العزيز بن ابراهيم

من سنة ٦٨١ - ٦٨٢ هـ او من سنة ١٢٨٣ - ١٢٨٣ م

ولما خلع ابو اسحق ابراهيم نفسه عن الامر دعا ابنه ابو فارس عبد العزيز الناس الى بيعته آخر ذي القعدة سنة ٦٨١ هـ فبايعوه ولقبوه المعتمد على الله . ثم اجتهد في جمع الاحزاب اليه ليتمكن من مقاومة الدعي الذي اغتصب الملك من ابيه فجمع كل ما قدر على جمعه وخرج من بجاية زاحقاً الى الدعي وخرج معه اخوته جميعهم وعمه ابو حفص

ولما بلغ الدعي بتونس خبر استبداد ابي فارس على ابيه واستعداد له للقائه قبض على من عنده من اهل البيت الحفصي واعتقاهم وخرج من تونس بجموعه في صفر سنة ٦٨٢ هـ وتراءى الجمعان ثالث ربيع الاول من السنة فاقتتلوا عامة يومهم ثم اختل مصاف الامير ابي فارس وتحاذل انصاره فقتل هو في المعركة وانتهب معسكره . وقبض الدعي على اخوته وقتلهم صبراً ولم ينج منهم احد الا الامير ابا زكريا فانه نجا ولحق بتمسان . وكذلك نجا الامير ابو حفص بن يحيى عم ابي فارس ولحق بقلعة سنان القريبة من مكان الملحمة

ولما استتب الامر للدعي بعد هذا الانتصار أساء السيرة في الرعية الى درجة لا تحتمل حتى نطلبت الرعية اعيان البيت الحفصي وتسامعوا بخبر الامير ابي حفص بمكانه من قلعة سنان فساروا اليه واتوه يبيعهم في ربيع سنة ٦٨٣ هـ . وجمعوا له شيئاً من الآلة والاخية وبلغ الخبر الى الدعي فدخلته الظنة في اهل

دولته وتقبض على بعض رؤسائهم وقتلهم فزاد كره الناس له

٥٠٢ - ابو حفص به عجي

من سنة ٦٨٣ - ٦٩٤ هـ او من سنة ١٢٨٤ - ١٢٩٥ م

لما ظهر السلطان ابو حفص وبأيمه الناس سماع به اهل الحضرة واجتمع اليه الناس وكثر اتباعه . وازداد الدعي ايقاعاً بالناس فمقتوه وخرج من تونس يريد قتال ابي حفص فنار عليه عسكره ورجع منهزماً ودخلت البلاد في طاعة السلطان ابي حفص ونهض الي تونس ونزل بسحوم فريباً منها . وعسكر الدعي بمن بقي معه بظاهر البلد مقابله وطالت بينهما الحرب اياماً وعسكر الدعي كل يوم في نقص مستمر لخالفه عسكره عليه ولحاقهم بأبي اسحق فلما رأى قلة من معه فر هارباً ودخل السلطان ابو حفص تونس في ربيع الاخر سنة ٦٨٣ هـ واستولى على سرير الملك واعاد بيعته ثانياً فبأيمه الخاصة والعامة وتلقب المستنصر بالله وبعد ايام قلائل من دخوله تونس عثر بعضهم بالدعي في مخفاه واحضره للسلطان فعمد له مجعماً وبخه فيه توبيخاً شديداً وساله عن صحة نسبه فاعترف بادعائه في نسبهم فامر بقتله فقتل وخلف براسه في حضرة تونس

واشتد السلطان ابو حفص بملكه وبادر الناس الى الدخول في طاعته وبعث اهل القاصية يبعثهم من طرابلس وتلمسان وما بينهما ثم كان ما ذكره . قد تقدم معنا خبر نجاة الامير ابي زكريا من الوقعة التي قتل فيها السلطان ابو فارس واخوته ولحقه بتلمسان فنزل هناك على صهره عثمان بن يغمراسن وجاء في اثره ابو الحسن ابن ابي بكر بن سيد الناس صنيعة اخيه ابي فارس واستخذه لطلب ملكه واستقرض من تجار بجاية مالا انفق في اقامة امة الملك له وجمع الرجال واصطنع الاحزاب وفشا الخبر بما يرويه من ذلك فصد عثمان بن يغمراسن عنه بما كان قد تقلد من طاعة السلطان ابي حفص . ولكن طمع الامير ابو زكريا في اظهار دعوته وخرج

من ثلثان مظهراً للصيد فلقق ببجاية ومعه ابو الحسن بن ابي بكر بن سيد الناس وهناك اظهر دعوته جهاراً فبايعه اهلها ثم سار الى ضواحي قسنطينة فدخل العرب في طاعته ثم نازل البلد وامتلكه

وبعث اليه اهل الجزائر بطاعتهم فاستولى على هذه الثغور القريبة وتلقب المنتخب لاهياء دين الله واغفل ذكر امير المؤمنين ادباً مع عمه الخليفة بالحضرة وانقسمت الدولة الى دولتين تحت تصرف سلطانين مستقلين فاستقر ابو حفص بتونس وابو زكريا ببجاية

وحاول السلطان ابو زكريا الاستيلاء على تونس فسار سنة ٦٨٥ هـ ونازل قابس فامتنعت عليه وشدد حصارها وقاتل اهلها قتالاً شديداً فكتب السلطان ابو حفص الى الامير عثمان بن يغمراسن بثلثان يامر بمنازلة بجاية ليرتد ابو زكريا عن قصده فزحف الى بجاية سنة ٦٨٦ هـ ونازلها فلما علم السلطان ابو زكريا بذلك رجع الى بجاية مسرعاً فرحل عنها عثمان بن يغمراسن واستقر كل من السلطانين بملكه

وفي سنة ٦٩٤ هـ توفي السلطان ابو حفص عمر بن يحيى وكان له ولد صغير فعهد بالملك من بعده الى محمد بن الواثق المعروف بابي عصيدة

٣٠٥ - ابو عصيدة محمد بن الواثق بن المستنصر

من سنة ٦٩٤ - ٧٠٩ هـ او من سنة ١٢٩٥ - ١٣٠٩ م

لما توفي السلطان ابو حفص اجتمع الموحدون واهل الدولة وبايعوا لولي عهده السلطان ابي عبد الله محمد ويلقب كما ذكرناه بابي عصيدة ابن السلطان الواثق بالله ابن المستنصر في يوم ٢٤ ذى الحجة سنة ٦٩٤ هـ وتلقب المستنصر بالله وافتتح امره بقتل عبد الله ابن السلطان ابي حفص خوفاً منه لثلاثين نازعه الملك

ولما استوثق الملك لابي عصيد حدث نفسه بغزو الناحية الغربية وارثجاع
ثغورها من يد السلطان ابي زكريا . وكان اهل الجزائر قد انتقضوا على السلطان
ابي زكريا واستعجل امر عثمان بن يغمراسن وبني عبد الواد من ورائه وتغلبوا على
توجين ومغراوة وبلكين . فقتوت عزائم السلطان ابي عصيد لذلك ونهض من
الحضرة سنة ٦٩٥ هـ وتجاوز حدود عمله الى اعمال قسنطينة واجفدت امامه الرعايا
وانتهى الى ميلة ومنها رجع الى حضرته في رمضان من سنته

ولما نازل السلطان ابو عصيد بلاد ابي زكريا راسل هذا عثمان بن يغمراسن
بتمسان يستنجده واكد معه قديم الصهر بمحادث الود والمواصلة وفي خلال ذلك
زحف يوسف بن يعقوب سلطان بني مرين الى تلمسان فاستجاش عثمان بن يغمراسن
بالسلطان ابي زكريا فامده بعسكر من الموحدين لقيهم عسكر من بني مرين
فهمزومهم واثخنوا فيهم قتلاً ورجع فلهم الى بجاية

وسرح يوسف بن يعقوب عساكر بني مرين الى بجاية فانتهوا اليها
وضايقوها ثم جاوزوها الى تكرارت وبلاد سدونكش وعاثوا في تلك الجهات
ودوخوها واتقلبوا راجعين الى السلطان يوسف بن يعقوب بمسكركه من تلمسان
وكان السلطان ابو عصيد من المشجعين ليوسف بن يعقوب على قصد بجاية
لسابق العداء

وفي سنة ٧٠٠ هـ توفي السلطان ابو زكريا صاحب الثغور الغربية وكان على
غاية من الحزم واليقظ والصرامة لم يبلغها سواه وكان كثير الاشراف على وطنه
والمباشرة لاعماله بنفسه وسد خله . وتولى بعده ابنه الامير ابو البقاء خالد بن
ابي زكريا

وكان ابو البقاء عاقلاً حازماً فرأى عظم الخسائر التي نتجت من خصام ابيه
مع سلطان الحضرة ابي حفص اولاً ثم ابي عصيد من بعده فرأى انه من الحكمة
وسديد الرأي حقن الدماء فراسل السلطان ابا عصيد في الصلح على ان من هلك
منهما قبل صاحبه فالامر من بعده للآخر فقبل ابو عصيد ذلك وتقرر بينهما

الصالح على هذه الشروط

وفي سنة ٧٠٩ هـ توفي السلطان ابو عصيد في شهر ربيع الآخر وكان عقيماً
لم يخلف ولداً

٥٠٦ - ابو بكر الشريد بن عبد الرحمن

سنة ٧٠٩ هـ او سنة ١٣٠٩ م

توفي ابو عصيد بلا عقب كما تقدم وكان الواجب مبايعة ابي البقاء خالد بن
ابي زكريا صاحب الثغور الغربية كنص الاتفاق السابق ذكره ولكن قام ابو بكر
ابن عبد الرحمن الحفصي الذي كان ربي في بيت ابي عصيد ونشأ في نعمته
فحدث نفسه بالاستيلاء بعده على تونس وفسخ ما كان من الاتفاق بين ابي
عصيد وابي البقاء وداخل في ذلك بعض كبار الدولة فاجابوه الى ما طلب
وبايعوه بتونس

ولما بلغ السلطان ابا البقاء بمكانه من بجاية واعمالها الخبر بمرض السلطان
ابي عصيد عزم على المسير الى تونس خوفاً من انتفاض اهل الحضرة اذا مات
ابو عصيد فلما وصل الى قصر جابر ورد الخبر بهلاك السلطان ابي عصيد وبيعة
الموحدين بعده لابي بكر فاستشاط غضباً وامر بالمسير الى تونس . وخرج ابو
بكر في جموعه للقائه وبعد قتال شديد انهزم ابو بكر ومن معه . وفر ابو بكر هارباً
فوجده احد اتباع ابي البقاء فاسره واتى به الى السلطان ابي البقاء فقتله . وكان
قتله لسبع عشرة ليلة من بيعته ولذلك سمي الشهيد

٥٠٥ - ابو البقاء هالديبه ابي زكريا

من سنة ٧٠٩ - ٧١١ هـ او من سنة ١٣٠٩ - ١٣١١ م

لما قتل ابو بكر الشهيد بن عبد الرحمن دخل ابو البقاء خالد بن أبي زكريا تونس واستقل بالخلافة وتلقب الناصر لدين الله . وعقد لاختيه ابي بكر بن ابي زكريا على قسنطينة واستحجب له الحاجب ابن عمر فدخل ابن عمر ابا بكر في الانتفاض على اخيه ابي البقاء وبدت مخايل ذلك عليهم فارتاب لهم السلطان ابو البقاء وجهرز عسكرياً وعقد عليه اظافر مولاه وسرحه الى قسنطينة فانتهى الى باجة واناخ بها . وعلم ابن عمر بذلك فدعا الامير ابا بكر اليه واخذ له البيعة على الناس فتمت سنة ٧١١ هـ وتلقب بالمتوكل وعسكر ظاهر قسنطينة الى ان بلغه مجاهرة ابن مخلوف بخلافهم فكان ما سنده كره ان شاء الله

كان يعقوب بن مخلوف ويكنى ابا عبد الرحمن كبير صنهاجة من جند السلطان ابي البقاء الموطنين بناحية بجاية وكان له مكان في الدولة وغناء في حروبهم ودفاع عدوم فلما دعى السلطان ابو بكر لنفسه وخلع طاعة اخيه باغراء ابن عمر خاطبوه باخذ البيعة له على من يلبه ببجاية واعمالها فابي منها وتمسك بدعوة صاحبه وجاهر بخلافهم وجمع واحتشد واعلان بالدعوة للسلطان ابي البقاء

ولما علم ابو بكر بمجاهرة ابن مخلوف بخلافهم ارتحل من معسكره بظاهر قسنطينة واغذا السير الى بجاية ونزل مطالاً عليه فراسله ابن مخلوف في الصالح واشترط عليه ان يخلع ابن عمر فامتنع ابو بكر من اجابة طلبه وقبض على رسوله واعتقله . فهجم ابن مخلوف في من معه من صنهاجة على معسكر ابي بكر فانزمو عسكر ابي بكر واجفل هو الى قسنطينة في فل من عسكره وبعث ابن مخلوف عسكرياً في اتباعه فوصلوا الى ميلة فدخلوها عنوة ثم وصلوا الى قسنطينة وقتلوها اياماً ثم رجعوا الى بجاية

واقام السلطان ابو بكر ببجاية واضطرب امره وتوقع زحف ظافر اليه من باجة

وفي هذه الاثناء كان ابو يحيى زكريا بن احمد اللخمياني قد قفل من المشرق ولما انتهى الى طرابلس وعلم ما بافريقية من الاضطراب دعا لنفسه فبويع وتوافت اليه العرب من كل جهة . فرأى السلطان ابو بكر صاحب بجاية من مذاهب الخزم ان يبعث اليه بالحاجب ابن عمر ليشيد من سلطانه ويشغل به اهل الحضرة عنه . فظهر ابن عمر الفرار عن السلطان ابي بكر ولحق بابن اللخمياني واستخذه الملك تونس وهون عليه امرها

اما ما كان من السلطان ابي بكر بعد مفارقة ابن عمر له فانه كبس منازل وسطا بحاشيته وولى حجابته حسن بن ابراهيم رئيس اهل الجبل فاشيع بالجهات ان السلطان تنكر لابن عمر وسخطه وانه ذهب الى ابن اللخمياني واستجاشه على الحضرة . وبلغ ذلك ابن مخلوف فاستيقن اضطراب حال ابي البقاء خالد بتونس وذهاب ملكه فطمع في حجابة السلطان ابي بكر . وكان السلطان ابو بكر قد خرج من قسنطينة قاصداً بجاية فسار ابن مخلوف لملاقاته ليس محارباً بل معاهداً فلقى السلطان ببرجيوة من بلاد سدونكش فترحب السلطان به وظهر السرور بقدمه فلما كان الليل استدعاه السلطان الى شرب مع مواليه فعاقرهم الخمر الى ان ثل واستغضبوه ببغض النزغات فغضب وافزع فتناولوه طعنات بالخناجر الى ان قتلوه وتقبض السلطان على سائر اتباعه وحاشيته واسرع الى بجاية فدخلها وظفر بها واستولى عليها فربا ملكه وعلا صيته

واستولى السلطان ابو بكر على سائر المملكة التي كانت تحت ايدالة ابيه بالجهة المعروفة بالناحية الغربية واقام بانتظار صاحبه ابن عمر

ولما بويع السلطان ابو بكر بقسنطينة اضطربت الاحوال على السلطان ابي البقاء خالد بتونس وجهز المشاكر لمنازلة قسنطينة وعقد عليها لمولاه ظافر المعروف بالكبير فمسك بجاجة وارجح ينتظر امر السلطان . وكان ابو يحيى زكريا بن احمد اللخمياني قد عظم امره بطرابلس وخصوصاً بعد لحاق ابن عمر به مظاهراً له على شأنه فاحكم ذلك من عقدة وشد من امره وتوافت اليه رجالات العرب فاغذا

بهم السير الى الحضرة

فلما علم ابو البقاء بقدمهم لا انتزاع ملكه بعث الى مولاه ظافر بمكانه من
باجة مستجيشا به فاعترضوه قبل وصوله ووقعوا به ثم نازلوا تونس ثامن جمادي
سنة ٧١١ هـ . فلما رأى ابو البقاء خالد عدم مقدرته عن مدافعتهم اشهد على نفسه
بالانخلاع عن الامر وحل البيعة

٥٠٦ - ابو يحيى زكريا بن احمد اللحياني

من سنة ٧١١ - ٧١٧ هـ او من سنة ١٣١١ - ١٣١٧ م

لما خلع ابو البقاء خالد بن ابي زكريا نفسه جاء السلطان ابو يحيى زكريا بن
اللحياني بلا تاخر فبوع البيعة العامة بظاهر تونس ثم دخل البلد واستولى عليه
ولما استقر بتونس واستوثق له الامر اعاد الحاجب ابن عمر الى مرسله السلطان
ابي بكر . فسار الى بجاية ولحق بصاحبه واستبد عليه كما كان

وفي هذه الاثناء كان ابو حو موسى بن عثمان بن يغمراسن الزياتي
صاحب تلمسان قد اعتز بارتجاعه امصارهم من يد بني مزين بعد مهلك يوسف بن
يعقوب المرييني فلما استتب له الامر طمع في الاستيلاء على بجاية فصرح العساكر
اليها سنة ٧١٣ هـ لنظر ابن عمه محمد بن يوسف بن يغمراسن وابن عمه مسعود بن
ابي عامر ابراهيم ومولاه مسامح فاغذوا السير الى بجاية ونازلوا البلد ثم جاوزوه
الى الجهات الشرقية فلم يظفروا بشيء ونالت منهم الحامية في المدافعة اعظم النيل
فقتلوا راجعين

وكان السلطان ابو يحيى بن احمد اللحياني قد طعن في السن وكان بصيرا
بالسياسة مجربا للامور وكان يرى من نفسه العجز عن الخلافة واستحقاقها خصوصا
لاستفحال امر السلطان ابي زكريا صاحب بجاية واعمالها بانضمام اعياص زناتة
وفول شولهم معه وكان يخاف زحفه اليه بتونس وكانت افريقية مضطربة عليه

فاجتمع على التوقيض عن افريقية ونفض عن الخلافة فجمع ما لديه من الاموال
والذخائر وباع ما بمودعاتهم من النفائس وخرج من تونس سنة ٧١٧ هـ وانتهى
الى قابس واقام بها

٥٠٧ - ابو ضربة محمد بن ابي يحيى زكريا

من سنة ٧١٧ - ٧١٨ هـ او من سنة ١٣١٧ - ١٣١٨ م

لما قوي امر السلطان ابي بكر صاحب بجاية واطاعته جميع الجهات الغربية
طمع في الاستيلاء على تونس فخرج من قسنطينة في جمادى سنة ٧١٧ هـ قاصداً
تونس . وكان السلطان ابن الاحياني قد خرج عنها الى قابس كما قدمناه واستخلف
عليها ابا الحسن بن وانودين فبعث اليه هذا بنهوض السلطان ابي بكر الى تونس وانه
محتاج الى المدافعة وطلب اليه الرجوع الى تونس فابى ابن الاحياني اجابة طلبه مقتنعاً
بما قسم له واخذه من الاموال فركب ابو الحسن بن وانودين في من معه من اهل
دولته وأتوا ابنه محمداً ويكنى ابا ضربة فاطلقوه من اعتقاله وباعوه . ثم اتاهم الخبير
باشراف السلطان ابي بكر الى باجة فخرجوا جميعاً من تونس لقتاله فلما قربوا منه
خام السلطان ابو بكر عن لقائهم ورجع الى قسنطينة . ودخل ابو ضربة والموحدون
الى تونس منتصف شبان من سنته وبويع بالخضرة البيعة العامة وتلقب المنتصر
ولما رجع السلطان ابو بكر الى قسنطينة ابتداءً يجهز جيشاً كثيفاً للمعاودة
الزحف الى تونس فلما كمل جيشه خرج من قسنطينة في صفر سنة ٧١٨ هـ واغذا
السير الى تونس والتقاء ابو ضربة في جموعه وبعد قتال شديد انهزم اصحاب ابي ضربة
وهرب هو من المعركة وتم استيلاء ابي بكر على تونس

ولما علم السلطان ابو يحيى زكريا بن احمد الاحياني بمكانه من قابس بهزيمة ابنه
وهربه واستيلاء ابي بكر على تونس خرج من قابس واتى طرابلس واستولى عليها
واستفحل امره هناك ففتح البلاد ودوخ المعقل حتى انتهى الى برقة وبعد ان استولى
عليها رجع الى طرابلس كرسي مملكته الجديدة . اما ابو ضربة فانه لما هرب من
المعركة لحق بمجرات طرابلس حيث احزاب ابيه وترأس قيادة بعضهم وزحف بهم
الى القيروان وبلغ خبره الى السلطان ابي بكر فخرج من تونس اخر شبان سنة ٧١٨ هـ

فاجفلوا عن القيروان وانقضت جموعهم وارتحلوا منهرمين والقتل والنهب يأخذ منهم مأخذة ولجاء ابو ضربة في فله الى المهديّة وكانوا مقيمين على دعوة ابيه فامتنع فيها الى ان كان من شأنه ما سند كرم ان شاء الله تعالى . وبلغ خبره الى ابيه بمكانه من طرابلس فاضطربت احواله وركب البحر الى الاسكندرية فنزل بها على السلطان محمد ابن قلاوون من سلاطين المماليك الترك بمصر والشام فاكرم وفادته واستمر بمصر الى ان توفي سنة ٧٢٨ هـ

٥٠٨ -- ابو بكر بهه الى زكريا

من سنة ٧١٨ - ٧٤٧ هـ او من سنة ١٣١٨ - ١٣٤٦ م

لما انتصر السلطان ابو بكر على ابي ضربة واحزابه كما تقدم دخل تونس في شوال سنة ٧١٨ هـ واستولى عليها واستقامت افرقية في طاعته وانتظمت امصارها وتغورها في دعوته

وكان السلطان ابو بكر لما خرج من قسنطينة قاصداً تونس استخلف على بجاية الحاجب ابن عمر فلما استولى على تونس ثبته عليها فبقي ابن عمر عاملاً على بجاية واعمالها فاستبد بعمله ولم يكن للسلطان ببجاية واعمالها سوى الخطبة واستمر الحال كذلك الى ان توفي ابن عمر في شوال سنة ٧١٩ هـ وقام ابن عمه علي بن عمر بامر ببجاية من بعده

واتصل الخبر بالسلطان فاهمه امر الشغل وارسل حاجبه محمد بن سيد الناس ليستولي على خزائن ابن عمر ويحفظها حتى يعين السلطان من يقوم بامر ببجاية . فسار ابن سيد الناس الى بجاية واستصنى اموال ابن عمر واستولى عليها وعاد الى الحضرة مصطحباً معه علي بن عمر فاولاه السلطان من رضاء ما احب امله واقام بالحضرة الى ان كان منه خلاف مع ابن ابي عمران كما ستراه

وكان بنو عبد الواد قد اشتد ظهرهم في هذه الاوقات حتى هاجموا بجاية مراراً وحاصروها . فلما توفي ابن عمر اهم السلطان شأنها فعقد على قسنطينة لابنه الامير ابي عبد الله وعقد على بجاية لابنه الآخر الامير ابي زكريا وجعل حجابتها لابي عبد الله بن القاون مستبداً عليها لكان صغرها واكتنف له الجند وامره بالمقام ببجاية للممانعة من العدو

وكان لابن قالون مكان عظيم في الدولة فلما سار الى بجاية خلا الجوبتونس لمعارضيه وحساده الكثيرين فوشوا به الى السلطان وخوفوه منه فسمع وشايتهم فيه واستقدمه من بجاية واستحجب على بجاية ابن سيد الناس وعلى قسنطينة مولاه ظافراً الكبير . فكان ذلك سبباً لعصيان ابن قالون على السلطان وانضمامه الى اعدائه كما ستراه ان شاء الله مما سبب له متاعب جمّة خصوصاً لظهور محمد بن ابي عمران الذي كان من خبره انه كان من اعقاب ابي عمران موسى بن ابراهيم بن الشيخ ابي حفص وكان السلطان ابو يحيى زكريا بن احمد اللحياني قد زوجه ابنته واستخلفه على تونس عند خروجه عنها ثم استخلفه على طرابلس عند ركوبه السفينة الى الاسكندرية

وكان ابو ضربة بعد انهزامه واقتراق جموعه قد اعتصم بالمهدية ونازله بها السلطان ابو بكر فامتنعت عليه واقفل عنها على سلم عقده لابي ضربة

وكان شخص يقال له حمزة بن عمر مخالفاً على السلطان ابي بكر بثقاب في نواحي افريقية حتى عظم صيته ونزع اليه الكثير من الاعراب وكثرت جموعه فاستقدم محمد بن ابي عمران من مكان ولايته بطرابلس وزحف الى تونس فخرج السلطان ابو بكر عن تونس سنة ٧٢١ هـ ولحق بقسنطينة . وكان ابن قالون متربصاً بالسلطان لسماعه الوشاية فيه كما مر فلما خرج السلطان امام زحفهم تخلف ابن قالون بتونس وركب من الغد في البلد منادياً بدعوة ابن ابي عمران . ودخل ابن ابي عمران ثانية خروج السلطان واستولى على الحضرة واقام بها بقية سنته وصدرًا من الاخرى . اما السلطان ابو بكر فلما لحق بقسنطينة جمع عساكره واحتشد جموعه وزحف منها في صفر سنة ٧٢٢ هـ فاصداً الحضرة . وخرج ابن ابي عمران مع حمزة بن عمر في جموع واقبهم السلطان وبعد قتال شديد انتصر السلطان انتصاراً مبيناً واشتغل فيهم قتلاً واسراً ودخل الحضرة في جمادي من سنته وجدد البيعة على الناس

ولما انهزم حمزة بن عمر ومحمد بن ابي عمران راي حمزة ان ابن ابي عمران غير كفوء للقيام بهذا الامر فصرفه الى مكان عمله بطرابلس وبعث الي ابي ضربة ابن السلطان اللحياني بمكانه من المهدية فداخله في الاستنجاد بزناة والوفود على سلطان بني عبد الواد فرحل معه ابو ضربة ووفدا على ابي تاشفين صاحب تلمسان ورغباه في الظفر ببجاية فشرح معهما السلطان آلافاً من العسكر عقد عليها لموسى بن علي الكردي فارتحلوا من تلمسان يجردون السير . وبلغ السلطان ابا بكر خبرهم فبرز للقائهم من تونس في عساكره

حتى انتهى الى رغيس بين بونة وقسنطينة وهناك التقى الجيشان واقتتلا قتالاً شديداً فانهزم ابو ضربة وحمزة ومن معها من اصحاب ابي تاشفين وعادوا بالخبية الى تلمسان ورجع السلطان ابو بكر الى الحضرة واستقر بها

ولما انهزم ابو ضربة بن اللحياني وحمزة بن عمر وعساكر بني عبد الواد لحق ابو ضربة بتلمسان فتوفي بها ودفن حمزة بن عمر على ابن تاشفين صريحاً ومعه ابن قالون فجوز ابو تاشفين جيشاً بقيادة موسى بن علي الكردي ونصب لهم ملك تونس من نسل ابي حفص ابراهيم بن الشهيد منهم فزحفوا الى افريقية وخرج السلطان ابو بكر من تونس لمدافعتهم في ذي القعدة سنة ٧٢٤ هـ ولما انتهى الى قسنطينة عاجلوه قبل استكمال التعبئة فنزل بساحتها واقام موسى بن علي على محاصرتها بعساكر بني عبد الواد وثقدهم ابراهيم بن الشهيد ومعه حمزة بن عمر الى تونس فدخلها في رجب سنة ٧٢٥ هـ واستمكن منها ولكن لم تطل مدة استيلائه عليها لثورة اصحاب السلطان ابي بكر بتونس عليه فدافعهم قليلاً

وكان موسى بن علي ومن معه من العساكر لما تخلف عن ابن الشهيد لحصار قسنطينة اقام عليها اياماً ثم اقلع عنها بعد خمسة عشر يوماً من منازلته ورجع الى صاحبه بتلمسان وخرج السلطان من قسنطينة وجمع عساكره ونهض الى تونس فاجفل منها ابن الشهيد وابن القاون ودخلها السلطان في شوال سنة ٧٢٥ هـ واستولى على دار ملكه واقام بها مدافعاً اعداءه الكثيرين بقدر ما في امكانه

وكان ابو تاشفين الزياتي صاحب تلمسان ظامعاً في الاستيلاء على بجاية وضمها الى املاكه ولذلك كان يساعد النازعين على السلطان كما تقدم ليضعف قوته ليتم له ما يريد ثم افكر ان يتخذ لعساكره حصناً يلجئون اليه وقت الازوم قريباً من بجاية فامر في سنة ٧٢٨ هـ موسى بن علي الكردي قائد جيشه بسرعة بناء هذا الحصن فاخط موسى مدينة بسكلات على مرحلة منها وعلى قارة الطريق الشارع من الغرب الى الشرق فاخط تلك المدينة وقسمها مسافات على جيشه فاستتمت لاربعين يوماً وسماها تيرزدكت واسكنها عسكره فاهم السلطان ابو بكر موقعها لقربها من بلاده واوعز الى عماله بقسنطينة وبجاية بمنازلتها ففعلوا وانهزموا عليها ولم يظفروا منها بطائل

وكان للسلطان ابي بكر اخ يقال له ابو فارس له تشوق الى نيل الرتبة وتربص بالدولة مع انه كان في ظل ظليل من النعمة وحظ كبير من المساهمة فاغراه عبد الرحمن

ابن عثمان المريني الذي كان نازلاً تونس في ذلك الوقت بالخروج والثورة وخرجا من يومها في ربيع سنة ٧٢٧ هـ ومرا ببعض احياء العرب فاعترضها امير الحي وعرض عليهما النزول فاما عبد الحق فابى وذهب لوجهه الى ان لحق بتلمسان واما الامير ابو فارس فاجاب ونزل وطبروا بالخبر الى السلطان فصرح لوقته احد قواده في طائفة من العسكر فامرعو اليه وامسكوه في الحي وقتلوه وجاءوا بجثته الى الحضرة فدفن بها . اما عبد الحق بن عثمان فنزل على ابي تاشفين بتلمسان واغراه بشدويج المالك الحفصية والاستيلاء عليها . ووفد على اثره حمزة بن عمر صريحا على عادتهم فاجاب ابو تاشفين صريخهم ونصب لهم محمد بن ابي عمران الحفصي سلطانا عليهم وامدهم بالعساكر من زناتة بقيادة يحيى بن موسى من بطانته فنهضوا جميعا الى تونس سنة ٧٢٩ هـ وزحف السلطان ابوبكر للقائهم وتراءى الجمعان بالرياس من نواحي هواره آخر سنة ٧٢٩ هـ فدارت الحرب واختل مصاف السلطان وهربت جموعه وانحصر هو ولكنه تمكن من الفرار بعد شق الانفس

وتقدم محمد بن ابي عمران بعد الواقعة الى تونس فدخلها في صفر سنة ٧٣٠ هـ واستبد عليه يحيى بن موسى قائد بني عبد الواد وحجبه عن التصرف في شيء من امره ثم عاد يحيى بن موسى الى سلطانه . اما السلطان ابوبكر فانه لما خلاص من المعركة لحق بيونة ومنها ركب البحر الى بجاية ومنها سار الى قسنطينة وهناك جمع عساكر وازاح علاله وخرج من قسنطينة الى تونس بعد خروج يحيى بن موسى منها فاجفل ابن ابي عمران عنها ودخل اليها السلطان ابوبكر في رجب من سنه

وضاق السلطان ذرعا من بني عبد الواد لدوام اتحادهم مع اعدائه وتحقق انه لا يثبت ملكه الا اذا اضعفهم . وبعد اعمال الفكرة رأى انه من الموافق مراسلة السلطان ابي سعيد سلطان بني مرين بمراكش لذلك الوقت والاتحاد معه على محاربة بني عبد الواد واقتسام املكهم . فاوفد اليه ابنه ابا زكريا فذهب الى مراكش واتحد معه وبعد ان وصلا هذا الاتحاد بالصهر لتتمكن عرى الصداقة اتفقا على مهاجمة بني عبد الواد في موعد ضربوه لذلك وبعد قليل من هذا الاتفاق توفي السلطان ابو سعيد المريني وتولى ابنه ابو الحسن فجدد المعاهدة مع السلطان ابي بكر وانتبه بترقب الفرص للهجوم على تلمسان . ثم حدث ان فراحه بني مرين المطالبين بكرمي المملكة والتجأ الى ابي تاشفين بتلمسان فارسل ابو الحسن اليه في طلبه فلم يشاء تسليمه فساق

السلطان ابو الحسن عساكره من المغرب الى تلمسان وارسل الى السلطان ابي بكر ليقوم من تونس بعساكره كاتفاقهما فجهز عساكره وخرج من تونس ونازل ثغور بني عبد الواد القريبة من بجاية ثم حاصر حصن تيمرز دكت وافتتحه عنوة ودكه الى الارض واستولى على ما حوله من الحصون والبلاد . اما السلطان ابو الحسن المربني فنزل على تلمسان ولم يكن الا قليلا حتى انهزم بنو عبد الواد واستولى على المدينة وقطع منها دابر آل زيان وهكذا انقسمت دولة بني عبد الواد فاستولى السلطان ابو الحسن على الجهات الغربية المجاورة لبلاده والسلطان ابو بكر على الجهات الشرقية منها المجاورة لبلاده ايضا ثم عاد كل منهما الى حضرته بعد ان استخلفا العمال على املاكهما الجديدة

ولما انتهى الحال على ما ذكرنا من اقتسام ملك بني عبد الواد استراح السلطان ابو بكر من هذه الفلاقل التي اتعبته سنين عديدة ووجه همه الى اصلاح داخلية بلاده التي كادت تحرب لتوالي الفتن فاعاد العساكر الى بلادها ونشط الزراعة والصناعة والعلوم بقدر ما في امكانه فعاد الى البلاد روتقها في مدة قريبة واستمر الحال على ذلك وتونس غرة في جبين الدهر الى ان توفي السلطان ابو بكر سنة ٧٤٧ هـ وهو من مشاهير سلاطين هذه الدولة الحفصية . وكانت وفاته ليلة الاربعاء ٢ رجب من السنة

٥٠٩ - ابو حفص بن ابي بكر

من سنة ٧٤٧ - ٧٤٨ هـ او من سنة ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م

لما توفي السلطان ابو بكر بن ابي زكريا كان ابنه الامير ابو حفص عمر معه بتونس فبادر من داره الى القصر وضبط ابوابه واستدعى الحاجب ابا محمد بن تافراكين من داره . ودعوا المشيخة من الموحدين واهل الدولة . واخذ الحاجب ابو محمد بن تافراكين عليهم البيعة للامير ابي حفص فبايعه الجميع البيعة المعتادة وانصرفوا

وكان الامير ابو العباس بن السلطان ابي بكر وولي عهده عاملاً لايه على الجربد فلما بلغه خبر وفاة ابيه وما كان من بيعة اخيه حقد على اهل الحضرة ما جاؤا به من نقض عهده ودعى العرب الى مظاهرة امره فاجابوه ونزعوا جميعاً الى طاعته فزحف بهم الى الحضرة ولقيه اخوه ابو فارس صاحب سوسة بالقيروان فاتاه طاعته وصار في جملته

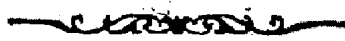
وجمع السلطان ابو حفص جموعه وارتحل عن تونس غرة شعبان وحاجبه محمد بن تافراكين قد انذر منه بالهلكة واعتل في اسباب النجاة حتى اذا تراءى الجمعان رجع الحاجب الى تونس في بعض الشغل وركب الليل فاجيا الى المغرب . وبلغ خبر مفرو الى السلطان فاجفل واختل مصافه ودخل ابو العباس تونس واقام بدار الامارة سبعة ايام وفي اليوم الثامن افتحم عليه الامير ابو حفص البلد وفك باخيه الامير ابي العباس ونصب رأسه على القناة . واستتب الامر لابني حفص

وكان السلطان ابو الحسن المريني صاحب المغرب بين الاوسط والافصى يترقب الفرص مذ استولى على تلمسان ليملك افريقية فانتهاز فرصة هذه الفتن الواقعة بين الاخوة وعزم على ارسال عساكره اليها

وفي هذه الاثناء وصل اليه ابو محمد بن تافراكين الحاجب فقوي عزمه على ما يريد فجهز العساكر وخرج يقودهم سنة ٧٤٨ هـ واغذا السير الى بجاية واستولى عليها وقبض على من فيها من بني حفص وشردهم الى المغرب وهكذا فعل عند وصوله قسنطينة . ثم قصد الحضرة ففر عنها السلطان ابو حفص وعلم السلطان ابو الحسن بفراره فارسل اليه من يلحقه فلحقوه وقتلوه واتوا برأسه الى ابي الحسن

واستولى ابو الحسن المريني على تونس واستتب له ملك افريقية وسرح جميع آل حفص الى المغرب الاقصى ولم يبق منهم الا الفضل ابن السلطان ابي بكر صاحب بونة الملقب بأبي العباس لانه صهره فأبقى على عمله

وكان للعرب في دولة آل حفص نفوذ عظيم وذالة كبرى على الدولة فلما استولى ابو الحسن على افريقية لم يراع حقهم وضرب على ايديهم بعضا من حديد فانفت نفوسهم هذه المعاملة وعزموا على العصيان وبجثوا على واحد من آل حفص بولونه زعامتهم فلم يتجدوا . وكان بتوزر احمد بن ابي عثمان بن ابي دبوس آخر خلفاء بني عبد المؤمن بمراكش فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه للامر وتبايعوا على الاستماتة ثم زحفوا الى القيروان فالتقاهم السلطان ابو الحسن في جموعه وبعد قتال شديد انهزم السلطان ابو الحسن واختل مصافه ودخل القيروان وانتهبوا معسكره بما اشتمل عليه واخذوا بمخنقه الى ان اختلفوا فافرجوا عنه وخاض الى تونس ثم لحق بمراكش فكان مانذ كره من استيلاء الفضل ابي العباس على البلاد



٥١٠ - أبو العباس الفضل بن أبي بكر

من سنة ٧٤٩ - ٧٥١ هـ أو من سنة ١٣٤٨ - ١٣٥٠ م

لما رحل أبو الحسن المريني إلى مراكش كما تقدم ثار أهل قسنطينة على عماله وأخرجوهم من البلد وأرسلوا إلى الفضل أبي العباس بن أبي بكر بمكانه من بونة واستدعوه إليهم فحضر عندهم وبايعوه الخلافة واستتب له الأمر وأعاد ما ذهب من سلطان قومه وشمل الناس بعلمه وإحسانه وأنس من أهل بجاية ميلاً إلى الدعوة الحفصية فسار إليها فلما قرب منها ثار أهلها على عمال السلطان أبي الحسن المريني واستباحوهم. ودخل الفضل إلى بجاية واستولى على كرسي ملكها ونظمها مع قسنطينة وبونة في ملكه وأعاد القاب الخلافة وشتاتها كما كانت واعتزم على قصد الحضرة وبعد أن جمع عساكره سار إليها سنة ٧٥٠ هـ وبها أبو الفضل ابن السلطان أبي الحسن المريني كان أبوه قد عقد له عليها عند رحيله إلى المغرب فلما اطلت رايات السلطان الفضل على تونس نبضت عروق التشيع للدعوة الحفصية واحاط رعايا تونس بقصر الإمارة ورجعوه بالحجارة فتهايل أبو الفضل بن أبي الحسن المريني في الخروج منه ولحق بالمغرب. ودخل الفضل إلى الحضرة وقعد بمجلس آبائه من الخلافة وجدد ما طمسته بنو مرين من معالم الدولة إلى أن كان ما نذكره إن شاء الله تعالى

لما دخل أبو العباس الفضل إلى الحضرة واستبد بملكها عقد على حجابته لأحمد ابن محمد بن عتو وعلى جيشه وحربه لمحمد بن الشواش وكان مولاه أبو الليل قتيبة ابن حمزة مستبداً عليه في سائر أحواله وأنف بطانته من ذلك فحملوه على التنكر له فحمله وفوض أمر المملكة لأحمد بن محمد بن عتو وكان مولاهم الكبير أبو محمد بن تافراكين حاجباً في تلك السنة فلما رجع بعد أداء فريضة الحج اتحد مع بني حمزة على الإيقاع بالسلطان فاجتمعوا وحلفوا أن لا يغير أحد منهم عن قصده ثم ساروا إلى السلطان وطلبوا منه أن يخلع أحمد بن محمد بن عتو عن حجابته ويوليها ويعقد

بها لابي محمد بن تافراكين صاحب ابيه وكبير دولتهم فابى السلطان اجابة طلبهم
فهاجوا عليه وثاروا به وامسكوه واعتقلوه في بعض دورهم . وعمد ابو محمد بن
تافراكين الى دار المولى ابي اسحق ابراهيم بن السلطان ابي بكر فاستخرجه وجاء به
الى القصر واقعده على كرسي الخلافة وبايع له الناس وهو يومئذ غلام لم يناهز
الحلم فاعتقدت بيعته وسبق اليه اخوه الفضل فامر بقتله فقتل

٥١١ - ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر

من سنة ٧٥١ - ٧٧٠ هـ او من سنة ١٣٥٠ - ١٣٦٩ م

لما استولى ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر على كرسي الخلافة بتونس وكان
صغيراً كما تقدم تولى حجابته ابو محمد بن تافراكين كبير دولتهم واستبد بامور
المملكة ولم يكن لابي اسحق معه الا مجرد الاسم فنقم عليه امراء الحفصية بمكان
عمالهم واستولى كل منهم على ما بيده وخصوصاً الامير ابو زيد بن ابي عبد الله
بن ابي بكر صاحب قسنطينة وحاول مراراً ان ينازل تونس ويستولي عليها فلم
ينجح لحسن دفاع السلطان عمال ابي اسحق عنها وفي آخر مرة من هذه المرات استخاف
على قسنطينة اخاه ابا العباس وسار الى تونس ونازلها فامتعت عليه ورجع فوجد
اخاه قد استبد بامر قسنطينة فعدل الى بونة ومن هناك راسل ابا محمد بن تافراكين
في سكنى الحضرة والنزول لهم عن بونة فاجابه ونزل عنها الامير ابو زيد اعمه
السلطان ابي اسحق وتحول الى تونس فانزلوه على الرحب والسعة

وكان بنو مرين من يوم خروج تونس من تحت يدهم واستيلاء الحفصيين
عليها مرة اخرى عازمين على معاودة الرجوع اليها ولكن حصلت في الدولة دواع
أوجبت التأخير فاستتب الامر للحفصيين كما تقدم بلا منازع ولا معارض فلما
استتب الامر بمراكش للسلطان ابي عنان المريني عزم على غزو تونس وضمها الى
مملكه فنازل المغرب الاوسط أولاً واستولى على تلمسان سنة ٧٥٣ هـ ونجا فل

بني عبد الواد الى بجاية ونزلوا على اميرها الامير أبي عبد الله الحفصي فارسل اليه ابو عنان بالقبض عليهم وارسالهم له ففعل . ثم تقدم السلطان أبو عنان الى بجاية فالتقاه الامير أبو عبد الله بغاية النجدة ولكنه أجازته على هذه المعاملة الحسنة بان طلب منه ان ينزل له عن بجاية ففعل مضطراً ونقله أبو عنان في جملته الى المغرب ولما ملك أبو عنان بجاية بتنازل أميرها له عنها سار في جموع بني مرين قاصداً قسنطينة وبها الامير أبو العباس فدافع عنها دفاعاً حسناً الا ان الكثرة تغلب الشجاعة فاقتحم بنو مرين المدينة عنوة وتحيز الامير أبو العباس الى القصة فامتنع بها حتى توثق لنفسه بالهدد فلما نزل ودخل الى السلطان أبي عنان اكرم ملتقاه وبعد ايام قلائل نقض عهده واركبه السفن الى المغرب وانزله بسبتة ورتب عليه الحرس وفي خلال ذلك بعث الى بونة فدخلت في طاعته وفر عنها عمال ابي اسحق ثم بعث رساله الى ابي محمد بن تافراكين في الاخذ بطاعته والنزول عن تونس فردهم واخرج سلطانه المولى ابا اسحق بعد ان جهز اليه العساكر واقام هو بتونس . واجمع ابو عنان النهوض اليه وسرح عسكراً في اسطول لمازلتها بجزراً فسبق الاسطول وصبحوا تونس وقتلوهما واتيح لهم الظهور فخرج عنها ابو محمد بن تافراكين ولحق بالمهدية واسنولات عساكر بني مرين على تونس في رمضان سنة ٧٥٨ هـ .

واما السلطان ابو اسحق فانه لما خرج من تونس في عساكرة التقى بعساكر بني مرين وقتلهم وهزمهم واتبعهم حتى قرب من سبتة ثم عاد ظافراً الى افريقية فلما سمع ابو محمد بن تافراكين بهذا الانتصار عاد من المهدية الى تونس ولما قرب منها ثار اهل المدينة على من فيها من عساكر بني مرين واستباحوهم ونجا فلهم الى الاسطول ودخل ابو محمد بن تافراكين الى الحضرة ولحق به السلطان ابو اسحق عائداً من قتال المرينيين . وفي مدة قرية اعاد السلطان ابو اسحق الى الدولة ما فقدته واستولى على جميع البلاد التي كان ابو عنان قد استولى عليها وعظم صيته وبعد ذكره

وبعد مدة قليلة توفي ابو عنان بمراكش فرجع من كان في اعتقاله من بني حفص ومنهم الامير ابو العباس فدخل قسنطينة واستولى عليها كما كانت له قبلاً ثم عظم امره حتى استخلص بيجاية من صاحبها الامير ابي عبدالله ثم اطعمه بعضهم في منازلة الحضرة فارسل اليها المساكر بتيادة اخيه ابي يحيى زكريا فنازلوها اياماً وامتنت عليهم واقبلوا على سلم ومهادنة انعقدت بين ابي اسحق صاحب الحضرة وبينهم وفي سنة ٧٧٠ هـ توفي السلطان ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر وتولى بعده ابنه ابو البقاء خالد

٥١٢ - ابو البقاء خالد بن ابي اسحق

سنة ٧٧٠ هـ أو من سنة ١٣٦٩ م.

لما توفي ابو اسحق بن ابي بكر تولى بعده ابنه ابو البقاء خالد وكان صغيراً فاستبدت عليه بطائته واساءوا السيرة في الرعية الى حد لا يطاق وكان امر السلطان ابي العباس قد عظم في قسنطينة وبيجاية واعمالها فلما علم بوفاة ابي اسحق اغذا السير الى الحضرة فدخلها بلا كثير عناء واستولى عليها واعتقل ابا البقاء خالدًا وقتل جميع بطائته واستتب له الامر

٥١٣ - ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر

من سنة ٧٧٠ - ٧٩٦ هـ أو من سنة ١٣٦٩ - ١٣٩٤ م

ولما دخل السلطان ابو العباس احمد الى تونس واعتقل ابا البقاء خالدًا بعثه في اسطول الى قسنطينة فمصفت به الريح وانحرفت السفينة وترادفت الامواج الى ان هلك. واستبد السلطان بامرء وعقد لاخته الامير ابي يحيى على حجابته .

ثم وجه همه لاصلاح البلاد وانماء موارد الرزق وابتدأ اولاً بالضرب على ايدي العصاة حتى اعاد الى الدولة الحفصية مهابتها وسطوتها . وفي مدة يسيرة استولى على كل البلاد التي كانت قد أخذت من الدولة في اثناء الفتن مثل سوسة والمهدية وجربة رقصة وقابس وغيرها وبعد ان استعادها اهتم في اصلاح داخلية البلاد فاینعت البلاد في ايام هذا السلطان وساد الامن وعم العدل واغتنى الفلاح حتى احبته قلوب رعيته حباً عظيماً ولقبوه الملك الرحيم

واهم ما يذكر من الحوادث في ايام هذا السلطان منازلة الفرنج المهدية وحصارها وبلغ السلطان الخبر فاهتم الامر جداً وسير اخاه الامير ابي يحيى وسائر بنيهِ في العساكر اليهم فاسرعوا بالمسير الى المهدية وقاتلوا الفرنج قتالاً شديداً حتى الزمهم بالجلال عن المهدية

وفي سنة ٧٩٦ هـ توفي السلطان ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر بعلّة النقرس

٥١٤ - ابو فارس عزوز بن ابي العباس احمد

من سنة ٧٩٦ - ٨٣٦ هـ او من سنة ١٣٩٤ - ١٤٣٣ م

كان للسلطان ابي العباس احمد ابناء كثيرون يتناولون على ابيهم ويغصون بهمهم زكريا ويخشون غائلته بعد ابيهم . وكان الامير ابو يحيى زكريا اخو السلطان ابي العباس رديفه في الملك والمرشح بعده للامر . فلما توفي السلطان ابو العباس اجتمع اولاده وقبضوا على عمهم زكريا وادعوه بعض الحजर ووكلا به من يحفظه وابعوا اخاهم ابا فارس عزوزاً رابع شعبان سنة ٧٩٦ هـ

وكان السلطان ابو فارس درة سلك الدولة الحفصية استولى على الجريد واخضع الثوار وسار بالعدل . وفي ايامه غزا صاحب اراغون في اسبانيا جزيرة

هرقة فاستردها منهم . وتبادل مع اهل صقلية الاسرى . وكان ابو فارس محباً لاختوته فوزع الوظائف من الامارة والوزارة عليهم فاعتضد بهم وكان من جملتهم اخوه ابو بكر بن ابي العباس بقسنطينة فتازعه بها ابن عمه الامير ابو عبد الله محمد ابن ابي زكريا صاحب بونة والح عليه في الحصار فعمد اليه السلطان ابو فارس ووقع به على سيديوس وقعة شهء انتهت به هزيمتها الى فاس مستصرخاً صاحبها وهو يومئذ ابو فارس المريني . فاقام ابو عبد الله بفاس الى سنة ٨١١ هـ في دولة السلطان ابي سعيد المريني^١

وكان الاعراب وخصوصاً بنو سليم منهم قد اعتادوا الثورات لما في ذلك من الفائدة لهم اذ لا مغنم افضل عندهم من ذلك فلما ضرب ابو فارس على ايديهم بعضا من حديد سار بعضهم الى فاس مستنجدين السلطان ابا سعيد على ابي فارس صاحب تونس وثقابوا عنده مع الامير ابي عبد الله المنهزم بسيديوس كما مر فعمد له السلطان ابو سعيد على جيش من بني مرين وغيرهم وبعثه مع العرب فلما انتهى الى بجاية تلقته اعراب افر يقية طائفة وهونوا عليه امر تونس فرد الجيش المريني وقصدها بمن انضم اليه من الحشود فاخذ بجاية من ابي يحيى واستخاف عليها ابنه المنصور ثم زحف الى السلطان ابي فارس بتونس . فخالفه ابو فارس الى بجاية فافتكها من يد ابنه المنصور ووجه به مع جماعة من كبار اهلها معتقلين الى الحضرة وعقد عليها لاحد ابن اخيه ثم نهض لقتال ابن عمه ابي عبد الله فلما تقابل الجمعان انضم كثيرون من عسكر ابي عبد الله الى ابي فارس وانفض جمعه وقتل واحتز رأسه ووجهه السلطان ابو فارس مع من علقه بباب المحروق احد ابواب فاس اغاظة للسلطان ابي سعيد وذلك سنة ٨١٢ هـ

ثم تحرك السلطان ابو فارس الى جهة المغرب قاصداً اخذ الثار من السلطان ابي سعيد فاستولى على تلمسان ثم قصد حضرة فاس فلما شارفها جنح السلطان ابو سعيد الى السلم فوجه اليه بهدايا جليلة فقبل ذلك ابو فارس وانكفأ راجعاً الى حضرته ولحقته في طريقه بيعة اهل فاس وانتظم له ملك المغرب وبايعه صاحب

الاندلس ايضاً

وفي سنة ٨٣٦ هـ توفي السلطان ابو فارس عزوز بن ابي العباس احمد بعد ان
ملك اربعين سنة وشهوراً وبعد موته لم تقم للدولة الحفصية قائمة

٥١٥ - محمد المنتصر

من سنة ٨٣٦ - ٨٣٧ هـ او من سنة ١٤٣٢ - ١٤٣٣ م

لما توفي السلطان ابو فارس وهو آخر العظماء من الدولة الحفصية تولى بعده
حفيدة محمد المنتصر وهذا لم يلبث في الولاية الا عاماً وشهرين كانت كلها حروباً مع
الاعراب ثم توفي سنة ٨٣٧ هـ

٥١٦ - ابو عمر عثمان بن محمد

من سنة ٨٣٧ - ٨٩٣ هـ او من سنة ١٤٣٤ - ١٤٨٨ م

لما توفي محمد المنتصر تولى بعده ابنه ابو عمر عثمان وكان شجاعاً غزاً تلمسان
سنة ٨٧٠ هـ واستولى عليها بعد ان هدم اسوارها واستأن الى سلطانها ابو عبد الله
الزياني فعهده عليها . ثم توفي سنة ٨٩٣ هـ لاربع وخمسين سنة من ولايته تقريباً

٥١٧ - ابو زكريا يحيى بن محمد المسعود

من سنة ٨٩٣ - ٨٩٩ هـ او من سنة ١٤٨٨ - ١٤٩٤ م

ولما توفي ابو عمر عثمان تولى بعده حفيدة ابو زكريا يحيى بن محمد المسعود ثم
توفي سنة ٨٩٩ هـ لست سنين من ولايته

٥١٨ - ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد المسعود

من سنة ٨٩٩ - ٩٣٢ هـ او من سنة ١٤٩٤ - ١٥٢٦ م

ولما توفي ابو زكريا تولى بعده ابن اخيه ابو عبد الله محمد بن الحسن وفي ايامه ظهر خير الدين باشا الذي اشتهر في كتب الافرنج باسم بروس اي ذي اللحية الحمراء وكان اصله من اروام جزيرة مtilين (مدلي) احدى جزائر الروم وكان هو واخ له يدعى اوروج يشتغلان بالصوصية في بحر الروم ثم اسما ودخلا في خدمة السلطان ابي عبد الله محمد الحفصي هذا واستمرا في حرفتهما وهي اسر مراكب الافرنج التجارية واخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركبها وملاحيا بصفة رفيق فاغتنيا مع تمادي الايام من اموال النهب والسلب حتى صار لهما في وقت قريب عمارة بحرية

وكانت الدولة العلية العثمانية قد استفحل امرها في اوربا بقوة السلطان سليم الاول وهو السلطان لذلك الوقت فارسل اليه خير الدين واخوه احدى المراكب الماسورة اظهارا لخضوعهم لسلطانه فقبلها منها وارسل لهما خلعاً سنياً وعشرين لستمينوا بها على غزو مراكب الفرنج فقويت شوكتها واشرايت اعناقها لاحتلال بعض سواحل بلاد الغرب باسم سلطان آل عثمان فاستولى خير الدين على ثغر شرشل باقليم الجزائر وتقدم اخوه اوروج الى داخلية البلاد واستولى على تلمسان ولكنه قتل بعد قليل في محاربة الاسبانيين لكن هولاء لم يتمكنوا من استرجاع تلمسان والجزائر بل حفظها خير الدين . وبعد قليل توفي السلطان ابو عبد الله محمد بن الحسن وكانت وفاته سنة ٩٣٢ هـ

٥١٩ - الحضر بن أبي عبد الله محمد

من سنة ٩٣٢ - ٩٤٣ هـ او من سنة ١٥٢٦ - ١٥٣٦ م

لما توفي ابو عبد الله محمد ولي بعده ابنه الحسن بن أبي عبد الله ولاول ولايته سار سيرة حسنة فاحبته الرعية ولكنه لم يلبث ان انقلب فخرجت البلاد عن طاعته شيئاً فشيئاً وقويت شوكة الاعراب . فاغتنم خير الدين باشا فرصة ثورة الاعراب على الحسن للاستيلاء على تونس بايعاز السلطان سليم وسار مجدداً لهذه الغاية فلما علم الحسن بقدومه الى تونس هرب منها سنة ٩٣٥ هـ . ودخل خير الدين باشا تونس وساس الرعية وسكن الثائرة بمن احضرهم من جنود الجزائر وانكأ فيهم بمقدورات المدافع التي كانوا لا يعرفونها حتى طلبوا الامان فامنهم

اما الحسن بن أبي عبد الله فلحق باسبانيا ملتجئاً الى الملك شارلكان ومستنجداً به على منتهى بلاده فلبى دعوته واجاب نداءه وجرى عمارة قوية قادها هو بنفسه ونزل من ثغر برشلونة في ٢٩ مايو سنة ١٥٣٥ م ووصل الى حلق الوادي في ١٦ يونيو وحاصرها هي ومدينة تونس مدة شهر تقريباً وفتحها في ١٤ يوليو وغنم ما في قلعتها من المدافع وما في ثغرها من المراكب

وفي ٢١ يوليو دخلت جيوش شارلكان حاضرة تونس وامر لهم بنهبها فاستباحوا اهلها قتلاً واسراً ونهباً ويقال ان عدد سكان تونس كان ١٨٠ ألفاً فقتل الثلث واسر الثلث ونجا الثلث

وفي اول اغسطس دخل شارلكان المدينة ومنع الجيش من هذه الاعمال فاستتب الامن وسادت السكينة . واعاد الملك شارلكان السلطان الحسن الى كرسي ملكه باحتفال شائق

وفي ٨ اغسطس سنة ١٥٣٥ م امضيت معاهدة بين شارلكان ومولاي الحسن تقضي على مولاي الحسن باخلاء سبيل الارقاء المسيحيين والاباحة لهم جميعاً بالسكنى في اقليم تونس واقامة شعائر دينهم وان يتنازل لشارلكان عن

مدائن بونة وبني زرت وحلق الوادي وان يدفع له اثني عشر ألفاً دوكاً نفقة الحرب وغير ذلك من الشروط التي اعتاد الاقوياء اشتراطها على الضعفاء فدفع مضطراً . وعاد شارلكان الى بلاده

اما اهل الدولة وخصوصاً ابن الحسن ابو العباس احمد صاحب بونة (التي صارت بمقتضى المعاهدة لشارلكان) لم يرضوا بهذه الشروط المجحفة واتحدوا معاً وبايعوا ابا العباس المذكور وقدموا معه الى الحضرة وافتتحوها عنوة وامسكوا الحسن وسملوا عينيه ولكنهم فر وهو اعمى فمات في القيروان وقيل في اوربا

٥٢٠ - ابو العباس احمد بن الحسن

من سنة ٩٤٣ - ٩٧٧ هـ او من سنة ١٥٣٦ - ١٥٦٩ م

واستتب الامر لابي العباس احمد وساد الامن في اوائل ملكه وفي سنة ٩٥٧ هـ استولى اهل نابل وجنوة على المهديّة وجبرته وظلّوا بها حتى اخرجهم دراغوث باشا الذي افتتح طرابلس في السنة التالية وملك القيروان . ثم استولى علي باشا صاحب الجزائر على الحاضرة واخذ البيعة للسلطان سليم الثاني العثماني سنة ٩٧٧ هـ

ولما رأى ابو العباس ضياع ملكه استنجد اسبانيا بمقابلة مال يؤديه لها فوجت له اسطولاً عظيماً ولما وصل اطلعه قائد الاسطول على كتاب مضمونه المقاسمة في الحكم والجبابة فانكر ابو العباس ذلك وانتقل الى صقلية ومات فيها

٥٢١ - محمد بن الحسن

من سنة ٩٧٧ - ٩٨١ هـ او من سنة ١٥٦٩ - ١٥٧٣ م

لما لحق ابو العباس بصقلية تولى بعده اخوه محمد بن الحسن الذي رضي

بالتقاسمة فدخل الاسبانيون البلاد واخرجوا منها الجزائريين ولكنهم كانوا شرًا منهم حتى انهم ربطوا خيولهم بالجامع الاعظم والقوا ما فيه من نفائس الكتب في الطرقات ولقي الناس من جورهم ما لا يوصف . ثم جاء الجيش العثماني بقيادة سنان باشا واستولى على حاق الوادي عنوة في ربيع سنة ٩٨١ هـ واسر محمدًا الحفصي وارسله الى السلطان سليم الثاني فاعتقله بالاستانة حتى توفي وانقرضت به الدولة الحفصية . وصارت بلاد تونس جزءًا من المملكة العثمانية والملك لله يوثيه من يشاء وهو العزيز الحكيم

٥٢٢ - الدولة المرينية بمراكش

(تمهيد) قسم فيلسوف المؤرخين ابن خلدون جنل زناة الى طبقتين الطبقة الاولى التي كان منها مقراوة ملوك فاس وقد تقدم الكلام عنهم والطبقة الثانية هي التي كان منها بنو مرين ملوك فاس الذين نحن بصددهم الان وبنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط وسياتي ذكرهم

وكان بنو مرين قبل استيلائهم على ملك المغرب احياء ظواعن بمجالات القفر من فيجيج الى سجلماسة الى ملوية وكانت الرئاسة فيهم لذلك الوقت لمحمد ابن وزيز بن فكوس بن كرماط بن مرين ويصل نسب مرين بزانا ابى يحيى ابى الجيل . فلما توفي تولى رئاسة بني مرين بعده ابنه حمادة بن محمد ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده الخضب بن عسكر وهذا قتل سنة ٥٤٠ هـ في بعض الحروب التي كانت بين عبد المؤمن والمرابطين . ثم قام بامر بني مرين بعد الخضب ابن عمه ابو بكر بن حمادة بن محمد الى ان هلك فقام بامرهم ابنه ابو خالد محيو بن ابى بكر ولم يزل مطاعاً فيهم الى ان استنفرهم يعقوب المنصور الى غزوة الارك بالاندلس فشهدوها وابلوا فيها البلاء الحسن واصابت محيو بن ابى بكر جراحات هلك منها بصحراء الزاب سنة ٥٩٢ هـ فتولى امر بني مرين بعده ابنه عبد

الحق . واقام بنو مرين ببلاد القبلة من زاب افريقية الى سجلماسة . وكانوا لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تنالهم الدولة بهزيمة ولا يودون اليها ضريبة كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا حرثا انما شغلهم الصيد وطرد الخيل والغارات على اطراف البلاد

فلما كانت وقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ بالاندلس وانهمزم المنصور وهلك الجمهور من حامية المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من اهلها واعقب ذلك الوباء العظيم وتوفي الناصر سنة ٦١٠ هـ وبايع الموحدون ابنه المنتصر وهو يومئذ صبي لا يحسن التدبير وشغله مع ذلك احوال الصبا ولذات الملك عن القيام بامر الرعية فتضاعفت هذه الاسباب على دولة الموحدين فاضعفتها حينها وامرضتها المرض الذي اودى بحياتها وفي سنة ٦١٠ هـ هذه خرج بنو مرين ورئيسهم عبد الحق لطلب الرزق بالصيد والقتنص والغارة على اطراف البلاد على عادتهم فلما اطلوا على المغرب الفوه قد تبدلت احواله وبادت خيله ورجاله وفنيت حماته وابطله وعريت من اهل اوطانه ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الاكفاف فسيحة المزارع موفرة العشب لقة راعيها مخضرة النول والربا لعدم غاشيها فاقاموا بمكانهم وانتشروا بنواحي المغرب واوجفوا عليها بجيولهم ورجلهم واكتسحوا بالغارات والنهب بسيطها حتى الجاؤا الرعايا الى حصونها ومعاقلها وتم لهم ما ارادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله

٥٢٣ - عبد الحميد بن محمد المريني

من سنة ٦١٠ - ٦١٣ هـ او من سنة ١٢١٣ - ١٢١٦ م

لما دخل بنو مرين المغرب كان الامير عليهم يومئذ الامير عبد الحق بن ممبو ابن ابي بكر بن حمادة بن محمد المريني فكثرت عيشتهم وضررهم بالمغرب واعضل داؤهم فرفعت الشكايات بهم الى الخليفة بمراكش وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر

فجهز لهم جيشاً كثيفاً وعقد عليه لابي علي بن وانودين فخرج لقتال بني مرين
ولما علم بنو مرين بقدمه تركوا اثقالهم وعيالهم بحصن تازوطا بارض الريف
ونخرجوا للقاء الموحدين فالتقى الجمعان بوادي تكور فكان الظهور لبني مرين وانهمزم
الموحدون امامهم هزيمة شنعاء وذلك سنة ٦١٣ هـ

وبعد هذا الانتصار تقدم عبد الحق بجيوع بني مرين الى رباط تازا فخرج
عاملها لحربه في جيش كثيف من الموحدين فقتل بنو مرين العامل المذكور واثنوا
في من معه وغنموا اسلابهم وقسمها عبد الحق في بني مرين ولم ياخذ شيئاً لنفسه ولا
اعطى لاحد من بنيهم منها مكافئاً بالفخر بظهوره على الاعداء
وبعد قليل حدث بين بني مرين فتن داخلية اودت بحياة عبد الحق . وكان
عبد الحق مشهوراً بالتقى والفضل والدين كثير الاحسان ورعاً عفوفاً صادق
العزيمة اذا قال فعل

٥٢٤ - ابو سعيد عثمان بن عبد الحق

من سنة ٦١٣ - ٦٣٨ هـ او من سنة ١٢١٦ - ١٢٤٠ م

لما قتل عبد الحق اجتمع بنو مرين وولوا عليهم ابنه ابا سعيد عثمان ولاول
ولايته اقتص من قاتلي ابيه وشردهم حتى لم يبق منهم مخبر
وكانت شركة الموحدين قد ضعفت وتداعى امرهم الى الاختلال فلما رأى
ابو سعيد ما عليه امر الموحدين من الضعف وما نزل برعايا المغرب من الجور
والعسف جمع اشياخ بني مرين وندبهم الى القيام بامر الدين والنظر في مصالح
المسلمين فاسرعوا الى اجابته وبادروا لتلبية دعوته . فسار بهم ابو سعيد في نواحي
المغرب يستقرى مسالكه وشعوبه ويتبع تلولة ودروبه ويدعو الناس الى طاعته
والدخول في عهده وحمايته . فن اجابه منهم امنه ووضع عليه قدراً معلوماً من
الخراج ومن ابى عليه باذنه واوقع به فبايعه من قبائل المغرب هواره وزكارة

واندول ومكناسة وبطوية وقشنتالة وسدرانة وبهلولة ومدونة ففرض عليهم الخراج
وفرق فيهم العمال . ثم فرض على امصار المغرب ضريبة معلومة يؤدونها على رأس
كل حول على ان يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم . ولم يزل دابه ذلك من
تدوين بلاد المغرب واقطاره حتى قتل غيلة سنة ٦٣٨ هـ قتله مملوك له رباه
صغيراً فشب ورسول له الشيطان الفتك به فترصد غرته وطمنه بجرية في منحره
فمات لوقته

٥٢٥ - ابو معرف محمد بن عبد الحق

من سنة ٦٣٨ - ٦٤٢ هـ او من سنة ١٢٤٠ - ١٢٤٤ م

لما هلك الامير ابو سعيد قام بالامر اخوه ابو معرف محمد بن عبد الحق
فاقتفى سنن اخيه في تدوين بلاد المغرب واخذ الضريبة من امصاره وخاف الرشيد
الملك المملوك لا اله الا الله - محمد بن عبد الله - ف ١٠ - ما كان له من اعداء

٥٢٦ — ابو بكر بن عبد الحق

من سنة ٦٤٢ — ٦٥٦ هـ او من سنة ١٢٤٤ — ١٢٥٨ م

لما انهزم بنو مرين كما تقدم وقل اميرهم لحقوا بجبال غياثة من نواحي تازا واعتصموا بها اياماً ثم خرجوا الى الصحراء ولوا عليهم ابا بكر بن عبد الحق ولاول ولايته بايع للامير ابي زكريا الحفصي صاحب تونس . ثم سار فنزل جبل زرهون ودعا اهل مكناسة الى بيعة الامير ابي زكريا الحفصي فامتنعوا اولاً فحاصروهم حتى اطاعوا خاضعين وذلك سنة ٦٤٣ هـ . وكان الامير ابو بكر عالي الهمة قوي الارادة شديد العزيمة فسمت نفسه الى الملك وطمع في الاستيلاء على المغرب وبلغ السعيد صاحب مرا كش لذلك الوقت خبر استيلاء المريني على مكناسة وصرفها للحفصي فاهتم للامر جدّاً وجمع جيوشه وخرج لقتالهم . وعلم الامير ابو بكر ان لا طاقة لهم بجموعه فاخذ المرينيين ونزل بهم قلعة تازوطا وتحصنوا فيها اما السعيد فنقدم اليهم يفتح كل ماير عليه من البلاد وتبعث بطاعته اليه العباد حتى قرب من القلعة فخاف ابو بكر العاقبة وبعث اليه بطاعته وامده بخمسمائة من بني مرين لقتال صاحب تلمسان فرجع السعيد عنه وقصد تلمسان فتوفي في طريقه اليها كما تقدم ذكر ذلك في دولة الموحدين . ولما علم ابو بكر بوفاة السعيد انتهز الفرصة لانقام مقاصده فخرج من حصن تازوطا واغذا السير الى مكناسة فدخلها واستولى عليها واقام بها اياماً ثم نهض الى اعمال وطاط وحصون ملوية فافتتحها ودوخ جبالها وذلك سنة ٦٤٦ هـ . ثم عزم على غزو فاس وانتزاعها من بني عبد المؤمن فسار اليها واناخ عليها وكان العامل بها يومئذ السيد ابا العباس من بني عبد المؤمن فارسل ابو بكر اليه بطلب طاعته والخطبة لابي زكريا الحفصي وضمن له جميل النظر وحميد السيرة . وارسل بذلك الى اهل فاس فبايعه اهل فاس وفتحوا له ابواب المدينة فدخلها يوم الخميس ٢٦ ربيع الآخر سنة ٦٤٦ هـ واخرج منها ابا العباس عامل الموحدين وارسل معه من يوصله الى مأمته

ثم نهض الامير ابو بكر الى منازل تازا فنازلها اربعة اشهر حتى نزلوا على حكمه

وفي ربيع الاول سنة ٦٤٧ هـ نهض ابو بكر لفتح بلاد زناتة وتدوين اقطارها فلما خرج من فاس اجتمع من بها من الموحدين واتفقوا على قطع الخطبة الخفصية التي يدعو اليها الامير ابو بكر ومراجعة دعوة المرتضي من بني عبد المؤمن

فلما استقر رأيهم على ذلك ثاروا على من في فاس من بني مرين وفتكوا بهم وتم لهم ما ارادوا . وبلغ الامير ابا بكر خبرهم فاسرع بالعود الى فاس وحاصرها شديداً حتى افتتحها عنوة وفتك بالثائرين حتى جعلهم عبرة لمن يعتبر وذلك في جمادي الآخرة سنة ٦٤٨ هـ

ولما استتب الامر للامير ابي بكر بفاس رجع الى ما كان فيه من منازل بلاد فزاز فافتتحها ودوخ اوطان زناتة ثم تخطى ذلك الى مدينة سلا ورباط الفتح سنة ٦٤٩ هـ فملكها وتاخم الموحدين بثغرها . وبلغ الخبر بذلك الى المرتضي صاحب مرا كش فاهم الشأن وجيز عسكرياً من الموحدين سرحهم سنة ٦٥٠ هـ فاحتاطت بسلا ثم افتتحوها وعادت الى طاعة المرتضي ثم عزم المرتضي على غزو بني مرين بنفسه فجمع العسكر وبلغ في الاحتشاد وخرج من مرا كش سنة ٦٥٣ هـ في نحو ٨٠ ألفاً ووالى السير حتى انتهى الى جبال بهلولة من نواحي فاس . وصمد اليه الامير ابو بكر في عساكر بني مرين والتقى الجمعان هناك وبعد قتال شديد انهزم الموحدون واثخن بنو مرين فيهم وغنموا معسكرهم ورجع المرتضي الى مرا كش مغلولاً

وفي سنة ٦٥٥ هـ خرج الامير ابو بكر لمحاربة يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان وسمع يغمراسن بذلك فنهض اليه أيضاً فالتقيا بالي سليط فاقننلوا وانهزم يغمراسن واعتزم ابو بكر على أتباعه فنهض عن رأيه في ذلك اخوه يعقوب بن عبد الحق لعهده تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع ولما قارب فاساً باغته أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمورة اطمعته في ملكها فاسرع الامير ابو بكر السير في جموعه

الى سجلماسة فدخلها قبل وصول يغمراسن بيوم . ثم جاء يغمراسن ويثس من غلبة الامير ابي بكر عليها ودارت بينهما حرب انهزم فيها يغمراسن ورجع الى بلده

ولما استتب الامر لابي بكر بسجلماسة عاد الى فاس وأقام بها أياماً ثم نهض الى سجلماسة ايضاً منفقداً الثغورها فلققه بها مرض فانقلب منها الى فاس وتوفي بها اواسط رجب سنة ٦٥٦ هـ وكان هذا الامير مشيد دولة بني مرين في الحقيقة

٥٢٧ ابو حفص عمر بنه ابي بكر

من سنة ٦٥٦ - ٦٥٧ هـ أو من سنة ١٢٥٨ - ١٢٥٩ م

لما توفي أبوا بكر اجتمع بنو مرين وبايعوا ابنه ابا حفص عمر وكان عمه يعقوب ابن عبد الحق بتازا فلما سمع بوفاة اخيه طمع في الاستيلاء مكانه فسار الى فاس ونهض أبو حفص لقتاله فانهزم امامه ليل مشيخة بني مرين ليعقوب المذكور فلما رأى أبو حفص نفسه مهزوماً ارسل الى عمه يعقوب ان يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر فاجابه الى ذلك ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فملكها سنة ٦٥٧ هـ واقتصر ابو حفص عمر على ولاية مكناسة فتولاها أياماً ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه لنحو سنة من امارته

٥٢٨ - المنصور بالله يعقوب بنه عبد الحق

من سنة ٦٥٧ - ٦٨٥ هـ أو من سنة ١٢٥٩ - ١٢٨٦ م

لما دخل يعقوب فاساً استولى عليها واستتب له الامر بها ولما قتل ابو حفص غيلة كما تقدم انضمت اليه مكناسة ايضاً وصار المطلق التصرف في تلك النواحي

وكان في نفس يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان ضعيفة على بني مرين وقد تقدم ذكر بعض الحروب بينهم فلما توفي ابو بكر بن عبد الحق طمع يغمراسن في الاستيلاء على المغرب فجمع لذلك قومه من بني عبد الواد واستظهر ببني توجين ومغراوة ثم نهض الى المغرب حتى اذا انتهوا الى كادامان صمد اليهم الامير يعقوب فهزمهم وردهم على اعقابهم ورجع الى فاس ظافراً . ثم كان ما نذكره

كان ابو بكر بن عبد الحق قد استعمل ابن اخية يعقوب بن عبدالله على سلا فلما توفي وتولى بعده اخوه يعقوب بن عبد الحق مكانه طمع يعقوب بن عبدالله صاحب سلا في الامر واظهر العصيان على عمه يعقوب وداخل الاسبنيول في نجرته على قتال عمه فاجابوه الى ذلك وكثرت سفن المترددين منهم اليها حتى زادوا عن اهلها فعمزوا على الثورة بها واهتبلوا فيها غرة عيد الفطر سنة ٦٥٨ هـ عند اشتغال الناس بعيدهم فثاروا بها ووضعوها السيف في اهلها وفعلوا ما تقشعر له الابدان وتحصن يعقوب بن عبدالله برباط الفتح . واتصل الخبر بـيعقوب بن عبد الحق بفاس فجمع عساكره واسرع الى سلا وقاتل الاسبنيول واشحن فيهم وكال لهم بالكيل الذي كالوا به لاهل سلا حتى اقلعوا باسطولهم ناجيين بانفسهم . واستولى السلطان يعقوب على سلا واصلاح سورها . اما يعقوب بن عبدالله الثائر بسلا فخاف من السلطان يعقوب وخرج من رباط الفتح واسلمه فضبطه السلطان وثغفه ثم نهض الى بلاد تامسنا واستولى عليها ثم رجع الى فاس ظافراً

ولما قوي امر السلطان يعقوب اجمع رايه لمنازلة الماراضي والموحدين في دارهم وحضرتهم وجمع جيوشه وسار سنة ٦٦٠ هـ حتى انتهى الى جبل جيليز فشارف دار الخلافة ونزل بعقرها واخذ بمخنةها

ولما علم الماراضي بقدومه جمع جيوش الموحدين وعقد عليهم لابي دبوس ادريس بن محمد من آل عبد المؤمن فعباء كتائبه ورتب مصافه وبرز لمدافعتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها بنو مرين وعادوا راجعين

واعترضهم عساكر الموحدين بوادي ام الربيع وعليهم يحيى بن عبدالله بن وانودين
فاقتتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين هزيمة شنعاء واستولى بنو مرين
على اموالهم واثاثهم وهي واقعة ام الرجلين

ثم سعى سماسة الفتن عند المرتضى بان ادريس بن محمد يريد الوثبة به وانه
طامع في الخلافة لنفسه فتغير المرتضى على ابي دبوس ادريس المذكور وشعر ابو
دبوس بذلك فهرب ولحق بالسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني فازدادت قوته
وضعت قوة الموحدين

ثم عقد السلطان يعقوب لابي دبوس على جيش من بني مرين وسيره لفتح
حاضرة مراكش فسار اليها ولما قربها ثار الموحدون بها على المرتضى وقتلوه ودخل
ابو دبوس الحاضرة بلا كبير عناء . فلما علم السلطان بفتح مراكش ارسل الى ابي
دبوس في الوفاء بالمشارطة فاستنكف واستكبر ونقض العهد واساء الرد فنهض اليه
السلطان يعقوب في جموع بني مرين فحاصروا عن اللقاء واعتصم بالاسوار واستجاش
بيغمراسن بن زيان صاحب تلمسان فاجاب يغمراسن نداه وسير العساكر
للغارة على اطراف المغرب لكي ينشغل بهم السلطان يعقوب ويرجع عن
الحاضرة . ولما علم السلطان يعقوب بذلك اغدا السير يريد تلمسان والتقى بجموع
بني عبد الواد بوادي تلاغ واقتتلا شديداً فانهم بنو عبد الواد واثخن سلطان بني
مرين فيهم قتلاً ونهباً حتى اضغغهم الى حد تاكد معه انهم لا يقدررون على امداد
الموحدين . ثم عاد السلطان يعقوب الى مكانه من حصار مراكش وضيق عليها
جداً واستمر محاصراً لها مدة فلما طال الحصار على اهل الحاضرة خرجوا بقيادة
خليفته ابي دبوس لقتال بني مرين لكنهم لم يلبثوا طويلاً حتى اختل مصافهم
وانهمزموا وفر ابو دبوس يريد مراكش فادركته خيل بني مرين واثقتهم صريعاً
وذلك يوم الاحد ٢ محرم سنة ٦٦٨ هـ

ثم تقدم السلطان يعقوب نحو مراكش وفر من كان بها من الموحدين الى
تيمال وبايعوا اسحق اخا المرتضى فبقى ذبالة هناك الى ان قبض عليه سنة ٦٧٤ هـ

وحجى به في جماعة من قومه الى السلطان يعقوب فقتلوا جميعاً وانقرض امر بني عبد المؤمن . اما السلطان يعقوب فدخل مراکش يوم الاحد ٩ محرم سنة ٦٦٨ هـ فالتقاء اهلها بالفرح والسرور فامنهم ووصلهم واقام يراكش الى رمضان ثم اغزى ابنه الامير ابامالك عبد الواحد بلاد السوس ففتحها واوغل في ديارها ودوخ اقطارها ورجع الى ابيه . ثم رجع السلطان الى فاس بعد ان استتب له الامر بالمغرب الاقصى اجمع وكان بنو مرين يدعون لبني حفص اصحاب تونس كما تقدم فلما عظم شأن السلطان يعقوب واستولى على مراکش واطاعته البلاد وهابته العباد قطع الخطبة لهم حالاً وخطب لنفسه وتلقب المنصور بالله

ثم وجه السلطان همه لغزو تلمسان ومحاربة بني زيان لسابقة العداوة فجمع جيوشه وسار قاصداً تلمسان فلما وصل الى انكاد قدمت عليه رسل ابن الاحمر صاحب الاندلس يستصرخونه على العدو ويسالونه الاعانة والنصر ففضل الجهاد في النصارى على قتال المسلمين وارسل رسلاً الى يغمراسن بن زيان لعقد هدنة حتى يتمكن من الجواز للاندلس فابى يغمراسن عقد الهدنة واطهر عزمه على القتال فاسرع السلطان المسير اليه وتقدم يغمراسن للقائه فالتقى العسكريان في وادي ايسلي من بسيط وجدة وبعد قتال شديد انهزم يغمراسن واصحابه هزيمة شنيعة وفر الى تلمسان وتحصن بها وتقدم السلطان يعقوب اليها وحاصرها ولكنها امتنعت عليه لحصانتها فرجع عنها بعد ما اذاق عسكره اهل تلمسان والمغرب الاوسط الامرين ودخل فاساً فاتح سنة ٦٧١ هـ فاقام بها الى اوائل ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم نهض الى مراکش واقام بها شهراً حتى اصلح شأنها ثم نهض الى طنجة وسبته على ما سذكركه سبته وطنجة من احصن معاقل المغرب الاقصى وكان المرتضي من بني عبد المؤمن قد استعمل على سبته ابا القاسم العزفي فاستبد بها واورثها بنيه وكان عامل طنجة ابو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني في طاعة ابي القاسم ثم انتفض عليه واستبد بها كما فعل العزفي في سبته واورثها بنيه ايضاً فلما استولى السلطان يعقوب على مراکش ودان له المغرب الاقصى عزم على

قصد سبتة وطنجة ليخلص له المغرب بلا منازع فسار من مراكش سنة ٦٧٢ هـ الى طنجة وحاصرها ثلاثة اشهر وافتتحها عنوة واستولى عليها ثم تقدم الى سبتة ونازل العزفي بها حتى طلب الامان فامنه واستعمله عليها على ان يؤدي اليه خراجاً معلوماً كل سنة ثم عاد الى فاس ظافراً منصوراً

وكان الفرنج بالاندلس قد تطاولوا على المسلمين واذاقوهم العذاب الاليم حتى زهقت نفوسهم . فلما عظم صيت السلطان يعقوب بن عبد الحق تملقت آمال مسلمي الاندلس به وارسلوا اليه الوفود مرة بعد اخرى ليجيزا البحر اليهم ويساعدوهم على كبح جماح عدوهم فاجاب نداءهم واجاز الاندلس مراراً معضداً لابن الاحمر صاحبها وكانت بينه وبين الافرنج فيها عدة وقائع يطول شرحها كان الانتصار في جميعها لحليف السلطان يعقوب فاعاد للمسلمين في قلوب الافرنج ما بهتهم الاولى وازاحهم عن بلادهم بعد ان اتخن فيهم واذاقهم من العذاب اشكلاً والواناً ولما رأى ابن الاحمر صاحب الاندلس سطوة السلطان يعقوب خاف لئلا يطعم في اخذ الاندلس منه وانحرف عنه واطهر العصيان عليه فلما تحقق السلطان يعقوب منه ذلك سار اليه وحاصره بمكانه من الجزيرة الخضراء حتى طلب الامان فامنه . وكان هذا شان السلطان يعقوب بالاندلس مدة طويلة تارة ينجد المسلمين على الفرنج وطوراً ينجد الفرنج على الفرنج حتى وقعت مهابته في قلوب اهل الاندلس كافة

والسلطان يعقوب بن عبد الحق هذا هو الذي بني المدينة البيضاء (فاس الجديدة) سنة ٦٧٤ هـ

وفي يوم ٢٢ محرم سنة ٦٨٥ هـ توفي السلطان يعقوب بن عبد الحق وكان هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن لم يقم في بني مرين اعظم منه وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا امر المغرب من بني عبد الحق

٥٢٩ - الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب

من سنة ٦٨٥ - ٧٠٦ هـ او من سنة ١٢٨٦ - ١٣٠٧ م

لما توفي السلطان يعقوب بن عبد الحق تولى بعده ابنه يوسف ولقب الناصر لدين الله ولاول ولايته عقد مع ابن الاحمر صلحا وتنازل له عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت في ملك ابيه . ثم وفد عليه الفرنج من الاندلس بمجددين عقد السلم الذي عقده لهم السلطان يعقوب فاجابهم الى ما طلبوا وبينما الوفود تعقد على السلطان يوسف ويتطلب الجميع مرضاته اذ ثار عليه ابنه ابو عامر (وكان عاملاً له على مراكش) ودعا لنفسه وشايعة محمد بن عطوا على ذلك واتصل الخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فاسرع السير الى مراكش وبرز اليه ابنه ابو عامر فاقتنلوا ثم انهزم ابو عامر فعاد الى مراكش ونهب بيت المال وفر الى تلمسان ومعه ابن عطوا المذكور .

وكان يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان قد توفي وتولى بعده ابنه عثمان فاوامم عثمان ومهد لهم المكان فلبثوا عنده مدة ثم عطف السلطان يوسف على ابنه ابي عامر فرضي عنه واعاده الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن ان يسلم اليه ابن عطوا فابي واغلظ له الرسول في القول فسطا به عثمان واعتقله فاغتاظ السلطان يوسف جداً وعزم على غزو تلمسان وجوزعسا كره ونهض اليها من مراكش في صفر سنة ٦٨٩ هـ وسار حتي نازل تلمسان فتحصن منه عثمان وقومه بأسوارها فحاصره بها وعاشت عسا كره في نواحيها واستمر محاصراً لها ٤٠ يوماً بلا فائدة فلما امتنعت عليه افرج عنها وانكفاء راجعاً الى المغرب فلما وصل الى تازا وافاه الخبر ان سانجة ملك الافرنج بالاندلس نبذ العهد وتجاوز القنوم واغار على الثغور فاوعز السلطان الى قائده بالاندلس علي بن يوسف بمنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الفرنج فنهض لذلك في ربيع الآخر سنة ٦٩٠ هـ وتوغل في اقطارهم واباغ في النكاية . ثم اجاز السلطان يوسف في اثره في جمادى الاولى من السنة ونزل قصر مضمودة

وهو قصر الجاز فضايقه الفرنج باساطيلهم فاوعز السلطان يوسف الى قواد اساطيله
بالقدوم لمقاتلة اساطيل العدو ففعلوا والتبقت الاساطيل ببحر الزقاق فانتصرت
اساطيل الفرنج وغنموا واسروا من المسلمين شيئا كثيرا ثم استأنف السلطان
يوسف العمارة واغزاهم ثمانية فحامت اساطيل الفرنج عن اللقاء واستولت اساطيل
السلطان على البوغاز . ثم تقدم السلطان بنفسه قائدا لجيش عظيم من المسلمين
وبث سراياه في ارض العدو وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها ثم
هجم عليه الشتاء فرجم الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة ٦٩١ هـ
ولما رجع السلطان يوسف الى المغرب داخل سأنجة ملك الفرنج ابن الاخر
في الاتحاد معاً على السلطان يوسف ومنازلة حصن طريف المينا البحري الشهير .
ولان ابن الاخر كان يخاف من يوسف بن يعقوب اثلا بقلبه على امره قبل الاتحاد
مع الفرنج عليه حتى اذا استخلصوا منه حصن طريف لم يتمكن من الجواز الى الاندلس
فالتحمت عساكرهما ونازلوا الحصن المذكور وحاصروه وشددوا عليه الحصار وانقطع
المدد والميرة عن اهله فلما اصاب اهل طريف الجهد راسلوا سأنجة في الصلح
والانزول عن البلد فصالحهم واستأزجهم وتملكه آخر يوم من شوال سنة ٦٩١ هـ
واستأثر به ذون ابن الاخر بعد ان كان نزل له عن ستة من الحصون عوضاً عنه
فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكانت حاله في ذلك كحال صاحب
النعامة المضروب بها المثل عند العرب

وفي سنة ٦٩١ هـ المذكورة ثار عمر بن يحيى الوزير الوطاسي بحصن تازوطا
على منصور بن عبد الواحد بن عبد الحق المريني عامل السلطان يوسف به وفنك
بجاشيته ورجاله وارغبه عن الحصن واستولى على ما كان بقصره من مال وسلاح
وضبط الحصن وشعبته بالرجال والسلاح . وتحقق منصور بن عبد الواحد بعمه
السلطان يوسف فهلك لليال آسفاً على ما اصابه . واهتم السلطان الامر وسار
بنفسه ونازل الحصن المذكور حتى ضاق الامر على عمر بن يحيى الوطاسي فطلب
الامان فلم يؤمنه السلطان حتى يأخذ بثار ابن اخيه واستمر محاصراً للحصن حتى

قدم عليه وفد الاندلس وفيهم الرئيس ابو سعيد بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة راغباً في الصلح مع ابن عمه ومعتزراً عنه . فارسي اساطيله برنسي غساسة ونزل الى السلطان فسمع الوطاسي بهم وهو في الحصن فبعث اليهم يساهم الشفاعة له عند السلطان يوسف لوجاهتهم فشفع له الرئيس ابو سعيد فقبل السلطان شفاعته بشرط ان ينتقل بحاشيته الى الاندلس فقبل الوطاسي ذلك ونزل من الحصن واستولى السلطان عليه وانزل به عماله ومسلحته وقفل الى حضرته بفاس آخر جمادي الاولى سنة ٦٩٢ هـ . والسبب في قدوم وفد الاندلس انه لما استولى الفرنج على طريف بظاهرة ابن الاحمر لهم عليها استاثروا بها ونقضوا عهدهم معه فراجع ابن الاحمر نفسه ونذم على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف فاوفد عليه ابن عمه الرئيس ابا سعيد لعقد الصلح وتجديد العهد في وفد من اهل حضرته فوافوه بمكانه من حصار تازوطا كما قدمنا فابرموا العقد واحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة ٦٩٢ هـ واعلموه بما تم فوق ذلك منه اجمل موقع وعزم على الرحلة الى السلطان لظهار ممنونيته واحكام العقد فتهيا لذلك وعبر البحر في ذي القعدة سنة ٦٩٢ هـ وعلم السليطان يوسف بقدومه فالتقاء خارج فاس واكرم وفادته واسعفه بجميع مطالبه وعاد ابن الاحمر الى الاندلس آخر سنة ٦٩٢ هـ وعبرت معه عساكر السلطان يوسف لحصار طريف فنازلها مدة فامتنعت عليه وافرغ عنها . وفي سنة ٦٩٣ هـ فرغ السلطان يوسف من بناء جامع تازا وعلقت به الثريا الكبرى من التحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون قنطاراً وعدد كوئوسها ٥١٤ كلساً وباع ما انفقه السلطان في بناء الجامع وعمل الثريا ثمانية الاف دينار ذهباً

وفي سنة ٦٩٥ هـ خرج السلطان يوسف من فاس قاصداً غزو تلمسان فسار حتى نزل على ندرومة فحاصرها ورمها بالمنجنيق ٤٠ يوماً فامتنعت عليه فافرغ عنها ثاني يوم عيد الفطر من السنة

وفي سنة ٦٩٦ هـ تقدم الى تلمسان وبرز عثمان بن يغمراسن لمدافعته فانهمزم وتحصن بالاسوار وخاصر السلطان يوسف تلمسان وشدد عليها القتال واشددة

حصانها امتنعت عليه فافرج عنها وعاد الى حضرته
وفي سنة ٦٩٨ هـ اعاد يوسف الكرة على تلمسان وحاصرها وبني حولها سوراً
وامر عساكره ببناء الدور لسكنهم فبنوا مدينة عظيمة دعاها المنصورة واستمر
محاصراً لتلمسان مائة شهر استولى في اثناؤها على المغرب الاوسط
ومات عثمان بن يغمراسن اثناء الحصار فلم تكل همّة اهل تلمسان ولا اعتراهم
الملل بل بايعوا ابنه محمد بن عثمان بن يغمراسن وبرزوا لقتال يوسف على العادة
كأن عثمان بن يغمراسن لم يمت

وفي اثناء هذا الحصار الطويل نقض ابن الاحمر صاحب الاندلس عهده
مع السلطان يوسف وارسل اساطيله فاستولت على سبتة وباغ الخبر للسلطان يوسف
بمكانه من خصار تلمسان فارسل ابنه ابا سالم في جيش كشف لمحاصرة سبتة
واستخلاصها من ابن الاحمر فانهمزم ولم يغن شيئاً فسيخطه ابوه لذلك واهمله
سنة ٧٠٣ هـ

وفي يوم الاربعاء ٧ ذي القعدة سنة ٧٠٦ هـ قتل السلطان يوسف بن
يعقوب قتله خفي له غيلة وبموته انقضت مدة الحصار عن آل يغمراسن واهل
تلمسان . ودفن السلطان يوسف بالمنصورة المدينة الجديدة التي ابتناها وسكنها
اثناء جواره تلمسان . ثم نقل بعد ذلك الى مقبرتهم بشالة فدفن بها مع ساقه

٥٣٠ - ابو ثابت عاصم بن عبد الله بن يوسف

من سنة ٧٠٦ - ٧٠٨ هـ او من سنة ١٣٠٧ - ١٣٠٨ م

لما توفي السلطان يوسف بن يعقوب قام بالامر بعده حفيده ابو ثابت عاصم بن
عبد الله بن يوسف ولاول ولايته عقد صلحاً مع آل زيان بني عبد الواد اصحاب تلمسان
وافرج عن مدينتهم وقصد المغرب فدخل فاساً فاتح سنة ٧٠٧ هـ . واذا استشعر
من قرابته ظمماً في الامر قتل كثيرين منهم . ولما علم بنو يغمراسن ان ابا ثابت

قد ابعد عنهم وانه توغل في البلاد المراكشية عمدوا الى المنصورة فجمعوا عليها
سافلها وطمسوا معالمها ومحووا اثارها فاصبحت كان لم تغن بالامس
وكان السلطان ابو ثابت لما سار عن تلمسان قاصداً المغرب قد قدم بين يديه ابن
عمه الحسن بن عامر بن عبد الله بن يعقوب وامره بالنظر في احوال المغرب وامره
بضبطها وتسريح مسجونها ورد مظالمها وتفريق الاموال على الخاصة والعامة ففعل
ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن ابي عياد بن عبد الحق
على مرا كش ونواحيها فصعد اليها واحتل بها وتمكن منها ثم حدثته نفسه بالتوثب
عليها فجأه بالعصيان وتقبض على الوالي بمرأ كش الحاج المسعود فقتله في جمادى
الآخرة سنة ٧٧٧ هـ ودعا لنفسه . واتصل الخبر بالسلطان ابي ثابت وهو بفاس فسرخ
اليه خمسة الاف فارس بقيادة وزيره يوسف بن عيسى ويعقوب بن آصناك فساروا
الى مرا كش وبرز لهم يوسف بن محمد فهزموه وعاد الى مرا كش واتبعه الوزير
فاجق يوسف بن محمد باغيات

ودخل السلطان ابو ثابت مرا كش منتصف رجب سنة ٧٠٧ هـ وتبع الثائرين
مع ابن محمد المذكور فقتلهم عن آخرهم . ولما استتب له امر مرا كش رجع الى فاس
فوصلها منتصف ذي القعدة من السنة

وفي هذه الاثناء ظهر في بلاد غمارة شخص من بني مرين يقال له عثمان بن ابي العلاء
ودعا لنفسه واطاعته البلاد وهابته العباد وبلغ السلطان ابا ثابت خبره فاهتم لامره جداً
وسير العساكر فهزمهم عثمان ورجعوا مغلوبين . وكان السلطان ابو ثابت مشتغلاً عنه بقتال
يوسف بن محمد الثائر بمرأ كش فلما استولى على مرا كش وفر منها يوسف المذكور
عزم على غزو عثمان بن ابي العلاء ببلاد غمارة فتجهز لذلك وخرج من فاس عقب
عيد الاضحى سنة ٧٠٧ هـ قاصداً بلاد غمارة ففر عثمان امامه الى ناحية سبتة فسار
السلطان ابو ثابت في اتباعه حتى نازل حصن علودان واقتحمه عنوة ثم نازل بلاد الدمنة
على شاطئ البحر فقتل الرجال وسبي النساء وانهب الاموال حتى نزلوا على طاعته
ثم ارتحل ابو ثابت الى طنجة فدخلها فاتح سنة ٧٠٨ هـ وحصن ابن ابي العلاء بسبتة

مع اوليائه من بني الاحمر فامر السلطان ابو ثابت ببناء مدينة تطاوين لنزول عسكره
والاخذ بمخنق سبتة . ثم اوفد كبير الفقهاء بمجلسه ابا يحيى بن ابي الصبر الى ابن
الاحمر صاحب سبتة في شان النزول عن البلد واقام هو بقصبة طنجة ينتظر الجواب
فادركه اجله يوم الاحد ٨ صفر سنة ٧٠٨ هـ ودفن بظاهر طنجة ثم نقل الي مدفن
آبائه بشالة فدفن هناك

٥٣١ - ابو الزبيع سليمان بن عبد الله بن يوسف

من سنة ٧٠٨ - ٧١٠ هـ او من سنة ١٣٠٨ - ١٣١٠ م

لما توفي السلطان ابو ثابت تولى بعده اخوه ابو الزبيع فبث العطاء في الناس
واجزل الصلات فارضى الخاصة والعامة . ثم ارتحل نحو فاس واخدمه جنود تطاوين
فلما ابعدها عن طنجة تبعهم عثمان بن ابي العلاء ودارت بين الفريقين حرب شديدة
انهزم فيها عثمان واصحابه فهربوا ولحقوا بسبتة وفي الاثناء وصل الوزير ابو يحيى من
الاندلس وقد عقد الصلح مع ابن الاحمر وتنازل ابن الاحمر عن سبتة لبني مرين
فاستقط في يد عثمان ويثس من المغرب فعبر البحر في من معه من القرابة الى
الاندلس . اما السلطان ابو الزبيع فسار الى فاس ودخلها يوم ١١ ربيع الاول
سنة ٧٠٨ هـ فاستقامت اموره وتمهد له الملك وعقد الصلح مع آل يغمور اسن بن زيان
اصحاب تلمسان واقام ساكناً بحضرته مجتنباً ثمة ملكه فساد الامن وعم العدل في
ايامه وانفتحت للناس ابواب المعاش والترف فبنوا القصور الشاهقة والدور النفيسة
وتغالوا في الماكل والملبس واستبحر العمران وظهرت المدينة باكمل معانيها

وكانت الرسل تتردد بين ابن الاحمر بالاندلس وابي الزبيع صاحب مراكش
وثيقاً لرباط المحبة والوداد فقدم من الاندلس الى فاس ذات يوم بعض المنهكين
في الشرب وشرب الخمر جهاراً في فاس وكان على قضاء فاس ابو الحسن الزرويلي
المعروف بالصغير وكان شديداً على مرتكبي المحرمات فوشى اليه به فاحضره وجلده

فخرج الاندلسي وذهب الى الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي وكشف له عن جسمه وارهه ما فعل به القاضي ولان السيادة شيء والدين آخر اغتاض الوزير جداً من فعل القاضي لانه ربما كانت هذه الحادثة سبباً لقطع حبل الاتصال بين بني الاحمر بالاندلس وبني مرين بمراكش . وارضاء لخاطر الاندلسي ارسل بعض اتباعه لاحضار القاضي فامتنع القاضي عن الحضور واعتصم بالمسجد الجامع ونادي في المسلمين فثارت العامة بهم وهاج الناس وماجوا وظهرت آثار الثورة واتصل الخبر بالسلطان فتلافى الامر واحضر رسل الوزير وقتلهم فسكنت العامة ولكن اغتاض عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي لهذا الفعل واظهر العصيان واحضر عبد الحق بن عثمان المريني وبايع له وامر العسكر بالمبايعة فبايعوا وخرج الوزير وعبد الحق ومن معهما الى ظاهر فاس مظهرين الخلاف فجمع السلطان ابو الربيع كل من قدر على جمعه وخرج لمناجرتهم الحرب فالتقوا واقتتلوا وانهمزم الوزير واصحابه فلحق هو وخليفته عبد الحق بن عثمان بالاندلس واثنى السلطان في حاشيتهم واتباعهم حتى محاذي الشقاق . ولما وصل السلطان الى تازا في اتباعهم مرض اياماً وتوفي بتازا يوم الاربعاء من سلخ جمادي الاخرة سنة ٧١٠ هـ ودفن بصحن الجامع الاعظم بتازا

٥٣٢ - ابن سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحميد

من سنة ٧١٠ - ٧٣١ هـ او من سنة ١٣١٠ - ١٣٣١ م

لما توفي السلطان ابو الربيع سليمان اجتمع اهل الدولة وبايعوا ابا سعيد عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق فرجع من تازا بجيش بني مرين ودخل فاساً في ٢٠ رجب من السنة وبعد ان استقبل وفود المهثين خرج من فاس سائحاً في بلاد مراكش متقدماً احوالها ناظراً في امور رعيته وبعد ان قضى وطره من ذلك عاد الى حضرته . ثم كان ما ذكره

لما اظهر الوزير الوطاسي العصيان على السلطان ابي الربيع ثم انهزم هو وخليفته عبد الحق بن عثمان ولحقا بالاندلس كان ابو حمو الزباني صاحب تلمسان معاضداً لهما ومشجعاً اياهما ولما انهزما سهل لهما الطريق الى الاندلس

فلما تولى ابو سعيد بعد ابي الربيع اهتم بالامر وعزم على غزو تلمسان فنهض اليها سنة ٧١٤ هـ ولما انتهى الى وادي ملوية قدم ابنه الامير بن ابا الحسن و ابا علي في عسكرين عظيمين في الجناح وسار هو في ساقبها فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التبعية فاكتمسح نواحيها ثم نازل وجدة وقايتها قتالاً شديداً فامتنعت عليه ثم نهض الى تلمسان فنزل بالمعب من ساحتها وتحصن ابو حمو بالاسوار وغلب السلطان ابو سعيد على معاقمها وسائر ضواحيها فحطمها تحطياً ونسفها نسفاً ودوخ جبال بني يزناسن واثخن فيهم وانتهى في قفوله الى وجدة فقر اخوه ابو البقاء يعيش (وكان في معسكره) من اجل استراحة لحقته من السلطان وسار الى تلمسان فنزل على ابي حمو ورجع السلطان ابو سعيد على التبعية فانتفى الى تازا فاقام بها وبعث ابنه الامير ابا علي الى فاس فكان من خروجه عليه ما ذكره

كان للسلطان ابي سعيد ولدان ابو الحسن علي وابو علي عمر وكان السلطان يحب اصغرهما ابا علي عمر حتى رشحه لولاية العهد من بعده ووضع له القاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة . واستمرت حال ابي علي هذا وخاطبه ملوك النواحي وخاطبهم وهاداهم وكاد ان يستبد بالامر كله

فلما قفل السلطان ابو سعيد من تلمسان اواخر سنة ٧١٤ هـ اقام بتازا وبعث ولديه الى فاس فلما استقر الامير ابو علي بها حدثته نفسه بالقيام على ابيه وخلع طاعته فجاءه بالخلعان ودعا لنفسه فاطاعه الناس وعلم السلطان ابو سعيد بذلك بمكانه من تازا فبرز لقتال ابنه وبرز ابنه لقتاله والتقى الجمعان بالمقرمدة ما بين تازا وفاس فانهمز السلطان ابو سعيد وفر جريماً الى تازا فتبعه ابنه ابو علي وحاصره بها ثم ترددت بينهما الرسل في الصلح على ان يكتفي السلطان ابو سعيد بتازا ويستمر بها ويسلم الامر لابنه فقبل ذلك وتم الصلح بهذه الكيفية . وانكفاء الامير ابو علي

راجعاً الى حضرة فاس فاعتل عقب وصوله اليها واشرف على الهلاك وخشي الناس على انفسهم اختلال الامر بعد موته فاسرعوا الى والده السلطان ابي سعيد بتازا وحملوه على تلافي الامر وانتهاز الفرصة فنهض من تازا واجتمع اليه كافة بني مرين واجند وعسكر على البلد الجديد واقام محاصراً له وابتنى داراً اسكناه وجعل لابنه الامير ابي الحسن علي ما كان لاخيه ابي علي عمر من ولاية العهد وتفويض الامر ولما تبين للامير ابي علي اختلال امره بعث الى ابيه في الصلح على ان يعوضه سبلماسة وما والاها فاجيب الى ذلك ووفي له السلطان بما اشترط وارتحل الى سبلماسة سنة ٧١٥ هـ فاقام بها دولة فخيمة . اما السلطان ابو سعيد فانه دخل الى فاس الجديد وفوض الامور لابنه ابي الحسن وعادت المياه الى مجاريها

وفي سنة ٧١٨ هـ وفد على السلطان ابي سعيد وفد من الاندلس والسبب في ذلك ان بطرس الاول الذي ملك البلاد على اسبانيا بعد ابيه الفونس الحادى عشر تطاول على المسلمين بالاندلس وضايقهم بغرناطة فارسلوا هذا الوفد لابي سعيد مستنجدين به على بطرس المذكور فلم يجبههم الى طلبهم الا على شرط تسليمه عثمان ابن ابي العلاء النازع بالاندلس فاستصعب اهل الاندلس هذا الطلب وعادوا منكسرى الخاطر

وفي سنة ٧٢٠ هـ انتقض ابو علي عمر على ابيه السلطان ابي سعيد وقصد مراکش سنة ٧٢٢ هـ واقبحها عنوة واستولى عليها فبرز اليه السلطان ابو سعيد وقاتله وهزمه وشتت جموعه واسترجع منه مراکش . ثم تقدم السلطان الى سبلماسة فدافعه الامير ابو علي بالخضوع ورجب اليه في الصلح والرضى والعود الى السلم فاجاب السلطان الى ذلك لما كان قد شغفه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة . واقام الامير ابو علي بمكانه الى توفي السلطان ابو سعيد وتغلب عليه اخوه السلطان ابو الحسن كما نذكره ان شاء الله تعالى

وفي سنة ٧٣٠ هـ وفد على السلطان ابي سعيد وفد من قبل السلطان ابي بكر ابن ابي زكريا صاحب تونس مستنجداً به على آل يغمراسن الذين شابوه على امره

واخرجوه من تونس وكان ابو سعيد يرغب في مصاهرة ابي بكر بن ابي زكريا الحفصي فاجابه الى طلبه وسار في عسكر بني مرين لمانزلة تلمسان فلما انتهى الى وادي ملوية علم بانتصار ابي بكر ورجوعه الى كرسي ملكه بتونس فارسل اليه وفداً يهتبه بالظفر ويخطب ابنته لابنه ابي الحسن علي فوصلوا الى الحفصي وادوا الرسالة وانعقد الصهر بينهم في ابنته فاطمة شقيقة الامير ابي زكريا وزفها اليهم في اساطيله مع مشيخة الموحدين فوصلوا الى مرسي غساسة سنة ٧٣١ هـ .
ولما علم السلطان ابو سعيد بقدوم العروس فاطمة بنت السلطان ابي بكر ارتحل بنفسه الى تازا ليشرف احوالها كرامة لها ولا يباها وسروراً بعريس ابنته فاعتقل هناك وازداد مرضه حتى اذا اشرف على الهلاك ارتحل به ولي العهد الى الحضرة فتوفي في طريقه اليها ليلة الجمعة ٢٥ ذي القعدة سنة ٧٣١ هـ وكان مرضه بيلة القرس

٥٣٣ - ابو الحسن علي بن عثمان

من سنة ٧٣١ - ٧٥٢ هـ او من سنة ١٣٣١ - ١٣٥١ م

لما توفي السلطان ابو سعيد تولى بعده ابنه وولي عهده ابو الحسن علي بن عثمان فقتل جثة ابيه الى فاس ودفنها هناك . ولما انتهت ايام الجنازة زفت اليه زوجته الحفصية . ولاول ولايته خرج الى سجلماسة مشارفاً لاجوال اخيه ابي علي وعمر فتلقته وفود اخيه اثناء الطريق مؤدياً حقه . وموجباً مبرته ومنشأً بما اتاه الله من الملك . وبعد ان قضى وطره . وعقد لـ اخيه علي سجلماسة كما كان في ايام ابيه . تقدم قاصداً تلمسان لعهد كان بينه وبين السلطان ابي بكر الحفصي وهو صهره . كما تقدم . فسار حتى انتهى الى تلمسان ثم تجاوزها الى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظراً لـ قدوم صهره السلطان ابي بكر الحفصي . فعسكر ابو الحسن بتاسالت ثم بعث بحصنة من جنده في البحر الى صهره الحفصي مدداً له وهو يومئذ يبعثه يقاتل جيش بني زيان عليها

ولما اتصل الخبر بابي تاشفين صاحب تلمسان فكر في امر ابي الحسن واعمل الحيلة بان دس الي اخيه الامير ابي علي عمر صاحب سجلماسة في اتصال اليده به والاتفاق معه علي اخيه ابي الحسن فوافقه ابو علي علي ذلك وخالف علي اخيه السلطان ابي الحسن وانتفض بسجلماسة ودعا لنفسه ثم تقدم الي درعة فقتل عاملها وولي عليها عاملاً من قبله ثم سرح العساكر الي مرا كش واجلب عليها بجياله ورجله واتصل الخبر بالسلطان ابي الحسن وهو بمسكره من تاسالت فانكفاء راجعاً الي الحضرة مجمعاً علي الانتقام من اخيه . واغذا السير الي سجلماسة فنزل عليها واخذ بمخنفها واقام محاصراً لها حولاً كاملاً ونهض ابو تاشفين صاحب تلمسان بعساكره يريد الغارة علي اطراف المغرب كي يشغل ابو الحسن عن اخيه بذلك فارسل اليه ابو الحسن ابنه تاشفين في عسكر بني مرين فهزموه وردوه علي عقبه الي تلمسان ثم شدد ابو الحسن الحصار علي سجلماسة حتى اقتحم البلد عنوة تاسع عشر محرم سنة ٧٣٤ هـ وتقبض علي الامير ابي علي وانكفاء راجعاً الي فاس واعتقل ابا علي بها اشهراً ثم قتله . وكان عمر ابي علي يومئذ ٣٧ سنة وكانت دولته بسجلماسة ١٩ سنة وكان رقيق الحاشية ينتهي الي الادب . ومن شعره يخاطب اخاه ابا الحسن ايام حصاره له بسجلماسة وقد ايقن بزوال امره

فلا يغرنك الدهر الخوون قكم	اباد من كان قبلي يا ابا الحسن
الدهر مذ كان لا يبق علي صفة	لا بد من فرخ فيه ومن حزن
اين الملوك التي كانت تهابهم	اسد العرين ثووا في اللحد والكفن
بمد الاسرة والتيجان قد محيت	رسومها وعفت عن كل ذي حسن
فاعمل لاخرى وكن بالله موثماً	واستغن بالله في سر وفي عان
واختر لنفسك امراً انت امره	كانني لم اكن يوماً ولم تكن

وفي سنة ٧٣٢ هـ كان قد وفد علي السلطان ابي الحسن السلطان محمد بن اسماعيل بن الاحمر صاحب الاندلس مستنجداً به علي الفرنج وكان السلطان ابو الحسن في ذلك الوقت مشغولاً بفتنة اخيه ابي علي ومع ذلك اجاب طلبه وسير

ابنه ابا مالك في عساكر بني مرين مدداً لابن الاحمر المذكور واتحدت عساكر
ابن الاحمر مع عساكر بني مرين ونازلوا جبل طارق واقتحموه عنوة
سنة ٧٣٣ هـ

ولما استقام ملك المغرب للسلطان ابي الحسن بمقتل اخيه ابي علي صاحب
سجلهامة ونصر الله عساكره على الفرنج بالاندلس تفرغ لشان تلمسان والانقاص
من صاحبها فخرج من فاس سنة ٧٣٥ هـ واغذا السير الى تلمسان وبعد ان فتح
جميع المدن التي في طريقه وصل اخيراً الى تلمسان واحيا معالم المنصورة التي
كان قد اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخربها بنو زيان كما تقدم فادار عليها
سياجاً من السور ونطاقاً من الخندق ونصب المجانيق وحاصر تلمسان وشدد عليها
القتال واتخذ في بني عبد الواد وبالغ في النكاية حتى ضعفوا عن المداومة واقنعهم
ابو الحسن المدينة واستولى عليها وازال منها اثار بني عبد الواد وغنم منها ما لا يقدر
واتسعت مملكته بعد هذا الفتح وعلا صيته وعظم شأنه

ولما استولى ابو الحسن على تلمسان ارسل اليه السلطان ابو بكر الحفصي
صاحب تونس بقدمه اليه لقائه وتهنئته بالظفر بعدوه فتشوف السلطان ابو الحسن
لهذه المقابلة لانه كان يحب الفخر ويعني به وارتحل عن تلمسان سنة ٧٣٨ هـ
وعسكر بمسيرة منتظراً لوفادة صهره عليه فتكاسل الحفصي عن القدوم بسبب تبسيط
محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه . وطال مقام السلطان ابي الحسن في انتظاره
ثم طرده المراض بمكانه حتى خيف على حياته وكان ابنه الامير ابو عبد الرحمن
وابو مالك متناغيين في ولاية العهد وتمشت ممانرة الفتن بينهما وانقسم العسكر
الى حزبين بسببهما وهم الامير ابو عبد الرحمن بالتوثب على الامر قبلما يتبين حال
السلطان وذلك بمداخلة وزيره زيان بن عمر الوطاسي وعلم خاصة السلطان بذلك
فاخبروه وحضوه على الخروج للناس قبل ان يتفاقم الامر ويسمع الخرق فبرز
السلطان الى فسطاط جلوسه وتسامع العسكر به فازدحموا الى بساطه وثقيل يده
وثقبض السلطان على اهل الظنة من الجيش فاودعهم السجن وسخط على ابيه

الامير بن المذكورين وطفى نار الفتنة فاشتد جزع الامير ابي عبد الرحمن وركب من فسطاطه ليلاً فاصبح بجلة اولاد علي امراء بني زغبة فقبض عليه اميرهم موسى ابن أبي الفضل ورده الى ابيه فاعنقه بوجدة ورتب عليه الحرس . اما الوزير زيان بن عمر الوطاسي فلحق بالموحدين اصحاب تونس فاجاروه . ثم رضي عن ابنه ابي مالك وعقده على ثغور عمله بالاندلس . وبقي الامير ابو عبد الرحمن بسجنه بوجدة الى سنة ٧٤٢ هـ ثم وثب ذات يوم بالسجان وقتله وانصل الخبر بابيه السلطان فارسل اليه من قتله

وفي سنة ٧٤٠ هـ كانت وقعة بين الامير ابي مالك ابن السلطان ابي الحسن وهو وقتئذ عامل لايه على ثغور الاندلس وبين افرنج الاندلس وانتصر الافرنج وقتل ابو مالك في تلك المعركة وعلم السلطان بذلك فحزن على ابنه وارسل اساطيله فانتصرت على اساطيل الفرنج ثم اجاز السلطان البحر بقصد الجهاد واخذ ثار ابنه وبرز الفرنج لقتاله وكانت بين الفريقين موقعة شديدة ظاهر طريف فانهزم السلطان ابو الحسن هزيمة شنعاء وغنم الفرنج معسكره حتي بلغوا فسطاطه وقتلوا نساءه وخلص السلطان ابو الحسن الى الجزيرة الخضراء ثم منها الى جبل الفتح ثم ركب الاسطول الى سبتة . وكانت هذه الواقعة سنة ٧٤١ هـ

وفي سنة ٧٤٣ هـ استولى الفرنج على الجزيرة الخضراء بالاندلس واخرجوا منها عسكر السلطان فعبروا البحر الى العدو الغريبة فانزلهم السلطان ببلاده . ثم انكفأ السلطان ابو الحسن راجعاً الى حضرته

وفي سنة ٧٤٧ هـ توفي السلطان ابو بكر بن أبي زكريا الحفصي صاحب تونس وتولى بعده ابنه ابو حفص عمر مع انه لم يكن ولي عهده بل كان ولي عهده ابا العباس احمد نسيب السلطان ابي الحسن وحدث بين الاخوين فتن وحروب انتهت بقتل الامير ابي العباس واستيلاء ابي حفص على تونس وكان محمد بن تافراكين وزيره قد استشعر منه بالغدر فهرب ووفد على السلطان ابي الحسن

واغراه بملك افريقية

وكان السلطان ابو الحسن مذ استولى على تلمسان والمغرب الاوسط يحدث نفسه بغزو تونس والاستيلاء عليها انما كان يمنعه من ذلك مراعاة خاطر صهره السلطان ابي بكر الحفصي وابنه ابي العباس احمد شقيق فاطمة التي تزوجها . فلما توفي ابو بكر كما تقدم وتوثب ابنه ابو حفص عمر على ابي العباس وقتله انتهمز ابو الحسن هذه الفرصة وجمع عساكره وسار حتى وصل الى تلمسان في صفر سنة ٧٤٨ هـ وبعد ان عقد لابنه الامير ابي عنان علي المغرب الاوسط وعهد اليه النظر في اموره كافة تقدم الى افريقية ونازل بجاية وقسنطينة واستولى عليهما ثم تقدم الى تونس فالتقاء اهله مطيعين . ودخل تونس باحتفال عظيم وبعد ان شرد آل حفص الى المغرب ورتب المال بافريقية رأى أن العرب وخصوصاً بني سليم لهم سطوة وشوكة زائدتا الحد وذلك لضعف السلاطين الحفصية لذلك الوقت فانف من ذلك وضرب على ايديهم بعضا من حديد حتى لم يبق لهم في الدولة معه مقام فلما ثقلت الوطأة عليهم حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت التمسوا من اعياص الحفصية من ينصبونه للملك فدلهم بعض مناسرة الفتن على رجل من بني عبد المؤمن وهو احمد بن عثمان بن ابي دبوس وكان يجتهد في الخياطة بتوزر فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه الامر . وعلم السلطان ابو الحسن بالخبر فخرج في عساكره اليهم فوافاهم بالموضع المعروف بالثنية بين بسيظ تونس والقيروان فاجفوا امامه الى ان وصلوا الى القيروان فلما رأوا انه لا ملجأ لهم منه تحالفوا على الاستماتة . وكان عسكر السلطان ابي الحسن يومئذ مشحوناً باعدائه مثل بني عبد الواد وغيرهم فدرسوا الى العرب سراً بالانجذاب معهم

فلما دارت رحى الحرب انهزم بنو عبد الواد ومن والاهم فاختل مصاف السلطان ابي الحسن وانهزم هزيمة شنعاء وبادر الى القيروان فدخلها فين معه وتحصن بها وحاصره الغرب فيها مدة ثم افرقت كلمتهم فافرجوا عنه فخرج السلطان من القيروان الى سوسة ومنها ركب البحر الى تونس فوصلها آخر سنة ٧٤٩ هـ فاجتمع شمله

واستتب امره

واساء عمال بني مرين السيرة في اهل افريقية حتى تطلبوا اعياص الدولة الحفصية ليولوه امرهم فوق اختيارهم على الفضل ابي العباس بن ابي بكر وكان السلطان ابو الحسن قد عقد له على بونة ولم يشرده الى المغرب دون جميع آل حفص فانطلقوا اليه في مكانه وبايعوه وعاضدوه وحاربوا معه حتي استولى على بجاية وقسنطينة وتقدم الى حضرة تونس وحاصرها وبها السلطان ابو الحسن وفي هذه الاثناء بلغ ابا عنان ابن السلطان ابي الحسن بمكانه من تلمسان ان اياه فقد في محاصرة العرب له بالقيروان فخاف ضياع الامر منه وسار الى المغرب ودخل فاساً واستولى عليها وخطب فيها لنفسه واستتب له الملك بالمغرب . ولما ترك تلمسان توثب بها ابن زيان في خبر طويل واستولى عليها

واتصلت هذه الاخبار بالسلطان ابي الحسن بمكان حصاره من تونس فعظمت عليه المصيبة وعزم على اللحاق بالمغرب فركب البحر من تونس بعد ان استخلف عليها ابنه ابا الفضل وذلك سنة ٧٥٠ هـ وكان الوقت شتاء فلما نزل بالاسطول وابتعد عن البر هاج البحر وماج حتي غرقت جميع مراكب السلطان ابي الحسن وخلص هو على خشبة الى الجزائر بعد ما عاين الموت بعينه

ولما وصل السلطان الى الجزائر التف حوله بعض الاعراب من احواز الجزائر فنهض بهم الى جهة تلمسان وقد استولى عليها بنو زيان وسلطانهم عثمان بن عبد الرحمن فبرزوا اليه وانهزم السلطان ابو الحسن وخلص هو الى الصحراء . ثم اجتمع رايه على قصد المغرب موطن قومه ودار عزه وكروسي ملكه فسار حتي احتل سجلماسة فالتقاء اهلها بكل احتفاء وتهافتوا عليه تهافت الفراش على ضوء السراج وبلغ الامير ابا عنان الخبر بقدم والده الى سجلماسة فنهض اليه في قومه وجموعه . وكانت بنو مرين نافرة عن السلطان ابي الحسن حاذرة من عقوبته لجنايتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد فكانوا لذلك مجمعين على منابذته ومخلصين في طاعة ابنه

ولما علم السلطان ابو الحسن بقدمهم علم من حاله انه لا يطيق دفاعهم فاجفل عن سبلماسة ولحق بمراكش ولما شارفها تسارع اليه اهل جهاتها بالطاعة من كل اوب ونسلوا اليه من كل حذب وفر عامل مراكش الى ابي عنان . واستقر السلطان ابو الحسن بمراكش وأمل برجوع امره . اما الامير ابو عنان فانه لما علم باجفال ابيه عن سبلماسة عاد الى فاس ولما علم باستيلاء ابيه على مراكش خرج اليه في عساكره وبرز ابو الحسن للقاته وبعد قتال شديد انهزم السلطان ابو الحسن ولحق بجبل هنتاة ومرض هناك وتوفي ليلة الثلاثاء ٢٧ ربيع الاول سنة ٧٥٢ هـ .
 وكان السلطان ابو الحسن الفخم ملوك بني مرين دولة واضخمهم ملكاً وابعدهم صيتاً واعظمهم ابهة واكثرهم اثاراً بالمغربين والاندلس . وكان يرسل سلاطين مصر الماليك لذلك الوقت ويهاديهم واخباره اكثر من ان تنحصر في مثل هذا الكتاب الا ان اواخر ايامه كانت كما رايت

٥٣٤ - المتوكل على الله ابو عنان فارسي بهي الى الحسن

من سنة ٧٥٢ - ٧٥٩ هـ او من سنة ١٣٥١ - ١٣٥٨ م

بويح ابو عنان في حياة والده السلطان ابي الحسن يوم ثار عليه كما قدمنا وذلك سنة ٧٤٩ هـ ولما توفي والده السلطان ابو الحسن بجبل هنتاة وانقضى شان الفتن ارتحل السلطان ابو عنان الى فاس ونقل شلوا ابيه الى شالة ودفنه بها واغذا السير الى فاس وقد استتب امره وخلا له الجو وجلس على اريكة الملك وتلقب المتوكل على الله . ومن ذلك الوقت اجمع رايه على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بايديهم من الملك الذي تطاولوا اليه . وبعد ان جمع عساكره نهض في سنة ٧٥٣ هـ يريد تلمسان واتصل بخبرة بساطانها ابي سعيد عثمان بن عبد الرحمن فجمع قومه ومن شايعه ونهض للدافعة والتقى الجمعان ببسيظ انكاد آخر ربيع الثاني من السنة وبعد ان اقتتلا انهزم بنو عبد الواد واسر سلطانهم ابو سعيد عثمان بن عبد

الرحمن وحجي به الى السلطان ابي عنان فاعتقله وتقدم على التعبية الى تلمسان فدخلها في ربيع المذكور . وبعد ان استتب امره بها امر بابي سعيد الزياتي فقتل وفر اخوه ابو ثابت وجمع كثيرين من اشياعهم واتباعهم وحدث نفسه باسترجاع ملكهم فسير اليه ابو الحسن جيشا فانهمز ابو ثابت وفر حتى وصل الى بجاية من عمل افريقية فقبض عليه اميرها ابو عبدالله محمد بن ابي زكريا الحفصي وكان مخالفا للسلطان ابي عنان فاعتقله عنده حتى وفد به عليه بلدية فاكرم السلطان وفادته واودع ابا ثابت السجن . ولما فرغ السلطان ابو عنان من شان المغرب الاوسط وبث عماله في نواحيه وثقف اطرافه سمي الى تلك افريقية على ما نذكره ان شاء الله تعالى

لما وفد ابو عبد الله الحفصي صاحب بجاية على السلطان ابي عنان بلدية وذلك في شعبان سنة ٧٥٣ هـ وبالح في اكرامه شكاه اليه ما يلقاه من رعيته من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد وغير ذلك فاشار عليه السلطان ابو عنان بالنزول له عنها على ان يعوضه عنها ما يشاء من بلاده فسارع الى قبول ذلك وعوضه السلطان عنها مكناسة الزيتون . وعقد ابو عنان عليها لعمر بن علي الوطاسي من بني الوزير الذين قدمنا خبر ثورتهم بخصن تازوطا ايام يوسف بن يعقوب . ثم عاد السلطان ابو عنان الى تلمسان وقد اتسعت مملكته اتساعاً عظيماً وكان اهل بجاية غير راضين بما تم عليه الاتفاق بين اميرهم ابي عبد الله والسلطان ابي عنان فلما قدم اليهم عمر بن علي الوطاسي عاملاً عليهم من قبل السلطان ابي عنان اتفقوا فيما بينهم على الفتك به ففعلوا وقتلوه بمجلسه بدار الامارة وارسلوا الى ابي زيد بن محمد الحفصي صاحب قسنطينة في القدوم اليهم ليولوه امرهم فتناقل عنهم . ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا امرهم في الرجوع الى طاعة السلطان ابي عنان فقتلوا بعض الفوغاء وارسلوا برؤسهم اليه بدعوى انهم منسيبو الفتنة وسرح السلطان ابو عنان حاجبه ابا عبد الله محمد بن ابي عمر في الكتاب اليها فدخلها فاتح سنة ٧٥٤ هـ فشنت صنهاجة في كل وجه وتقبض

على اصحاب الفعلة منهم واعتقلهم واركبهم الاسطول الى المغرب فاطمان الناس
وسكتوا . وبعد ان استتب امرها ارتحل الى تلمسان ومعه شيوخ الزاورة
ووجوه بجاية فاكرم السلطان وفادتهم

وفي سنة ٧٥٤ هـ ثار ابو الفضل بن السلطان ابي الحسن على اخيه ابي
عنان ودعا لنفسه ببلاد السوس وعلم السلطان ابو عنان بمكانه من تلمسان بالخبر
فارسل اليه وزيره فارس بن ميمون بالعساكر فقاتله وهزمه وهرب ابو الفضل
متنقلاً في تلك الجهات الى ان وقع اسيراً في ايدي بعض اصحاب اخيه
فاشخصه معتقلاً الى اخيه السلطان ابي عنان سنة ٧٥٥ هـ فاودعه السجن ثم
امر به فقتل

وفي سنة ٧٥٦ هـ انتقض على السلطان ابي عنان وزيره وصاحب شوره عيسى
ابن الحسين بن علي من شيوخ بني مرين ووجوهها كان السلطان قد استعمله على
جبل طارق فتمكنت رياسته وانتقض على السلطان لاسباب يطول شرحها ثم
النائت حاله وضائق مذاهبة فقبض عليه واحضر بين يدي السلطان ابي عنان
فامر به فقتل وعقد على جبل طارق لولده ابي بكر السعيد

وفي سنة ٧٥٧ هـ عزم السلطان ابو عنان على فتح افريقية وسرح في مقدمته
وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار هو في ساقته على التعمية الى ان وصل
بجاية . ثم نزل الوزير قسنطينة وجاء السلطان على اثره ولما اطلت راياته وماجت
الارض بجنوده دعر اهل البلد والقوا بايديهم الى الاذعان وانفضوا من حول
سلطانهم ابي العباس احمد الحفصي وجاؤا مطيعين الى السلطان ابي عنان فاستولى
ابو عنان على قسنطينة وقبض على ابي العباس احمد الحفصي وسيره في الاسطول الى
سبتة واعتقله بها وعقد على قسنطينة لمنصور بن الحاج مخلوف اليا باني من شيوخ بني
مرين . ثم ارسل ابو عنان عساكره برآ وبجراً لمنازلة تونس وساطاتها ابي اسحق
ابراهيم بن ابي بكر الحفصي

ولما اتصل الخبر الى ابي اسحق المذكور اخرج حاجبه ابا محمد بن تافراكين

لقتالهم فقاتلهم ابن تافراكين يوماً او بعض يوم ثم ركب الليل الى المهدية وتحصن بها ودخل اولياء السطان ابي عنان الى تونس في رمضان سنة ٧٥٨ هـ واقاموا بها الدعوة المرينية وانفذوا الكتب الى السلطان ابي عنان بالفتح فمظم سروره وعزم على المسير الى تونس . وكانت عساكره قد ماتت الغربة واعياهم التعب فتأمروا فيما بينهم على قتل السلطان ابي عنان واسرّوا بذلك الى وزيره فارس بن ميمون فوافقهم على ذلك وعلم بعض مشيخة بني مرين بالخبر فاوصله للسلطان وكان قد خرج من قسنطينة قاصداً تونس فلما تحققه وعلم عدم قدرته المقاومة انكفأ راجعاً الى المغرب دار ملكه فدخل فاساً غرة ذي الحجة سنة ٧٥٨ هـ ولما استقر بها قبض على وزيره فارس بن ميمون ومن وافقه على قتل السلطان وقتلهم جميعاً . واستوزر بعد فارس المذكور سليمان بن داود وارسله في العساكر الى افريقية لاتمام فتحها وخرج هو في اثره حتى احتل تلمسان وبعثان شارف احوالها رجع الى المغرب فوصل فاساً منتصف ذي القعدة سنة ٧٥٩ هـ

ولما استقر السلطان ابو عنان بفاس لحقه مرض اودى بحياته وكانت وفاته يوم السبت ٢٨ ذي الحجة سنة ٧٥٩ هـ وكان السلطان ابو عنان من عظماء سلاطين هذه الدولة

٥٣٥ - السعيد بالله ابو بكر بهه ابي عنان

من سنة ٧٥٩ - ٧٦٠ هـ او من سنة ١٣٥٨ - ١٣٥٩ م

لما توفي السلطان ابو عنان اجتمع الوزراء وارباب الدولة وبايعوا ابنه ابا بكر ولقبوه السعيد بالله وقام بامر دولته الوزير حسن بن عمر الفودودي واستبد بالامر وصار صاحب الامر والنهي ولم يكن للسلطان ابي بكر معه الا الاسم فقط وكان السلطان ابو بكر ضعيف الراي غير اهل لتبوء كرسي السلطنة وفي ايامه ضعفت الدولة المرينية الى درجة لم يسبق لها نظير وانخلعت عنها الممالك التي كانت

تحت تملكها فان ابا العباس احمد بن ابي بكر الحفصي كان قد هرب من معتقله
بسببة ولحق بتونس واستولى عليها وجدد بها ما اندرس من امر آبائه . وظهر ابو
حمو موسى بن يوسف الزياني والتف حوله بنو عبد الواد واستولى على تلمسان ومحا
منها الدعوة المرينية وذلك بخلاف الفتن التي ظهرت بالمغرب واستيلاء كل عامل
على ما بيده حتى اوشكت الدولة على الضياع

وفي هذه الاثناء ظهر منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب
ابن عبد الحق ودعا لنفسه فاطاه غالب اهل المغرب وحارب السعيد بالله ابا بكر
وكاد يستولي على الامر وينتزع منه لولا ظهور ابي سالم ابراهيم بن ابي الحسن
وانتزاعه الامر منها معاً كما ستراه

وكان من خبره انه كان مستقراً بالاندلس بعثه اليها اخوه ابو عنان ولما مات
ابو عنان وولي ابنه الصبي طمع ابو سالم هذا في الملك واجاز البحر الى المغرب
ونزل بجبل غارة فانصرفت اليه وجوه اهل المغرب وبطل امر السلطانين ابي بكر
السعيد ومنصور بن سليمان معاً وذابا كما يذوب الملح فاما منصور بن سليمان فانه
فر الى بادس فقبض عليه وجيء به الى السلطان ابي سالم فقتله . اما السعيد فان
وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور ابي سالم واستفحال امره نبذ دعوة سلطانه
المذكور وبعث بطاعته الى ابي سالم ووعدته بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه
فكان الامر كذلك . وخلع السعيد يوم الثلاثاء ١٢ شعبان سنة ٧٦٠ هـ ثم قتل
بنه ذلك

٥٣٦ - المستعين بالله ابو سالم ابراهيم بن ابي الحسن

من سنة ٧٦٠ - ٧٦٢ هـ او من سنة ١٣٥٩ - ١٣٦١ م

لما قدم السلطان ابو سالم من الاندلس ونزل بجبال غارة كثر اتباعه وعظم
شانه ولحق به وجوه بني مرين وكانت الفتن قائمة بين السلطانين السعيد ومنصور

ابن سليمان فلما ظهر ابو سالم انقضت الجموع عنها ولحقوا بابي سالم المذكور ورأى الحسن بن عمر الفودودي وزير السعيد تمكن ابي سالم بالامر فارسل اليه بطاعته وطلب اليه القدوم الى فاس ليكنه منها ثم قام على سلطانه السعيد وخلعه فاغذا ابو سالم السير الى فاس والتقاء الحسن بن عمر المذكور واسلمه ابن اخيه السعيد وبايعه ودخل ابو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٧٦٠ هـ واستولى على ملك المغرب وعقد للحسن بن عمر على مراكش تحففاً منه وريية بمكانه من الدولة واستتب الامر لابي سالم وعظم صيته وعلا شأنه وتلقب المستعين بالله وفي سنة ٧٦١ هـ وفد على ابي سالم السلطان الغني بالله بن الاحمر صاحب الاندلس ووزيره ابن الخطيب الشهير مخلصين فاکرم وفادتهم ووسع لهم في بلاده

وفي هذه السنة (٧٦١ هـ) انتقض الحسن بن عمر بمراكش لانه استشعر بتكر السلطان ان له فحشي على نفسه وخرج من مراكش في صفر من هذه السنة فلحق بتادلا منحرفاً عن السلطان ومجمعاً على الخلاف فارسل اليه السلطان عساكره بقيادة وزيره الحسن بن يوسف فقاتله حتى قتله وصار عبرة لمن اعتبر ولما استوثق للسلطان ابي سالم ملك المغرب ومجاثر الخوارج منه سميت همته الى تملك تلمسان كما كان لايه واخيه من قبل فجهز العساكر لهذا الغرض وارتحل من فاس منتصف سنة ٧٦١ هـ الى تلمسان . واتصل خبر نهوضه بسلطانها ابي حمو بن يوسف الزياني فجمع شيعته وخرج من تلمسان الى الصحراء وتقدم ابو سالم ودخل تلمسان بلا معارض واستولى عليها . فخالفه ابو حمو في اصحابه الى المغرب فنزلوا آكر سيف ووطاط وبلاد ملوية وحطموا زرعها وانتسفوا بركتها وخرّبوا عمرانها

وبلغ السلطان ابا سالم الخبر فاهم امر المغرب وكان في جملة من بني زيان محمد بن عثمان بن ابي تاشفين ويكنى ابا زيان فعقد له علي تلمسان واعطاه الآلة وجمع له جيشاً من مغراوة وبني توجين ودفع لهم اعطياتهم وانكفأ راجعاً الى فاس

فاجفل ابو حمو واصحابه امامه وخالفوه الى تلمسان فظردوا عنها ابا زيان واستولوا عليها . وثبت قدم ابي حمو بها وعاد ابو زيان الى المغرب لاحقاً بالسلطان ابي سالم فقبله وعقد المهادنة مع ابي حمو واستقر الامر على ذلك وكان للسلطان ابي سالم وزير يعرف بالخطيب ابي عبد الله بن مرزوق وقد اتى اليه زمام الدولة فصار المطلق التصرف فيها فنقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك عليه واتفقوا على خلع السلطان ابي سالم وتولية اخيه تاشفين الموسوس ابن ابي الحسن وتربصوا الفرص لانتقام غرضهم فلما كان اواخر سنة ٧٦٢ هـ انتقل السلطان ابوسالم من فاس الجديد الى فاس القديم فاجتمعوا بفاس الجديد وثاروا به وبايعوا صاحبهم وعلم السلطان بذلك وخرج لمنعهم عن اتمام غرضهم فقاتلوه وقتلوه وكان ذلك يوم الخميس ٢١ ذي القعدة سنة ٧٦٢ هـ . وكان المتولى كبر هذه الفتنة عمر بن عبد الله الفودودي

٥٣٧ - ابو عمر تاشفين الموسوس بن ابي الحسن

من سنة ٧٦٢ - ٧٦٣ هـ او من سنة ١٣٦١ - ١٣٦١ م

لما ثار عمر بن عبد الله الفودودي بالسلطان ابي سالم وسعى في هلاكه الى ان قتل كما مر استبد بامر الدولة ونصب هذا الموسوس يمونه به على الناس فبويع ليلة الثلاثاء ١٩ ذي القعدة سنة ٧٦٢ هـ . وعظم امر استبداد عمر بن عبد الله الفودودي على مشايخ بني مرين وكرهوا ذلك فارسلوا الى عبد الحليم بن ابي علي بن ابي سعيد المريني وكان مقيماً بتلمسان واستقدموه من هناك ليولوه امرهم فسرجه ابو حمو صاحب تلمسان اليهم واعانه بالسلاح والرجال فقدم الى فاس وتلقته جماعة بني مرين بسبوا ونزلوا على فاس الجديد يوم السبت ٧ محرم سنة ٧٦٣ هـ وحاصروا دار الملك سبعة ايام فقاتلهم عمر بن عبد الله وهزمهم واجلاهم عن المدينة فخرج كل واحد على وجهه ولحق عبد الحليم بتازا . ثم راجع عمر بن عبد الله بصيرته وعلم ان الامر لا

يستقيم له اذا ابقى ابا عمر تاشفين لانه كان معتوهاً وانه لا بد من قيام بني مرين عليه حتى يولوا الامر مستحقه فسادر باستقدام ابي زيان محمد بن ابي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابي الحسن وكان بالاندلس فقدم . وخلع الوزير سلطانه الموسوس يوم الاثنين ٢١ صفر سنة ٧٦٣ هـ فكانت دولته ثلاثة اشهر ويومين

٥٣٨ - ابو زيان محمد بن ابي عبد الرحمن

من سنة ٧٦٣ - ٧٦٨ هـ او من سنة ١٣٦١ - ١٣٦٦ م

وبعد ان خلع عمر بن عبد الله سلطانه الموشوش كما تقدم نصب للامر بعده ابا زيان محمد بن ابي عبد الرحمن ولقبه المتوكل على الله واستمر على استبداده بامر الدولة . وكان ابو زيان متساهلاً معه تاركاً الامر له ولكن لما طال استبداد الوزير على ابي زيان المذكور عزم على الفتك وتناجى بذلك مع بعض ندمائه واعد له طائفة من العبيد كانوا يختصون به ففني ذلك الى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عيناه عليه فعاجله وقتله فاتح سنة ٧٦٨ هـ

٥٣٩ - ابو فارس عبد العزيز بن ابي الحسن

من سنة ٧٦٨ هـ - ٧٧٤ هـ او من سنة ١٣٦٦ - ١٣٧٢ م

لما قتل الوزير عمر بن عبد الله السلطان ابا زيان محمداً استدعى عبد العزيز ابن ابي الحسن هذا وكان في بعض الدور من القصبه بفاس محتاطاً عليه من قبل الوزير المذكور فاحضره في القصر واجلسه على سرير الملك وبايعه الناس وتم له الامر . وجرى معه الوزير على عادته من الاستبداد ومنعه عن الانصرف في شيء من امور الملك فانف السلطان عبد العزيز من ذلك وعزم على الفتك بالوزير وامر

بعض خصيانه بقتله متى امرهم بذلك ثم احضره يوماً ما ووبخه وامر اولئك الخصيان فقتلوه واستأرخ السلطان منه . وانعش السلطان عبد العزيز هذا دولة بني مرين بعد تلاشيها واعاد اليها شبابها بعد هزمها وتقاضيا وازال عنها وصمة الحجر والاستبداد واعادها من العزالي حالها المعتاد . وهو الذي ذكره ابن خلدون في تاريخه الكبير والفه برسمه وحلى ديباجته باسمه

وبعد ان استتب الامر للسلطان ابي فارس عبد العزيز بالمغرب ومحا منه اثار الثوار الذين ظهروا لاول دولته عزم على قصد تلمسان فجهز العساكر ونهض من فاس اوائل سنة ٧٧٢ هـ فاحتل بتازا واتصل خبره بابي حمو بن يوسف فجمع جموعه وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة اصحابه وتفرق عنه اكثرهم فاجفل هو فمين بقي معه عن تلمسان ودخلوا الصحراء وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء سنة ٧٧٢ هـ فدخلها في يوم مشهود واستولى عليها وسير بعضاً من عساكره بقيادة وزيره ابي بكر بن غازي بن الكاس في اتباع ابي حمو فادركوه ببعض بلاد زناتة الشرق فاجهضوه عن ماله ومعسكره فانتهب باسره وهرب ابو حمو ناجياً بنفسه الى القفر ودوخ الوزير المذكور بلاد المغرب الاوسط وشرذ عصاته واستنزل ثواره واستولى السلطان عبد العزيز على سائر الوطن من الامصار والاعمال واستوثق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه وقام بتلمسان حتى توفي بها كما ستراه ان شاء الله

وفي سنة ٧٧٣ هـ وفد على السلطان عبد العزيز بتلمسان الوزير ابن الخطيب نازعاً عن سلطانة الغني بالله بن الاحمر صاحب الاندلس (الذي كان استولى مرة ثانية على غرناطة بالاندلس سنة ٧٦٣ هـ في خبر طويل نذكره بالتفصيل في ذكر الدولة الاحمرية النصرية ان شاء الله) فاكرم السلطان وفادته وبعد قليل لحق بالسلطان مرض شديد حتى نحل جسمه فخاف على نفسه وعزم على المسير الى المغرب وتجهز لذلك وخرج الى ظاهر تلمسان لهذا القصد فقضى نحيبه بظاهر تلمسان ليلة

الخميس ٢٢ ربيع الآخر سنة ٧٧٤ هـ فحملت جثته الى فاس ودفنت بها وكانت دولته ست سنين واربعة اشهر

٥٤٠ - السعيد بالله ابو زيان محمد بن عبد العزيز

من سنة ٧٧٤ - ٧٧٦ هـ او من سنة ١٣٧٢ - ١٣٧٤ م

لما توفي السلطان ابو فارس عبد العزيز بمكانه بظاهر تلمسان قام وزيره ابو بكر ابن الغازي بن الكاس واخذ ابنه ابا زيان وكان صبياً صغيراً وقدمه لمشيخة بني مر بن مبايعة فبايعوه ولقب السعيد بالله وتم امره وكفله الوزير المذكور فكان اليه الابرار والنقض والصبي كالعديم اذ لم يكن في سن التصرف ثم ارتحل الوزير بالناس وجد السير فدخل حضرة فاس واجاس الصبي للبيعة العامة فبايعوه

ولما فصل بنو مرين عن تلمسان عاد اليها سلطانها ابو حمو بن يوسف الزياني واستولى عليها ومحا منها دعوة بني مرين واتصل الخبر بالوزير ابي بكر فهم بالتهوض اليه ثم ثني عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن بن ابي علي ابن ابي سعيد بناحية بطوية فان السلطان ابن الاحمر كان قد سرحه من الاندلس لطلب ملك المغرب تشفياً على الوزير ابي بكر بن غازي ثم اتبعه بالامير ابي العباس احمد بن السلطان ابي سالم المريني الذي كان محتاطاً عليه بظنجة . فزحف الامير ابو العباس المذكور الى فاس وظاهره ابن عمه الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن فحاصروا الوزير ابا بكر وملكه ابا زيان بن عبد العزيز وامدهم ابن الاحمر بجميع من جنده فاستمر الحال على حصار فاس الى ان اذعن الوزير ابو بكر لخلم سلطاناه ابي زيان ومبايعة الامير ابي العباس فخلعه يوم الاحد ٦ محرم سنة ٧٧٦ هـ وغرب الى الاندلس فكانت دولته سنة وثمانية اشهر واربعة عشر يوماً

٥٤١ - ابو العباس احمد بن ابي سالم

من سنة ٧٧٦ - ٧٨٦ هـ او من سنة ١٣٧٤ - ١٣٨٤ م

بويغ لابي العباس احمد بن ابي سالم هذا في طنجة سنة ٧٧٥ هـ ثم بويغ
البيعة العامة في المدينة البيضاء (فاس الجديد) بعد استيلائه عليها في ٦ محرم
سنة ٧٧٦ هـ

وكان الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن عند ما اشرفوا على فتح فاس شرط
عليهم ولاية مراکش فمقدوا له عليها فارتحل الى مراکش واستولى عليها واستقل
السلطان ابو العباس بلك فاس واعمالها واستوزر محمد بن عثمان بن الكاس .
واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وجعل اليه المرجع في تقضيه وابرامه فصار له
بذلك تحكم في الدولة المرينية واصبح المغرب كانه من بعض اعمال الاندلس
وذلك بما كان لابن الاحمر من اعانة السلطان ابي العباس على ملك المغرب
حتى تم له

ولما ذهب عبد الرحمن بن ابي يفلوسن الى مراکش استولى عليها واستبد بها
وانقسمت المملكة الى دولتين فاس لابي العباس ومراكش لعبد الرحمن ثم حصلت
بينهما فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها خروج ابي العباس من فاس سنة
٧٨٤ هـ قاصداً مراکش فوصلها ونازلها وضيق عليها الحصار ودافع عنها عبد الرحمن
بقدر ما في امكانه حتى قتل في المعركة ودخل ابو العباس مراکش واستولى عليها
وفي اثناء حصار ابي العباس لمراكش اغار ابو حمو بن يوسف الزياني صاحب
تلمسان على اطراف المغرب باغراء عبد الرحمن ودخل في جموعه احواز مكناسة
وعاثوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعة ايام وضربوا قصر الملك هنالك
ومسجده المعروف بقصر تازروت

وبينا هم على ذلك بلغهم الخبر اليقين بانتصار ابي العباس واستيلائه على
مراكش وقتل الامير عبد الرحمن فاجفلوا من كل ناحية ولحق ابو حمو بتلمسان .

اما السلطان ابو العباس فانه بعد ما فتح مراکش وصل الى فاس واراح بها اياماً ثم اجمع النهوض الى تلمسان لينتقم من ابي حمو فخرج من فاس لهذا القصد وعلم ابو حمو بنهوضه فاضطرب وجمع امواله وحرمه ولحق ببلاد مغراوة وجاء السلطان ابو العباس الى تلمسان وملكها واستقر بها اياماً ثم هدم اسوارها وقصور الملك بها جزاء لما فعله ابو حمو في تخريب قصر تازروت . ثم خرج من تلمسان في اتباع ابي حمو فبلغه الخبر باجازه موسى بن ابي عنان من الاندلس الى المغرب وانه خالفه الى دار الملك كما سذكركه فانكفأ راجعاً الى المغرب ورجع ابو حمو الى تلمسان واستقر ملكه بها

قد قدمنا ما كان من تحكم ابن الاحمر في مملكة المغرب ودالته على السلطان ابي العباس بما انه كان السبب في ولايته . وكان مع كثرة تحكمه يتجنى عليهم في بعض الاوقات بما ياتونه من تقصير في شفاعه او مخالفة في امر لا يجدون عنها مجيباً فيضطغن ذلك عليهم . وكان يمتد على السلطان ابي العباس بشيء من هذه الهنات فلما نهض الى تلمسان واستولى عليها انصل بابن الاحمر ان دار الملك بفاس قد بقيت عورة من الجند والحامية فانتهاز الفرصة وبادر بتسريح موسى بن السلطان ابي عنان الى المغرب واستبوزر له مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي . فنزل موسى بن ابي عنان سبته فاستولى عليها وسلمها لابن الاحمر فدخلت في طاعته ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها وانصل الخبر بالسلطان ابي العباس وهو بتلمسان فحجاء مبادراً فلما وصل الى الموضع المعروف بالركن انتفض عليه روساء جيشه وتسللوا عنه الى موسى بن ابي عنان طوائف وافراداً . فلما رأى ابو العباس ما نزل به رجع الى تازا وذلك يوم الاحد ٣٠ ربيع الاول سنة ٧٨٦ هـ

ثم بعث موسى بن ابي عنان من اتاه بالسلطان ابي العباس في الامان فقدم عليه وقيده وبعثه الى ابن الاحمر فبقى عنده محتاطاً عليه الى ان كان ما نذكركه ان شاء الله تعالى

٥٤٢ - أبو فارس موسى بن أبي غنانه

من سنة ٧٨٦ - ٧٨٨ هـ او من سنة ١٣٨٤ - ١٣٨٦ م

بويح لأبي فارس موسى هذا يوم الخميس ٢٠ ربيع الاول سنة ٧٨٦ هـ واقتب
 المتوكل على الله وقام بأمر دولته وزيره مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي مستبدًا
 عليه . وثار عليه لأول دولته الحسن بن الناصر بجبال غمارة داعيًا لنفسه فكثر
 اتباعه وعظم ضرره فارسل اليه الوزير مسعود العساكر بقيادة اخيه مهدي بن عبد
 الرحمن بن ماساي فحاصره بجبل الصفيحة أياماً فامتنع عليه
 وفي هذه الاثناء حصلت نفرة بين السلطان أبي فارس ووزيره مسعود طلب
 مسعود لاجلها البعد عنه وبادر الى الخروج لمداغة الحسن بن الناصر القائم
 بغمارة واستخلف على دار الملك اخاه يعيش بن عبد الرحمن بن ماساي فلما انتهى
 الى قصر كتامة بلغه الخبر بوفاة السلطان موسى بن أبي غنانه . وكانت وفاته يوم
 الجمعة ٣ رمضان سنة ٧٨٨ هـ قيل مسموماً

٥٤٣ - أبو زيان محمد بن أبي العباس بن أبي سالم

سنة ٧٨٨ هـ او سنة ١٣٨٦ م

بويح لأبي زيان محمد هذا يوم الجمعة ٣ رمضان سنة ٧٨٨ هـ بعد وفاة خاله
 موسى بن أبي غنانه واقتب المنتصر بالله . ولم تطل مدة ملكه لانه خلع يوم الجمعة
 ١٥ شوال من السنة فكانت ولايته ٤٣ يوماً تحت استبداد الوزير مسعود . ولما
 خلع غرب الى الاندلس مع ابيه

٥٤٤ - ابو زيان محمد بن ابي الفضل بن ابي الحسين

من سنة ٧٨٨ - ٧٨٩ هـ او من سنة ١٣٨٦ - ١٣٨٧ م

بويح السلطان ابو زيان محمد بن ابي الفضل يوم الجمعة ١٥ شوال سنة ٧٨٨ هـ بعد خلع ابي زيان بن ابي العباس وقام بامرہ الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي . ولقب ابو زيان محمد هذا بالواثق بالله . ثم حدثت فتنة بين الوزير مسعود وابن الاحمر بسبب ان الوزير طلب منه اعادة سبته الى الالة المريفية وكان موسى بن ابي عنان قد نزل عنها كما مر فاستشاط ابن الاحمر لهذا الطلب غضباً واسباء الرد . فجهز الوزير ابن ماساي عساكره وارساهم لحصار سبته فاستولوا عليها

ولما اتصل الخبر لابن الاحمر سرح السلطان ابا العباس من اعتقاله وبعثه الى المغرب لطلب ملكه وللتشغيب على ابن ماساي الجاحد لاحسانه بزعمه . فمهر السلطان ابو العباس البحر الى المغرب فاحتل سبته واسنولى عليها ثم تقدم الى فاس وحاصرها وضيق على ابن ماساي وسلطانہ الواثق بالله واهرع الناس الى الدخول في طاعته واستمر الحصار على فاس الجديد ثلاثة اشهر ثم اذعن الوزير مسعود للطاعة على شرط ان يبقى وزيراً ويعرب سلطانه الى الاندلس فاجيب الى ذلك وخلع الواثق بالله ثم خرج الى السلطان ابي العباس فبايعه وتقدم امامه فدخل دار ملكه يوم الخميس ٥ رمضان سنة ٧٨٩ هـ . ولحين دخوله قبض على الواثق بالله فقيده وبعث به الى طنجة فقتل بها بعد ذلك بقليل

٥٤٥ - ابو العباس احمد بن ابي سالم ثانية

من سنة ٧٨٩ - ٧٩٦ هـ او من سنة ١٣٨٧ - ١٣٩٣ م

لما دخل ابو العباس حضرة فاس الجديد في التاريخ المتقدم بوبع البيعة العامة

يوم السبت ٧ رمضان سنة ٧٨٩ هـ . ولما استقر قدمه قبض علي الوزير مسعود ابن عبد الرحمن بن مانسي واخوته وقتلهم بعد ان اذاقهم من العذاب اشكالا والوانا وجمالهم عبرة للمعتبرين

وفي سنة ٧٨٨ هـ ثار ابو تاشفين بن ابي حمو بن يوسف علي ابيه ابي حمو صاحب تلمسان واستمد ابو تاشفين السلطان ابا العباس سنة ٧٩١ هـ فامده بابنه الامير ابي فارس ووزيره محمد بن يوسف عقد لهما علي جيش كثيف من بني مرين وغيرهم فالتهمر ابو تاشفين علي ابيه فقتله وبعث براسه الي السلطان ابي العباس ثم تقدم فدخل تلمسان آخر سنة ٧٩١ هـ واستمر بها مقيما لدعوة السلطان ابي العباس فكان يخطب له علي منابر تلمسان ويحث اليه بالضريبة كل سنة واستمر علي ذلك الي ان مات سنة ٧٩٥ هـ فتغلب علي تلمسان اخوه الامير يوسف بن ابي حمو ولما اتصل الخبر بابي العباس خرج من الحضرة الي تازا ومن هناك بعث ابنه الامير ابا فارس في العساكر الي تلمسان فاستولى عليها واقام فيها دعوة والده وفر يوسف بن ابي حمو الي بعض الحصون ، واستمر السلطان ابو العباس بتازا يشارف لاحوال ابنه حتي مرض هنالك وتوفي ليلة الخميس ٧ محرم سنة ٧٩٦ هـ

٥٤٦ - ابو فارس عبد العزيز بن ابي العباس

من سنة ٧٩٦ - ٧٩٩ هـ او من سنة ١٣٩٣ - ١٣٩٦ م

لما توفي السلطان ابو العباس احمد بن ابي سالم بمكانه من تازا ارسل ارباب الدولة الي ابنه ابي فارس عبد العزيز واستدعوه من تلمسان فقدم عليهم بتازا وبايعوه يوم السبت ٩ محرم سنة ٧٩٦ هـ ولما تم امره اطلق ابا زيان بن ابي حمو الزياني وكان معتقلا عنده بفاس وبعثه الي تلمسان اميرا عليها من قبله فسار اليها ابو زيان وملكها واقام فيها دعوة السلطان ابي فارس

وكان السلطان ابو فارس يكره سفك الدماء لرقه قلبه وكثرة شفقتة فارتاحت البلاد في ايامه ولم يحصل فيها من الحروب ما يذكر ولكنه لم تطل مدته اذ توفي يوم السبت ٨ صفر سنة ٧٩٩ هـ . وكان يحسن قرض الشعر ويحب سماعه فمن نظمه وقد نزل المطر يشكر الله عليه

الله يالطف بالعباد فواجب ان يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه من بعدما قنطوا وينشر رحمته

٥٤٧ - ابو عامر عبد الله بن ابي العباس

من سنة ٧٩٩ - ٨٠٠ هـ او من سنة ١٣٩٦ - ١٣٩٨ م

لما توفي السلطان ابو فارس عبد العزيز بن ابي العباس تولى بعده اخوه ابو عامر عبد الله وتلقب بالمستنصر بالله وكان التصرف في ايامه للوزراء وارباب الدولة ولم تطل مدة ملكه لانه توفي يوم الثلاثاء ٣٠ جمادى الآخرة سنة ٨٠٠ هـ لسنة وخمسة اشهر تقريباً من ولايته

٥٤٨ - ابو سعيد عثمان بن ابي العباس

من سنة ٨٠٠ - ٨٢٣ هـ او من سنة ١٣٩٨ - ١٤٢٠ م

لما توفي السلطان ابو عامر عبد الله بن ابي العباس تولى بعده اخوه ابو سعيد عثمان بن ابي العباس وهو ثالث الاخوة الذين تولوا الامر بعد ابيهم ابي العباس وكان هذا السلطان ضعيف الراي قليل العزم فاطر الهمة فانغمس في الشهوات واللذات الجسدانية تاركاً امور الدولة بيد الوزراء يتصرفون فيها كما يشاؤون

ومن اهم الحوادث في ايامه استيلاء البرتغال على مدينة سبتة وابتزاعها من

الدولة المرينية وذلك سنة ٨١٨ هـ

وفي سنة ٨٢٣ هـ توفي السلطان ابو سعيد عثمان بن ابي العباس وتولى بعده
ابنه عبد الحق

٥٤٩ - عبد الحق بن ابي سعيد

من سنة ٨٢٣ - ٨٦٩ هـ او من سنة ١٤٢٠ - ١٤٦٥ م

لا توفي السلطان ابو سعيد عثمان بن ابي العباس تولى بعده ابنه عبد الحق وهو
آخر ملوك بني عبد الحق من بني مرين واطولهم مدة واعظمهم محنة وشدة وفي
ايامه ضعف امر بني مرين جداً ونداعى الى الانحلال وكان التصرف للوزراء
والحجباب شان دولة ابيه من قبله . ومن وزراء السلطان المذكور الوزير ابو زكريا
يحيى بن زيان الوطاسي الذي استبد بالامر حتى توفي سنة ٨٥٢ هـ وولى الوزارة
بعده علي بن يوسف الوطاسي وارتاحت البلاد في مدته لحفظه امور الملك ورققه
بالرعية مع العدل وحسن الادارة ثم توفي سنة ٨٦٣ هـ فقدم للوزارة بعده ابو زكريا
يحيى بن يحيى الوطاسي وهذا ابتداء ان يجري في الدولة تجسينات مجارة لباقي
الدول المعاصرة له وكان يكره البقاء على القديم ولهذا السبب هاج عليه اهل المغرب
وشكوه الى السلطان عبد الحق فقتله وقتل معه جميع الوطاسيين الا من كان منهم
طويل العمر ثم استعمل على وزارته هارون وشاويل اليهوديين نكاية باهل دولته
لتوالى هياجهم عليه فاساء اليهوديان السيرة في الرعية الى درجة لا تحتمل وتحكم
اليهود على المسلمين في المغرب بسببها

ولما ضاق الامر باهل المغرب من جرى فعل اليهود اجتمعوا الى الشريف
ابي عبدالله الحفيد من بقايا الادريسيين الذي حكموا المغرب في مبدأ الاسلام
وبايعوه والتفت عليه خاصتهم وعامتهم وتقدموا الى فاس وقتلوا الوزيرين
اليهوديين واشتخنوا في جميع اليهود القاطنين المدينة فقتلوهم واستلبوهم واصطلبوا
نعمتهم واقتسموا اموالهم . وكان السلطان عبد الحق يومئذ غائبا في حركة له

يبعض النواحي واتصل به الخبر بمكانه فانفض مسرعاً الى فاس ولما قربها ثار عليه جنده . واتصل الخبر باهل فاس وسلطانهم الحفيد فخرجوا من فاس وقبضوا على السلطان عبد الحق وقتلوه وذلك سنة ٨٦٩ هـ وبه انقرضت دولة بني عبد الحق من بني مرين وفي ايامه استولى البرتغال على طنجة سنة ٨٦٩ هـ والله غالب على امره

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث واوله
الدولة النصرية الاحمرية بالاندلس

وكان الفراغ من طبعه في شهر اكتوبر سنة ١٩٠٧

